رفع
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس
www.moswarat.com

الشاعر أحمد محرم

دراسة في حياته وشعره

الدكتور مصطفى الفار

2007
منشورات أمانة عمان الكبرى

رفع
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس
www.moswarat.com

رفع
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس
www.moswarat.com

الشاعـــر
أحمـــد محـــرم
دراسة في حياتـــه وشعـــره

تأليف
د. مصطفى محمد الفار

رقم الايداع لدى دائرة المكتبة الوطنية
(٧١٥/ ٣/ ٢٠٠٧)

٨١١,٩٢
الفار، مصطفى محمد
الشاعر أحمد محرم : دراسة في حياته وشعره
مصطفى محمد الفار._ عمان : المؤلف ، ٢٠٠٧.
(٤٢٢) ص.
ر.إ:(٧١٥ / ٣/ ٢٠٠٧).
الواصفات : الشعراء العرب// الشعر العربي// التراجم/
رقم الاجازة المتسلسل لدى دائرة المطبوعات والنشر ٦٢٩/ ٣/ ٢٠٠٧

*تم اعداد بيانات الفهرسة والتصنيف الأولية من قبل دائرة المكتبة الوطنية

طبع هذا الكتاب
في
مطبعة الروزنا
٠٧٨٥٧٠٤٤٢١ ٠٧٩٦٨٨١٧٨٨
٠٦ ٤٨٨٣٣١١ عمان – الاردن

رفع
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس
www.moswarat.com

بسم الله الرحمن الرحيم

رفع
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس
www.moswarat.com

رفع
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس
www.moswarat.com

"إني رأيت أنه لا يكتب إنسان كتاباً في يومه، إلا قال في غده لو غير هذا لكان أحسن، ولو زيد لكان يستحسن.

لو قدم هذا لكان أفضل، ولو ترك هذا لكان أجمل، وهذا أعظم العبر، وهو دليل على استيلاء النقص على جملة البشر"

العماد الأصبهاني الكاتب

رفع
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس
www.moswarat.com

رفع
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس
www.moswarat.com

الأهداء

إلى روح أبي - رحمه الله - وكم كان يتمنى أن يعيش هذا الحدث

ويرى هذا الجهد .

وإلى روح أمي - رحمها الله - التي ظل قلبها يطير معي . . كلما سافرت

في طلب العلم

إلى أحبائي . . .

" إلى روح زوجتي العزيزة - رحمها الله - وإلى وأولادي الأعزاء

الذين قاسموني عناء البحث ومشاقه فكانوا خير عون لي على تجاوز

ما اعترضني من عقبات .

إليهم جميعاً . . أهدي هذا العمل العلمي المتواضع .

رفع
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس
www.moswarat.com

رفع
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس
www.moswarat.com

المقدمة

أحمد محرم الشاعر العربي المصري، يعد في الطبقة الاولى من شعراء جيله، وهو أحد الشعراء الذين نهضوا برسالة الشعر بعد البارودي إلى جانب شوقي وحافظ إبراهيم وخليل مطران وأحمد الكاشف، فضربوا بشعرهم في كل فن ، وخاضوا في كل ميدان .

كان محرم من هؤلاء في الطليعة ، ولكن ترفعه عن السير في ركاب الحاكمين ، والزلفى إلى أصحاب الجاه والسلطان ، ألقى على اسمه ستارا من الجمود ، فنسبه الناس ، وإن لم ينسه الشعراء الكبار أنفسهم ، وبخاصة حافظ إبراهيم وإسماعيل صبري ، فقد عرفا قدره بين الشعراء ، وأدركا مكانته في صفوفهم ، وكان محرم بتمتع بمكانة ملحوظة عند الإدباء والشعراء على اختلاف مدارسهم ومنازعهم وكان مقدما عند المحافظين والمجددين على السواء.

ومن آثار هذا التقدير إشادة أبي شادى وزملائه شعراء جماعة أبولو به . وتقديرهم لفنه ، واهتمامهم بآرائه في الشعر والنقد.

وكثيراً ما قامت الندوات في البيئات تنتصر لمحرم علي شوقي ، وتعقد له اللواء على سائر الشعراء ، وامتدت هذه الصيحة من جانب الكتاب الأدباء بعد موت شوقي تدعو إلى إسناد زعامة الشعر إلى أفحل شعراء الجيل وإلى الكف عن العبث بالمناداة بالزعامة لهذا أو ذاك[1].

والواقع أن أنصار أحمد محرم كانوا على حق حين اقاموا هذه الدعوى ، فإن بين شوقي ومحرم علاقة قوية ، وتقاربا واضحا ، فقد امتاز شعر شوقي بقدرة موسيقية عذبة ، وهي ميزة نجدها في شعر محرم.

---

[1] محمد إبراهيم الجيوشي ، شاعر العروبة والإسلام ، أحمد محرم ، ص ٣٠.

وفي حين كان حافظ إبراهيم في شعره الوطني يميل إلى شعبية اللفظ ، وكانت روح الخطيب غالبة فيه على روح الشاعر ، كان محرم في شعره الوطني يصدر عن عقيدة صادقة ، لا استجابة للمناسبات ، فظل شعره في هذه الناحية على قلته متجها إلى هدف واحد ، وجاريا في مجال واحد كان لسان الحزب الوطني ، لم يمل هنا أو هناك.[1]

وكان لمحرم من رقة شعر معاصره إسماعيل صبري الكثير ، ولكنه كان يمتاز عليه بقوة في الديباجة وجزالة في اللفظ ، في حين كان صبري غنائياً في شعره ؛ والشعر الغنائي أميل إلى الرقة والنعومة [2].

ولكن ، فإذا كان لمحرم هذه الأهمية التي تعكسها صحف عصره ، ورسائل المعاصرين له من الأدباء والشعراء ، فلماذا لم يحظ محرم بدراسة جادة معمقة ، ما عدا ترجمات تقليدية في بعض الكتب والمراجع والصحف، وهي دراسات قليلة جداً ومحدودة ، انطلقت من أقلام وأفواه بعض المنصفين ، إذ أخذ شوقي وحافظ جميع الأقلام في حياتهما وبعد مماتهما ، فلم تبق إلا أقلام ضئيلة تبغي الخير والحقيقة .

لقد دفعني ذلك للإقدام في دراسة شعر أحمد محرم الشاعر المعاصر ، الملقب بشاعر العروبة والإسلام ، فلعل هذه الدراسة تكون تكفيراً عن هذا الجحود لشاعر حر كبير ، خلف وراءه تراثاً شعرياً قيماً.

كذلك ، فإن إحياء التراث ، يعد في غاية الأهمية ، بل هو ضرورة من ضرورات بقاء الأمة ، بما يعبر عن مستواها الحضاري والفكري ، وعن دورها

---

[1] حسن كامل الصيرفي ، أحمد محرم ومكانته بين شعراء عصره ، مجلة المجلة ، العدد الثاني عشر ، ديسمبر ١٩٥٧ ص١٢٠.

[2] المرجع السابق ص ١٢٠.

في تشييد صرح الحضارة الإنسانية ، فضلا عن أن التراث يحفظ لغة الأمة ويصونها من الأندثار.

ولما كانت النهضة الفكرية والأدبية التي غمرت الشرق في القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين قد آتت أكلها ، وأنضجت ثمارها ، فأقبل الشعراء يشيدون بأمجاد بلادهم ، ويمدون إليها أيديهم ، حتى تأخذ مكانتها ، وتستعيد سالف عهدها ؛ فقد وجدت في دراسة شعر أحمد محرم ، بما يمتاز به من إنتاج غزير ، وشاعرية فياضة ، ما يستحق الدراسة ، ويحقق رغبتي في كشف سمات شعره ، لا سيما أنه من الشعراء القلائل الذين عرفوا للشعر قدره وقيمته.

وكانت قراءتي لبعض قصائده التي نظمها في القضية الفلسطينية ، مثل قصيدة ، نكبة فلسطين ، و الشهيد محمد سعيد العاص ، وفلسطين السليبة ، مما زاد إعجابي به ، وتقديري له ، وأثار شوقي لمعرفة المزيد من أشعاره ، وللاطلاع على الدور الذي لعبه بين شعراء عصره .

وقد واجهتني صعوبات في بداية البحث ؛لأن الدراسات حول محرم نزرة محدودة ، وبعض الكتب قد نفدت طبعتها ، والمكتبات التي تحتفظ بهذه الدراسات بعيدة عن متناول يدي ، فهي إما في القاهرة أو دمشق أو بيروت ؛ الأمر الذي دعاني للتنقل بين هذه العواصم الثلاث للاطلاع على جانب من الكتب التي أحتاجها في دراستي ، وبخاصة ، الصحف والمجلات التي عاصرها محرم.

وقد قمت بالمقارنة بين دواوينه (طبعة القاهرة) ودواوينه التي نشرتها مكتبة الفلاح في الكويت عام ١٩٨٢ و١٩٨٤ و١٩٨٨ ؛ فتبين لي أن طبعة الكويت تمتاز بوضوحها ، وبما فيها من تعريفات ، ومقدمات بقلم ولده الشاعر محمود أحمد محرم ، وبقلم محمد إبراهيم الجيوشي ، الباحث المصري المعروف الذي تولى تحقيق هذه الدواوين.

وكان لهذه المصادر والمراجع وغيرها من المراجع الأخرى التي اطلعت عليها ، أثر كبير في إخراج هذا البحث في صورته الراهنة ولأقدم للقارئ العربي بعض ما يجهله عن شاعرنا.

ومن هنا ، فقد كان من الطبيعي أن أبحث في ثنايا هذه المصادر والمراجع عن المنابع التي تزود ثقافة الشاعر والعوامل التي أثرت في شعره ، ولا يخفى ما يعتور عملية الاستقصاء والبحث هذه من صعوبات ومشاق ، وبخاصة عند رصد التحولات التي أحدثت انعطافات هامة غيرت مجرى فكر الشاعر ، وما انعكست بالتالي على موقفه من الحياة بوجه عام.

• أهداف الدراسة :

أما أهداف الدراسة فهي:

١- تقديم صورة وافية عن الشاعر من خلال التعريف بعصره وبيئته وأسرته وكل ما يتعلق به .

٢- تقديم صورة ضافية عن شعره ، ومحاولة وضع ذلك الشعر في ميزان النقد .

٣- إعطاء صورة متكاملة عن حياة شاعرنا بأبعادها : الاجتماعية والسياسية والأدبية والوجدانية.

• المنهج المتبع في الدراسة :

أما المنهج الذي تم اتباعه في هذه الدراسة ، فهو المنهج التكاملي الذي يفيد من سائر المذاهب والمناهج النقدية [١] وقد راوح في إطاره العام بين أربعة مناهج، الأول : منهج التحقيق التاريخي وقد استخدمته في الحديث عن عصر الشاعر وبيئته . والثاني : منهج التحليل النفسي، وقد استخدمته في الحديث عن

---

[١] شوقي ضيف ، البحث الأدبي : طبيعته ، مناهجه ، أصوله ومصادره ، دار المعارف ، القاهرة ، ١٩٧٢ ص ١٣٩.

شخصيته ، وما تتعرض له هذه الشخصية من تقلبات عبر مرحلتي الحياة الخاصة والحياة الجماعية العامة . والثالث : منهج التحليل الأدبي ، وقد استخدمته في دراسة إنتاجه الشعري ، والبحث عن مميزات ذلك الإنتاج وتبين خصائصه. والمنهج الرابع : المنهج البنيوي ، وقد استعنت به في الحديث عن منهجه الشعري وما ينطوي عليه من دلالات ورموز، حيث قسمت المعجم إلى ثمانية جداول . تضمن كل جدول منها الألفاظ المميزة للشاعر لكل ديوان من دواوينة ، لاكتشاف مدى انعكاس هذه الألفاظ على أبعاد شخصية الشاعر الأدبية والدينية والاجتماعية والسياسية والنفسية.

• خطة الدراسة :

أقمت تخطيط دراستي على أسس تتواءم وهذا المنهج ، وجعلتها في ثلاثة أبواب ، ومقدمة وخاتمة وملاحق عامة .

وقسمت الباب الأول إلى ثلاثة فصول : تناولت في الفصل الأول عصر الشاعر وأثر البيئة في شعره ، وبينت في هذا الفصل بشيء من التفصيل أحداث عصره السياسية والاجتماعية والاقتصادية ، ومدى تأثيرها على حياته وانفعاله بها ، وانعكاسها على أدبه.

وفي الفصل الثاني قمت بالتعريف بشاعرنا اسماً ونسباً ، وبتحديد وضعه الأسري وثقافته وتشكيل شخصيته ، وتجربته العاطفية.

وفي الفصل الثالث ، تحدثت عن آثار محرم الأدبية ومصادر شعره ، وعن التشكيل الفني ومنزلته الشعرية بين أقرانه ، ثم قمت بتوضيح قصة صدور ملحمته الشعرية المسماة بمجد الإسلام .

وقسمت الباب الثاني إلى أربعة فصول . تناولت في الفصل الأول شعره الوطني الذي ضمنه محرم ثورته العارمة على بعض رجال السياسة الذين كانوا

يساومون الأجنبي على حرية بلادهم وحللت عدداً من القصائد التي أكد فيها محرم ولاءه لمصر وحبه لها ، والتي أنحى فيها باللوم على دعاة الفرقه والانقسام ، وبينت كيف كان شعره صدى لدافع حقيقي يضطرم بين جوانحه ، وشعور صادق بضرورة الوحدة والمؤاخاة.

وفي الفصل الثاني تحدثت عن شعره الإسلامي وأهميته وانعكاساته في المواجهة الشاملة بين الحضارة الإسلامية والحضارة الغربية الوافدة ، كما بينت في هذا الفصل الدور المهم الذي لعبه محرم في الدفاع عن الجامعة الإسلامية والسيادة الوطنية ، وأوضحت أثر العاطفة الدينية التي كانت متغلغلة في نفس شاعرنا منذ نعومة أظفاره ، مما أوحى إليه بذلك الفيض الثر من الشعر الإسلامي الذي امتاز به محرم على غيره من شعراء عصره ، ثم بينت أن شعره الديني لم يقتصر على النفحات الإسلامية كما فعل شوقي ، وإنما أفراد لشعره الإسلامي ديوانا خاصاً أطلق عليه "مجد الإسلام" وقمت بعرض وتحليل لبعض قصائد هذا الديوان، وبيان قيمتها الأدبية والتاريخية والفنية .

وفي الفصل الثالث تحدثت عن شعره الاجتماعي ، حيث قمت بتعريف خصائصه ،وبعرض وتحليل لجانب مهم من هذا النوع من شعره ، وتحدثت في هذا الفصل عن موقف أحمد محرم من دعوة قاسم أمين لتحرير المرأة ، وكيف أنه كان يرى فيها مصيبة كبرى ، وإفساداً للمجتمع.

وعرضت في هذا الفصل قصائد تدخل ضمن فن المساجلات والمطارحات التي جرى عليها الشعراء الأقدمون ، ولكنه احتفظ فيها بشخصيته ، وانتقل مع موضوعاته حسبما اقتضت البيئة ودعت روح العصر.

أما الفصل الرابع فقد تحدثت فيه عن الشعر الوجداني ، فقمت بتعريف لسمات هذا النوع من شعره ، ثم بينت الفرق بين العواطف الإنسانية العامة

والعاطفية الخاصة من الحياة والطبيعة والمرأة ، وقمت بعرض وتحليل لجوانب شعره الوجداني ، ومنه ما كان في وصف الطبيعة ، أو في ذكرى الأصدقاء . والمراثي التي قالها في أشخاص أحياء ، لأنتقل بعد ذلك إلى الشعر الخاص بالحب والهوى الذي يصور شعره العاطفي بعد أن وقع الشاعر في شيخوخته بحب فتاة نصرانية تدعى "رفقة" أذاقته طعم الضنى والعذاب ، وتتبدى لنا في هذا الفصل دفقات من شعره العاطفي . تموج بالعاطفة المشبوبة ، والصدق الفني.

أما الباب الثالث ، فقد اشتمل على أربعة فصول ، تحدثت في الفصل الأول عن أسلوب الشاعر ، فأوضحت في البداية مفهوم الأسلوب بوجه عام ، ثم تناولت بالتفصيل لغة محرم الشعرية ، ووسائل التعبير لديه ، وتراكيبه اللغوية المختلفة ، حيث قمت بدراسة تطبيقية للجمل والتراكيب في شعره ، وعناصر الاستخدام الأسلوبي للتعبير ولآثارها الدلالية في قصائده.

وفي الفصل الثاني ، تحدثت عن بناء القصيدة عند محرم ، وأوضحت ما حققه الشاعر من الوحدة الموضوعية والوحدة العضوية ، وكيف استطاع أن يحقق في عدد من قصائده الجو النفسي والفني ، فنمت الصور لديه بشكل مقبول ، واتسقت وترابطت الأفكار وتدرجت وتنوع فيها الإيقاع المرتبط بالصوت ثم قدمت دراسة تطبيقية لاستخدامات الشاعر في قصائده لأساليب معينة تميزها في بناء القصيدة على قصائد غيره من الشعراء...

وفي الفصل الثالث ، تحدثت عن معجمه الشعري ، و أجريت دراسة تطبيقية حول بناء المعجم الشعري عند محرم ، حيث قمت بعملية إحصاء للكلمات المستخدمة في دواوينه ، وما تنطوي عليها من دلالات ورموز ، حيث قسمت المعجم إلى ثمانية جداول ، ثم قدمت توضيحات لما تضمنه كل جدول

منها لألفاظ الشاعر ، وتوضح مدى انعكاس هذه الألفاظ على أبعاد شخصيته المختلفة .

وفي الفصل الرابع ، تحدثت عن الصورة الشعرية عند محرم ، وعرضت في البداية لآراء النقاد في الصورة الفنية وأهميتها في الشعر ، وقارنت بين الصورة القديمة والصورة الشعرية في العصر الحديث . وقمت بإجراء دراسة تطبيقية حول البناء الكلي للقصيدة على أساس أنها مجموعة من الصور الكلية الموحية المستمدة من الطبيعة ، أو من تجارب الشاعر الشعرية المجسدة للمعاناة.

وبعد ، فقد كان شعر محرم في مصادره المختلفة ، مرجعي أولاً وأخيراً في دراستي الفنية ؛ لكن هذا لا يمنعني من الاعتراف بالفائدة التي جنيتها من المراجع التي استعنت بها ، والتي أشرت إليها في مكانها من هذا الكتاب.

رفع
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس
www.moswarat.com

البـــــاب الأول

رفع
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس
www.moswarat.com

رفع
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس
www.moswarat.com

الفصـــل الأول

تمهيد :

عصر الشاعر وأثر البيئة في شعره

رفع
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس
www.moswarat.com

رفع
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس
www.moswarat.com

تمهيد:

عصر الشاعر وأثر البيئة في شعره:

لن نستطيع فهم كنه الشاعر ما ، واستجلاء اتجاهات شعره ، وتتبع مراحل تطوره المختلفة ، ما لم نعرض لدراسة عصره ، وما لم نجل أهم ما فيه من أحداث جسام توضح لنا بعض الجوانب الهامة من أدبه وسيرته ، ومن هنا ، كان لابد من تقديم صورة عن عصر شاعرنا أحمد محرم ، وبيئته لكشف التأثيرات التي تركها ذلك العصر ، وتلك البيئة في حياة الشاعر وشعره.

مصر في العهد التركي: -

ظلت مصر بخاصة ، والبلاد العربية بعامة ما يربو عن ثلاثة قرون تحت حكم الأتراك ، وهي تعاني من سوء الأحوال الاقتصادية وقسوة الظلم ، ومرارة الجهل ، ولم يفكر أحد في بادئ الأمر بالتمرد على ذلك الحكم ، وكان العرب قد أخلصوا للعثمانيين كل هذه القرون حفاظاً على عقد الخلافة الإسلامية من الانفراط ، إلى أن كان مطلع القرن الثامن عشر حين أخذت الدولة العثمانية بالتراجع والانتقاص من ممتلكاتها ، بسبب الحروب التي درات بينهما وبين النمسا والمانيا وروسيا ، وبدأت الهزائم العسكرية تتوالى على الدولة العثمانية ، وتقلل من قدرها وهيبتها في أوروبا.

وفي الشرق ، كانت الهزائم أشد خطرا ، وأبعد أثرا في هيبة الدولة المترامية الأطراف ، تلك هي الهزائم العقلية والأدبية والنفسية التي انتشرت في مقر الخلافة، وامتدت إلى ربوع ممتلكاتها ، فكانت أشبه بالميكروبات التي تتغلغل في أجزاء الجسم لتقضي عليه في النهاية بالموت ، أو بالهزال ، أو العاهة الدائمة[1].

---

[1] أنظر بروكلمان ، تاريخ الشعوب الإسلامية ، ج(١٠) ، ص (٥١٠-٥٢٠).

...هكذا كانت الحالة السياسية في ذلك العصر.

أما الأدب فلم يكن حاله بأفضل من الحالة السياسية، إذ كان ما يزال خاضعاً لسلطان الآداب الفارسية الكلاسيكية ، وإن تكن قد ظهرت بعض المحاولات الفردية الرامية إلى إدخال الأسلوب الشعبي التركي على الأدب ، ومحاولة التعبير عن آلام العصر في مقالات وقصائد تنتقد الأحوال الأجتماعية السيئة انتقاداً لاذعاً ، ولكنها لم تكن بالقدر الذي يساعد على خلق اتجاه أدبي، أو يضع فكرا يؤثر على الجماهير ، ويؤدي بالتالي إلى بناء جيل من الأدباء والشعراء ، وكان النثر أيضاً يحفل بالصناعة اللفظية والإطالة والتكرار لغير هدف سوى الإتيان بسجع أو طباق ، فلا نجد كتاباً أو صحيفة تحمل الطابع الفكري ، وإنما هي صناعة تتصف بانعدام التسلسل والربط بين أفكار ، وقد امتد هذا الأثر إلى سائر البلاد الخاضعة لدولة الخلافة ، فلم يؤثر عن القرن الثامن عشر في مصر أو غيرها من البلاد العربية شيء ذو قيمة أدبية أو فكرية.[1]

أما الحالة النفسية فقد بدت في قصر الخلافة على هيئة تمرد بين الجيش ، وانفصال في المجتمع ، واهتزاز في الحالة اليومية وتخلخل في الضبط بين القيادة وأفراد الشعب، وانتقل هذا الأثر من تركيا – قصر الخلافة- إلى باقي البلاد في العالم الإسلامي ، فظهرت دعوات تنادي بالإصلاح السياسي والاجتماعي والفكري ، وتدعو إلى تخليص العالم الإسلامي بأسره من استبداد الأتراك.[2]

---

[1] عبد العزيز محمد مصطفى ، تيسير الأدب والنصوص والنقد ، المطبعة العربية ، القاهرة (١٩٦٠) ص (٨).

[2] ساطع الحصري ، محاضرات في نشوء الفكر القومية ص (١٩٢) وعمر الدسوقي في الأدب الحديث ج١ ص٩.

ولم يكد القرن الثامن عشر ينقضي ، ويبزغ فجر القرن التاسع عشر ، حتى كانت الإمبراطورية العثمانية ، والقائمون على أمرها قد سقطوا في الدرك الأسفل من الضعف والانحطاط ، فقد أمكن لجارتيها الشماليتين : النمسا وروسيا أن تنتزعا عددا كبيرا من ممتلكاتها الهامة.[1]

إن نظرة فاحصة لواقع الوطن العربي الإسلامي في النصف الثاني من القرن التاسع عشر بنوع خاص ، تعكس مدى تغلغل النفوذ الأوروبي في هذه البلاد ، وتعكس في الوقت نفسه ردة الفعل العربية التي وقفت في وجه هذا النفوذ ،وعملت على مقاومته بخلق جماعات كالجماعة الشرقية والجماعية العربية والجماعة العثمانية والتي جمع بين أعضائها : احتقار أوروبا للشرقيين ، ومقاومة النفوذ الأوروبي.[2]

ومن هنا لا بد من إيجاز العوامل التي أثرت في العالم العربي ، والتي كان من أبرزها الإرساليات الأجنبية التي غزت الشرق في أواسط القرن التاسع عشر ، حيث وفد عدد من هذه الإرساليات الأجنبية والذي كان قليلا في البداية ، ثم أخذ يتزايد إلى أن بلغ اثنتي عشرة إرسالية كاثوليكية حلت في مصر ولبنان ودمشق وحلب ، والحملات العسكرية والاستعمارية ومنجزات محمد علي الثقافية والترجمة والصحافة والطباعة والمسرح وهجرة الأدباء العرب في أوروبا ، كلها كانت عوامل نقلت الثقافة الأجنبية إلى العالم العربي ، فما مدى تأثير هذه العوامل في نشوء التيارات الوطنية وتفاعل الشعر معها بنوع خاص؟

---

[1] لورثروب ستودارد ، تعليق شكيب ارسلان ، حاضر العالم الإسلامي ج (٢) ص ٢٠٥).

[2] البرت حوراني ، الفكر العربي في عصر النهضة ص (٢٣) وتيم الخازن ، الشعر والوطنية في لبنان والبلاد العربية ص (٤١).

لقد كانت مصر وبلاد الشام المنارة المشعة التي بزغت منها اليقظة الوطنية والفكرية إلى البلاد العربية ، وقد أشار جورجي زيدان إلى الوضع حيث قال:" أما سائر العالم العربي فالمغرب كانت الحروب فيه متواصلة بين الفرنسيين والعرب ، ولا سيما الأمير عبد القادر الجزائري وآلت الحروب إلى دخول الجزائر وتونس في حوزة الفرنسيين ، وضعف العنصر العربي هناك ، ولم يكن حظ سائر العالم العربي أحسن من ذلك إلا مصر والشام ، فإنهما كانتا مبعث نور العرفان والمدنية إلى سائر العالم العربي.[١]

نشوء اليقظة الوطنية :

وربما كانت مصر من أكثر الأقطار العربية تقدما آنذاك لشدة تفسخ النظام الإقطاعي فيها من جهة ، وللحملة الفرنسية التي أسهمت أسهاما فعالا بما قدمه العلماء الذين رافقوا الحملة من تنظيم لحياة البلاد على قواعد المدنية الحديثة ، وما أدى إليه ذلك من تطور ونشاط ثقافي ، هذا فضلا عما كان لهذه الحملة من أثر في دخول مصر لأول مرة في علاقات مباشرة مع أوروبا[٢] حيث استطاع العلماء المصريون أن يخالطوا العلماء الفرنسيين فأصبحوا يحسون أنهم إزاء حضارة جديدة أرقى من حضارة الترك والمماليك ، لا في مقوماتها المادية فحسب ، ولكن في كثير من قيمها الاجتماعية ونظمها السياسية [٣] وقد فتح هذا الاتصال عيون المصريين بخاصة ، والشرقيين بعامة على نظم الحكم الديمقراطي السائد في أوروبا ، وتمتع شعوبها بالحرية والإخاه والمساواة ، فعظم الشعور بالاستياء من السيطرة العثمانية ، وما نفرضه من قمع وتخلف ، وقد ساعد نشاط

---

[١] جورجي زيدان ، تاريخ الآداب العربية ، ج٤ ، دار الهلال ص ، ١٤٠.

[٢] محمد قاسم وحسين حسني ،تاريخ القرن التاسع عشر ، مطبعة دار الكتب مصر١٩٢٣ ، ص ٥١.

[٣] د. لويس عوض ، تاريخ الفكر المصري الحديث ، كتاب الهلال ١٠ إبريل ١٩٦٩ص٢١.

الحركة الفكرية على نمو هذا الوعي وانتشاره ، ويعد رفاعه الطهطاوي من رجال الطليعة الذين نبهوا المصريين إلى ما تتمتع به المجتمعات الأوروبية من حرية[1] ، وكان قد أرسل في عهد محمد علي مع البعثات الأولى إلى أوروبا بوصفه مشرفاً دينيا ، وقد أحس رفاعه الطهطاوي بمظاهر التفوق الغربي الأوروبي ، ودعا مواطنيه إلى الاستفادة من علوم الغرب وحضارتهم ، وقد عبر عن مشاعره في كتابه "تخليص الإبريز في تلخيص باريز" الذي تحدث فيه عن رحلته إلى باريس وكان بذلك أول من حاول الحديث عن رحلة خارج المجتمع في أدبنا الحديث ، بحيث يمكن اعتبار كتابه تمهيداً لظهور الرواية التعليمية.

الاحتلال البريطاني لمصر عام (١٨٨٣): -

وقعت مصر تحت الاحتلال البريطاني ، بعد هزيمة العرابيين ، وقد عمد الاحتلال إلى سياسة التدخل في كل مظاهر الحياة ، فحكموا البلاد بالحديد والنار ، ونهبوا ثرواتها وامتصوا خيراتها ، ولم يكتف الاحتلال بذلك ، بل ألغى الجيش الوطني ، وقلب نظام التعليم : سواء في مناهجه أم في لغته ، فأصبحت اللغة الانجليزية لغة التعليم بدلا من العربية ، كما ألغى الدستور ، وعمل على فصل السودان عن مصر ، وضيق الخناق على الصحف والمطبوعات ، وبقي الأمر على هذا النحو مدة عشر سنوات فقدت فيها مصر الموجه ، وحرمت القائد الذي يأخذ بيدها ويبصرها طريقها ، فهي أشبه ما يكون بسكون الموتى ، فلا جماعات سياسية ولا اجتماعات ولا خطب ولا معارضة .[2]

---

[1] د. عبد المحسن بدر ، محاضرات في الدراسات العربية الحديثة ، مكتب كريدية ، بيروت ١٩٦٩ ص ١١.

[2] عبد العزيز محمد مصطفى ، تيسير الادب والنصوص والنقد ، المطبعة العربية القاهرة ١٩٦٦ ص ١٩.

في بداية عهد الاحتلال ، تعاونت سلطات الاحتلال مع الخديوي في تقليم أظافر القوى الوطنية وتصفية مراكز القوة التي تعتمد عليها ، ولما كانت مراكز القوى الوطنية مركزة في الجيش فقد حل الجيش على أن يعاد تكوينه من جديد بصورة تضمن تبعيته المطلقة وإبعاد كل العناصر المتحررة عنه حتى يمكن بعد ذلك استغلاله لضرب القوى الوطنية بعد أن كان نقطة ارتكاز لها ، كما عملوا في الوقت نفسه على تصفية العناصر المثقفة الثورية ، وعلى ضمان عدم ظهور هذه القوى في المستقبل ، بأن أهملوا التعليم العالي بصورة عامة ، أو حاولوا صرف الأذهان عن الاهتمام بالتعليم الابتدائي ، كما عمدوا إلى خنق شخصية المواطن ومحوها ، وذلك باتباعهم لنظام شبه عسكري في مدارسهم ، وكان الهدف من وراء ذلك ، قطع الصلة بين المواطن وبين تراثه القومي ، وكان طبيعياً أن تكون ثمار هذا النظام التعليمي خلق متعلم يصلح لوظيفة مكتبية ، يحرص عليها ويتمسك بها ويقف في تعليمه عند هذا الحد.[1]

وأذكى الاحتلال وما جلبه من بغي وعسف واضطهاد نار الحماسة الوطنية في قلوب الصفوة الممتازة من أبناء الأمة يشنوها ثورة لا هوادة فيها على المستعمر الغاصب ، وكان عماد هذه الصفوة الخطابية الصريحة الجريئة والكتابة الملتهبة القوية ، يقودهم مصطفى كامل ومحمد فريد وعبد العزيز جاويش ، على المنابر تارة وفي الصحف تارة أخرى.

وكان محرم شديد السخط والنقمة على نجاح الاحتلال في تحقيق أغراضه فأخذ يرسل الصيحات ينبه بها الأمة إلى كيد الإنجليز، ونجد كثيرا من هذه الصيحات في الجزء الأول والثاني من ديوانه ، يقول في قصيدة له بعنوان الرابع من ديسمبر :-

---

[1] د. عبد المحسن بدر ، محاضرات في الدراسات العربية ص ٢٥.

نلومـــــك يـــــا يـــــوم النحـــــوس ونعـــــدل

وأنـــــت علـــــى مـــــا أنـــــت تمضـــــي وتقبـــــل[1]*

الجامعة الإسلامية :

كان لمصطفى كامل الدور الكبير في إثارة مشاعر الناس ،وإيقـاظ عـواطفهم من الإنجليز فوقف في الناس خطيباً يدعوهم إلى تكوين جامعة إسـلامية ، تكـون قوة رادعة في وجه المستعمر البريطاني ، وسيطرت الفكرة على عقول المفكرين ، فوقف كل من جمال الدين الأفغاني ومحمد عبده على صـفحات العـروة الـوثقى يدعون إلى الجامعـة الإسـلامية ، ويحثـون علـى اتحـاد كلمـة المسـلمين ويغـذّون الإحساس بالخطر الذي يهدد شعوبها أمام تحول الاستعمار الغربي المتربص بهـا ويطالبون بإقامة الدولة الإسلامية.

وكتب في هذا الموضوع مصطفى كامل ، وكانت خطبـه تنصـب دائمـاً نحـو تدعيم دولة الخلافة والإبقاء عليها ، ولم يكن هذا رأي مصـطفى كامـل وحـده ، بل كان رأي عدد كبير من المفكرين المصريين وبخاصة تلاميذ الشيخ محمد عبده ، وجمال الدين الأفغاني وأتباعه .[2]

هذه النزعة الإسلامية التي رأيناها واضحة في كتّاب العصر وقادته ومفكريه نستطيع أن نتتبعها في الشعر ، فنجدها في مثل هذا الوضوح ، فليس بين الشعراء المعاصرين وقتذاك على اختلاف وتباين نزعاتهم ، من يخلو ديوانـه مـن شـعر في

---

[1]* ديوان محرم ، ج١ ص ٤٥٣.

* هو يوم الاحتلال الإنجيلزي عام ١٨٨٢م.

[2] راجع صفحات مطوية من تاريخ الحركة الاستقلالية في مصـر ، د. أحمـد لطفـي السـيد / مطبعـة مصر ص ١٦٠-١٢٥.

مدح الخليفة التركي والإشادة بفضله على المسلمين وحرصه على إعلاء كلمة الدين.[1]

وكان الشعراء يبينون في قصائدهم أن الدعوة إلى الجامعة الإسلامية هي الجامع الشامل للمسلمين ، وأن دولة الخلافة إنما تقاتل دفاعاً عن الإسلام ، ومن أجل إعلاء كلمة الدين ، وقد خاض أحمد محرم هذه المعركة بعنف وجرأة وحمل لواء الدعوة إلى الجامعة الإسلامية بقصائده الكثيرة التي كان يدعو فيها الشرق إلى اليقظة والتنبه ، وكان موقفه منها حاسماً [2]، يقول محرم:

يا آل عثمان من ترك ومن عجمِ وأيّ شعبٍ يساوي الترك والعربا

صونوا الهلال وزيدوا مجده علماً * لا مجدّ من بعده إن ضاع أو ذهبا[3]

وكان يهيب بالشعوب الإسلامية أن تعرف موطن البلاء والداء ، وأن توحد كلمتها وإرادتها في قتال هذا العدو المتربص الذي يجمع جموعه ، لا لتحطيم دولة الخلافة فحسب ، بل لتدمير الدين الإسلامي ، وإذلال أهله ، فأخذ يحذر المسلمين من التشتت والفرقة والضياع ، يقول محرم:

متى ينهض الشرق من كبوته وحتى متى هو في غفوته

كبا ، وكذلك يكبو الجواد براكبه وهو في حلبته[4]

---

[1] د. محمد محمد حسين الاتجاهات الوطنية في الأدب المعاصر ، المطبعة النموذجية ج١/ ج٢ ص ١١.

[2] الديوان ، ج٢، ص٤.

[3] الديوان ، ج٢ ، ص ٤

[4] عبد الرحمن الرافعي ، شعراء الوطنية ، مكتبة النهضة ، مصر ط١ ١٩٥٤ ص١٩٢ الديوان : مكتبة الفلاح ، ا لكويت ج١ السياسات ، ص ٦٣.

وكان لدعوة محمد عبده إلى الجامعة الإسلامية أثر واضح في نفوس الناس بعامة وفي نفس (أحمد محرم)بخاصة ، إذ لم يقف محمد عبده لهذا الحد من الدعوة ، فله مواقف لا تنسى في الدعوة إلى الإصلاح الاجتماعي عن طريق الدين بعدما رأى الناس مقلدين للغرب في كل شيء إذ جعلهم يتنكرون ، بل يسخرون من تقاليدهم ، وعقائدهم ، ومن أخلاقهم فسخر قلمه ليكشف لهم عن وجه الحقيقة في هذا الاتجاه الذي يهدد كيان الأمة ، ووجد أن أساس هذا الخطر مرجعه إلى انحراف في فهم طبيعة الدين الإسلامي ، ومعرفة جوهره، وإلى اختلاط ذلك الحوار بما كان يروجه أدعياء الدين ، والمنتمون اليه من خرافات التبس على الناس أمرها ، فظنوا الدين دعوة إلى الجمود والاستكانة والتخلف.

هذه الدعوة وجدت في نفس محرم موطنا خصبا لإثارة الحمية في نفوس المسلمين فأخذ يدعو المسلمين إلى رص الصفوف ، والتمسك بعقيدتهم ، فيقول:

الدين دين الهدى تبدو شرائعُه بيضاءَ تكشف عن أنوارها الظُّلَمُ[1]

ويقول :

ذهب العصر الذي شيّبنا وأتى عصر الشبابِ الملحدينْ[2]

أما محمد عبده فحاول نزع هذا الفهم الخاطئ من الأذهان ، بما أورده من أقوال يوضح فيها معاني الإسلام والعقيدة الإسلامية ، من سمو ورفعة[3].

ومن يراجع ما كتبه الإمام الشيخ محمد عبده ، وأستاذه جمال الدين الأفغاني ، نجد أن الإمامين الفاضلين لم يخرجا عن الدرب في جميع ميادين

---

[1] الديوان ، ج١ ، ص٨٨٥.

[2] الديوان ، ج١ ، ص٤٩٤.

[3] انظر محمد رشيد رضا ، تاريخ الأستاذ الامام ، ج١ ص ٣٨.

الإصلاح التي حاولا خوضها والتي وضحت مبادئهما التي تمسكا بها ، وضحيا من أجلها.[1]

وكان الشيخ محمد عبده شأنه في ذلك شأن رجال الدين في العالم الإسلامي، ينظرون إلى دولة الخلافة على أنها جزء من العقيدة لا يصح المساس بها ، وأن حمايتها واجبة على كل مسلم وفي كل مكان ، يقول محمد عبده أثناء إقامته في بيروت سنة ١٨٨٦ : "إن المحافظة على الدولة العلية العثمانية ثالثة العقائد بعد الإيمان بالله ورسوله ، فإنها وحدها المحافظة على سلطان الدين ، الكافلة لبقاء حوزته ، وليس للدين سلطان في سواها ، وإنّا والحمد لله على هذه العقيدة ، عليها نحيا وعليها نموت".[2]

ولكن هذه العاطفة الدينية نحو دولة الخلافة العثمانية لم تمنعه من أن يصرح بعد عودته إلى مصر من الآستانة بفساد الإدارة التركية ، وباستبداد السلطان عبد الحميد ، ولكن على الرغم من تنديده بالأتراك ، فإنه كان يصرح بأن الخلاف بين مصر وتركيا ، أو بين العرب وبين تركيا لا تستفيد منه إلا الدول الأوروبية ، وخصوصاً إنجلترا ، ولذلك فهو يقول لرشيد رضا في حديث جرى عقب انتصار الترك في حرب اليونان سنة (١٨٩٧) : "إن كثيراً من وجهاء المصريين يكرهون الدولة العثمانية ، ويذمونها – وإن كان أكثرهم يحبها –وأنا أيضاً أكره السلطان ولكن لا يوجد مسلم يريد بالدولة سوءا ، فإنها سياج في الجملة ، وإذا سقط ، نبقى نحن المسلمين كاليهود ، بل أقل من اليهود فإن اليهود عندهم شيء يخافون

---

[1] قدري حافظ طوقان ، جمال الدين الأفغاني ، ص ٣٢-٩٥.

[2] د. محمد محمد حسين ، الاتجاهات الأدبية في الأدب المعاصر ، ج١، المطبعة النموذجية / القاهرة ص ٤٨.

عليه ، ويحفظون به مصالحهم وجامعتهم ، وهو المال ، ونحن لم يبق عندنا شيء ، فقدنا كل شيء"[1]

وحتى الذين كانوا ينادون بأن مصر للمصريين ، ويحاولون خلق الروح الوطنية عند عامة الشعب ، لم يكن يهمهم في الدرجة الأولى الانسلاخ عن دولة الخلافة ، وإنما كانت غاياتهم أن توحد هذه الروح الوطنية عند عامة الشعب ، والتي تدفع المصري لمقاومة الاستعمار الانجليزي والوقوف في وجه كل غاز لمصر مهما كان لونه وشكله ، أما رابطة الدين فهي مقدسة ، وفوق كل الغايات، ويجب المحافظة عليها ، وحمايتها في ظل دولة مدعومة الأركان ، سليمة البنيان ، فإن كانت دولة الخلافة كذلك ، فلا بد من وجود هذه الرابطة بينها وبين مصر ، وإن استقلال مصر وقيامها بأمورها لا يمنع تضامنها مع دولة الخلافة ، والوقوف معها ضد الأخطار.[2]

ولقد كان ذلك التيار يجد مقاومة دائمة من الإنجليز وأعوانهم في مصر ، لذلك نجد معظم الشعب يتعاطف مع تركيا وحليفتها ألمانيا في الحرب العظمى الأولى مما دفع القائد الإنجليزي في مصر "الجنرال مكسويل" إلى المسارعة في إعلان الأحكام العرفية وفرض الرقابة على الصحف[3].

---

[1] المرجع السابق ، ص ٤٨-٤٩.

[2] أحمد لطفي السيد ، صفحات مطوية ، ص ١٠٤-١٣٦.

[3] عبد الرحمن الرافعي ،الشهيد محمد فريد بطل الكفاح ، سلسلة دار الهلال ، العدد٧٠ يناير ١٩٥٧ ص ٧٩.

حركة مصطفى كامل :

كان لظهور الحركة الوطنية ممثلة بزعيمها مصطفى كامل دعامة وركيزة للشعب المصري فأخذ يلهب الحركة بخطبه المثيرة والملتهبة حماسة ، والتي كان يوصلها للناس من خلال جريدة اللواء التي صدرت عام (١٨٩٩-١٩٠٠) لتحمل مبادئه إلى الأمة ، فالتف حوله الأعوان والأنصار من جميع الدول والأفراد ، وبذلك استطاع نقل القضية المصرية إلى المجال العالمي ، فتناولتها الصحف الأوروبية ، وبخاصة الفرنسية منها بالنقد والتحليل.

ومن الأحداث البارزة التي ارتبطت بمصطفى كامل ، وأثرت كثيرا في حياة المصريين وفي توجيه الحركة الوطنية ، قيام الحزب الوطني رسمياً عام(١٩٠٧) ، وإن كان قائماً بالفعل من يوم أن بدأت حركة مؤسسة مصطفى كامل [١].

مثل الحزب الوطني ظاهرة حزبية عرفتها دول العالم الثالث إبان فترة كفاح شعوبها ضد الوجود الاستعماري، وهي ظاهرة وجود حزب الأغلبية ، وتختلف هذه الظاهرة عن مثيلتها في الدول الغربية التي مارست الحياة الحزبية قبل وقت طويل ، ومن الجدير ذكره أنه عندما قرر مصطفى كامل تأسيس الحزب ، جرى هذا التأسيس بشكل يؤكد أغلبيته ، فقد شهدت الأسابيع الأولى من شهر أكتوبر عام(١٩٠٧) حملة سياسية كبيرة خطط لها ونفذها الزعيم الوطني تخطيطا وتنفيذا دقيقاً ،وقد تعددت ميادين هذه الحملة في الداخل والخارج ، ففي الداخل امتلأت صفحات اللواء وطبعتاه الإفرنجيتان : لتندار إجبسيان ، وذي إجبشيان استاندرد ، بالحديث عن الحزب الجديد والدعوة إلى الانضمام إليه ، وفي الوقت ذاته كتب مصطفى كامل لأصدقائه في الخارج يدعوهم إلى تدعيم حملته ،

---

[١] د. يونان لبيب رزق ، الأحزاب السياسية في مصر ١٩٠٧ -١٩٨٤ ، كتاب الهلال / العدد٤٠٨ ،١٢/ ١٩٨٤ ص ٣٠.

ووصلت الحملة إلى ذروتها لدى وصول مصطفى كامل إلى الإسكندرية ، وإلقائه لخطبته الشهيرة في مسرح "زيزينيا" حين أعرب عن رأيه بأن حزبه يطالب الأمة بالعمل والحفاظ على السكينة ، ويأخذ أوفر قسط من العلم ، وبعدم التعصب ، وبرفض استبداد الشعوب ، فكيف بجماعة تطالب بهذه المطالب توصف بالتطرف [1].

وكان الحزب الوطني ينادي بقيام الجامعة الإسلامية ، وشد أزر الخلافة حتى تقوى على مواجهة المؤامرات الاستعمارية ، وقد ألف مصطفى كامل كتابا في ذلك سماه المسألة الشرقية.

وكان لمبادئ الحزب الوطني وكفاءة زعيمه صدى بعيد الأثر في شعر محرم ، إذ تأثر إلى حد بعيد بخطب وأقوال مصطفى كامل ، ووقف إلى جانبه مساندا، وحاثا الناس على مقاومة الاستعمار داعيا إلى الوحدة الوطنية ، فيقول:

الله أكبر جل الخطب واحتكمت فينا الغوادي ، وطاشت الخيل[2]

دعوة قاسم أمين لتحرير المرأة:

لما انفتح العالم العربي على الغرب في القرن التاسع عشر، أذهلته حرية المرأة ومشاركتها الرجل في الحياة الثقافية والاجتماعية فأخذ يتبنى الآراء التي تتماشى والمجتمع الشرقي المتطور ، وكان المعلم بطرس البستاني(١٨١٩-١٨٨٣) أول صوت ينادي بتحرير المرأة وتعليمها وذلك بإلقائه خطاباً في تعليم المرأة العربية عام (١٨٤٩)[*]، أما الأدباء العرب بعامة فيستحوذ على أذهانهم أن أول من

---

[1] المرجع السابق ، ص ٣١.

[2] الديوان ، ج١، ص ١٩٤.

[*] انظر ميخائيل صوايا ، المعلم بطرس البستاني ، منشورات مكتبة البستاني ١٩٦٣ ص٧٣ وأنيس المقدسي.

دعا إلى تحرير المرأة العربية هو رفاعه الطهطاوي (١٨٠١-١٨٧٣) ثم قاسم أمين (١٨٦٥-١٩٠٨)[١] ، غير أن تعاليم الطهطاوي ومواقفه الداعية إلى تعليم المرأة انتشرت في عهد اسماعيل (١٨٦٣-١٨٧٩) وقد أصدر قاسم أمين كتابه "تحرير المرأة والمرأة الجديدة" تباعا في عامي (١٨٩٩-١٩٠٠)[٢] والتي دعا فيها المرأة إلى نزع الحجاب ، والأخذ بالأساليب الغربية في تربية المرأة وتعليمها ، محاولا الاستدلال لدعوته من القرآن الكريم والسنة النبوية وتاريخ الإسلام.

وقد لاقت دعوة قاسم أمين معارضة شديدة وعنيفة ، وأحدثت هزة عنيفة في المجتمع المصري الذي لم يتقبل هذه الدعوة في حينها ، لهذا ،أصدر قاسم أمين كتابه الثاني "المرأة الجديدة" يدعو إلى تعليمها غير أنه حذرها من قول قاسم أمين بقوله:

أغرك يا أسماء ما ظن قاسم ... أقيمي وراء الخدر فالمرء واهم

سلام على الأخلاق في الشرق كله ... إذا ما استبيحت في الخدور الكرائم[٣]

وكان للشعر العربي من بعد ، دور فعال فيما وصلت إليه المرأة العربية الحديثة من تقدم ورقي ، ومشاركة الرجل في مختلف الميادين.

---

[١] عمر الدسوقي ، في الأدب الحديث ، ج١، ص٢٩.

[٢] أنيس المقدسي ، الاتجاهات الأدبية في العالم العربي ، ص٢٥٤ ، ومحمد حسين ، الاتجاهات الوطنية ج١ ص٢٩٣.

[٣] أحمد محرم ، الديون ، ج١ ص ٦١.

مقتل بطرس غالي:

كان لمقتل بطرس غالي الذي حدث سنة (١٩١٠) أثر واضح في شعرمحرم، فيما كانت الجمعية العمومية تستعد لمناقشة مشروع مد امتياز قناة السويس ، بعد أن أحيل إليها من الحكومنة وأخذ الوطنيون من أعضاء الجمعية يعدون أنفسهم لرفض المشروع ومناهضته بكل الوسائل ، كما حاولت الحكومة تحت تأثير المحتل وضغطه ، أن تكتسب عددا من الأعضاء ليقفوا معها في إقرار المشروع وتنفيذه ، وانعقدت الجمعية العمومية في التاسع من فبراير/ شباط (١٩١٠) وافتتحها الخديوي عباس بخطبة مضمونها أن الأمر في هذا المشروع متروك لرأي الجمعية ، وأنهم مسؤولون عن ذلك أمام الأجيال القادمة ، وحاول أحد أعضاء الجمعية أن يأخذ قرارا من رئيس الوزراء بأن رأي الجمعية سيكون قاطعا في الموضوع ، لكن بطرس غالي تهرب من ذلك ، مما أثار نفوس الأحرار ، وخلق بلبلة عند الرأي العام ، ولكن ، وبعد جلسات عدة رفض المشروع بإجماع الأعضاء ، ما عدا عضوا واحدا والوزراء وفي اثناء عرض المشروع ، وقع أول حادث اغتيال سياسي هام في مصر الحديثة ، حيث أطلق إبراهيم ناصف الورداني أحد شبان الحزب الوطني ، النار على بطرس غالي رئيس الوزراء ، وهو منصرف من ديوان الوزارة دون أن يحاول الهرب ، بل وقف ينتظر القبض عليه بنفس ثابتة ، وروح شجاعة ، وحين سئل عن سبب ارتكابه الحادث قرر أنه أقدم على ذلك لخيانة بطرس غالي للوطن في قضايا متعددة ، أهمها توقيع اتفاقية السودن سنة (١٨٩٩) ورئاسة المحكمة المخصوصة في حادثة دنشواى ، وإعادة قانون المطبوعات ، ثم سعيه في إنقاذ مشروع قناة السويس[١].

---

[١] لوثروب ستودارد، حاضر العالم الإسلامي ، ص ٨٤.

أدى مقتل بطرس غالي إلى زيادة القمع والبطش الشديد في صفوف الأحرار ، والتصدي للوطنيين بصورة غير انسانية ، وتسابق الشعراء في تمجيد موقف الورداني ، وعابوا على الحكومة مواقفها المتخاذلة من قضايا الشعب والوطن.

الفتنة بين المسلمين والأقباط

وبعد هذا الحادث ، أثيرت الفتنة بين المسلمين والأقباط ، واستغل المستعمر هذا الحدث بالسعي لتوسيع شقة الخلاف ، وإهاجة العصبية الدينية ، لولا أن تدارك الأمر العقلاء من الأمة وكان لأحمد محرم دور بارز في هذه الحادثة ، إذ أخذ بتهدئة الخواطر ، ومسح الكراهية من النفوس ، مذكرا الأقباط بأنهم جزء لا يتجزأ من أهل مصر ، وأنهم أخوة تربطهم رابطة القومية بهذا الوطن ، يقول في هذا :

يا أمة القبط والأجيال شاهدة ... بما لنا ولكم من صادق الذِّمَمِ

هذى مواقفنا في الدهر ناطقة ... فاستنبئوها تريحونا من التُّهَمِ[1]

واستمر شاعرنا أحمد محرم في الدعوة إلى نبذ الفرقة والشقاق حتى هدأت النفوس وفاءت إلى الحق ، وتوثقت أواصر الإخاء في اجتماع بيت من بيوت الله ضم السياسين، ورجال الدين من المسلمين والأقباط فأنشد قصيدة بعنوان "مصر في حرم الله" يقول فيها:

مرحبا بالإخاء في حرم الله ... وأهلاً بقومنا الصالحينا[2]

---

[1] أحمد محرم ، الديوان ص ١٦٨.

[2] أحمد محرم ، الديوان ، ج١، ص٣٧٦.

رفع
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس
www.moswarat.com

عام(١٩١٣)

حدثان مهمان بالنسبة للعالم العربي وقعا عام ١٩١٣ ، أولهما: توقيع السلطان عبد الحفيظ معاهدة مع فرنسا ، أطلقت على أثرها أيدي الفرنسيين في شؤون مراكش الداخلية وثانيتهما : غزو إيطاليا لليبيا وإرسالها مدمراتها وأساطيلها إلى طرابلس ، تقتل وتدمر وتعتدي على الآمنين ، فهاجت الخواطر ، وثارت الحفائظ العربية ، وأيقنوا أن هناك خطة مدروسة للقضاء على الأمة الإسلامية ، وتحطيم قوتها ، وقد صور الكاتب الإنجليزي (سدني لو) السياسية الاستعمارية بقوله: "ما اشبه غالب الدول النصرانية التي سلوكها هذا الذي ما برحت سالكته منذ عدة سنوات إزاء الأمم الشرقية بعصابة من اللصوص يهبطون على حلل آمنة ، أهلها ضعفاء عزل ، فيثخنون فيهم ، ثم ينقلون الغنائم والأسلاب ، فما بال هذه الدول لا تنفك تدوس حقوق الأمم المجاهدة في سبيل ما تدعوه بالنهضة ؟وعلام هذا التعسف الذي تضرب به الشعوب المستضعفة ؟ وإلام هذا الجشع الكلي لانتهاش ما بين أيديها وما خلفها . إن هذه الدول الغربية النصرانية بعملها هذا تؤيد الدعوة الباطلة ، وإلا فهل يحق للأقوياء الشاكي السلاح الانقضاض على الضعفاء العزل ؟"[1].

وكان للغزو الإيطالي أثر واضح في نفوس المصريين ، فهب الناس لمناصرة إخوانهم في طرابلس ، وتخفق المحاولات التي بذلت لوقف العمليات الحربية ، وإبعاد الايطاليين عنها ، ويجد العالم الإسلامي نفسه أمام غزوة بربرية إيطالية الشكل ، أوروبية الهدف والمضمون فتتألف اللجان في كل بلاد العالم الإسلامي لإرسال المتطوعين ، وقد تطوع في هذه الحرب كثير من المصريين ، تدفعهم الغيرة على الإسلام والمسلمين ، وأقيمت الأسواق الخيرية في مصر

---

[1] لوثروب ستودارد ، حاضر العالم الإسلامي ، ص ١٤.

لجمع التبرعات ، وإرسال البعوث والمتطوعين ، وأنشأ الشيخ علي يوسف جمعه الهلال الاحمر في السابع من نوفمبر / تشرين الثاني سنة ١٩١١ ، و يقف شوقي في حفل لجماعة الهلال الأحمر ينادي الشعوب الإسلامية للتضامن والوقوف صفاً واحداً في وجه هؤلاء المعتدين ، فيقول:

كونوا الجدار الذي يقوى الجدارُ به ... فالله قد جعل الإسلام بُنيانا

أمسى السبيلُ بغير المحسنين دما ... فشأنكُم وسبيلا نورةُ بأنا[1]

ويتابع أحمد محرم هذه الحرب بوجدان مشبوب ، وعاطفة جياشة ، فينظم ثماني قصائد في مناسبات مختلفة منها ، يفيض كل بيت فيها بالغيرة على الإسلام والحرص على وحدة المسلمين وتضامنهم في وجه هذه الأخطار الماحقة التي تحيط بهم من كل جانب ، وينادي الأمة أن تهب لنجدة طرابلس ، والوقوف في وجه المعتدين حتى يكون ذلك رادعا لكل من تسول له نفسه أن ينال من الإسلام والمسلمين ، فيقول في أحدى هذه القصائد:

رويدا بني روما فللحربِ فتيةً ... يهيج الظِّبا أطرابهم واللهازمُ

أولئك أبطال الخلافة تحتمي بأسيا ... فها إن داهمتها العظائمُ[2]

وقد استمر القتال في طرابلس وحولها مدة عام كامل ، لم تستطع القوات الإيطالية فيه أن تتقدم إلى داخل البلاد ، كما لم تتمكن القوات التركية والعربية من صدها ودفعها إلى البحر الذي جاءت منه ، وعندما أعلنت حكومة الجبل الأسود الحرب على تركيا ، اضطرت تركيا إلى مهادنة إيطاليا كي توجه جهودها إلى هذه الحرب المتاخمة لحدودها ، حيث تم توقيع معاهدة بين تركيا وإيطالية ،

---

[1] أحمد شوقي ، الشوقيات ، ج ١ ، ص ٢٤٥-٢٤٧.

[2] أحمد محرم ، الديوان ، ج١ ص ٤٨٩.

تسمى معاهدة "أوشي" وذلك في ١٨ من أكتوبر / تشرين أول سنة ١٩١٢، تخلت فيها تركيا عن طرابلس وبنغازي لإيطاليا ، ولم يبق للخليفة الا تعيين الموظفين[١] ويقول محرم في قصيدة بعنوان أبطال طرابلس:

كيف الفرارُ ونارُ الحربِ تستعرُ ... والهولُ مضطرمُ البركانُ منفجرُ؟

ويحَ العيونِ أيغشاها النعاسُ وقد ... شفّ الهلالُ عليها الحزنُ والسَّهرُ[٢]

وكان لمحرم في هذا المجال صولات وجولات ، فأشرع قلمه يستحث الهمم ،ويدعو إلى الوقوف بجانب إخوانهم في طرابلس ، ومد كل عون ومساعدة لهم ، وقد كتب في هذه الحرب ما يزيد عن اثنتي عشرة قصيدة ، كلها ثورة وتحفز للمستعمر الغاصب يقول في إحدى قصائده:

هل الحربُ إلا أن تطير الجماجمَ ... أم البأسُ الا ما تجيء الضراغمُ

بأي سلاحٍ يطلب النصرَ هالكٌ ... سلاح المنايا قاصفٌ منه قاحمُ[٣]

من هنا ، ترى أن محرما كان يتفاعل دائما مع احداث عصره ، فكان محبا لوطنه وامته كما كان مخلصا في عروبته ممجداً أهلها ، ومقتفياً سيرة أهلها الأخيار.

---

[١] بروكلمان ، تاريخ الشعوب الإسلامية ، ص ٦٠١.

[٢] أحمد محرم ، الديوان ، ص ١٧٩.

[٣] أحمد محرم ، الديوان ، ص ٤٨٨.

الحرب العالمية الأولى سنة ١٩١٤:

قامت الحرب العالمية الأولى ، واصطلى بسعيرها العالم ، فانتهز الإنجليز هذه الحرب وأحكموا قبضتهم على البلاد ، وضيفوا الخناق على أهلها ، وأعلنوا الحماية ،وفرضوا الأحكام العرفية ، والرقابة على الصحف ، وعزلوا الخديوي إلى تركيا[١].

فوقف محرم بكل جرأة وتحدّ منددّاً بسياسة الإنجليز ،داعيا إياهم للرحيل عن بلاده ، وقد ثارت في نفسه ثائرة الحماسة ، فصرف قلمُه الجريء إلى نظم الشعر الوطني الذي كان نابعاً من حبه لمصر ، ذلك الحب الذي ملك عليه حواسه ، واستأثر بعواطفه منذ صباه ، فيقول:

طفت الدماءَ وفاضت الأرواح وطمت سهول بالرّدى وبطاح

أين الشرائع من شريعةِ ظالمٍ يغني النفوس وما عليه جُناحُ[٢]

ويقول في قصيدة أخرى "ليل الاحتلال": -

أرى فساداً وشراً ضاع بينهما أمرُ العبادِ فلا دينٌ ولا خُلقُ[٣]

وما أن وضعت الحرب أوزارها ، واستراح الناس من ويلاتها ، حتى هبت الشعوب المغلوبة تطالب في ثورات عنيفة بحقها ، وخلفت الحرب آثارا كبيرة بمصر تتمثل في الغلاء الذي عانى منه الفقير ، وفي شدة الإقبال على المدنية الغربية ، بخيرها وشرها ، وفي ذلك نضج الفكرة القومية ، وتحديد أهداف البلاد إلى آخر ما هنالك من آثار كان لها في الأدب شأن كبير.

---

[١] عبد الرحمن الرافعي، ثورة ١٩١٩، ص ١١-١٦.

[٢] أحمد محرم ، الديوان ، ج١ ، ص ٢٢٦.

[٣] احمد محرم ، الديون ج١ ص ٢٤١.

وما أن بدأ الوطنيون يعلنون سخطهم من الاحتلال حتى جد في مطاردتهم ، وإلقاء القبض عليهم ، ومن مظاهر ذلك اعتقال رجالات الحزب الوطني ، ومصادرة أموال الحزب والاستيلاء على أوراقه وسجلاته[1].

وتعرض المصريون خلال الحرب لاستبداد غاشم ، لم يعودوا معه يأمنون على أرواحهم وأموالهم فاغتصبت أقواتهم ، وحرموا جني أيديهم وثمرة كدهم.

ثورة عام ١٩١٩:

بعد انتهاء الحرب العالمية الأولى ، وقف الشعب العربي في مصر مطالبا الاستعمار بالرحيل وأن تفي إنجلترا بمواعيدها التي قطعتها على نفسها أثناء الحرب ، وهي تبنيها لسياسة إعطاء حق كل شعب في تقرير مصيره ، واختيار نظام الحكم الذي يريد ، ومعاملة الجميع على قدم المساواة ، وإلغاء المعاهدات والاتفاقات السرية ، وإنشاء جامعة الشعوب والأمم تفصل فيما يقع من خلافات بينها ، وتمنع الحروب والعدوان[2].

واتحد الأقباط والمسلمون مطالبين باستقلال مصر التام ، واندلعت ثورة عارمة في شهر ما رس سنة ١٩١٩، اشتركت فيها الأمة بجميع طبقاتها، وخلاصة ظهور هذه الثورة أن حسين رشدي باشا طلب من الإنجليز عقب التوقيع على الهدنة مع ألمانيا ، أن يسافر إلى لندن مع عدلي باشا ناظر المعارف لشرح حالة مصر لوزارة الخارجية البريطانية ، والاتفاق معها على مصالح الوطن المصري ، فوعده الإنجليز بالسفر ، ولكنهم أبلغوه في شهر مارس / أذار سنة ١٩١٩ أن رجال الحكومنة الإنجليزية مشتغلون بمسألة المؤتمر ولا يمكنهم التفرغ لمناقشة الوزراء المصريين فاستقال في ديسمبر كانون أول سنة ١٩١٨ وبقي مصرا على

---

[1] محمد رفعت باشا ، تاريخ مصر السياسي ، ص ١٧٥.

[2] محمد رفعت باشا ، تاريخ مصر السياسي ،ص ١٧٦.

الاستقالة رغم إلحاح الإنجليز والسلطان عليه ، ثم وافقوا أن يسافر مع عدلي باشا ، ولكنه طالب أن يصرح كذلك للوفد الذي ألف أثناء ذلك من سعد زغلول باشا وزملائه ، ليسافر إلى لندن وباريس ، مطالبا باستقلال مصر ، فرفض الإنجليز ذلك رفضا باتا ، ثم قبل السلطان استقالة الوزارة في أول مارس سنة ١٩١٩.

وفي السادس منه استدعى الجنرال وطسون ، قائد حامية الإنجليز سعد باشا وإسماعيل صدقي باشا ، ومحمد محمود باشا وحمد الباسل باشا إلى مركزه ، وأظهر لهم استياء حكومته من تدخلهم في السياسة البريطانية لهذا البلد واتهمهم بعرقلة مساعي الحكومة الإصلاحية، وهددهم بمحاكمتهم عسكريا ،ثم قبض عليهم في مساء نفس ذلك اليوم ، وقرر نفيهم إلى جزيرة مالطة ، فكان خبر القبض عليهم ونفيهم خارج القطر سببا لمظاهرات في القاهرة وطنطا وغيرهما مؤلفة من طلبة المدارس العليا والثانوية والأزهرين ، وكثير من الشبان الموظفين والمحامين ، فقتل وجرح كثيرون ، فزاد غضب الأمة لهذه الفظائع[1]

في ظل هذه الظروف كان لا بد من ظهور قيادة وطنية تتحمل عبء الكفاح الوطني ، وتكون محل تقدير واحترام من الشعب ومن القوى العالمية التي ستواجهها ، وتلتقي بها ، وعندما هدد رجال الوفد الملك فؤاد بالعنف إذا قام بتأليف وزارة جديدة خلفا لوزارة حسين رشدي.

رأى الأنجليز العودة لسياستهم القديمة في البطش والقمع ، غير أن محاولات الاحتلال بالقضاء على الثورة الشعبية باءت بالفشل، ونتيجة لذلك برزت لجنة "ملنر" التي قاطعها الشعب مقاطعة حازمة إذا اضطرت إلى الاتصال

---

[1] عبد الرحمن الرافعي، بطل الكفاح ، الشهيد محمد فريد ، كتاب الهلا / العدد ٧٠ يناير ١٩٥٧ ص ١٨٦.

بالوفد في باريس ودعته إلى التفاوض ، غير أن أعضاء الوفد قد دب بينهم الخلاف ، وتحكمت الأهواء الشخصية في نفوسهم فكانوا طعنة للقضية ووبالاً على الأمة.

وانطلق الشعراء يمجدون الثورة ، ويعلون من قدر المرأة فيها ، ويذكرون الفظائع التي ارتكبها الانجليز ، ودعوا إلى مقاومة الاحتلال ، وتمجيد الأبطال.

وفي العشرين من نيسان سنة ١٩٢٣ صدر قانون الانتخابات ، وأسفرت عن نجاح حزب الوفد وتشكيل سعد للوزارة ، ورأى محرم كيف ضاعت الجهود في الصراع على الكراسي، وكيف ضاعت حقوق البلدان في خضم الخلافات الحزبية ، فاشتعل غيظه ، وسخطه على هذه الأحزاب التي كانت دماراً على الأمة ، وصرف الشعب عن غاياته العليا ، وأهدافه الوطنية الحقة.

وحين تم افتتاح البرلمان استبشر الشعب بأن يكون ذلك فاتحة عهد جديد، غير أن محرم كان مخالفا في رأيه للشعب عندما رأى أن يوم الافتتاح كان يوم نحس على الأمة حيث أغرقها في خضم الخلافات الحزبية فأنشأ قصيدة يقول في مطلعها:

سأتبع يوم السبت ما عشت لعنةً ... يظلُّ بها عاد من الدهر ضابحُ

رمى مصر بالنكباء ، وانساب ناجيا ... كان انساب عفريت من الجن جامحُ[1]

ولمحرم وقفات مشرفة في هذه الأحداث العظيمة التي كان لها الأثر الكبير على الحياة المصرية ففي يوم مجيء (جورج لويد) سنة١٩٢٥ استقبله محرم استقبالا عنيفا يذكره بعاقبة الطغاة المستبدين ويدعوه ألا ينصت لمايقوله الزعماء الذين لا يهمهم إلا مراكزهم ، يقول في قصيدة له :

---

[1] أحمد محرم ، الديوان ج١ السياسيات قسم ٢، مكتبة الفلاح ، الكويت ، ١٩٨٤، ص ٦١٠.

دع الزعمـــاء أنّ لهـــم لـــدينا ... يـــدين بغـــيرِه الشـــعبُ الرشـــيدُ

إذا ذكـــروا الزعامـــة فهـــي دعـــوى ... يكيـــد بهـــا (الكنانـــةَ) مـــن يكيـــدُ[1]

ويحذره مغبة الطغيان والجبروت ، ويذكره بما حدث لسلفه اللورد كرومر قائلاً:

عميـــد الغاصـــبين نزلـــت أرضـــاً ... يبيـــدُ الغاصـــبون ولا تبيـــدُ

يـــذود الواحـــدُ القهـــارُ عنهـــا ... إذا قهـــرت جنـــودُك مـــن يـــذودُ[2]

وأتبع تحذيره بالتنديد بانقسام الزعماء وتنكبهم سبل الإخلاص والسداد ، ذلك الانقسام الذي أضعف الأمة ، وفرق شملها ، وأضاع عليها الكثير من المكتسبات والمزايا والحقوق.

واشتد الخلاف ، وساءت الأحوال في البلاد ، وبلغت أسوأ أحوالها سنة ١٩٢٥ فالدستور معطل ، والأحزاب السياسية في تناحر وتقاطع ، والصحف على مختلف اتجاهاتها تملأ صفحاتها بالمطاعن والمثالب ، تكيلها إلى خصومها ،والحكومة تتولاها وزارة رجعية تستند إلى معاونة المحتلين ونيل رضاهم ، وكان أهم عمل قامت به هو سن القوانين المعطلة للحركة الوطنية وتعطيل الحياة النيابية والتسويف في أجراء الانتخابات بدعوى أنها تعمل على تعديل قانون الانتخاب وكانت تضع القوانين في غيبة البرلمان مستعينة بأحكام الدستور.

وكان أمين الرافعي صاحب صحيفة الأخبار قد قام بحملة في صحيفته يدعو فيها إلى انعقاد البرلمان من تلقاء نفسه مستنداً إلى المادة (٩٦) من الدستور التي تنص على أن يدعو الملك البرلمان إلى عقد جلساته العادية قبل يوم السبت

---

(١) المرجع السابق ، ص ٥١٢.

(٢) المرجع السابق ، ص ٥١٢.

في الثالث من شهر نوفمبر / تشرين الثاني فإذا لم يدع إلى ذلك يجتمع المجلس بحكم القانون في اليوم المذكور[1].

وكان لهذه الحملة صدى واسع لدى السياسيين من مختلف الأحزاب وبخاصة الحزب الوطني الذي وجه دعوة صريحة إلى نوابه للتوجه إلى مجلس النواب يوم السبت ٢١ من نوفمبر سنة ١٩٢٥ ، ثم تلاه حزب الوفد والأحرار الدستوريون ، ووقف الشعب بكل ثقله وراء هذه الدعوة مما أصاب الوزارة بالذعر والفزع.

وكان من نتائج هذه الدعوة بعث الحياة الدستورية ، وعودة الوحدة إلى الصفوف ، فكانت دعوة موفقة من جميع النواحي.

وقد اعترف ، بل وسجل محرم لأمين الرافعي هذا الموقف ، في إحدى قصائده ، يقول فيها محيياً أمين الرافعي على مواقفه ومشيداً بوطنيته:

بوركت من مؤمن ما كان أطهره ... على تصاريف دنيا ذات أرجاس

مستيقن النفس ، لا يغشى سريرته ... ما في الدوائر من ظن ووسواس[2]

وظل الأمر بين الأحزاب على هذه المسيرة من الاتفاق والاختلاف والصراع الخفي والمعلن أحياناً على المناصب والدستور معاً.

كل هذه الأحداث والأوضاع أدت إلى تدهور الحياة الاقتصادية في البلاد، وبلغت ذروتها سنة ١٩٣٠ وعرفت في حينها بأزمة صدقي لتوليه الحكم في هذه الفترة ، يشير محرم إلى هذه الفترة في إحدى قصائده ، فيقول:

---

[1] عبد الرحمن الرافعي ، في أعقاب الثورة ، ج١ ، ص ١٧٧-١٨٥ ، جريدة الأخبار بتاريخ ٨-٩-١٠/ ١٩٣٥.

[2] الديوان ، ج١ السياسات ، القسم الثاني ص ٦٩١.

طـمَّ الـبلاءُ وأمسـى الصـبرُ قـد نفـدا واستفحل الخطبُ حتى جاوزَ الحدّا[1]

القضية الفلسطينية

لقد كان للقضية الفلسطينية أثر واضح في شعر محرم ، فقد هـزت مأسـاة فلسطين فؤاد شاعرنا أحمد محرم هزاً عنيفاً ،واستولت على مشاعره وزلزلت جميع كيانه.

وإنصـافاً للحقيقـة والتـاريخ نـذكر أن فلسـطين لم تظفـر مـن الشـعراء المعاصرين بنصيب يذكر ، في حين أن شاعرنا أحمد محرم عبر عن إحساسه العميق وألمه وأساه لنكبة العروبة والإسلام في تسـع قصـائد بينـت جميـع عناصـر تلـك النكبة.

وكان محرم يستغل المناسبات والفرص لذكر النكبة مذكراً العرب بـالخطر الذي سيتهدد أولى القبلتين ، ولمح نـذر العاصـفة الـتي توشـك أن تجتـاح الأمـة العربية بأسرها .

لقد أخذ أحمد محرم يصرخ من صميم قلبـه داعيـاً العـرب والمسـلمين أن يهبوا إلى أنقاذ فلسطين الجريحة ، ويهيب بهم أن يخفوا لحماية وطنهم العربي مـن مؤامرات الاستعمار والصهيونية يقـول في قصـيدة نشـرت في جريـدة الـبلاغ في ٧سبتمبر ١٩٣٨:

المسـجد الأقصـى لسـانٌ صـارخ يهـدي تحيتـه وقلـبٌ واجـبُ
أمـا فلسـطينُ الثكـولُ فإنهـا تُطـري صـنيعَك والـدموعُ سـواكبُ[2]

---

[1] صحيفة الأهرام ، !٥ من آب ١٩٣٢ ، قصيدة بعنوان "يا قادة النيل".

[2] أحمد محرم ، الأقصى الحزين ، مكتبة الفلاح ، الكويت ،١٩٨٤، ص ٥.

ويرسل أحمد محرم صيحة عالية في ممالك الشرق وشعوبه رحمة بفلسطين الجريح فيقول:

في حِمى الحقِّ ومن حولِ الحرم ... أمةٌ تؤذى وشعبٌ يهتضم

فزع القدسُ وضجت مكةٌ ... وبكت يثربُ من فَرْطِ الألمْ[1]

إن شعر أحمد محرم كان تعبيراً صادقاً عن شعوره تجاه فلسطين ، ومما نسجله بالإعجاب والتقدير للشاعر اعتزازه بالشجاعة الفلسطينية مؤكداً على تضحية الفلسطينين ، وبذلهم ويذكر لنا أحمد محرم موقفاً مأساوياً وهو يتحسّس أوجاع الشعب العربي الفلسطيني وآلامه ، ومما زاد شعوره المأساوي حدة ونزفاً إدراكه أبعاد المفارقة .

ويظل يذكّر العرب والمسلمين بأن عليهم إنقاذ فلسطين ، ومن هنا فقد ظل أحمد محرم يهجس بالتحرر والخلاص ، وهكذا كان شاعرنا أحمد محرم يزرع ضمائر المستقبل في أرض الواقع المر.

عام ١٩٣٥

ومن الأحداث التي كان لها حضور متميز في شخصية محرم وشعره تلك الأحداث التي وقعت عام ١٩٣٥، عقب تصريح لوزير خارجية بريطانيا اعتبره المخلصون من أبناء الوطن تدخلا في شؤون البلاد الداخلية ، فقامت التظاهرات والاحتجاجات سقط خلالها عدد من القتلى والجرحى من خيرة شباب الأمة الذين كانوا ينادون بجمع كلمة الأمة ، وتوحيد الصفوف وائتلاف الأحزاب، وقد أثار هذا الموقف من الشباب إعجاب الشعراء والأدباء ، وبعد عام من المظاهرات تم التصديق على معاهدة سنة ١٩٣٦ ، ووقف الحزب الوطني منها

---

[1] المرجع السابق ، ص ١٧.

موقف المعارضة ، وبدأت حلقة سياسية جديدة في تاريخ مصر لها مقوماتها ومظاهرها تختلف كثيراً عن المرحلة السابقة على هذه المعاهدة.

الحرب العالمية الثانية :

في غمرة الأحداث والتغيرات ، اشتعلت نار حرب جديدة ، هي الحرب العالمية الثانية ، التي كان لها أسوأ الأثر على العالم العربي بأسره ، فقد دفعوا فيها الكثير دون أن يكون لهم ضلع في تلك الحرب فقد سخرت دول الاستعمار موارد العالم العربي لحاجات جيشهم ، وخلال ذلك جرت أمور كثيرة وأحداث كبيرة مما دفعت أعداداً كبيرة من الناس إلى ترك المدن والرحيل إلى القرى.

قيام الجامعة العربية :

القومية مرحلة تجمع شتات الشعوب المتميزة بمقومات واحدة ، وبشعور يزين لها الحياة المشتركة ، ويسهل لها الوصول إلى أهدافها الوطنية ولا بد للقومية في سعيها إلى بناء دولة سياسية ذات سيادة من أن توحد أراضيها في إطار وطن مستقل ، والحديث عن الوحدة العربية يدخل في نطاق المخطط الذي يؤهل القومية لتنفيذ الهدف الذي يسعى إليه ، ولم يكن العمل للوحدة العربية في أول عهده ضمن مخطط قومي معلوم ، وأنما سار جنباً إلى جنب مع اليقظة الوطنية ، ساعياً إلى القوة التي يؤمنها الاتحاد ، وإلى التقدم بتضافر الجهود، وضم الإمكانات المتوافرة ، في كل دولة .

وقد ظهرت الدعوات الأولى للوحدة العربية بمفهومها السياسي الشامل ، فكانت دعوات للتآزر والمساعدة ، وإظهار الشعور الواحد الذي يربط بين الشعوب العربية في مختلف أقطارها ، وعند نشوب الثورة العربية ١٩١٦، تفتحت العيون في كل مكان على المطالبة بوحدة بلادهم ، والعمل لها ، وقد دعا الشعراء إلى القوة التي تكتسبها القومية باتحاد أبنائها في دولة واحدة ، بقطع النظر

عن نظام الحكم فيها ، واشتدت دعوات الوحدة في الحقبة التي برز فيها الملك فيصل الأول في سوريا ، وراح يتحدث باسم العرب جميعاً في مؤتمر فرساي.

غير أن الدعوة إلى الوحدة العربية ، كانت في مجمل الأحيان ، دعوة مطلقة ومجردة من أي شكل من أشكال الحكم ، وحتى أواخر الثلاثينيات كانت هذه الوحدة وما تزال أملا يرتجى في نفوس العرب.

قال أحمد محرم في ذلك :-

يا غادياً ببريدِ الشامِ ينتحب ... ماذا دهاك؟ وماذا أنت محتقبُ؟

ما للحقائبِ ولهى لا قرارَ لها ... ماذا تمجُّ بها الأنباءُ والكتبُ

هذى لمصرَ تؤدّي الحقّ ناحيةً ... وتلك للشامِ تقضي منه لا عَجَبُ[1]

لا شك أن محرما كان يعبر في كلامه هذا عن رأى الكثيرين من العرب ، لم يطق الإقرار بتقسيم البلاد العربية ، ولو مؤقتاً ، فأذاع في شعره أن الوحدة العربية واقع ملموس ، وما الحدود بينها سوى خطوط مصطنعة لا يعترفون بها ، فيقول في قصيدة أخرى:-

أمّ العروبة جاء يومُك فاعلمي ... وإلى مكانِكِ فانهضي وتقدمي

لك في فمِ الأحداثِ دعوةُ صارخٍ ... ينفي القرارُ عن الشعوبِ النوّمِ[2]

وقد دعا العرب في سيرهم نحو الاتحاد ، أنه طريق الأمة الطبيعي، وغاية مسعاها السياسي والتجسيد الحقيقي لأمنياتها ، والسبب الذي من أجله بذل شهداء القومية العربية دماءهم فحياة العرب الكريمة مرهونة بعيشهم في إطار

---

(1) أحمد محرم ، الديوان ، ج١، ص ٣٥٨.

(2) المرجع السابق ، ج١، ص٩١٨.

دولة جامعة ، حرة مستقلة ، وقد كان هناك استعداد وتهيؤ إلى هذه الوحدة نرى أن الدعوة قد آتت أكلها بقيام جامعة الدول العربية عام ١٩٤٥.

الخلاصة

لقد حاولنا قبل التعرف إلى شخصية أحمد محرم العودة إلى العصر الذي عاشه الشاعر وما كان لأحداث هذا العصر من أثر بالغ في نفسه ، وردود فعل في شعره ، فكان سابقاً في تلقفها والمشاركة فيها ، وبذلك تكون صفحاتنا السابقة مقدمة لازمة لتحقيق غرض من البحث في جوانب شخصيته وانفعالاته ،ونحن مقبلون في الصفحات القادمة على التعريف بشخصيته ، وبيئته، الأمر الذي جعله من أكثر الشعراء تأثراً بالمُجريات السياسية والفكرية والأدبية.

رفع
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس
www.moswarat.com

الفصل الثاني

حياة أحمد محرم ونشأته

رفع
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس
www.moswarat.com

رفع
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس
www.moswarat.com

حياتـــه

مولده ونشأته :

ولد أحمد بن حسن عبد الله (المعروف بأحمد محرم) في القاهرة ، يوم السبت للخامس من المحرم سنة ١٢٩٤هـ الموافق للعشرين من يناير (كانون الثاني)١٨٧٧م .وهذا التاريخ أثبته الشاعر بنفسه فيما كتب عن سيرة حياته إلى السيد أحمد عبيد ، أحد أصحاب المكتبة العربية بدمشق[١]وعنه أخذ بعض الكاتبين مكان المولد وحددوا الحي الذي ولد فيه وهو حي(باب الوزير) بقسم الدرب الأحمر[٢].

ولكن بعض المترجمين ، ومنهم السيد خير الدين الزركلي يذكر في موسوعته التاريخية (الأعلام) أن أحمد محرم ولد في قرية "إبيا الحمراء" من قرى مركز الدلنجات في محافظة البحيرة [٣]، وكذلك ذكر هذا المولد السيد رضا كحالة في كتابه معجم المؤلفين[٤].

ويؤكد على ولادة محرم في قرية (إبيا الحمراء) السيد زكي مجاهد في كتابه (الأعلام الشرقية[٥]، إذ يعقب على ذلك بقوله : "وقيل إنه ولد بالقاهرة سنة ١٢٩٤ والصحيح ما ذكرناه "والذي ذكره قبل ذلك هو مولد محرم في "إبيا الحمراء" سنة ١٢٩٨هـ ولم يذكر المصدر الذي اعتمد عليه في تحديد سنة الولادة

---

[١] أحمد عبيد ، مشاهير شعراء العصر في الأقطار العربية ، دمشق، مطبعة الترقي.

[٢] محمد إبراهيم الجيوشي شاعر العروبة والإسلام ، أحمد محرم ، مكتبة دار العروبة ، القاهرة ، ١٩٦١، ص(٢١).

[٣] خير الدين الزركلي ، معجم الأعلام ، ج١، ص١٩٢.

[٤] رضا مر كحالة ، معجم المؤلفين ، ج٣، ص٥٧.

[٥] زكي مجاهد ، الأعلام الشرقية ، ج٤، ص٢٢.

١٢٩٨هـ وهو تاريخ انفرد به السيد زكي مجاهد ، ولم نجده في مصدر آخر من كتاب" الأعلام الشرقية" .

ومع ذلك ، ورغم هذا الأختلاف في تاريخ المولد ومكانه لشاعر كبير مثل أحمد محرم فاننا نميل إلى اعتماد ما أثبته الشاعر نفسه فيما كتبه إلى السيد أحمد عبيد كما ذكرنا آنفاً ، وما أكده ولده محمود أحمد محرم فيما كتبه عن والده للتعريف به في الطبعة الأولى لديوان مجد الإسلام التي نشرتها مكتبة الفلاح بالكويت عام ١٤٠٢هـ ١٩٨٢م والتي حققها وراجعها محمود أحمد محرم[١]، لاسمه المركب من كلمتين "أحمد محرم" وقد يكون السبب في إضافة كلمة محرم إلى اسمه أحمد ولادته في شهر المحرم، كما سمي شقيقه الأكبر "محمد صفر" لولادته في هذا الشهر من شهور السنة القمرية[٢].

أما والده فهو حسن أفندي عبد الله وهو تركي من أبناء المماليك الشراكسة ، وأمه كذلك من أصل تركي ، ولكن هذا الأصل اختلط كما يقول محرم بقليل من الدم المصري ، ولا يُعلم شيء من وراء ذلك عن آبائه واجداده ، ولا عن الأسرة التي ينتمي إليها ، ولا عن البيت الذي درج فيه ، سوى أنه كان من حي "باب الوزير"[٣].

ولعل ذلك النسب التركي من ناحية أبويه كان من جملة الأسباب في اعتداده بالترك ، وإشادته ببني عثمان وملكهم أو خلافتهم ، ودعوته إلى الولاء لهم ، كما يبدو ذلك في قوله:

---

[١] انظر ديوان مجد الإسلام، مكتبة الفلاح ، الكويت ، تعريف بالشاعر صفحة٩٠.

[٢] محمود إبراهيم الجيوشي، شاعر العروبة والإسلام ، أحمد محرم ، الطبعة الأولى ، مكتبة دار العروبة، ١٩٦، ص٢٢.

[٣] بدوي طبانة ، خمسة من شعراء الوطنية ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ،القاهرة ، ١٩٧٣، ص ١٢.

لــولا بنــو عثمــان والســنن الــذي ... شــرعوا لمــا وضــح الســبيلُ الأقــومُ

ســطعوا بآفــاقِ الخلافــةِ فــانجلى ... عنهــا مــن الحــدثان ليــلٌ مظلــمُ

فَهُــمُ ولاةُ أمورِهــا وكفاتُهــا ... وهُــمُ حمــاةُ ثغورهــا ، وهُــمُ هُــمُ[1]

وكان والده متدينا ، يحب العرب ويتعلق بتاريخهم، ويتمسك بمبادئ الدين ، ويأخذ أفراد أسرته بما يؤمن به ، وقد غرس هذه النزعة بولدة "فتأثر بهذا التوجيه أعظم الأثر ؛ فكان لهذه التربية الدينية الصارمة اتجاه واضح في شعره وأدبه من إشادته بمجد الإسلام ، ودفاعه عنه وتسجيله لحياة النبي -صلى الله عليه وسلم- وغزواته تسجيلاً لم يضطلع به شاعر سواه في عصره[2].

وكان والد والد محرم محباً للقراءة ، شغوفاً بالأدب ، مصاحبا لأهله من شعراء وكتاب ، يغشى مجالسهم ، ويشارك فيها .

دراسته وثقافته :

تربى أحمد كما يتربى صبيان القرية المدللون في عصره ، فأحضر له والده المعلمين الذين قاموا على تلقينه مبادئ القراءة والكتابة حيث أتقن المطالعة والحساب والإملاء وحفظ القرآن الكريم . فألحقه ابوه بإحدى مدارس القاهرة ، وكان التعليم فيها يومئذ وقفا على أبناء الطبقة الموسرة ؛ غير أن مناهج الدراسة فيها لم تصادف قبولاً من نفس محرم ، فأعلن تبرمه بها، فنقله أبوه إلى مدرسة أخرى ظنها خيرا من الأولى إلا أن محرما الذي طبعه حب العربية من صغره ، وأحاله على مكتبته التي كانت حافلة بشتى انواع الكتب الأدبية والعلمية ، ثم وجهه توجيهاً شديداً إلى الشعر ، وجعل له جائزة على نظمه ، لم يستسغ منهجاً

---

[1] المرجع السابق ص ١٢.

[2] محمد إبراهيم الجيوشي ، شاعر العروبة والإسلام ، أحمد محرم ، الطبعة الأولى ، مكتبة دار العروبة القاهرة ، ١٩٦١، ص ٢٢.

دراسياً يرى نفسه فيه غريباً على العربية ؛ مما جعله يشعر بالضيق والغربة ، فبعث لأبيه بقصيدة يشكو فيها ما يعاينه ، ويصور له ألم الغربة في نفسه ، وهو يؤمئذ لم يتجاوز الخامسة عشرة من عمره ، فما كان من أبيه الا أن أعاده إلى القرية وأحضر له بعض أساتذة الأزهر يلقنونه فقه اللغة العربية وآدابها.

وأقبل محرم على مكتبة أبيه يقرأ ما يشاء ، يثقف عقله ويغذي وجدانه بعيون الشعر العربي . وأخذ أبوه يطلعه على أحدث ما انتجه أصدقاؤه من الشعراء ليثير طموح نفسه ، ويصحبه معه في رحلاته إلى مدينة دمنهور ، ويعقد الصلة بينه وبين شيوخها وذوي المكانة فيها من الأدباء والوجهاء.

بواكير شعر محرم وتجربته :

وكان بمدينة دمنهور على عهد محرم رجل من زعماء الأدب الشعبي يسمى الشيخ "جاد علوان" وكانت له حلقة يجتمع فيها عشاق الأدب ومحبوه ، فتعرف محرم إلى الشيخ وشهد ندوته ، وألقى فيها بواكير قصائده حتى عرفه الناس وأقبلوا عليه[1].

يقول أحمد محرم عن بواكير شعره : "كان أول شعري ، الذي ظهرت بواكيره وأنا في الثانية عشرة ، يجري في أغراض مختلفة على سبيل المران ، وقد كرهت أن يظهر لي شيء من هذه البواكير في الصحف والمجلات ، فصبرت حتى وثقت من نفسي ، وصرت أرى شعري في منزلة الطراز الجديد مما ينشر ويذاع ثم دفعت نفسي إلى الظهور ، وزادني ثقة وقوة ما كنت أجده من التقريظ وحسن التقدير ، وتأثرت بالشعر الجاهلي تأثراً غير قليل ، وتزودت من شعر المخضرمين ما كفاني ، ثم وقفت طويلاً عند أبي تمام ، والبحتري والمتنبي ،

---

[1] محمد إبراهيم الجيوشي ، شاعر العروبة والإسلام ، أحمد محرم ، الطبعة الأولى ، مكتبة دار العروبة ، القاهرة ، (١٩٦) ، ص ٢٤.

والشريف الرضي ، والمعري ، فاستفدت من كل واحد من هؤلاء الأئمة العظام ما وسعني أن استفيد ، أما الشعراء المعاصرون فما تأثرت بشعر واحد منهم تأثري بشعر البارودي وشوقي وصبري ، ولست أفهم معنى لما يسمونه الشعر الحديث أو الشعر المنثور وبدأت رسالتي الإصلاحية وحياتي السياسية بقصيدة وطنية جامعة أسميتها "شكوى الاحتلال بلسان الحال" وقد طبعتها ووزعتها على الصحف فنشرت كل صحيفة ما سمح به المقام . وفي هذه القصيدة أقول:[1]

كفى حزناً أنا نرى مصراً أصبحتْ ... بعينٍ بنيها وهي نهبٌ مقسمُ

تناديهمو كي يدركوها ولا أرى ... سوى مُحجمٍ يعتاقُ ساقيه مُحجِمُ

يني مصر هبوا قد تطاول نومُكم ... أأنتم مدى الآمادِ عن مصرَ نُوَّمُ؟

بني مصر هيا ، قد تمادى جثومُكم ... أأنتم إلى يومِ القيامةِ جُثَّمُ؟[2]

ودأب محرم على اطلاعه وتزويد ثقافته ، وقد تهيأ له من وقت الفراغ ما استطاع بفضله أن يلم بالشعر العربي في جميع عصوره ، ويعلق بذهنه منه درره وعيونه ، لم يعقه عن ذلك اشتغال بتحصيل العيش أو مطالب الحياة ، فقد كفاه أبوه مئونة ذلك .

وضاقت أمه ذرعا من عكوفه على كتبه آناء الليل وأطراف النهار ،وقد صور محرم موقف أمه هذا في بعض قصائده فيقول على لسانها:

أبنيّ إن المرءَ يُغني شأنهُ ... فيعيش في الأهلين وهو محبَّبُ

وأراك في شرخ الشبابِ ورَوقِهِ ... يَغْذوك والدُك الكبيرُ الأشيبُ

---

[1] ديوان احمد محرم ، ج١ ، مكتبة الفلاح ، الكويت ، ١٩٨٤، ص١٠.

[2] المرجع السابق ، ص ١١.

يسعى وانت مع البنات كبعضها ... ثاوٍ وليتك مثلهنّ فتخطبُ

لا مال تكسبه ، ولست ببارحٍ ... تغنى وتتلف جاهداً ما يكسبُ

تدع السراج فلست تطفئ نوره ... حتى ترى أخرى النجومِ تغيّبُ

أيباع هذا الشعرُ أم أنت امرؤٌ ... تهوى من الأشياءِ ما يتجنب؟[1]

لقد كان للقراءة الدائبة الفضل الأكبر في تلك الثقافة اللغوية والأدبية والتاريخية التي نمت استعداد محرم الفطري لصناعة الشعر ، حتى وصل إلى تلك المنزلة الرفيعة من الشعر ، وكان الذي حفزه على مكابدة القراءة وإدامة الاطلاع، هو ما كان يحلم به في صباه من مقاربة المتنبي ، أو واحد من أولئك الشعراء الكبار الذين عاصروه أو سبقوه بقليل ممن أعادوا إلى الشعر العربي حياته ورونقه ، وردوا إليه ما سلف من قوته وازدهاره من أمثال : البارودي وشوقي وصبري وغيرهم.

ولقد كان تأثر أحمد محرم بوالده كبيراً ،واذا لم يكن بين أيدينا ما يدل على أن والده كان أديباً ينظم الشعر ، أو يعالج فنا من فنون النثر ، فإنه يبدو كان محبا للأدب ، عاشقاً لفن الشعر ، وإنه كان ينشط لسماعه ، ويحرص على ما يستجيده حفظا أو تدوينا ، وكان لذلك أثر كبير في تنشئة أحمد محرم على حب الأدب وتذوق الشعر وتنشيط ملكته التي طبع عليها ويؤكد ذلك قول أحمد فيما كتب عن شاعرية إسماعيل صبري: "كان أول ما قرأت من شعر صبري أبيات وجدتها في مجموعة بخط والدي دوّن فيها ما تلقفه من شعر أدباء عصره في رحلاته إلى القاهرة . وكان رحمه الله يخالطهم ويشهد مجالسهم ، ومن هؤلاء الأدباء جماعة من الشعراء الذين جمع العنصر التركي بينهم وبين والدي وأشهرهم حسني الطويراني ، وسليم رحمي ، فإذا عاد من إحدى هذه الرحلات

---

[1] ديوان محرم ، ج١ ، ص ٢٤٥.

كان اول ما يتحفني به من الهدايا ، ما اشترى من الكتب ، وما حمل من هذه الأشعار ، وكنت يومئذ صبياً يولعني والدي بالأدب ، ويجيزني عليه[1].

وقد اجتمعت في أحمد محرم طبيعتان كان لهما أبعد الأثر في توجيه حياته الفنية ، وطبع سلوكه في حياته العامة بطابع خاص متميز ، وهما: الشاعرية التي وهبها ، والاستعداد الفطري للمشاركة في الحياة العامة.

وكانت الشاعرية التي وهبها ، وبرزت معالمها واضحة منذ كان حدثاً صغيراً يستقبل الحياة ، ولزمته حتى صار شيخاً كبيراً يستعد لتورع تلك الحياة ، هي التي دفعته إلى الفرار من التعليم الرسمي بالمدارس الحكومية ليفرغ لهذه الشاعرية ، وينميها بطاقات أدبية يحصلها من قراءاته ، ومن اطلاعه الواسع على آثار كبار الآدباء والفحول من الشعراء الذين كان يطمح إلى بلوغ منازلهم في الشهرة وخلود الذكر.

وكانت النزعة الأخرى هي نزعة الحس المرهف والاستعداد الفطري للمشاركة في الحياة العامة مشاركة حرة طليقة من سائر القيود التي تحد من حريته في الاستجابة لهذه النزعة . وأهم هذه القيود التي كانت يأباها ، وينفر منها أشد النفور قيد الوظيفة ، أو ولاية أي عمل من أعمال الحكومة ومناصبها ، وقد نشأ – كما يقول – كارهاً لها ، متجافياً عنها ، ليبقى خادماً أميناً لأمته ، وعوناً صادقاً لبلاده[2].

---

[1] مجلة أبولو ، المجلد الثالث ، العدد١٠٠، ا كتوبر ١٩٣٤.

[2] بدوي بطانة ، خمسة من شعراء الوطنية ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ن القاهرة ، ١٩٧٣م ، ص ٢٠.

موت والده :

مات والده "حسن أفندي عبد الله" بالقاهرة ليلة أول رجب سنة ١٣٣٨هـ فرثاه أحمد محرم بقصيدة طويلة ، تحدث فيها طويلاً عن عظمة الترك وعظم بلائهم ، وتفانيهم في خدمة الإسلام والمسلمين ، ونرى أن العلاقة بين رثاء أبيه والحديث عن أمجاد الترك في معرض الرثاء هو إحساسه بالدم التركي الذي يجري في عروقه ، وهو إحساس لا ينساه حتى في هذه المناسبة الحزينة ، ومن ذلك قوله:

ينازعنا حمى (عثمان) قوم ... هم المكروه والداءُ العياء

ولو ملكوا الخلافة لاستبيحت ... محارمها وأعوزها الوفاءُ

وبيع المسلمون بكل أرضٍ ... كما بيع العبيد أو الإماءُ

إذا حلفاؤها جهلوا علينا ... فإن سيوفنا منهم براءُ

لنا الأجال إلا حين يحمي ... دماءَ القومِ عهدٌ ولاءُ[1]

قسوة الحياة :

كان محرم غير مبال بالحياة ولا مهتم في حياة والده، إذ لم يحتج يوماً إلى معاناة في تحصيل رزق أو سعي وراء مغنم ، فقد كان يحيا في بحبوحة من نعمة أبيه وفضل من ماله ، أعانه على مشقات الحياة ، ولم يفكر في عمل أو حصول على مال ، وحسبه مجده الأدبي وفنه الذي يسامي به العبقريين من أئمة البيان ؛ ولهذا رفض كل عمل ، وعاف حياة التوظف وكان يرى الوظيفة معتقلاً ، فقد

---

[1] المرجع السابق ، ص١٣

سمى فترة توظيف حافظ في دار الكتب فترة الاعتقال ،ومن هنا كان توفره على الأدب وتفرغه له.

فلما مات أبوه ، ولفحته قسوة الحياة من حوله ، وضنت عليه بالعيش الحر الكريم أخذ يعاني قسوة الحياة ، وأدرك أن مجده الأدبي الذي عاش له وأخلص في سبيله كان وهماً من الأوهام ، وأن قصائده لم تستطع أن تنفعه في شدته أو تحول بينه وبين أنياب الحاجة ، وما دامت هذه القصائد لم تجلب له نفعاً فاولى بها ألسنة النيران . يقول أحمد محرم موضحاً هذه المعاناة:

هيهات لا كتبي ولا أقلامي ... تغني بنيّ إذا أحَمّ حمامي

هذي القصائدُ ما انتفعت بنظمها ... فعلام أرجوها لنفعِ غلامي

أيفاخرُ الأقوامُ من بعدي بها؟ ... فلقلما تدري بذاك عِظامي

النار أولى بالذي أنا جامعٌ ... إما لدفءٍ أو لنضجِ طعامِ

هَبني أبا تمام في ابداعهِ ... ماذا يسرك من أبي تمامِ؟

أودى فضاع قريضة في معشرٍ ... ليسوا بأعرابٍ ولا أعجامِ

المالُ أصبح خيرَ شيءٍ يُقتنى ... لا شيءَ يعدِلهُ لدى الأقوامِ[1]

وعز على محرم أن تصرفه شواغل الحياة عن الإخلاد إلى أدبه والتفرغ لفنه يودعه مشاعره ، وأحاسيسه ، وآلمه وأزعج نفسه أن يرى إنكار الناس وانصرافهم عنه في الوقت الذي ذاق فيه مرارة الفقر ، وعضّه ناب الحرمان ، وزاد إيلامه وثورة نفسه أن يرى حقه مضيعاً، ومكانته منكورة ، وصوته العالي يوشك أن تطغى عليه جلبة المراثين ، وضوضاء النفعيين والسائرين في ركاب الحاكمين والمتزعمين فلاذ بإبائه ، وبات يفور غيظه على هذا الزمن الجاحد،

---

[1] الديوان ، ج ١ ، ص ٢٧-٢٢١.

وينمو حقده على المجتمع الذي يعمى عن رؤية الشمس في رائعة النهار[1] ويُفرغ جام غضبه على أعدائه ، والمغتصبين لحريته وحقوقه وهو يغمغم في ثورة حبيسة:

ويلمّه زمَناً حملتُ به الأسى ... وشقيت فيه بكلّ خلق مُنكَرِ

ويلمّه زمناً سيعرف موضعي ... ويرى مكاني إن حييتُ ومظهري

ولئن هلكت لتعلمنَّ مكانتي ... أممٌ نشرتُ لها زمانَ البحتري

أعليت في الأمم الخوالي جدها ... ورفعت رتبة عصرها في الأعصر

قلم من الروح الزكي يمده ... ما شاء ربك من نطاق الكوثر[2]

وسارت الحياة بمحرم سيرة قلقة مجحفة ، فلم تلن قناته، ولم يتخل عن مثله ، أو يتنكر لمبادئه ، بل ظل وفيا لها حفيظا عليها حتى لقي ربه.

وكثيراً ما كان هذا الإباء وعلو النفس سبباً في حرمانه من خير كثير كان يستحقه بما له من مكانة أدبية وقدم راسخة في فقه العربية وأدبها ، يقول محمد إبراهيم الجيوشي عن تمسك أحمد محرم بمبادئه وعزة نفسه على لسان ابنه سليمان محرم : اتجهت النية في العقد الرابع من هذا القرن إلى الانتفاع بمواهب محرم في المجتمع اللغوي – وكانت حكومة الوفد إذ ذاك ، فتأخر القرار عن موعده كثيراً ، ولما ذهب ابنه يستطلع الخبر ، ويقف على سبب هذا التأخير- وكان يومئذ طالباً بكلية الآداب بجامعة فؤاد –أخبره وزير المعارف أن اعتماد القرار متوقف على التوقيع ، وأن أبياتاً معدودة من الشعر يبعثها الشاعر، ويطري فيها الحكومة كفيلة باعتماد القرار على الفور، فذهب سليمان إلى أبيه في دمنهور ، وخيال النعمة ، ورياح الاستقرار تطوف على أحلامه ، وحاول أن يظفر من أبيه بهذه الأبيات

---

(1) محمد إبراهيم الجيوشي ، شاعر العروبة والإسلام ، احمد محرم ، الطبعة الأولى ، ١٩٦١، ص٣٨.

(2) مشاهر الشعراء العصر ، ص ١٤٠.

المنشودة ، فكان جوابه ابتسامة مشفقة ، وربت الوالد على كتف الابن المشوق إلى برد الراحة من عناء الحياة ومشقاتها،وقال : محال أن يكون هذا يا بني .

ومن هذا القبيل في حياة الشاعر أن حاول بعض رجال الأحزاب استغلال شاعريته وأرادوا أن ينتزعوا منه بعض الأبيات يحيي بها زعيمهم الذي اعتزم زيارة دمنهور فأبى عليهم ذلك ، فأغروه بالمال- وهو الفقير -ولوحوا له بالذهب - وهو المعدم- وجعلوا له على كل بيت ينشده "جنيهاً أملاً منهم أن يسيل لعابه، وينزله المال عن كبريائه ، ويفارق عناده ، فرفض في اعتزاز وشم وقال قولة مشهورة : (يأبى علي الشعر ولا يطاوعني) وما كاد الحفل ينتهي، حتى خرجت الصحف في اليوم التالي وفي إحداها قصيدة لمحرم يسخر فيها من المحتفين وأساليبهم سماها: (الموكب الذائب في دمنهور) مطلعها:

هـا هنـا الأعـلام كانـت تنصـبُ هـا هنـا بـالإمس كـان الملعـبُ[1]

وكان محرم جريئا لا يتراجع في رأي ، ولا يخضع لأحد ، قوياً في الحق . وهذه الصلابة والقوة حتى بعد موته ، وربما كان ذلك من الأساليب التي جلبت عليه النسيان والإهمال اللذين أصيب بهما أدبه وذكره.

ومما كان يؤلمه كثيراً اختلال موازين الأمور ، وقيم الناس التي لا تستند إلى أساس ثابت ، فكم قدمت دعيّاً وقعدت بموهوب.

وكان من تأثير ما لاقاه محرم من عنت الناس وكيدهم أن نظر للحياة نظرة كئيبة سوداء ، فغلب عليه التشاؤم ، وذهب مذهب أبي العلاء في وجوب التخلص من الحياة التي لا تثبت إلا الشر والأذى ، فدعا إلى تحريم الزواج ثم رجع عن هذا الرأي كما أشار إلى ذلك في ديوانه[2].

---

[1] محمد إبراهيم الجيوشي ، شاعر العروبة والإسلام ، أحمد محرم ، ص ٤١ ومشاهير شعراء العصر ص ١٤٠.

[2] انظر الديوان ، ج١، ١٥٦.

أعماله واتصالاته :

كانت لمحرم جولات وصولات في الحزب الوطني ، فقد آمن بمبادئه ، وتحمس لها ، وتبنىّ أفكاره ، ودافع عنها برغم أنه لم يكن عضواً رسمياً في الحزب، فقد أعجب بالزعيم مصطفى كامل ، وبحبه لوطنه وتفانيه في الدفاع عنه، وكان يرى فيه وفي خليفته محمد فريد المثل الجديرة بأن تحتذي في الكفاح والثبات، والإيمان بالمبادئ والحب للوطن وعدم الهوادة في كفاح الاستعمار ، أو التهاون في الدفاع عن الإسلام ، وقد أشاد مصطفى كامل بمحرم على صفحات اللواء وسماه نابغة البحيرة [1].وبقى احمد محرم على صلته به ووفائه له ولذكراه، كما ظل وفيا لمبادئه الوطنية إلى أن توفاه الله.

وكان لهذا الاتصال ، المدلول الواضح والاتجاه الصريح في تبنيه الاتجاه الإسلامي والوطني الجارف ، وحماسته الدافقة في حرب الاحتلال والاستيداد والسخرية من الانتهازيين ،وطلاب الحكم من رجال الاحزاب الاخرين.

وما أن خاض محرم معترك الحياة حتى طار ذكره على الألسنة ، وهو بعد لم يزل في مقتبل العمر ، وغصت الصحف والمجلات بقصائده المبدعة يضرب بها في كل فن ، ويجول في كل ميدان ، وتبوأ مكانه في الصف الأول من شعراء عصره ، وعرف الشعراء والأدباء له منزلته ، فتتابعت بينه وبينهم المراسلات ، وكتابته أدباء العرب في كل مكان ينطق أبناؤه بالعربية ، ويشيدون بلغة القرآن[2].

ويحدثنا محرم عن هذه الصلة في صدر الجزء الأول من ديوانه المطبوع سنة ١٩٠٨ فيقول:

---

[1] عبد الرحمن الرافعي ، شعراء الوطنية ، مكتبة النهضة المصرية ، ا لطبعة الأولى ١٩٥٤، ص ١٨٩.

[2] الديوان ، ص ١٩.

لقد حصلت لي صلة بكثير من أكابر الشعراء في سائر الأقطار العربية فراسلتهم وراسلوني ولولا عبث الأيام لكان لدي اليوم من آثارهم ما يفيض له باب المساجلات[1].

ولما جمع أبو النصر السلاوي (شاعر الخلافة) آثار البلغاء من شعراء عصره في كتاب "عكاظ الادب" الذي بين فيه طبقات الشعراء ، بدأ الجزء الأول بسبع قصائد سماها "المعلقات" وأوضح سبب هذه التسمية بالمعلقات ، لأنها ما يعلق في الصدور لتعليته ، وقوة بيانه ، وعد محرماً من اصحاب المعلقات ؛ أما معلقته فهي قوله يمتدح أمير المؤمنين:

منازل سلمى لاعدتك الغمائمُ وإن درست بالجزع منك المعالم

ويعلق محرم على ذلك بقوله : "إنه لم يكن جاوز السادسة عشر وهذه الطاقة الشعرية الفذة التي جعلت صاحبها في الصف الأول من شعراء عصره ، في حين أنه لم يتجاوز بعد مرحلة الصبا إلى الشباب ، هي التي جعلت معاصريه ينشرون حوله عبارات الإعجاب فهذا رجل مثل ولي الدين يكن ، كان صريحاً في قول الحق والجهر برأيه إلى حد أنه كان يتعرض بسبب هذه الصراحة إلى اشد الوان التعذيب..وجلب عداوة الناس ، ويعلن رأيه في أحمد محرم بصراحة وقوة ، وهي شهادة نعتز بها المحرم ونقدرها كل التقدير.

ويقول ولي الدين يكن : "في شعره نسيج وحده هو أقرب الشعراء المعاصرين ديباجة من شعراء العرب "وما زال يعاني ذلك في أول أمره معاناة حتى ملكه اليوم ، وصار ملكه في طبعة ، وليس في طباع الشعراء طبع أدل من طبعة وطبع حافظ إبراهيم على جودة الألفاظ ، وكما أن خليل مطران فاق

---

[1] الديوان ، ج١ ، ص ١٩،

النظراء بل فاق كثير ا من القدماء في هذا الباب ، يقول: "إن خليلاً ابلغ شعراء زماننا ، وإن محرما وحافظاً افصحهم "[1].

وقد اعترف معظم الشعراء ، بل كبارهم لمحرم بمكانته الشعرية وقدرها ، وبخاصة حافظ إبراهيم وإسماعيل صبري كما يتبين لنا فيما بعد وكان محرم مميزاً بين شعراء زمانه كما انه كان يتمتع بمكانة ملموسة عندهم ، وعلى اختلاف مدارسهم ، وكان مقدماً على المحافظين والمجددين على السواء ؛ لأنه لم يقصر بغرض ، أو ينكب به الطريق دون غاية.

وقد أشاد به أبو شادي وزملاؤه شعراء جماعة أبولو، وعبروا عن تقديرهم لفنه واهتمامهم بآرائه في الشعر والنقد.

وكثيراً ما انتصرت له الندوات الأدبية على شوقي ، وعقدت له اللواء على سائر الشعراء ، والذي يقرأ شعر محرم ، ويقف على طاقاته الشعرية الدافقة لا يعجب لقيام هذه الندوات ، بل يزداد عجبه كيف جوزي شاعر له هذه القدرة الفنية ذلك الجزاء من الجحود والنكران ، وكيف شغل الناس والزمان ، ولم يكد يسمع بمحرم احد على تقارب ما بينهما في السمات الفنية التي سنحاول الكشف عنها في الفصول القادمة من هذا البحث.

ومما هو جدير بالذكر هنا ، أن شهرة محرم كانت منحصرة في البيئة المحلية كما يبدو واضحاً من خلال دراستي لهذا الشاعر ، ولم يكن معروفاً معرفة واسعة في الأوساط الخارجية . كما أن الصحف المصرية الكبيرة لم تفسح له مجالاً مثل ما فسحت لشوقي وحافظ ، ورغم أنه كان دائم المناداة بالجامعة الإسلامية والوحدة الشرقية ، كما كان شديد التمسك بمبادئه الوطنية فكان شعره كله وقفاً على هذه المبادئ.

---

[1] الجيوشي ، أحمد محرم ، شاعر العروبة والإسلام ، ص ٢٩، أبو شادي ، قضايا الشعر المعاصر ، ص ٨٧-٨٨، وجميل علوش ، الشاعر أحمد محرم ، مجلة الخفجي ، ص ٥٦.

وارتفعت الأصوات وتعالت من عدد كبير من الشعراء والكتاب والأدباء بعد موت شوقي تدعو إلى إسناد زعامة الشعر إلى أفحل شعراء الجيل . وإلى الكف عن العبث بالمناداة بالزعامة لهذا أو ذلك ، فهذا أديب يكتب في مجلة الصباح عدد ٨١٢سنة ١٩٤٢ فيقول :" وأنا أعجب اشد العجب للذين يتشدقون بنسبة زعامة الشعر يوماً لهذا ويوماً لذاك وكيف لا ينسبونها ساعة من نهار إلى أفحل شعراء هذا الجيل ، ويخلعون عليه ما خلعوه على من لم يرجحوا معه في كفة الميزان"[1].

مع الصحف والمجلات :

وما أن سمع محرم في عالم الشعر حتى انفسحت أمامه فرص الكتابة في المجلات والصحف التي وجد فيها المنبر الذي يتطلع إليه لتحقيق غايته ، وإرضاء طموحه إلى الشهرة وذيوع الصيت ، وإشباع رغبته في المشاركة في الحياة العامة ، فأخذت الصحف تتلقف قصائده ومقالاته ، وقلما كنت تجد مقالة أو صحيفة في أواخر القرن الماضي ، ومطلع هذا القرن قد خلت من قصيدة لمحرم ، أو مقالة له في الأدب والسياسة والنقد والاجتماع.

كان ذلك في فترة من فترات نشاط الصحافة واضطلاح الآراء في كثير من القضايا والمشكلات التي تشغل البلاد في الربع الأول من هذا القرن ، وكانت أبواب الصحافة مشرعة لتقبل الآراء ونشرها في الصحف والمجلات التي تعمل على نشر مبادئ وأفكار معينة . وغيرها مما يقف منها موقف المؤيد أو المعارض لآرائها واتجاهاتها [2].

---

[1] الجيوشي ، أحمد محرم، شاعر العروبة والإسلام، ص ٣١.

[2] أحمد زكي أبو شادي ، قضايا الشعر المعاصر ، ص ١٨٧، أحمد الجدع، شعراء الدعوة الإسلامية ، ص ٦٩ أنور الجندي ، الشعر العربي المعاصر ١٣٤ بدوي طبانة ، خمسة من شعراء الوطنية ، ص ٢١ عبد المنعم خفاجي ، قصة الأدب في مصر ، ص١٢.

وكان ذلك في سن مبكرة عند محرم ، إذ أنه اتجه إلى الصحافة وهو في الخامسة عشرة من عمره ، فكان ينشر المقالات المنتزعة من حقائق التاريخ والمذاهب القائمة في صميم الأدب،وقد احتل محرم مكان التوجيه في هذا كله ، بفضل إلمامه بالأدب العربي ، ووقوفه على دقائقه ، ومعرفته باتجاهاته في صوره المختلفة.[1]

ولقد كانت حياة محرم الأدبية مليئة بالجدة والأصالة ، اشترك خلالها في مسابقات شعرية كثيرة ، ففي عام ١٩١٠، اشترك في مسابقة شعرية في عيد الجلوس للخديوي ظفر فيها بشهادة الامتياز بين شعراء النيل . ثم نال بعد ذلك خمس عشرة جائزة في مسابقات شعرية ونثرية اقترحتها الصحف والمجلات في فنون شتى من الأدب وموضوعات من سياسة الممالك وتربية الامم[2].

وأدى فوزه في تلك المسابقات وكتابته في الصحف إلى ذيوع صيته ، فدعته بعض الصحف إلى القيام بتحريرها ، فأبى كما يقول أن يضع قلمه تحت مشيئة أي صحفي مهما كان مذهبه السياسي ،ومستواه الأدبي ، وبقي حراً طليقاً لا سلطان لأحد على قلبه إلا لله وحده ، ولا رقيب يلاحظه أو يهابه سوى العقل والضمير ، وهو يعيش من مؤلفاته.

ولكنه استجاب لهم بعد إلحاح ، فكان يكتب لهم وهو في دمنهور مقالة واحدة كل أسبوع وكانت تلك الكتابة مورد رزقه ، إذ كانت تدر من الأجر أو المكافأة ما لا يناله غيره من الذين يكتبون في الصحف كل يوم ولكنه كان في صحف الحزب الوطني متطوعاً ، لأنه رأى أنه الحزب الذي يجاهد جهاد المستبسلين لنصرة القضية الوطنية ، ويعمل على تقوية الجامعة الإسلامية تحت

---

[1] الجيوشي ، شاعر العروبة والإسلام، أحمد محرم ، ص٣١.

[2] المرجع السابق، ص ٣٢ وخمسة من شعراء الوطنية ، ص ٢١.

لواء الخلافة العظمى ، ولم يكن يوقع باسمه على هذه الكتابات ، وإنما يخص بهذا التوقيع ما ينشر من شعره فقط .

وإلى جانب هذا كله اتخذ من مجلة (الصدق) التي كانت تصدر في دمنهور مدرسة أدبية جعلها تقف مع أرقى المجلات الأدبية ، وتضارع صفحتها الأدبية أكبر الصحف وأقواها ، بفضل ما كان يوليها محرم من عنايته ، ويتابعها بإنتاجه في الشعر والنثر والنقد.

وقد اتخذ محرم منها مدرسة يقوم فيها الشعراء الناشئين ، ويسدد خطاهم ويمهد أمامهم الطريق فكم من شاعر ناشئ لقي من محرم التشجيع والتقويم حتى نضج فنه واكتمل ، وأخذ محرم يواليها بحوثه القيمة في الأدب قديمة وحديثه [1] وقد قضى أحمد محرم الشطر الأعظم من حياته في مدينة دمنهور محتفظاً بحميته وإبائه وشممه ، ومعتزاً بمجده الأدبي وجهاده الوطني، وربما كان ذلك من جملة الأسباب التي أدت إلى القطيعة بينه وبين بعض الحكام الذين كان لا يرضيهم إلا الزلفى والملق ، كما كان بعده عن القاهرة سبباً في بعده عن حكامها[2].

وكانت صلته بالحزب الوطني ، وإيمانه بمبادئه ، وإشادته بزعمائه ، وما جره ذلك من التعريض بالأحزاب الأخرى وزعمائها ، ما جعل رجال الحكومة ينظرون إليه بحذر بل إنهم كانوا يوصدون أمامه أبواب الفرص كلما لاحت منها بارقة أمل[3].

وعلى أية حال فإن أحمد محرم بالصحافة لم تنفع ، فأنه ظل يوالي الصحف ببعض إنتاجه ، وهو يقيم في دمنهور، ولم يكن يسع هذه الصحف إلا أن تحترم ما يصدر عن الشاعر الكبير ، فتبادر إلى نشره.

---

[1] بدوي طبانة ، خمسة من شعراء الوطنية ، ص ٢٢.

[2] المرجع السابق ص ٢٢.

[3] خمسة من شعراء الوطنية ، ص ٢٢.

وقد شارك أحمد محرم مشاركة فعلية في تحرير مجلة أبولو، فنشر في أول عدد منها قصيدة من شعر الحب عنوانها "من همومي" كما نشر في العدد الثاني منها قصيدة عاطفية بعنوان "قوة وضعف" ونشر في العدد السابع من المجلد الأول قصيدة وطنية حيّا فيها ذكرى الزعيم مصطفى كامل ، وفي العدد الحادي عشر نشر دراسة نقدية موضوعها "حافظ إبراهيم في الميزان": أما المجلد الثاني فقد نشر فيه من شعره قصيدتين : (تحية أبولو في سنتها الثانية) و(ليتني) وهي قصيدة تفيض بمعاني الفخر والشكوى ، وفي المجلد الثالث نشر بحثا كتبه عن الشاعر "إسماعيل صبري" وقصيدته في رثاء شيخ العروبة أحمد زكي باشا ، كما ألقى محاضرة عن محرر أبولو وسكرتير جمعيتها المرحوم أحمد زكي أبو شادي وشعره في ديوان "الشعلة" في نادي الادب الجديد في القاهرة وكان ذلك سنة ١٩٣٣[١].

وكان لمحرم الباع الطويلة في خوض معارك أدبية وسياسية واجتماعية مختلفة مبدياً رأيه بكل وضوح وصراحة في كل مشكلة تعرض أو رأي يدرو حوله ، وعرفت الصحف ألواناً من الكتابات النثرية لمحرم في هذه الميادين على اختلافها.

ففي الميدان الاجتماعي ما إن أخذت الصحف تشيد بدور المرأة وتعليمها وتربيتها التربية الصالحة ، لأنها المدرسة الأولى بالنسبة لأبنائها حتى سارع محرم فأدلى بدلوه في هذا المجال وعبر بصراحة عن رأيه ، وهو يرأى أن العلم للمرأة خير سلاح تتسلح به ، وهو ضرورة ملحة في الحياة ، غير أنها في حاجة إلى علم يناسب طبيعتها ، ويعدها للقيام بوظيفتها في المجتمع لتكون ربة أسرة وقائمة على شؤون اولادها وزوجها وبيتها[٢].

---

[١] محمد إبراهيم الجيوشي ، شاعر العروبة والإسلام ، ص ٣٢.

[٢] المرجع السابق ، ص ٢٤.

أما في النقد الأدبي فقد اتخذ محرم من الصحف والمجلات ميدانا لهذا الموضوع يعرض فيه آراءه ونظراته في النقد والأدب ، ولم يدخر وسعاً في إبراز القيم الأدبية التي يؤمن بها . واول ما عرف له في هذا المجال مقالاته المتتابعة في مجلة أنيس الجليس ، فقد كتب في أربعة عشر عدداً من هذه المجلة يضرب فيها محرم في آفاق الشعر العربي من أقدم عصوره ، ويمضي في تسلسل عميق يتابع أطوار الشعر العربي ويسجل اتجاهاته على مر العصور[1].

كان محرم في نقده ينتهج نهج النقاد العرب من أمثال عبد القاهر الجرجاني والقاضي عبد العزيز الجرجاني ، وقد أشار إلى حركة النقد في أول حياته الأدبية ، وأبدى إعجابه بأحكام الشيخ إبراهيم اليازجي في مقدمة الجزء الأول من ديوانه ،ولم يكن من اؤلئك الذين يندفعون وراء آراء النقاد الغربيين ، ومحاولة تقليد المذاهب الحديثة ، وإن كان لا يرى ضرراً من الأخذ منها بما يوافق طبيعة لغة العرب وأدبهم ، وكثيراً ما أخذ على أبي شادي إيغاله في الرمزية وتماديه في الخيال حتى ليأتي بالصورة قد انطمست معالمها من كثرة ما عداها من تراكيب ، يقول محرم : "إنه كان أولى بأبي شادي أن يجري على المألوف في الشعر فلا يغرب نفسه لا يظلم الفن ويعذب الناس معه"[2].

وإذا اطلعت على نقده للبكري وحافظ وصبري ، فلا تستطيع أن تمسك نفسك من الاعجاب والدهشة ، فقد تجد أنك أمام نبع متدفق ،وذهن وقاد حساس يقف بك مع المعنى ، تظن صاحبه قد أبدع وأتى بالمعجز من البيان والعبقري في التصوير؛ لتكون قادراً على معرفة صاحب الفضل والإبداع ، فيزداد عجبك ودهشتك ، ولا أعتقد أن أحداً من معاصري محرم أو المتأخرين

---

[1] شاعر العروبة والإسلام ، ص ٣٥.

[2] الجيوشي شاعر العروبة والإسلام ، ص ٣٦.

عنه قد كان له نصيب من الاطلاع على الثقافة العربية والشعر خاصة كما كان لمحرم ،وإنه ليذكرنا بالفحول من شعراء العصر العباسي ، وما كان يروي من محفوظاتهم ومروياتهم ، ومما يذكر هنا ، أن محرماً لم يجعل العلاقات الشخصية يوماً دخلاً في الأحكام الأدبية أو أثراً من قريب أو بعيد على قوانين النقد وموازينه أخذ نفسه بها ، وخير دليل على ذلك ، خلاصة قوله في إسماعيل صبري : "ينزع صبري في شعره إلى طريقة الكتّاب وهم على تصرفهم في مذاهب القول وفنونه ، وتأنقهم في أحكام الصناعة ، قلما تسمو بهم منازلهم إلى من فوقهم من الشعراء المبرزين ، وهو يسير على قدمهم في تناول الصورة والمعاني ، وتلوينها بعد ان يجاد سبكها ، وتحكم صياغتها ، وإن منها لما يكون لغيرهم ، وإنك لتجد في جديدهم من حلاوة ولذة ما يكون كالرشوة لك على ما تناولوه من ذلك القديم[1].

محرم وعاطفة الحب

لعل للهوى البكر أثراً في إمتاع القارئ بهذه القصائد الرائعة التي أطرها شاعرنا أجواء شعره الذي يغلب عليه الطابع السياسي والديني ، وما أجمل أن يتفيأ الإنسان بعاطفة الهوى والحب ، فهو منبع الصفاء والنقاء والود الخالص ، ومن هنا ، فإن ما يلفت نظر الباحث في حياة محرم الحافلة هي نقطة تحول في حياة الشاعر العاطفية لا يستطيع أن يمر بها مروراً عابراً ، بل لا بد من الوقوف عندها ، لأنها ذات أثر في حياة الرجل وفنه من ناحية ، ولأنها ظاهرة غير مألوفة في حياة الناس وهو في المرحلة من العمل (مرحلة الشيخوخة) من ناحية أخرى، ذلك أن محرما الذي وهب حياته وفنه للوطن والعروبة والإسلام ووقف شعره على هذه الأهداف ، وقع في حب فتاة مسيحية كانت تشتغل بالتدريس في

---

[1] أبولو، عدد أكتوبر سنة ١٩٣٤، ص ٢٠٥-٢٠٦.

إحدى مدارس دمنهور ، وهو يومئذ في الستين فملكت عليه لبه، واستأثرت بحواسه وقلبه ، وأصبحت شغله الشاغل في ليله ونهاره حتى انصرف إليها ، وغدا حديث من يعرفه من الناس ، فكيف يقع هذا ؟ وكيف يرضى لنفسه هذا الوضع بعد أن تخطى الستين ، وله مكانته الأدبية وسابقته في الفضل بين الشعراء؟ لقد أطلق محرم الألسنة تنهشه ، وتتخذ من قصته سمر المجالس دون ان يلقي بالا لأفكارهم ، أو يأبه بما تعرض له من نظرات السخرية ، وغمزات الأصدقاء . إنه الحب الذي فجر في نفسه هذا البركان الجارف من العاطفة التي لم تعد لهبا وجدانيا وحسب ، بل أصبحت رابطة تحد ونضال ، وكيف يكون لهذه العاطفة وجه تناقض بين مبادئه التي حملها في شعره وناضل من أجلها وبين هذا الحب الذي هلّ عليه فجأة وهو الشاعر الذي يحسّ الجمال ويصلي في محرابه وماذا يضيره إن كان غيره لا يحس بما حس به ، ولا يرى ما يرى هو من الفتنة والجمال اللذين أسرا فؤاده ، إن الحب لا يعرف فوارق السن إذا ما زال القلب شابا فتيا يهتف للجمال ، ويحتفل به وفي هذا المعنى يقول محرم في حكاية حبه مع فاتنة قلبه (رفقه) وهي الفتاة التي أحبها:

ما ضرَّ من أعطى الصبابة حقّها ... لو كان كلُّ الناسِ من عزَّالِهِ

هي فتنتي في صورة مجلوّة ... تعطيك معنى الحب قبل سؤالِهِ[1]

من وجهة نظري ، فإن هذه الصلة العاطفية قد أطلقت لسان محرم فأسمعنا من شعر الوجدان ما تتوهج به عاطفته ، فينعكس على وجدان القارئ متعة تأخذ عليه أقطار نفسه.

---

[1] محمد الجيوشي ، شاعر العروبة والإسلام ، أحمد محرم ، ص ٤٣.

يقول برجسون وهو فيلسوف وأديب فرنسي : "إن جوهر الإبداع هو الانفعال ، ويعرّف الانفعال بأنه هزة عاطفية في النفس[1] ، والانفعال ينشأ نتيجة لاتحاد مباشر بين العبقري وبين الموضوع الذي يشغله ، فإذا وقع هذا الاتحاد فانه يتبلور في حدس . وهو هنا أشبه بوحدة الوجود الروحية عند الفلاسفة، وبفضل الحدس يستطيع الشارع أو يزيل الحاجز الذي يضعه المكان بينه وبين هذا الشيء وأن بزوغ الحدس يكون مصاحباً لوقوع انفعال عميق[2].

من هنا نجد أن شعر الوجدان لدى محرم يستولي على منافذ الإحساس من المتلقي ، كما استولى على منافذ الإبداع لدى الشاعر فحدث التفاعل بين النص والقارئ وليس عجباً أن تكون العاطفة مصدر إبداع الشاعر ، أو أن تكون بين الفن والحياة صلة ، ما دام الحي هو مصدر الفن ، بل العجب أن يقال إن هذه الصلة لا وجود لها.

وقد صار محرم بعد هذا الحب يرى السعادة في قرب من يحب ، والحياة مجتمعة فيها ، فإن سلمت هي سلمت في نظره الحياة ، وإن أصيبت فقد ذهبت الحياة ومن فيها ، ومن قبل كان محرم ينظر إلى الإنسانية وآلامها ، ويعتصر الأسى فؤاده إن حل بإنسان ما ضر أو ناله مكروه ، ونستطيع أن نلمس الفرق بين النظرتين عند محرم وأنت تقرأ له قصيدتين في الحرب ، الأولى قالها في الحرب الأولى والأخرى قالها في الحرب الثانية ، فتراه في الأولى تفرعه رؤية الدماء المراقة في الصباح والمساء ، ويصف ما تجره على الناس من بلاء ، وما تصاب به الأرض من جزع وهلع لما يقع فوق ظهرها من مجازر تشكك في إنسانية الإنسان.

---

[1] د. مصطفى سويف ، الأسس النفسية للإبداع الفني ، دار المعارف ، القاهرة ، ١٩٥٩، ص ٢٠٤.

[2] المرجع السابق ، ص ٢٠٥

صبوح يساجله غبوقٌ ... وليل ردئ يواصله شروقُ

لقد طالت معاقرة المنايا ... فما تصحو السيوفُ وما تضيقُ[1]

لكنه في الحرب العالمية الثانية لا يهمه مصاب الإنسانية ولا يعنيه أمرها ، وكل همه أن يدعو ربه ليرحم نفوس العاشقين وينجيهم ، فحسبهم حرب لها مأتم دائم في كل قلب.

يا رب إن قدرتها وحشية ... وبعثتها مشبوبة تتضرم

فارحم نفوس العاشقين ونجهم ... منها ، فانت بهم أبر وارحم[2]

وقد جرّت هذه الصلة على محرم عداوة الأدباء ، وعرضته لجو مرير من أديب شاب في دمنهور ، وقصة تلك الخصومة أن " رفقة " هذه كانت لها أخت تدعى " ماري" وكانت تتعاطى الزجل والشعر فتعرفت بأديب شعبي شاب اسمه " حمدي النعناعي" وعرضت عليه أزجالها وأشعارها ليقوم اعوجاجها ، ويثبت قدمها على الطريق ، فقال لها : أما الزجل فأنا به زعيم ، وأما الشعر فهذا أستاذنا محرم عليك به.

وأحبت الفتاة أن تستغل معرفة محرم ليقدمها لبعض المجلات الأدبية ، فعرضت له بأن زميله الزجال قدمها للمجلات الشعبية ، وهو لم يقدم لها شيئاً ،وأرادت من وراء ذلك أن تبعث الغيرة في نفسه ، فأحس فيه محرم منافساً خطيراً يتهدد ويزعزع مكانه ، وربما زحف إلى قلب " رفقة" وبدأ ينشر سلسلة من المقالات في مجلة " الصدق" التي أشرنا إليها أنفاً وسمى المقالات " الأدب الساقط" وهاجم فيها الأدب الشعبي وعاب على صبري وشوقي تناولهما للزجل ، وأدرك

---

[1] ديوان أحمد محرم ، ج٢، ص١٣٤.

[2] الجيوشي ، شاعر العروبة والإسلام، أحمد محرم ، ص٤٤.

صاحبه أنه الهدف المقصود من هذه الحملة ، وأنه لا بد أن يتناوله فقال (امسّيه قبل أن يصبحني)وهاجمه بقصيدة شعبية عنوانها (شاعر في الميزان)، ومما جاء فيها:

الشـــــــعر روح الآداب وترجمـــــان النفـــــوسْ

ولـــــه ملافـــظ عـــذاب في نظـــم زي العـــــروسْ

***

فيـــه شـــعر تقـــرأه تلاقـــي روحـــك ترفـــرف عليـــهِ

يشـــبه بكـــأس التلاقـــي يســـحر بنظـــره إليـــهِ

***

وشـــعر تلقـــاه نفـــاقْ كلـــه معقـــد مظلـــمْ

دا شـــعر صـــاحبه ، الوفـــاق عليـــه – عـــدوك – محـــرمْ

***

عامـــل إمـــام في الغـــرام وهـــو شـــيخ في الغبـــاوه

بلـــغ مـــن العمـــر كـــام مـــا شـــفنا منـــه حـــلاوه[1]

واحتدمت المعركة وتعرض محرم لكثير من أمثال هذه الحملة ، وزاد في عنفها أن تزعمها جماعة من الحاقدين عليه كانوا يعانون الشعر وكان محرم يزري بهم ، ويسميهم دعاة الأدب ، فوجدوها فرصة للنيل منه.

وقد يتساءل القارئ لحياة محرم ، هل بقي في حياته كلها عاطلاً عن العمل، والواقع أن محرماً قد عمل في مقتبل عمره في الزراعة مع والده ، وكانت هذه الفترة فرصة ثمينة له للوقوف على أسرار العمل في الطبيعة والتأمل فيها ، والوقوف بنفسه على مقدار الجهد المضني الذي يبذله الفلاح في سبيل رزقه وأرضه.

---

[1] أحمد محرم ، الجيوشي ، ص ٤٦.

ولعل ذلك سبب نظمه بعض القصائد والمقطوعات على لسان الفلاحين يتغنون فيها بالمجد والسعي والسهر على مصلحة الأرض والوطن.

وأثناء إقامته في دمنهور أسند إليه الشاذلي باشا عملاً اسمياً في بلدية دمنهور فترة من الزمن ولكنه لم يستمر طويلا فيها.

ولما عين عزيز أباظة مديراً لإقليم البحيرة ، بحث عن محرم ووصل إليه ، وأراد أن يقدم له صنيعاً اعترافاً بأدبه ، وتقديراً لشاعريته فأسند إليه الإشراف على مكتبة دمنهور إشرافا اسمياً أيضاً ، بغية معاونته على صعوبات الحياة ، ولما نقل إلى أسيوط أراد أن يجد له مجالاً هناك ، فعرض عليه اللحاق به لتنظيم مكتبة البلدية ولكن الموت كان أسرع فعاجله الأجل المحتوم قبل الرحيل[1]

وفاته

توفي محرم في يوم الأربعاء بتاريخ ١٣ يونيو سنة ١٩٤٥، مات محرم على فراش الفقر والشقاء وفي قلبه حسرات على جهده الأدبي الذي أراق في سبيله ماء الحياة وأذبل نضارة الشباب بعدما ظل نصف قرن يحمل القلم وينهج للناس سبيل المجد وهكذا ظل محرم وفياً لفنه حتى ودع الحياة[2].

---

[1] محمد إبراهيم الجيوشي ، شاعر العروبة والإسلام، احمد محرم ، ص ٤٨.

[2] المرجع السابق ، ص ٤٩ وبدوي طبانة ، خمسة من شعراء الوطنية ص ٢٣.

رفع
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس
www.moswarat.com

رفع
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس
www.moswarat.com

الفصل الثالث

آثار محرم الأدبية

ومصادر شعره

رفع
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس
www.moswarat.com

رفع
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس
www.moswarat.com

الشعر المصري في عهد البارودي

كان الشعر قبل الباردوي يتعثر في سراديب مظلمة ، ويدور في حلقة مفرغة لا تنتهي به إلى غاية ؛ ذلك أنه قد أثقلت كاهله هذه القيود اللفظية التي أحكمت وثاقه ، فعاقته عن التطور ، إذ تحكمت في الشعر الصناعة اللفظية ، فأفسدت معانيه ، وحالت بينه وبين النمو والازدهار.

وجاء الباردوي فنفخ فيه من شاعريته روحاً ، وأعاد إليه قوته وإشراقه ، وأطلقه من وثاقه ، يحلق في أجوائه الفسيحة ، ويطوف في وديانه الخصبة[1].

وللوقوف على مدى التفوق البارز في شعر البارودي لا بد من الاطلاع على تعريفه للشعر في مقدمة ديوانه التي يقول فيها : "إن الشعر لمعة خيالية يتألق وميضها في سماوية الفكر فتنبعث أشعتها إلى صحيفة القلب فيفيض بلألائها نوراً يتصل خيطه بأسلة اللسان ، فينفث بألوان من الحكمة ، يتبلج بها الحالك ، ويهتدي بدليلها السالك ، وخير الكلام ما انتلفت ألفاظه ومعانيه، وكان قريب المأخذ، بعيد المرمى سليماً من وصمة التكلف ، بريئاً من عثرة التعسف ، غنياً عن مراجعة الفكرة ، فهذه صفة الشعر الجيد ، فمن أتاه الله منه حظا وكان كريم الشمائل ، طاهر النفس ، فقد ملك أعنة القلوب ، ونال مودة النفوس ، وصار بين قومه كالغرة في الجواد الأدهم ، والبدر في الظلام الأبهم ، ولولم يكن من حسنات الشعر الحكيم إلا تهذيب النفوس ، وتدريب الأفهام ، وتنبيه الخواطر إلى مكارم الأخلاق ، لكان قد بلغ الغاية التي ليس وراءها لذي رغبة مسرح ، وارتبأ الصهوة التي ليس دونها لذي همة مطمح"[2].

---

[1] محمد إبراهيم –الجيوشي ، شاعر العروبة والإسلام ، أحمد محرم ، ص ٥١.

[2] مقدمة ديوان البارودي ، ص ٧ وما بعدها .

وفي هذا التعريف نرى أن البارودي قد فهم الشعر فهماً جديداً بالنسبة لمن سبقه من الشعراء في القرن التاسع عشر ، فالشعر عند البارودي عبارة عن خطوة ذهبية ينفعل لها القلب فيفيض بها اللسان معبراً عن خلجاته وهجساته ؛ ومعنى هذا أن البارودي قد أدخل في تعريفه أثر الفكر في العملية الشعرية ، ولهذا ولا شك خطوة طيبة في فهم الشعر ، غير أن تعريف البارودي للشعر يتبع فيه النقاد العرب القدامى ، حينما يرى أن رسالة الشعر هي الحث على مكارم الأخلاق ، وأداة القوة والغلبة القاتلة ، وخلود الذكر بعد موته ؛ وذلك لأن الشعر قد يخلد ، وقد يوحى بالمكارم وقد يوحى بغيرها .

ولا يسعنا إزاء فهم البارودي لرسالة الشعر إلا أن نوافق العقاد على ماذهب إليه في تسويغه لفهم البارودي ، إذ يرى أنه جرى في هذا الفهم على قول أبي تمام:

ولم أر كالمعروف تدعى حقوقه ... مغارم في الأقوام وهي مغانم

ولا كالعلا ما لم يسر الشعر بينها ... فكالأرض غفلاً ليس فيها معالمُ

ولولا خلال سنها الشعر مادرى ... بغاة الندى من أين تؤتى المكارم[1]

ويرى العقاد أن تلك نظرية القدماء عامة في تعظيم قدر الشعر، والإشادة بفضله على قائله والمقول فيه[2] ويرى أيضاً أن البارودي يؤمن أن الشعر هبة من الله في تعريفه السابق، إلا أنه كان يؤمن بصعوبته ، كما أنه أول من أدرك من المتاخرين في الأدب المصري الحديث أن للعصر حقا على الشاعر ، وأن الاعتراف بفضل الأقدمين في اللغة لا يلزم الشاعر أن يتقيد بهم في المعاني والتشبيهات ، وهذا لا ريب سبب إشاراته الكثيرة إلى الكهرباء في نظمه ونثره.[3]

---

[1] ديوان ابي تمام ، شرح وتعليق شاهين عطية ، مكتبة الطلاب ، بيروت ، ١٩٦٨، ص ٢٥٣.

[2] عباس محمود العقاد ، شعراء مصر وبيئاتهم ، كتاب الهلال، العدد٢٥٢، يناير ١٩٧٢، ص١١٠.

[3] المرجع السابق ، ص١١١.

ونرى أن البارودي كان بالفعل فاتحة عصر جديد للشعر العربي تخلص فيه من قيوده التي أذوت عودة وأنضبت معينه.

الشعراء المصريون الذين نهضوا بالشعر بعد البارودي

كان أحمد محرم أحد الشعراء الذين نهضوا برسالة الشعر بعد البارودي إلى جانب شوقي وحافظ إبراهيم وخليل مطران وأحمد الكاشف ، فضربوا به في كل فن وخاضوا في كل ميدان ، واندفعوا بالشعر في غمار الحياة ، فتغنى بآمال البلاد، وبكى آلامها وأخذ بيدها لينفض عنها الخمول ، ويبعث فيها الثقة والعزيمة [1] وكانت النهضة الفكرية والأدبية التي عمرت الشرق في القرن التاسع عشر قد آتت أكلها ، وأينعت ثمارها ، ففتحت أمام الشعراء والمفكرين أفاقا جديدة من المعرفة وقدمت بين أيديهم كثيراً من كنوز الغرب الثمينة، ووقفتهم على فنون شتى من ذخائر[2].

وإلى جانب هذا التيار المتدفق بمعارف الغرب وفنونه كانت المطابع قد فاضت بسيل ذاخر من التراث العربي في أزهى صور العربية وأخلد أيامها ، وأقبل الشعراء على هذه الأزهار العربية اليانعة يمتصون من رحيقها العذب، ويرشفون من سلافها الساحر، فانطلقوا يشدون بأمجاد بلادهم ، ويمدون إليها أيديهم حتى تأخذ مكانها وتستعيد مجدها ، فتنهض برسالتها القديمة التي قامت بها يوم كانت الإنسانية كلها ما تزال تحبو[3].

---

[1] محمد إبراهيم الجيوشي ، شاعر العروبة والإسلام ، أحمد محرم ، ص ٥٢.

[2] المرجع السابق ، ص ٥٣.

[3] محمد إبراهيم الجيوشي ، شاعر العروبة والإسلام ، أحمد محرم ، ص ٥٣.

مفهوم الشعر وأدواته عند محرم

وللشعر عند محرم مفهوم استوحاه من دراسته ، ولأدواته منزلة لا يعرف قيمتها إلا شاعر موهوب كمحرم، ولندع له المجال ليحدثنا عن الشعر كما يراه: " الشعر شعاع الخاطر وعصارة الذهن ، أو هو خيال النفس ، وصورة الطبع ، فمتى صفت منابعه ، وكرمت منابته ، كان من شرف الرتبة ، وخطر الشأن، بحيث تستأثر له النفوس والعقول ، وهو إذا انبعث عن خاطر صداء ، وذهن كدر ، وأتى من نفس شوهاء ، وطبع غير مهذب سدت عليه منافذ القلوب والأسماع ، ومسالك الخواطر والطباع ، فظل مهملاً في مطارحه ، مطوياً في صحنه ، وكان من الآثار التي لا تقوى على البقاء طويلاً ، ولا تملك إلى الخلود سبيلاً "[1].

والشعر نوعان ، نوع تستثار به أهواء النفوس ، وآخر تستطلع به دفائن العقول وهو أشرف النوعين ، وأبقاهما على العصرين ، وما ملك عناني مصبيه سوى شاعر رقيق حاشية النفس ، بعيد مستوى العقل ، إلا أن الجمع بين الآلتين ربما كان فوق موهوبات الطبيعة ومولوداتها ، فإن النفس والعقل يفيئان في تصرفهما إلى سنة واحدة ، ويستفيضان قوتهما من ينبوع واحد ، اوهما جاران لا يفترقان منازع وأخلاقاً ، ولا يختلفان مطالب واوطارا ، فحيث يكون الفعل الكامل تكون النفس الكبيرة ، وهما آفة الرقة التي تكسو الشعر رونقاً ، وتجلوه مونقاً ،وهذا أبو العلاء المعري على علو كعبه في صناعة الشعر وتمكنه من آدابه إذا قرأت شعره بقيت وقلبك في نياطه ، ونفسك في مكانها ؛ لأنك لا تمر إلا على حقائق جافة ، وحكم مجردة ، ولكنك مهما كنت شغوفاً بالحقيقة ، وحريصاً على الحكمة ، إذا قرأت شعر أبي نواس على خلاعته ، سمعت وقعه في نفسك

---

[1] مقدمة الجزء الأول عن ديوان محرم ، مكتبة الفلاح ، الكويت .

ورأيت دبيبه في سواد قلبك ، وكذلك أنت إذا قرأت شعر ابن أبي ربيعة ، أخذتك هزة وأريحية ، ذلك أثر هزة النفس وكهربائها، وإنما تكون هذه الكهرباء في النفوس اللطيفة المطبوعة على الصفاء والرونق ، أو المولعة بالزخرف والزينة والطبع أغلب ، وذلك سر يضعه الله حيث يشاء ويخص به من أراد.

إذا كانت الآلتان ، رقة النفس ورسوخ العقل لم يجتمعا، ولا يرجى اجتماعهما لشاعر ، فخير ما يجود به الشعر بعد التمكن من أساليبه وأحكامه ، والوقوف على دقائقه وأسراره أن تستقيم هاتان الصفتان في النفس والعقل على مستوى القصد ، وقاعدة الأعتدال ، لأنه كما يثقل الشعر جداً صرفاً ، كذلك هو يستكره فكاهة خالصة.

على أن ذلك أيضاً راجع إلى جوهر النفس وصورتها، فإن من الفكاهة ما تسمعه فلا تنشط له نفسك ، ولا يخف على سمعك ، ورب جليس لو قص عليك أغرب القصص، ونافثك بأجمل الطرف لما زادك حديثه إلا انصرافاً عنه ونفوراً منه.

وإن من الناس من يعجبك ظاهر خفته فإذا شارفت روحه من خلال وجهه الحسن رأيت ما يثقل على طبعك ، ويسوء في نظرك ، فهزئت بذلك الحسن ولويت وجهك عنه.

وهذا من حيث علاقة الشعر بالنفس والعقل، فأما سننه وأحكامه: فحسن الأسلوب ، والصياغة ، وجودة النظم ، وجمال التركيب ، إلى تخير الكلم الرشيقة ، وتخيل المعاني الأنيقة فمن أخل بواحدة من هذه الشرائط ،أو زاغ عن سنة من هذه السنن فقد انحط شعره عن مراتب الشرف والكمال، واتسعت فيه وجوه النقد والتزييف لصيارفة الكلام.

وسيان في عيوب الشعر خلو اللفظ الجزل عن المعنى الحسن ، والإتيان بهذا في اللفظ المستكره حتى لقد أجازوا للشاعر أخذ المعنى من قول سواه على أن يفرغه في قالب أجمل، ويأتي به على وجه أمثل ، ورب شعر بهرك في ديباجته واستفزك في حسن تركيبه ورونق لفظه ، ولكن إذا عصرته لم تظفر منه بمعنى ولا رجعت عنه بطائل ، وآخر ترى من خشونة لفظه ، وفساد تركيبه ما تكاد تصعق له ، ولكنك تلمح تحت كلماته تياراً كهربائياً من الخيالات والمعاني فتجد في نفسك من الغيظ والتحرق ما تجده إذا رأيت الحسناء تخطر في ثوب خلق [1].

هذا المفهوم للشعر وأدواته هو الذي اتخذه محرم سبيلاً له في قرض الشعر وصدر عنه في كل ما كتب وسطر ، فهو يرى أن الشعر الجيد هو الشعر الذي يكون مناسباً لموضوعه ، فيه عذوبة وفخامة ، وينبغي أن تكون المعاني صادقة تتسم بالأصالة ، وأن تكون التراكيب متينة السياق ، تسابق معانيها ألفاظها ، وألا تكون كثيرة اللفظ قليلة المعنى.

وتناول محرم جوانب أخرى للشعر في مقدمته هذه فتحدث عن رسالة الشعر التي يرى فيها صورة مصغرة من رسالات أنبياء الله تنبعث منها التيارات الفكرية الزاخرة بقوتها العظيمة ، وجلالها الرائع في محيطنا الإنساني الذي هو مجموعة مذاهب وآداب ، وموسوعة آراء وأفكار ، تتألف جملتها من رسالة عامة مشتركة ، لكل عظيم من البشر يد فيها ، ولكل ذي مذهب ورأي من أعلامهم وقادة الفكر بارز في تكوينها ، وعمل غير يسير في نشرها وتقريرها ، إنها رسالة التهذيب والإصلاح لقومه أولاً ، ولغيرهم من شعوب الأرض ثانياً، فهي على هذا الوصف رسالة الإنسانية العامة على اختلاف أجناسها وأوطانها ، تتلقى فيها من التعاليم الفاضلة ، والمبادئ الحكيمة ، ما يرقى بها إلى مستوى الفضيلة

---

[1] مقدمة الجزء الأول من ديوان محرم.

يكون لها عرشاً مكيناً من الحكمة ، وتاجاً غالباً من الشرف والجلال ، ذلك هو أثر الشاعر الصالح في حياة الأمم والممالك .وهو يستمد قوة التأثير وأسباب النجاح في نشر رسالته ، وحمل الناس على قبولها والإيمان بها من مقدرته الفنية ، ومن صدقه وإيمانه هو نفسه بما في هذه الرسالة من حق وبما لها من جمال : المقدرة الفنية لما تحمل في أطوائها من نفوذ وسلطان في مملكة النفوس والعقول، ودينا الآراء والأفكار ، وصدق الشاعر وإيمانه لما يكون من قوة أثرهما في صورة الرسالة ذاتها ولتلك الصلة الوثيقة منها ويطالع الجماهير من خلالها "[1].

لقد كفانا محرم عناء البحث عن مذهبه في الحياة في هذا التوضيح لرسالة الشعر التي يؤمن بها ويرى فيها صورة مصغرة من رسالات النبوة ، ورسالة الشعر طابعها الدعوة إلى التهذيب والإصلاح لقومه أولاً، ثم لغيرهم من شعوب الأرض ثانياً ، والشعر خاطر لا يزال يجيش بالصدر حتى يجد مخرجاً ويصيب متنفساً . وعلى هذا الوجه تبدو القصيدة لديه تصوراً ذاتياً لما يحدث فهي حلم أو نبوءة تصور مد العواطف الإنسانية.

سنحاول في الفصول المقبلة أن نرى مقدار التزامه في شعره لهذا المفهوم الذي افتتح به الجزء الأول من ديوانه وهو لما يزل في رونق العمر ، وميعة الشباب.

مصادر شعره:

على ضوء هذه الخطوط التي رسمها أحمد محرم اخرج للناس دواوينه الشعرية التالية:[2]

الجزء الأول: المجلد الأول : السياسيات (من عام ١٨٩٢ حتى عام ١٩٢١).

---

[1] مقدمة الجزء الأول لديوان محرم.

[2] ديوان أحمد محرم ج١، مكتبة الفلاح ، الكويت ، ص ٧.

الجزء الأول : المجلد الثاني: السياسيات (من عام ١٩٢٢حتى عام١٩٤٥).

الجزء الثاني: الاجتماعيات والمراثي.

الجزء الثالث: الخواطر والتأملات والمساجلات.

الجزء الرابع: الإخوانيات والتحايا والتهاني.

الجزء الخامس: الطبيعة والوصف والغزل.

وهذه الدواوين الخمسة صدرت عن مكتبة الفلاح بالكويت عام ١٩٨٨ وقد جمعها وشرحها وعمل على تبويبها وتأريخها ولده محمود أحمد محرم ، أما ديوان مجد الاسلام فكان قد صدر عن مكتبة الفلاح بالكويت عام ١٩٨٢ وقام ولده محمود بالتعريف بالشاعر وظهر في هذه الطبعة ما كان قد نشر من مقدمة الطبعة الأولى بقلم محمد إبراهيم الجيوشي.

أما ديوانه الأول فكان الشاعر قد أخرجه سنة ١٩٠٨وقسمه حينها إلى تسعة أبواب:

١.الباب الأول: المديح.

٢. الباب الثاني : الوطنيات.

٣. الباب الثالث : الدين والفضيلة.

٤.الباب الرابع: الأخلاق والآداب.

٥. الباب الخامس:الحكم والحقائق.

٦.الباب السادس:الحكم والحقائق.

٧.الباب السابع: التشبيب والغزل.

٨.الباب الثامن: الرثاء.

٩.الباب التاسع: الخواطر والمساجلات.

شعر المديح:

جمع ما قاله في الخليفة والخديوي وكبار رجال الشرق والإسلام وهو في أغلبه شعر الصبا.

الوطنيات:

وتشمل الشعر الوطني والإسلامي ، إذ كان يرى الشرق كله وطناً واحداً وفيه يستنهض الهمم لاسترداد المجد المسلوب وإعادة الحق الضائع.

وتناولت الوطنيات أيضاً الشعر الاجتماعي ، وقد عالج فيه كثيراً من الظواهر الاجتماعية والأحداث ذات البال في أيامه ، وعرض رأيه في هذه الأحداث والظواهر عرضاً فيه وضوحه وصراحته المعهودة في كل ما أنتج من أدب وفن.

وأما الأبواب الثلاثة التالية : الدين والفضيلة ، والأخلاق فثلاثتها تنبع من معين واحد ،وترمى إلى غاية واحدة ، وتبعثها عاطفة واحدة هي العاطفة الدينية المشبوبة التي زودت محرماً بقيم خاصة انفرد بها عن غيره من الشعراء في هذا الميدان.

ويغلب عليه في باب الأخلاق والآداب الاتجاه الاجتماعي ، وكان الأجدر به أن يضمه في باب الاجتماع.

ومما تجد الإشارة إليه هنا أن نذكر أن محرماً قد تناول بعض الأوضاع الاجتماعية تناولاً قصصياً وسنشير إلى ذلك عند حديثنا عن الشعر القصصي[1].

وأفرد الباب السابع للحكم والحقائق ، ولم يبعد فيه عن الأبواب الثلاثة السابقة ولو جمعها كلها تحت باب واحد بعنوان (الدين والأخلاق) لكان ذلك قيما أعتقد أوقع وأحسن.

---

[1] محمد إبراهيم الجيوشي ، شاعر العروبة والإسلام ، أحمد محرم ، ص ٥٧.

جمع تحت الباب الثامن ما قاله من قصائد في الرثاء ، وأما التاسع فاورد فيه ما دار بينه وبين الشعراء من مساجلات ، وما فاضت به خواطره ، وهو أوسع الأبواب التسعة في الديوان.

أما ديوانه الثاني فأخرجه سنة ١٩٢٠ وهو يحتوي على تسع ومائة قصيدة بين طويلة وقصيرة ، وكلها في الوطنية والاجتماع ، الا بضع قصائد لا تبلغ أصباع اليدين، رثى في اثنتين منها أباه وأخاه ، ومدح الخديوي عباساً في إحداها، وأنشد أخرى بين يدي الأمير عمر طوسون أثناء مروره بدمنهور تقديراً للنزعة الوطنية ، ورثى صديقه عمر عارف في قصيدة منها ، على أن أغلب هذه القصائد لم تخل من إشارات وطنية واجتماعية .والديوان يعد سجلاً صادقاً للكفاح والأحداث السياسية في الشرق العربي والإسلامي خلال هذا الأعوام الإثني عشر.

ويخال الواحد أنه وهو يقرأ المقدمة التي افتتح بها محرم ديوانه الثاني قد ضمنه كل ما أنشد من شعر خلال هذه الفترة ، ولولا أننا عثرنا على قصائد نشرها في بعض المجلات[١].ولم يثبتها في الديوان.

وعلى سبيل المثال نشير إلى أنه نشر في مجلة (الزهور) التي كان يصدرها (أنطون الجميل) قصيدتين إحداهما على أبي العلاء ، وطبعت الزهور مختاراتها سنة ١٩١٤ وأثبتت القصيدتين بها ، ولم يثبتها الديوان ، وكذلك الحال بالنسبة لديوانه الأول[٢].

---

[١] مجلة الزهور لأنطون الجميل.

[٢] محمد إبراهيم الجيوشي ، شاعر العروبة والإسلام ، أحمد محرم، ص ٥٧.

الصحف والمجلات:

وثاني هذه المصادر : الصحف و المجلات التي لا حصر لها والتي ظهرت واختفت طيلة عمر محرم . ومنها ما كان يصدر أواخر القرن الماضي ، وامتد حتى أوائل هذه القرن من أمثال: (أنيس الجليس) (الثريا) و(المفتاح)، و(الاستقلال) وسواها من المجلات التي شهدت نهاية القرن الماضي . ومولد هذا القرن.

وهناك مجلات أخرى امتد بها الزمن بعد ذلك مثل: (المقتطف) و(الهلال) . أو التي أنشئت حديثاً مثل: (الزهور) و(الفتح) و(الشبان المسلمين) و(أبولو) و(الرسالة) و(الثقافة) و(الصدق) ومن الصحف : (المؤيد) و(اللواء)و(الأهرام) و(المقطم)و(الدفاع) و(البلاغ الاسبوعي) و(الاخبار) و(العلم)و(الافكار)و(السياسة)وسواها.

المخطوطات:

وثالث هذه المصادر: المخطوطات الكثيرة الموجودة عند أبناء الشاعر وأصدقائه والتي أشار إليها محمد إبراهيم الجيوشي، والدكتور محمد محمد حسين وولد الشاعر محمود أحمد محرم. ومن خلال الاطلاع على ما ورد في هذه المخطوطات ندرك أن محرماً (رحمه الله) كان شديد الحرص على شعره ، والاعتزاز بفنه ، فكان يسجله بخط جميل ، ويلصق الأوراق بعضها ببعض خشية أن تختلط قصيدة بأخرى ، أو تضل بعض الأوراق في طيّات الخضم الكثير من هذا التراث الذي خلفه[1].

---

[1] محمد إبراهيم الجيوشي ، شاعر العروبة والإسلام ، أحمد محرم ، ص ٥٨.

أبحاثه النقدية

أما أبحاثه النقدية فهي على سبيل المثال لا الحصر:

١. آراء في تعليم المرأة وتربيتها ؛ نشرت في مجلة أنيس الجليس عام ١٨٩٩ ومجلة المفتاح عام ١٩٠٠.

٢. مقالات في السياسة ؛ نشرت في صحف "الحزب الوطني".

٣. بحث في الشعر العصري ؛ نشرت في مجلة أنيس الجليس عامي ١٩٠٠و١٩٠١ في أربعة عشر عدداً متتابعاً.

٤. نقد الشاعر إسماعيل صبري؛ نشر في مجلة أبولو.

٥. نقد الشاعر حافظ إبراهيم ، نشر في مجلة أبولو.

٦. نقد الشاعر السيد توفيق البكري ، نشر في مجلة أبولو.

٧. محاضرة في نقد الشاعر أحمد زكي أبو شادي في ديوانه (الشعلة) ألقيت في نادي رابطة الادب الحديث بالقاهرة . وطبعتها جماعة أبولو في كتب.

٨. بحث في الشعر الباكي في الأدب العربي ، نشر بجريدة (الصدق).

٩. بحث في شعر الهجاء، نشر بجريدة(الصدق).

١٠. بحث في (أدباؤنا المنسيون) نشر بجريدة (الصدق).

١١. مقالات في الزجل تحت اسم (الأدب الساقط) نشرت بجريدة (الصدق)[1]

ديوان مجد الأسلام

لعل من المفيد أن نطلع على قصة صدور ديوان (مجد الإسلام) فقد تكشف هذه المعرفة على جوانب خافية من حياة الشاعر أحمد محرم والدافع الحقيقي لإخراج هذا الديوان والنهوض بهذا العبء ، مما ييسر لنا طريق البحث، ويمدنا بأدوات الدراسة المجدية.

---

[1] مقدمة الديوان ، الجزء الأول المجلد الأول ، مكتبة دار الفلاح ، الكويت ، ص ٦، ٧.

بدأت فكرة إصدار هذا العمل الفني الضخم (ديوان مجد الإسلام بخطاب بعث به السيد محب الدين الخطيب صاحب مجلة الفتح إلى أحمد محرم ، يعرض عليه فكرة النهوض بتسجيل مفاخر الإسلام ، والتوفر على نظم وقائعه ، حتى يتكون من مجموعها إلياذة إسلامية ، تكون مثلاً لشباب المسلمين نذكرهم بمجرهم الخالد ، وتقوم في الأدب العربي مقام الياذة هوميروس في الأدب اليوناني ، وشاهنامه الفردوسي في أدب الفرس.

ويتضح لمن يقرأ هذا الخطاب أن الغرض من القيام بهذه العمل تمجيد بطولة الإسلام وتسجيل مفاخره ، ومواقف رجاله تمجيداً صادقاً ، قائماً على الحقائق الثابتة النقية من الأساطير والخرافات ، وحتى تكون معيناً صافياً ، ومورداً عذباً للشباب يتمثلون فيه بطولة أجدادهم ، ومفاخر دينهم ، فتنهض هممهم ، وتقوى عزائهم، ويعتزون بتاريخهم ، ويتغنون بماضيهم ، كما يتغنى اليونان بإلياذة هوميروس والفرس بشاهنامة الفردوسي .وما كاد محرم يعلن عن استعداده للقيام بهذا الواجب الفني ، حتى عمت البشرى أرجاء العالم العربي والإسلامي ، وتعالت صيحات الفرح ترددها أقلام المخلصين في دمشق وبغداد وتجاوبها هتافات أخرى من الهند ، وتتابعت الصحف في مصر تلهج بالثناء على شاعر الإسلام وتشدّ على يديه هاتفة به أن يمضي في طريقه ، وكانت مجلات " الفتح " و" منبر الشرق" و" أبولو " و" الصدق" في طليعة هذه المجلات التي أخذت تتابع خطوات الشاعر ، وتنقل للملأ ما قطعه من أشواط في سبيل الهدف الذي انتدب نفسه له ، وكانت جريدة " البلاغ" من الصحف التي حملت للقراء بواكير هذه الأثر الأدبي الفريد.

ويمضي محرم في سبيل الوفاء بما أخذ نفسه به ، فيعكف على التاريخ ، ويأخذ في استخلاص حقائقه وصياغتها صياغة شعرية فنية حتى اكتمل له الجزء

الأول من الديوان ولعل ذلك هو السر في أن محرماً داب على أن يأتي بمقدمة نثرية يعرض فيها الموضوع الذي سيتناوله.ولكن ، اعترض هذه الرغبة مشكلة عدم وجود المال الذي يستعين به محرم على تحقيق امنيته ، فاتحه محرم إلى القصر ، وظل الجزء الأول ينتظر عاماً ،ثم حول إلى وزارة المعارف بعدما أخطر الشاعر بذلك ، وكان وزير المعارف إذ ذاك الدكتور محمد حسين هيكل ، فقوي الأمل في طبع الديوان ؛ لأن هيكلاً أديب يقدر الأدب ويعرف مكانته وتأكد ذلك بما أبداه من ترحيب وتقدير في حديث شفوي بينه وبين الشاعر[1].

إلا أن الأمر أخذ يتعثر ، وبدأ الأمل يذوي شيئاً فشيئاً ، حتى تعالت صيحات الاستنكار من الكتاب والأدباء منددة بوزارة المعارف.

وسعى بعض محبي محرم والمعجبين بأدبه إلى الاستعانة ببعض الهيئات التي يرجى عونها في هذا السبيل على طبع الديوان ، حتى استقر المقام عند شيخ الأزهر –الإمام المراغي –ولكنه لم يكن في هذه المرة خيراً من سابقاتها ، وبعث محرم خطاباً إلى رئيس المجمع اللغوي لحثه على طباعة الديوان فرد عليه رئيس المجمع توفيق رفعت يبين فيه الشروط التي وضعها المجمع لمن يستحقون هذه الإعانة.

وقد أثار تعثر الديوان في الهيئات الثقافية ثائرة الأدباء والكتّاب ، فأخذوا يشنون حملات على هذه الجهات ، ويعزون ذلك إلى أسباب خفية ، وانبرى أكثر من كاتب يدعو إلى معاونة الشاعر مالياً كي يتمكن من إتمام عمله ويخرج الديوان إلى النور ، وأشادت مجلة أبولو بالشاعر ودعت إلى إنصافه، وتتابعت محاولات أصدقاء الشاعر ترتاد كل طريق عساها أن توفق إلى إخراج هذا الديوان ولكن جميع هذه المحاولات باءت بالإخفاق. ولم يقدر الواحدة منها النجاح.

---

[1] محمد إبراهيم الجيوشي ، شاعر العروبة والإسلام ، ص ٣٦.

وبعد وفاة الشاعر قام المرحوم إبراهيم نعيم أحد تلامذة الشاعر المقربين إليه بجمع تراثه ، وحاول عرضه على الهيئات الثقافية والإسلامية مجدداً المحاولة عساه يحقق لأستاذه بعد موته ما لم يتحقق له في حياته ، وكل ما استطاعه أن يقدم نماذج منه نشرت في مجلة الرسالة والأزهر على فترات متتابعة ، إلى أن تمكن الباحث والمحقق محمد إبراهيم الجيوشي من إصدار هذا الديوان في طبعته الأولى عام ١٩٦٣[١] بتكليف من مكتبة دار العروبة التي طبعته على نفقتها وقام الأستاذ الجيوشي بالإشراف على تصحيحه ومراجعته ، وصدرت الطبعة الثانية من الديوان تحت عنوان "مجد الإسلام" حيث تولت مكتبة الفلاح بالكويت طباعته وكان ذلك عام ١٩٨٢ .

اقسام الديوان :

المقدمة : للديوان مقدمتان :

الأولى كتبها الأستاذ محب الدين الخطيب ، وهذه المقدمة ذات أهمية خاصة لأنها تحدثنا عن الدوافع التي جعلت الشاعر يقدم على نظم أمجاد الإسلام في هذا الديوان.

تحدث المقدم عن طفولته وعن هواه العربي المبكر، وعما كان يلاحظه من انصراف بعض العرب عن عربيتهم وما كان يتركه ذلك من أسى بالغ في نفسه يدفعه دفعاً ويدعّه دعّاً للعمل من أجل إحياء العربية ، وبعث حبها في نفوس أبنائها[٢].

---

[١] ديوان مجد الإسلام ، مكتبة دار العروبة ، القاهرة ، ١٩٦٣، ا لمقدمة صفحة أ –ك.

[٢] أحمد الجدع ، دواوين دراسة وتوثيق –دار الضياء للنشر والتوزيع، عمان ، ط١، ١٩٨٥.

كان حديث الفرس عن شاهنامة الفردوسي واهتمام النصارى بترجمة وحفظ إلياذة هوميروس من الأسباب الداعية لأن يفكر محب الدين ليكون للعرب مطولة شعرية تحكي أمجادهم وما أكثرها !

البحث عن شاعر يخلد مجد الإسلام

حدثنا محب الدين عن انشغاله بالبحث عن الشاعر الجدير بهذا العمل العظيم ، فقال: "ولما توطنت مصر الحبيبة ، وتأسست جميعة الشبان المسلمين ، جمعنا مجلس من مجالسها بأمير الشعراء أحمد شوقي ..فانتهزت هذه الفرصة وتحدثت عن الشاهنامة والإلياذة ، واقترحت على أمير الشعراء أن يكون أعظم أحداث إمارته في الشعر إهداء مثل هذه الهدية إلى العروبة والإسلام وأدبهما وعظمتهما من ماضيهما إلى حاضرهما ومستقبلهما ، واستمع شوقي إلى هذا الحديث ، ولم يعد ولم يرفض ثم زاره وفد في منزله لتجديد هذا الحديث معه ، فبقي عند موقفه من الصمت والابتسام . ثم ظهر بعد ذلك كتيبه عن دول الإسلام ، ولعله كان من أثر هذا الاقتراح ، ولكن المطلوب كان أعظم من ذلك، وقديماً قيل : "إذ عظم المطلوب قل المساعد"[1].

ثم تحدث عن صلة الشاعر أحمد محرم فقال : "قلما عقد الله الصلة والمحبة بيني وبينه وأنا في مصر ، وجهت إليه هذا الاقتراح وقلت له : لعل الله سبحانه قد أدخر لك هذا المهمة واختارك لها ، لأنك أقرب شعرائنا إلى إخلاص القول والعمل ، وأكثرهم توخياً لمرضاته ، فاستجاب- رحمه الله – لهذه الدعوة ، وجاشت نفسه لهذه القصائد الغر من (ديوان مجد الإسلام)..."[2]

---

[1] أحمد محرم ، ديوان مجد الإسلام ، مكتبة العروبة ١٩٦٣، ا لقاهرة ، المقدمة ، ص ٣-١٠.

[2] المرجع السابق ، المقدمة

المقدمة الثانية كتبها الأستاذ : محمد إبراهيم الجيوشي ، وهو مصحح الكتاب ومراجعه ، وقد قسم مقدمته إلى ست فقرات في تسع صفحات ، تحدث في الفقرة الأولى عن نشأة الفكرة وعن صاحبها الأول الذي أوحى الشاعر بها ، ثم أورد نص الخطاب الذي وجهه محب الدين الخطيب في ٢٥ ربيع الأول ١٣٥٣هـ إلى الشاعر يدعوه إلى الاطلاع بمهمة كتابة أمجاد الإسلام شعراً ، وهذه الرسالة وثيقة تاريخية هامة في المجال الأدبي للشعر الإسلامي المعاصر.

وفي الفقرة الثانية تحدث عن استجابة الشاعر أحمد محرم لنداء محب الدين الخطيب ، وقال: "وحشد محرم كل طاقته الفنية ، وعكف على التاريخ الإسلامي يستخلص حقائقه ويستوعب مفاخره ، ويسجلها فناً عالياً يسنده صدق الواقع وتؤكده حقائق التاريخ"[1].

وفي الفقرة الثالثة تحدث عن محاولات الشاعر لطبع ديوانه ، وكيف أن امنية الشاعر أن يرى عمله هذا بين أيدي الناس قبل أن تودعه الحياة إلا أن الله لم يرد ذلك .

وفي الفقرة الرابعة يتحدث عن تجدد المحاولات في سبيل طباعة الديوان بواسطة الجهات الرسمية دون فائدة.

وفي الفقرة الخامسة تحدث الكاتب عن جهوده في مراجعة الديوان ، ثم تحدث عن الديوان نفسه فقال : "قسم الشاعر الديوان إلى أربعة أجزاء تجد في الصفحة الأولى من كل جزء ، آيات تحث على الجهاد ، وفي الصفحة الثانية كلمات لبعض أئمة التابعين في علم المغازي والسير"[2]

---

[1] المرجع السابق

[2] أحمد محرم ، ديوان مجد الإسلام ، مكتبة دار العروبة ، القاهرة ، ١٩٦٣، المقدمة ص.

وتحدث الشاعر في الجزء الأول من الديوان عن حياة الرسول-صلى الله عليه وسلم- في مكة ثم عن هجرته ، ثم عن استقراره بالمدينة ومؤاخاته بين المهاجرين والأنصار وموقفه من اليهود والمنافقين ، ثم تحدث عن الغزوات وما وقع فيها من أحداث وبطولات ، استغرق بقية الجزء الأول والجزأين الثاني والثالث[1].

وفي الجزء الرابع تحدث عن الوفود التي وفدت على النبي -صلى الله عليه وسلم- ثم تحدث عن الكتب والرسل التي بعث بها إلى الملوك والحكام ، ثم تحدث عن السرايا التي أرسلها النبي-صلى الله عليه وسلم- إلى مختلف أنحاء الجزيرة العربية ، وختمها بآخر عمل قام به النبي -صلى الله عليه وسلم- قبل لحاقه بالرفيق الأعلى ، وهو إرساله أسامة على رأس جيش لغزو بلاد الروم"[2].

وفي الفقرة السادسة والأخيرة تحدث عن إطلاق بعض الكتّاب اسم الإلياذة الإسلامية على ديوان محرم ، فقارن بين الإلياذة وبينه ، وبين الفرق بينهما.

ديوان الأقصى الحزين:

وهو ديوان صدر عن مكتبة الفلاح بالكويت ، الطبعة الأولى ، سنة ١٩٨٤ وعدد صحفاته ٩٤ صفحة وعدد القصائد تسع قصائد.

صدر الشاعر ديوانه بآيتين كريمتين ، الأولى مفتتح سورة الأسراء : (سبحان الذي أسرى بعبده ليلاً من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى..)والثانية الأية ٤١من سورة التوبة (انفروا خفافاً وثقالاً وجاهدوا بأموالكم وأنفسكم في سبيل الله ذلكم خيرلكم أن كنتم تعلمون).

---

[1] المرجع السابق المقدمة

[2] المرجع السابق المقدمة.

جاء تقديم الديوان في عشر صفحات بقلم ابن الشا عر:محمود أحمد محرم وقد تحدث في المقدمة عن نكبة فلسطين مشيراً إلى المؤامرة الدولية التي حاكت خيوطها إنجلترا حيث أصدر وزير خارجيتها بلفور وعده الظالم بمنح فلسطين لليهود . ثم أخذ بعد ذلك يستعرض وقفات الشاعر من أجل فلسطين.

حظيت كل قصيدة من قصائد الديوان بمقدمة تؤرخ لها وتضع المتلقي في الجو النفسي الذي قيلت فيه القصيدة[1].

[1] ديوان الأقصى الحزين ، مكتبة الفلاح ، ا لكويت ، ١٩٨٤، ص ٧-٩٤.

رفع
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس
www.moswarat.com

رفع
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس
www.moswarat.com

البـــاب الثـــانـــي

رفع
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس
www.moswarat.com

رفع
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس
www.moswarat.com

الفصـــل الأول

شعـــره الوطـنـــي

رفع
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس
www.moswarat.com

حق الأمة والوطن على الأدب

من حق الوطن على الأدب أن يمده بما يزكيه ، ويصل حاضر بماضيه، فإن الشجرة تستمد غذاءها من جذورها الضاربة في أعماق الثرى ، وتستمده أيضاً من أورقها الخفاقة في الضوء والهواء.

ومن حق الأمة أيضاً على الأدب أن يوحي اليها بالثقة في نفسها ، والاعتداد بجلال ماضيها.

وقد سلك أدب مصر الحديث في نهوضه بواجبه هذا مسالك شتى من خلال ما نظمه شعراؤه ، وما ذخرت به أقلام أدبائه وكتابه.

هناك يقف التاريخ ليسجل لشعراء مصر دورهم في كل موقف من مواقفه ، ويبدون فيه رأيهم القاطع.

مكانة أحمد محرم بين شعراء جيله

وشاعرنا أحمد محرم واحد من شعراء الوطنية الكبار، فكان في مصاف شوقي وحافظ ومطران ، وكان شيخ الشعراء إسماعيل صبري يتغنى بشعر هؤلاء الأربعة ، غير أن محرما امتاز عنهم بحرارة العاطفة ، وقوة إيمانه ، وتذوقه للجمال ، وتأملاته الفلسفية العميقة ، واستمساكه طوال حياته بمبادئه الوطنية ، كما أن شعره كله كان وقفاً على هذه المبادئ ، لم ينحرف عنها يوماً في قصيدة أو بيت من الشعر.

موقفه من الأحداث التي عاصرها :

وعلينا الآن أن نستعرض الأحداث الكبرى التي عاصرها محرم ، لنبين موقفه منها حدثاً بعد حدث:

كان للبعثات التعليمية أثرها الواضح ، إذ أن رجالها هم حملة الشعلة الأولى التي أوقدت جذوة الوطنية في النفوس ، وأضرمت لظاها في القلوب ، واندفع

الشعراء يتغنون بآمال بلادهم ، ويهتفون بإخوانهم لحمل الراية ، وبناء مجد الوطن ، وبذل كل غال ونفيس في سبيل إحياء المجد المرتقب ، وقد بدأ أحمد محرم بالتغني بحب مصر ، ذلك الحب الذي ملك عليه فؤاده ، واستحوذ على حواسه ومشاعره وقد جمع إلى حماسته الوطنية عاطفة دينية جياشه ، والدين يدعو إلى العزة والكرامة والسيادة ويعبر محرم عن هذا المعنى فيقول:

خلق العروبة أن تجد وتدأبا وسجية الإسلام أن يتغلبا[1]

فلقد كان محرم في طليعة أولئك الشعراء الذين تأججت نار حماستهم ، وبلغ حب الوطن في شعرهم مبلغا عظيما، وإننا لواجدون في ذلك التراث الذي خلفه في الشعر الوطني قلبا يئن من هذه الجراح، وينبض بالعاطفة الوطنية، لنستمع إليه في هذه الأبيات من قصيدته التي جعل عنوانها "الحفاظ الوطني" وهي إحدى روائعه..

وبلغ عدد أبياتها ثمانين بيتا فيها صدى كلمة للزعيم مصطفى كامل من خطبة له في الإسكندرية عام ١٩٠٧"بلادي !..بلادي!..لك حبي وفؤادي ..لك حياتي ووجودي ..لك دمي ونفسي..لك عقلي ولساني..لك لبي وجناني..فأنت أنت الحياة ولا حياة إلا بك يا مصر.."[2].

ويقول أحمد محرم:

مصر الحياةُ وحبُّها الشرفُ بطرازه العالي أدلُّ وأعجبُ
نفسي وما ملكت يداي لأمتي وسراةُ أبائي ، ومن أنا مُنجبُ
علمتهم حبّ البلادِ اجنةً وذوي تمائم ، ينصتون وأخطبُ[3]

---

[1] الديوان ، ج٢(٨٥٣)

[2] عبد الرحمن الرافعي/ مصطفى كامل ، مطبعة لجنة التأليف والترجمة ، ط٢، القاهرة ص ٣٩٢، ٣٩٣، ١٩٤٥.

[3] ديوان محرم ج١ ص ٣٢٦، ٣٢٧.

وتتجلى روحه الوطنية في قصيدته التي أهداها إلى النيل وكتب كلمة الإهداء في عنوان الكتاب : "هدية النيل" وأعقبها بهذا البيت الذي يترجم عن وطنيته الأصيلة مخاطباً النيل قال:

وهبتك ملك القريض العتيد وذلك أفضل ما يوهبُ[1]

وقال في مقدمة ديوانه يشرح المعنى الذي استوحاه في إهداء ديوانه إلى النيل: "لقد جرى اكثر الكتاب والشعراء على أن يهدوا مؤلفاتهم من شاءوا من ذوي الثروة والجاه تعرضا لمؤازرتهم ، والانتفاع بهم وسط هذا الكساد الآخذ باكظام الأدب في بلادنا ، ولكنني انصرفت بشعري عن تلك المواقف وبرئت إلى نفسي أن آخذ بهذه الأسباب ، على ما أعلم من وعورة مسلكي ، وضيق مضطربي ، وما كنت في ذلك إلا جاريا على سنتي في سياسية نفسي ، وتصريف ما آتى وأدع من أمور الحياة ، فما استظهرت بغير أخ حفي ، أو صديق صفي ، ولا آثرت أن أهدي ديواني إلى غير "النيل" ذلك الأب الذي وهبني نعمة الحياة ، وأفاض علي هذه المنح والصلات"[2].

ثم قال:

فيا نيل أنت الهوى والحياةُ وأنت الأمير وأنت الابُ

ويا نيل أنت الصديق الوفيّ وأنت الأخ الأصدق الأطيبُ

إلى أن قال:

لئن فاتني الذهب المستفاضُ فما فاتني الأدب المذهبُ

وهبتك ملك القريضِ العتيدِ وذلك أفضلُ ما يوهبُ[3]

---

[1] المرجع السابق ، ص٢٠.

[2] المرجع السابق ص ٢٠.

[3] المرجع السابق ص٢٠.

وإن سألوه عن حب مصر فإنه الدم والفؤاد والجوانح والصدر ، فهو صادق الحب والهيام بحبها:

فإن يسألوا : ما حب مصر؟ ..فإنه ... دمي وفؤادي والجوانحُ والصدرُ

لنفسي وفائي إن وفيت بعهدها ... وبي لابها إن خنت حرمتها الغدر

أخاف وأرجو وهي جهد مخافتي ... ومرمى رجائي ، لاخفاء ولا أنكرُ

هي العيش والموت المبغض والغنى ... لأبنائها والفقر والأمنُ والذعرُ

هي القدر الجاري ، هي السخط والرضى ... هي الدين والدنيا ، هي الناسُ والدهرُ[1]

ويقول في قصيدته "مصر في تاجها الجديد":

وهبت الصبا والشيب والشوق والهوى ... لمصر وإن لم أقضِ حق الهوى مصرا

بلاد حبتني أرضها وسماؤها ... حياتي وأجرى نيلها في فمي الدرا

وما حادث يوماً وإن راع وقعة ... بماحٍ هواها أو يطاول لها ذكرا

هي الدهر، أو شيء يشابه صَرفَه ... وإبرامه والنقضَ والطيَّ والنشرا[2]

ويقول في قصيدته "تفرق المذاهب":-

رويدكما بالائميّ فإن بي ... على مصرَ وَجدا جل ان يتثلما

بلاد سقتني الحب عذبا ووكلت ... بصافيه قلبا بين جنبي أهيما

يزيد هواها كلما زاد يؤسها ... وتنمو تباريحُ الجوى كلما نما

حفظت لها عهدين : عهد شبيبةٍ ... تصرمت اللذاتلما تصرما

وآخر يكسوني المشيبُ مطوفا ... ويلبسني منه الرداء المسهما

وما المرء إلا قومه وبلاده ... فإن يذهبا يلق الاذى حيث يمما[3]

---

[1] الجيوشي ، أحمد محرم ، شاعر العروبة والإسلام ، ص ١٤٢.

[2] ديوان محرم ج١، ص ١٣٨.

وما أكثر القصائد التي أرسلها محرم، وأكد فيها ولاءه لمصر ، وحبه لها ، وكثيرا ما ردد في شعره ذلك الشعار الذي أسلفناه ، شعار "أنت أنت الحياة" ولا حياة إلا بك يا مصر" بل إن محرما يقرن في بعض شعره هذا المعنى بإنه شهيد حبها ، وأن حقها في التضحية والفداء هو المقدم على سائر الحقوق كما نجد ذلك في قوله :-

مصرُ أنت الحياة والموت طُرّا ... لشهيد رميته بسهامك

ذهبت نفسه لنفسك زُلفى ... وتقضى مرامُه في مرامك

أيُّ حقٍ من قبل حقك يقضي ... وذمام يصان قبل ذمامك

بارك الله في بنيك وطوبى ... لسعيد يكون من خدّامكْ

ما مقام الحياةِ في النفس إلا ... دون ما ينبغي لعالي مقامكْ

لو بذلنا النفوسَ فيك كباراً ... ما قضينا القليلَ من إكرامكْ[1]

رأي محرم في شعراء جيله :

ويحدثنا محرم في مقدمة ديوانه الأول عن بعد الشعراء عن أحداث الحياة وعن دوره الإيجابي في جذب الشعراء إلى الوطنية والسياسة فيقول:

"..وكان الشعر في مصر إلى عهد قريب بعيداً عن أصول الأخلاق ، بعده عن سنن الحياة ، فكان صبري في صارف من منصبه ، وشوقي رضي بالمدحة ينظمها لمولاه ، وحافظ في هم مذيب من اغترابه في السودان، ويستجيش الشيخ محمد عبده لإنقاذه ، وكان الرافعي غير ناضج الملكة يؤمئذ فلم يسمع له صوت واحد ،ولقد كان الكاشف يلهو بأمانيه كل اللهو قضيت به الا يكون عوني في ذلك الفتح الأدبي بدأته بنظم قصيدة سياسية ، ثارت في نفسه ثائرة الحماسة ،

---

[3] ديوان محرم ج١، ص ١٦١.

[1] المرجع السابق ص ٢٧٢.

وصرفت قلمه الجريء إلى قرض هذا النوع من الشعر حتى لقد أخذ بني عثمان وهو بمكانة منهم بأشد القوارض والمحفظات ، وما برحت هذه المعركة تشتد وتعظم حتى اجتذبت إليها أبطال الشعر في مصر ، ولو شاء الأمير أن يحسن إلى الشعر، وأطلق شوقي من ذلك الوثاق ، إذن لاهتز عالم الأدب واعتز وهلل وكبر..»[1].

التزامه الوطني:

وقال يدعو مواطنيه إلى الإخلاص لبلادهم والعمل على استعادة مجدها:

دعا فاثار الساكنين دعاوة ... ونادى فراع الأمنين نداؤه

أخو وصب ما إن يحم انقضاؤه ... وذوأرب ما إن يحين قضاؤه

أما إنه لو كان يشفي غليله ... بكاءٌ على مصرٍ لطال بكاؤه

تقسميا الأقوام لا ذو حميّة ... فيحمي و لا واقٍ فيرجى وفاؤه

وما مصر إلا موطن نحن أهله ... عزيز علينا أرضه وسماؤه[2]

إلى أن قال يتنكر الاحتلال البغيض ويهيب بالأمة أن تحاربه:

ثوى فيه أقوام مللنا ثواءهم ... ويارب ثاو لا يمل ثواؤه

لقد كان يأبى أن يذل لغاصب ... فيا ليت شعري أين ضاع إباؤه[3]

ويتألم ويعتصر هذا الألم فيما يرى شعبه كاملاً مستكينا لجلاديه فيهتف به في ثورة ويدعوه إلى الخروج من القيود ، فلا حياة لخامل ولا بقاء لذليل ، وإنما يفوز بالحياة من يطلبها ، فما أضاع لشعوب الا نوم أهلها واستسلامهم إلى اعدائهم.

---

[1] الديوان ج٢ ، ص ٢ ، ٥

[2] عبد الرحمن الرافعي ، شعراء الوطنية ص ١٩١.

[3] المرجع نفسه ، ص١٩١.

يـامـــة خـــاط الكـــرى أجفانهـــا ... هـــبي فقـــد أودت بـــك الأحـــلامَ
هـبي فمـا يغـني رقـادُك والعـدى ... حـــول الحمـــى مســـتيقظون قيـــامُ
شـينان.. يـذهب بالشـعوب كلاهمـا ... نَـــوْمَ عـــن الأوطـــانِ واستســـلامُ[1]

الجامعة الإسلامية

كانت النزعة الإسلامية غالبة على الرابطة القومية، والعصبية الجنسية في مصر حتى أوائل القرن العشرين ، وهذه النزعة الإسلامية نستطيع أن نتتبعها في الشعر فنجدها في مثل هذا الوضوح، فئتين بين الشعراء المعاصرين وقتذاك على اختلافهم وتباين نزعاتهم ، من يخلو ديوانه من شعر في مدح الخليفة العباسي، والإشادة بفضله على المسلمين وحرصه على إعلاء كلمة الدين ، وليس فيهم من تخلف عن المشاركة بشعره في حروب تركيا وأحداثها الجسام ، مثل حرب اليونان وحرب طرابلس وحرب البلقان ، والدستور العثماني وسقوط عبد الحميد ،وهم يرون أن الخليفة هو الجامع لشمل المسلمين ، وأنه حين يحارب إنما يحارب دفاعاً عن الإسلام ، وتمسكا بإعلاء كلمته بين الدول التي تتربص به ، وهم يدعون إلى اتحاد كلمة المسلمين في ظل راية الخلافة محذرين من الإصغاء إلى دعوة التفرقة التي لا تصيب الأمم الإسلامية إلا بالشر[2].

يقول محرم:

يـا آل عثمـان مـن تـرك ومـن عـرب ... وأيّ شـعب يسـاوي الـترك والعربـا
صـونوا الهـلال وزيـدوا مجـده علمـا ... لا مجـد مـن بعـده إن ضـاع أو ذهبـا[3]

---

[1] المرجع السابق ، ص١٩٥.

[2] محمد محمد حسين ، الاتجاهات الوطنية في الادب المعاصر ، المطبعة النموذجية ، ج١ ، ط٢ ١٣٨٢هـ ص ١١-١٢.

[3] المرجع نفسه ص١٢.

ويقول:

لـولا بنـو عثمـان والسّـننُ الـذي ... شـرعوا لمـا وضـح السـبيلُ الأقـومُ

سـطعوا بآفـاقِ الخلافـةِ فـانجلى ... عنهـا مـن الحـدثان ليـلٌ مظلـمُ

فهـو ولاة أمورهـا وكفاتُهـا ... وهمـو حمـاةُ ثغورهـا وهمـو همـو[1]

ويقول:

إنـا بـني عثمـان أعـلامُ الـورى ... والأرضُ تشـرف فوقهـا الأعـلامُ

إنـا السـنام اذا الأنـامُ تفـاخرت ... والنـاسُ فـيهم منسَـم وسـنامُ

إنـا يسـوس أمورنـا ويقيمهـا ... ملـك بـأمرِ إلهـه قـوامُ

رحبُ الـذراعِ كفـى الـذي نعنـى بـه ... رأيٌ لـه في المشـكلاتِ حسـامُ

عبـدُ الحميـدِ أتـاحَ في أيامـهِ ... للمُلـكِ مـا ذهبـت بـه الأيـامُ

لـولا حزامتـهُ وشـدة بأسـه ... ومضـاؤه لتضعضـع الأسـلام[2]

ويقول من قصيدة له في حرب طرابلس سنة ١٩١٢ وفيها تعريض بالمناوئين لدول الخلافة .

ألا إن مـن شـق العصـا لمـذمم ... وإن الـذي يبغـي الفسـاد لآثـم

ومـن كـان يـأبى أن يـوالي أمامُـه ... طواعيـةً والاه والأنـفُ راغـمُ

سـيعلم مـن خـان الخليفـة أنـه ... مواقـع أمـرِ شـرُّه متفـاقمُ[3]

---

[1] المرجع نفسه ، ص ١٣.

[2] المصدر نفسه ، ص١٣

وينشئ محرم ثماني قصائد في مناسبات مختلفة من هذه الحرب تفيض بالغيرة على الإسلام واستنهاض الهمم للذود عن حياضه ، ومدافعة أعدائه يقول في إحداها:

رويدا بني روما فللحربِ فتيةً ... تهيج الظبا أطرابهم واللهاذمُ*
إذا نفروا لم ينفروا من شمالها ... ولم يصحروا عن سيلها وهو عارمُ*
بنوها الألى لا يرهبون بها الردى ... إذا اهتزمت في حافتيها الزمازمُ*
لهم كل يوم غارة تُصبح العدى ... وأخرى تضيء الليل والليل فاحمُ[1]

وقد استيقظت الحمية القومية قوية في نفوس كثير من الشعراء عندما اخذ الفاشيست من الطليان ينكلون بأحرار العرب بطرابلس الغرب إذ ارتكبوا هناك فظائع رهيبة تجاه المسلمين ، وعبثوا بمساجدهم ، وكان ما أبدوه من ضروب التعصب الأعمى جديرا بان يستفز مشاعر العرب والمسلمين، وقد استثارت الأحداث المؤلمة عام ١٩٣١ التي انتهت بإعدام عمر المختار قرائح شعراء العرب، وقد عبر احمد محرم عن تلك الغضبة التي شملت العرب والمسلمين على السواء فقال:-

ذُعر الخطيمُ وراع يثرب عاصفٌ ... للموت ضج لهوله الحرَمانِ
سهم أصاب المسلمين وجال في ... كبدِ الهوى وحشاشةِ الإيمانِ
وارحمنا للمسلمين تفرقوا ... وتباعدوا في الأرض بعدَ ثوانِ
من كان أبصر خطبَهم فانا الذي ... مارسته ولمسته ببناني[2]

---

[3] الديوان ٢ص ٣٧.

* الظبي: أطراف السيوف ، واحدتها ظبة ، والأطراب جمع طرب، واللهاذم: الأسنة القاطعة جمع لهذم.

* أصحر القوم برزوا إلى الصحراء والعارم : العاني

* اهتزم الرعد ، وتهزم : صخب وتشقق ، الزمازم : جمع زمزمة : صوت الأسد وضجيج الرعد.

[1] الديوان ج١، ص١٩٨-١٩٩.

[2] محمد محمد حسين ، الاتجاهات الوطنية ص ١٥٤.

من كل ما سبق ، نستطيع القول أن العاطفة الدينية كان لها المقام الأول حتى أوائل القرن العشرين ، وحين بدأت بوادر الشعور القومي تتسرب إلى نفوس العرب نتيجة لعوامل سياسية واجتماعية ، وأخذت الفكرة العربية الشاملة أو الفكرة الوطنية المحلية تنافس الجامعة الإسلامية ، برغم أن كلتا الجامعتين العربية والإسلامية كانت في جوهرها حركة بعث وإحياء تهدف إلى استعادة الأمجاد الماضية ، إلا أن الوحدة الإسلامية غدت مثلا أعلى ينشده كثير من الشعراء العرب ومنهم محرم[1].

وكان لشعراء الجامعة الإسلامية فضل كبير في حصر تيار الفرعونية وعدم استفحال أمره في الشعر ، وكان من أبرزهم في هذا الاتجاه أحمد محرم ومحمد عبد المطلب واحمد نسيم.

حرب البوير وعبرة الذود عن الأوطان

ومحرم يضرب الأمثال لقومه ، ويحدثهم أحاديث الشعوب المناضلة كي يسلكوا طريق المجد ، ويرفعوا راية الجهاد، ويعلموا أن الحرية ضريبتها التضحيات والدماء ، وقد أخذ محرم من حرب البوير عبرة ومثلاً أعلى في الذود عن الأوطان فيسوق لقومه بعض ألوان من بطولاتهم وما قاله على لسان البوير.

إذ حكم العدوى جنفا علينا ... فاعدل منهمُ حكم الحسامِ
هبونا كالذي زعموا ضعافا ... أيأبى نصرنا ربُ الأنامِ؟
أيخذلنا ونحن له نصلي ... جميعاً من قعودٍ أو قيامِ
فلا بأس إذا ما الحرب طالت ... من النصر المرجّى في الختامِ
فإما العيش في ظل المعالي ... وإما الموتُ في ظلّ القتام
هي الأوطان إن ضاعت رضينا ... من الآمال بالموت الزؤام[2]

---

[1] عمر الدقاق ، الاتجاه القومي في الشعر العربي الحديث ، دار الشرق ، حلب ج٢ ١٩٦٣ ص ٧٠.

[2] الديوان/ ١ص ٥٩

ويحدث قومه حديث الأبطال الذين ضربوا بشجاعتهم وبسالتهم أروع المثل، وسطروا بدمائهم اجمل اللوحات فيقول:

فهل جاء (البوير) حديثُ قومي ... وما قومي بشيء في الخصامِ

لنعم القومُ ما أوفوا بعهدٍ ... لأوطانٍ شقينَ ولا ذِمامِ

ولا أعتصموا بجبل الجد يوماً ... ولا لاذوا بأكنافِ الوئامِ

فوا أسفي على وطن كريم ... غدا ما بيننا غَرَضَ السّهام

ونحن على توجعه سكوتٌ ... كأنا بعض سكان الرّجام*

رعى الله (البوير) بحيث كانوا ... وجاد ديارهم صَوْبُ الغَمامِ[1]

ويسمع محرم نبأ الفتاة البويرية التي ذهبت مع خطيبها إلى الكنيسة ، وبينما هما في الطريق ، إذ لمحت شارة تدل على خيانته لقومه ، بانضمامه إلى أعداء بلاده فتولاها الخوف أن تقترن بفتى خان وطنه ، وهادن بلاده ، وصاحت فيه صيحة عاتية (ابتعد عني أيها الخائن)[2].

وما أن سمع محرم بهذا النبأ الذي هزه هزا عنيفاً ، ورأى مسلك الفتاة التي قدمت وطنها على نفسها وقلبها حتى قال يخاطب الفتاة:-

رأيت خيانةَ الأوطانِ ذنبا ... فلم يكن الجزاءُ سوى الزّوال

واقسم لو حكتك نساءُ قومي ... لَسَنّتْ بيننا سُبلَ المعالي[3]

---

* الموت الزؤام : العاجل ، وقيل السريع المجهز ، وقيل الكرية.

(1) الديوان / ١ ص٥٩.

(2) محمد إبراهيم الجيوشي ، شاعر العروبة والإسلام ، ص١٤١.

(3) الديوان / ١ ص٧١.

وبعد أن يعرض محرم على قومه هذه الأمثلة في البطولة والفداء والتضحية بكل شيء في سبيل الأوطان ، يتقدم إلى قومه يستنهض عزائمهم ، ويستحث هممهم:-

لعمر الألى أنتم بنوهم وما بَنَوْا ... من المجد في ظل الوشيج المقوّمِ

لئن لم تهبّوا هبة الليث زائرا ... لَتَمْسُنَّ من زور الحديثِ المرجَمِ[1]

ويحمل محرم على رجال السياسة الذين كانو يساومون المحتل الغاصب على بلادهم وحريتها لقاء ما يتقلدونه من مناصب رفيعة ، وثراء عريض ، وتسلط وطغيان على قومهم وبني جلدتهم وكأن الأوطان سلعة تباع وتشتري، وكأن الشعب عندهم من سقط المتاع ، وقد يعد بعض المخدوعين الغيرة على الوطن ، وعلى كرامة أهله عيباً ، ويسمون هذا الحمية تعصباً ، أما هو فإنه يعد هذه الغيرة مروءة وكرماً فيقول:

ليس التعصبُ للرجال معرّة ... إن الكريمَ لقومه يتعصبُ[2]

عوّد بنيك الخير إن نفوسهم ... صحف بما شادت يمينُك تكتبُ

ويعرب محرم عن أشفاقه مما تتردى فيه مصر من اضطراب ، وما ينزل بساحتها من أهوال ويدعو بنيها إلى الجد قبل أن تتسع جذوة الشر فلا يملكون إخمادها :

عنائي على مصرَ المجبَّبِ نيلُها ... إليَّ عناءُ الحائنِ العِرضِ والّدمِ

أفيقوا فهذي جُذوةُ الشّرّ بينكم ... تلظّى ، وإلاّ تَخمدِ اليومَ تعظمِ

---

(1) محمد إبراهيم الجيوشي، شاعر العروبة والإسلام ص ١٤٧.

* الرجام : جمع رجمة وهي هنا القبر * صوب الغمام:المطر .

(2) الديوان / ١ ص٣٢٧.

* الحائن: المالك .

وجـدّوا فـإن الهـونَ أشْـأمُ صـاحبٍ ... وإن العـلا للكـادحِ المتجشّـمِ

وإن صـريح القـول تخلصـه النهـى ... فينمـي إلى اقصـى البقـاع ويرتمـي[1]

نصيحته لسلطان البلاد

ومن شدة حرصه وحبه لمصر يتوجّه إلى سلطان البلاد موجهاً له النصيحة ، داعياً إياه إلى السهر على مصالح العباد ،والنهوض بأعباء البلاد ، حتى يكون موضع الحسّ منها والفؤاد ، فإن أقوى العروش اركاناً وأثبتها دعائم هو من حاطته القلوب وملك حبها وتمكن من عواطفها ، أما أسوأ الملوك حكماً فأولئك الذين لم ينفعوا البلاد ولم تلق على ايديهم إلا الأذى والهوان ، فيعم البلاد البلاء والكآبة، فتغدو وكأنها ثكلى نفضت يديها من تراب قبر وحيدها.

أحـب المـالكين إلى الرعايـا ... مليـك لـيس يألوهـا افتقـادا

تغلغـل في مكـان الحـسّ منهـا ... فكـان السـمع منهـا والفـؤادا

أضـرّ النـاس ذو تـاج تـولى ... فمـا دفـع الـبلاد ومـا أفـادا

وكـان علـى الرعيـة شـر داع ... وأشـأم مالـك في الدهرسـادا

تبيـت لـه الأرائـك في عنـاء ... تمـارس منـه أهـوالاً شِـدادا

ويمسـي ملكـه في زي ثكلـى ... كسـاها فقـد واحـدها الحـدادا

كـأن الملـك في عينيـه حلـم ... يلـذ بـه فمـا يـألو رُقـادا

وتـدعوه الرعيـة وهـو لاهٍ ... فتصـدع دون مسـمعه الجمـادا[2]

---

[1] الديوان/ ذص ٢١٣-٢١٤.

[2] الديوان / ١ ص ١٥٢.

محرم والخديوي عباس

يأنس محرم في البداية من عباس نزعة وطنية ، وتأييدا للمواطنين وتشجيعاً لهم ، فيتوجه إليه بالنصيحة ويعلق عليه الآمال بعد أن يدعوه إلى النظر في التاريخ وعظاته يأخذ منه العبر ويستخلص الدروس.

سل التاريخ وانظر ما أعدت ... لك الأممُ الخوالي والقرونُ
عظات الدهر والأجيال منها ... ببغداد وأندلس فنونُ[1]

ثم يذكره أن الناس على دين ملوكهم ، يصلحون بصلاحهم وأن في وسعه أن يأخذ بيد الشعب ، وينهضه من عثرته ويبث الثقة في نفسه ، ولا يكون ذلك إلا حينما يتغلب على داء الشرق الذي أذلّ أهله ، واضاع هيبة رجاله حينما انقادوا لأهوائهم ، و صموّا آذانهم عن دعوة الناصح ، فيقول:

رأيت الشعب والأمثال جمّ ... على ما كان مالكه يكونُ
إذا غوت الهداة فلا رشيد ... وإن خان الرعاةَ فلا أمينُ
وأعجب ما أرى شعبٌ نحيف ... يسوس قطيعَه راعٍ بدينُ
أضاع الشرق أهلوه وأودى ... به من جهلهم داءُ دفينُ
إذا ما أمةٌ غلبت هواها ... فإني بالحياة لها ضمينُ
عزيز النيل والآمال ظمأى ... تلوب ، وعندك الماء المعينُ
أعد لها المشارع الصالحات ... يُجانب صَفْوَها كدرٌ وطينُ[2]

لكن عباساً لم يثبت على موقفه من الوطنيين ، فأشاح بوجهه عنهم ، وقلب لهم ظهر المجن ، وأقعده التمسك بكرسي العرش عن مقارعة الاحتلال ،

---

[1] الديوان/ ١ ص ١٥٦.

[2] المرجع نفسه ، ص ١٥٧.

والوقوف في وجهه فانصرف عن مؤازرة الوطنيين ، استجابة لمشيئة الاستعمار، وانصياعاً لأوامره ، وهنا يوجه محرم له اللوم عنيفاً ، ويعلن سخطه عليه فيقول:

ماذا بدالك فاعتزلت صفوفنا ... أفاصبحت حرب الغزاة سلاماً؟
أتخون مصرَ وما تحوّل نيلُها ... سُمّاً وما انقلب الضياءُ ظلاماً؟
أيسوس ريب الدهر منّا أمةً ... تبغي حياة المجد أم أنعاما؟
عباس رأيك في البلاد وأهلها ... إن الأذى يتضرّم الإدغاما*
إن كان عسف فالزمان مؤرخ ... يحصي لنا الحسنات والآثاما[1]

حملته على الحكام المستبدين واستهجانه الرتب والألقاب :

حينما أبصر محرم استبداد بعض الحكام بشعوبهم وما يلحقون بهذه الشعوب من المهانة والذل ، وما يقدمونه لمن يجزل الثمن من رتب والقاب ولو كان جاهاً مأفوناً فالمال أصبح مقياساً للجاه والرفعة.

ويرى المؤرخ والباحث عبد الرحمن الرافعي أن قصيدة "الشرف والملوك" التي نشرها محرم في الجزء الأول من ديوانه عام ١٩٠٨ سبقت عجلة الحوادث بنصف قرن ، فمحرم هو أول شاعر وطني حمل على الرتب والألقاب وأول من هاجم الحكم الاستبدادي بهذه القوة والشجاعة ، يقول محرم في هذه القصيدة:

رتب وألقاب ثغرُ وما بها ... فخرٌ لمحرزها ولا استعلاءُ
أنا تُباعُ وتارةً هي خدعةٌ ... تُمنى بشرّ سُعاتِها الأمراءُ
كم رتبةٍ نَعِمَ الغبيُّ بنيلها ... من حيث جلّلها أسىً وشقاءُ
لو كان يعلم ذُلّها وهوانَها ... ما طال منه الزهوُ والخُيَلاءُ

---

* الأدغام : الحقد أو الثأر أو الحرب.

[1] الجيوشي / شاعر العروبة والإسلام ص ١٤٩.

يلقى الكرامةَ حيث كان وفعلهُ ... جمُ المساويءِ والمقالُ هراءُ

تلك الجهالةُ والغرورُ وباطلُ ... ما يصنع الأغرارُ والجلاءُ[1]

ثم يصور لنا الطرق الدنيئة التي يحصل بها ذوو الرتب والجاه على المال ، تصويراً يبعث على النفور من هؤلاء المتسلقين فيقول:

يا ربَّ مثرٍ لو أطاع إلهَهُ ... وأبى الدنايا فاته الإثراءُ

بزّ الضعيف فمن تسائل طمره ... حيكت عليه البزّةُ الحسناءُ

وعلى بقايا دورِه وطلولِه ... أمست تقام قصورُه الشمّاءُ

وإذا الرعاة تنكبت طرقَ الهدى ... غوت الهداةُ وطاشت الحكماءُ

وإذا الطبيب رمى العليل بدائه ... فبمن يؤمّلُ أن يزولَ الداءُ؟

لو جاور الشرف الملوك لأورقت ... صمُّ الصخورِ وضاءت الظَّلماءُ[1]

يقول محرم هذا بصراحة لا تعرف المواربة ،وحماس لا يعتريه الوهن في الوقت الذي يتمسح فيه غيره بأعتاب الملوك ، ويضفي عليهم ظلال الآلهة ، فنراه في البيت الأخير يصور استحالة تحول الحاكم المستبد من طاغية إلى راع يكلله الشرف ويزينه المجد ، فهو أشبه بالصخر الجامد الذي لايورق إغصاناً ولا يضيء ظلمة .يقول محرم في تصوير الحاكم الفاسد:

أضر الناس ذو تاج تولى ... فما نفع البلادَ ولا أفادا

وكان على الرعية شر راع ... وأشأم مالك في الدهرِ سادا

تبيت له الأريكة في عناء ... تمارس منه أهوالاً شدادا

كأن الملك في عينيه حلم ... يلذ به فما يألو رُقادا

وتدعوه الرعية وهو لاه ... فتصدع دون مسمعه الجمادا

---

[1] الديوان ١ ، ص ١٤.

[1] الديوان ١ ، ص ١٤.

فـلا هـو يُرتجـى يومـاً لنفـع ... يعـز بـه الرعيـةَ والـبلادا

ولا هـو مالـك كشـفاً لضـرٍ ... إذا مـا كائـدُ الحـدثانِ كـادا[1]

ويقول في وصف الحاكم الصالح:-

أحـبُ المـالكين إلى الرعايـا ... مليـكٌ لـيس يألوهـا افتقـادا

تغلغـل في مكـان الحـسْ منهـا ... فكـان السـمعُ فيهـا والفـؤادا[2]

ويضرب لقومه الأمثال على صحة ما يدعو إليه ، فهل يقوى أحد على أن يصدّ السيل المندفع أو يحول الرياح الذاريات أو يقف في سبيل قوم اعتصموا بالحق واتخذوه درعاً:

والشـعب إن جمـع الصـفوف مجاهـداً ... غلـب الصـعابَ فـإدرك الأوطـارا

مـن يملـك السـيلَ الأتـيّ إذا انتحـى ... مـلءَ الشـعابِ ويمسـك التيّـارا

ومـن الـذي ينهـى الريـاحَ ذواريـا ... ويسـومهن إذا عصـفن قَـرارا

شـرُّ السياسـةِ أن تسـودّ بـني الـدُّنى ... غصـبا وتلـتهم الـدنى اسـتعمارا

الحـقُّ اسـطولُ الضـعيفِ وجيشـهُ ... إن شـن حربـاً أو أراد مغـارا

كـم دولـةٍ للظلـمِ عاتيـةٍ رمـى ... نفـسُ اللـهيف كيانَهـا فانهـارا[3]

وبهذه الروح المقدامة وقف محرم من الأحداث التي ألمت بالوطن ، لا يخاف عسف الظالم ولا يهاب بطش الجاكم ، ولا يداور في حق يعتقده ولا يصانع في رأي يراه.

---

[1] الديوان ٢، ص ٥٣.

[2] الديوان ص، ص ٥٦.

[3] الجيوشي شاعر العروبة والإسلام، ص١٥٣.

محرم وحادثة دنشواي

كان الحاكم الأجنبي شديد الوطأة على نفوس المصريين ، فلقد ذاقوا الأمرين ، وشربوا كأس الحنظل حتى الثمالة من أيدي المستعمرين.

لكن مآسي الاستعمار لم تكن مقصورة على الحاكم فقط ، وإنما امتدت كذلك إلى أموال الناس وأرزاقهم وحريتهم وبيوتهم ، فكانوا نكالاً ونذير شؤم على كل بلد يهبطون إليه ، فهم لا بد أن يذيقوا أهله كأس الذل والهوان ، إرضاءً لغطرستهم.

وفي عام ١٩٠٦ وقعت حادثة" دنشواي" وهي إحدى مخازي الاستعمار ،وفيها من الدلالة ما يقطع بأن المستعمرين ، كانوا يعدون مصر إقطاعية لهم ، وأن أهلها أبناء فضلهم وإحسانهم.

كان الضباط والجنود قد اعتادوا أن يطوفوا بالبلاد والقرى لاصطياد الحمام، وفي ذات يوم خرجت كتيبة قوامها مائة وخمسون جندياً من القاهرة في طريقهم إلى الإسكندرية ، فاختارت أن تقوم بهذه الرحلة بطريق البر ليستطيع أفرادها أن يقوموا بمزاولة هوايتهم في صيد الحمام حتى وصلت إلى مركز منوف وهناك طلب أفراد الكتيبة من مأمور المركز أن يرسل معهم جندياً وترجماناً خلال رحلة الصيد التي ينوون القيام بها في قرى مركز منوف ، وسار بعض هؤلاء الأفراد على طول الطريق الزراعي يصطادون الحمام من فوق الأشجار ، أما الباقون فقد تركوا الطريق الزراعي الذي كان يصطاد عليه زملاؤهم ،ويمّموا وجوهم شطر أجران القمح في قرية دنشواي ، فأخبرهم الأهلون أن صيد الحمام من فوق الأجران يعد مخاطرة، إذ ان القمح عرضة لأن تشتعل فيه النيران ، ولكن هؤلاء لم يعبأوا بشيء من ذلك ، وإنما ظلوا في غيّهم ، فلم تلبث أن انطلقت رصاصة من بندقية أحدهم فأصابت إحدى النساء وأشعلت النيران في

أحد الأجران فتجمع الأهالي حول الجندي يريدون أن ينتزعوا منه سلاحه،دفعاً عن للعدوان ، فأقبل على مصدر الصوت الخفراء ليتبينوا ما وراء هذه الضوضاء، وهذا الجمع المحتشد ،وفي نفس الوقت كان الضباط الإنجليز الأخرون قد أقبلوا على صوت الجلبة ، وحينما رأوا الخفراء يفرقون جموع الناس، وينقذون سلاح زميلهم من أيدي الأهالي، دخل في ظنهم أن الخفراء إنما يريدون شراً لزميلهم ، فأطلقوا عليهم رصاصهم فأصابوا شيخ الخفراء واثنين أخرين معه ، وهنا أصبح الموقف أكبر من أن يتحكم فيه العقل فقد كان منظر الدماء وهي تسيل من الجرحى مثيراً ،فلم يتمالك الأهالي أنفسهم وحملوا على الضباط والجنود بالعصي والحجارة انتقاماً لجرحاهم الأبرياء الذين لم يجنوا ذنباً ، وكان من جراء هذه الحملة أن أصيب أحد الانجليز بكسر في ذراعه وجرح اثنان جروحاً خفيفة أعجزتهما عن مواصلة السير، كذلك تمكن الأهالي من القبض على زميل رابع لهم ، وحينما رأى اثنان من الضباط ما حدث لزملائهما، أخذا يعدوان على طول الطريق الزراعي ، وكانت شمس الظهيرة في ذلك الوقت من الصيف ، سقط أحدهما في الطريق قتيلاً من ضربة الشمس، يونيو، حزيران ، أما الأخر وكان طبيباً فقد ظل يعدو حتى وصل إلى معسكر الكتيبة.

وجمعت الكتيبة أفرادها ، وعادت إلى القرية وإلى ما جاورها من القرى تعيث فيها فساداً ، وتزهق الأرواح دون حساب.

وأخيراً عقدت محكمة لأهالي قرية " دنشواي" وقد شكلت هذه المحكمة برئاسة بطرس غالي وكان أحد أعضاء هيئة المحكمة أحمد فتحي ،وكانت المحكمة سريعة وشكلية فلم تستغرق سوى أيام قلائل ، وخرجت لتعلن على الملأ أحكاماً ،ثم قضت بإعدام أربعة أحدهم شيخ طاعن في السن ، وقضت على اثنين بالأشغال الشاقة لمدة سبع سنوات ، وعلى ثلاثة بالحبس مع الشغل سنة

والجلد خمسين جلدة ، وعلى خمسة بالجلد خمسين جلدة ، فثارت صحافة مصر تصب على السياسة البريطانية حمماً ،وأبلى مصطفى كامل أعظم البلاء في التنديد ببريطانيا وجرائمها في مصر، وفي إشهاد العالم على وحشيتها ، ودوى صوت في فرنسا وانجلترا ، وتردد صداه في مجلس العموم البريطاني، وكان من أثر هذا كله عزل اللورد كرومر ١٩٠٧.[١]

موقف الشعراء من حادثة دنشواي:

مع ذلك فإننا نرى الشعر في هذا الحادث موقفاً عجبا ،فبينما نرى شوقياً يصمت بإزاء هذا الحادث الذي هز البلاد من أقصاها إلى أقصاها، ولا يقوى أن ينطق إلا بعد عام كامل يتوجه إلى أميره أن يعفو عمن سجنوا في هذا الحادث المشؤوم فيقول:

يا دنشواي على ربباك سلامُ ذهبت بأنسِ ربوعِك الأيامُ[٢]

في حين أن حافظاً نطق في غير ثوران عنيف كان متوقعاً من شاعر مثله ، فهو في قصيدته التي نشرها في ٢ يوليو(تموز ١٩٠٦) بعد الحكم بخمسة أيام ، يعاتب في خشوع وخنوع ، وفي غير عاطفة:

أيها القائمون بالأمر فينا هل نسيتم ولاءنا والودادا؟
خفضوا جيشكم وناموا هنيئاً وابتغوا صيدكم وجوبوا البلادا[٣]

أما صبري فقد لاذ بالصمت ، ثم نطق فيما بعد ، لكن كما نطق شوقي وحافظ ، إذ شكر للخديوي عباس أنه عفا عن المسجونين في حادث دنشواي:

---

[١] راجع حادثة دنشواي في كتاب مصطفى كامل للرافعي ص ٢٠٠-٢٤٠.

[٢] ديوان الشوقيات ، ص ٢٤٤.

[٣] حافظ إبراهيم ديوان / ٢ ص ٢٠.

وأقلت عثرةَ قريةٍ حكم الهوى ... في أهلها وقضى قضاءٌ أخرقُ

إذ إنّ فيها بائس مما به ... وأرنّ جاوبه هناك مطوّقُ

وارحمنا لجناتهم ماذا جنوْا ... وقضاتهم ما عاقهم أن يتقوا[1]

بينما نرى هذا من هؤلاء الشعراء الثلاثة ، إذا بنا نرى محرماً يصرخ صرخة عاتية ، ويرسل صواعقه تتنزل على رؤوس المحتلين كالحمم فتصيب منهم مقتلاً ، ويتوعدهم باستمرار الكفاح والقيام على مصاولتهم حتى يسترد الوطن حقه السليب.[2]

ويبدأ القصيدة بتصوير آثار الفاجعة في النفوس، ووصف وحشية الإنجليز واستخفافهم بالقيم الإنسانية وغفوة ضمائرهم ، فهم يطربون ويتغنون على عويل اليتامى والأرامل وأنات الجرحى واهتزاز المشانق :-

أتلك مصارعُ المستضعفينا؟ ... فما بال الهداة المصلحينا؟

أجيبي دنشواي فإن تكوني ... عييت عن الجواب فما عيينا

همو أخذوك بالنكبات حرّى ... وبالأهوال شتى يرتمينا

تذوقين العذاب وهم نشاوى ... يغنون المشانق ناعمينا

إذا طربت أهاب بها مراحٌ ... تجاوبه نفوس الهالكينا

تطوف بها الأرامل واليتامى ... تضجُّ وتذرفُ الدمعَ السخينا

وتعطفها السياط على رجال ... بمَطرحِ الهوانِ ممزّقينا

تعاورهم أكفّ القومِ صرعى ... تطير جلدوهم مما لقينا[3]

---

[1] ديوان اسماعيل صبري ص ٥٧.

[2] الجيوشي شاعر العروبة والإسلام ص ١٥٣.

[3] ديوان أحمد محرم ، ص ٩٧-٩٩.

ثم يسخر من الإنجليز ومن قضاتهم ويشير إلى اتهامهم المصريين زوراً بأنهم متعصبون ويسخرون من ادعائهم أنهم طلاب إصلاح وعدل :

قضاء طاش من فزع وخوف ... ويحسبه الألى فزعوا رزينا

(قتيل الشمس) ليس له سوانا ... فمرحى للقضاة العادلينا

أمن دعوى التعصّبِ وهي زورٌ ... تباح دماؤنا للغاصبينا؟[1]

ثم يجاهر الإنجليز بتصميم الأمة على الكفاح حتى يغادروا البلاد إلى غير رجعة وهو نغم جديد في أوتار الشعراء في تلك الآونة لا تسمعه إلا من محرم وهو يثور على المحتل ويتهم السلطان بالكذب والخداع فيقول:

بني التاميز كونوا كيف شئتم ... فلن ندعَ الكفاحَ ولن نلينا

خذوا أنصاركم إنا نراهم ... لنا ولقومنا الداءَ الدفينا

هم الأعداء لسنا من ذويهم ... وليسوا في الشدائدِ من ذوينا

ذممنا عهدكم فمتى نراكم ... تشدّون الرحالَ مودّعينا

زعمتم أن موعدكم قريبٌ ... كذبتم أمة تُحصي السنينا[2]

نقرأ هذا لمحرم في الوقت الذي نرى فيه شاعراً مثل حافظ إبراهيم يستعطف "اللورد كرومر" ويذكّره بحب المصريين ، ومع ذلك نرى الدكتور شوقي ضيف يعجب من موقف حافظ ويحاول أن يلتمس له العذر في ذلك بأنه يجاري في موقفه هذا الطبقة الممتازة في مداراة الإنجليز واتخاذ الحيطة والحذر ، ويقول أيضاً" لعلنا بذلك نستطيع أن نفهم مصانعته للعدو الغاصب، فثورته عليه سرعان ما

---

[1] الديوان ١، ص ٩٧٠-٩٩.

[2] الديوان ج١، ص٩٩.

تحمد ، لأنها لا تعصف بقلبه ولا تجعله يضحي بحياته في سبيل شعبه ،ومعنى ذلك أن ثورته لم تكن عنيفة ولا دافع له أن يتقدم للجلاد برأسه[1].

وهذا موقف آخر ينطلق فيه محرم ثائراً كعادته ، جريئاً كعهده صريحاً لا يداور ولا يخاتل ، وهو موقفه من قانون المطبوعات الذي أرسله الإنجليز سيفاً مصلتاً على رقاب المواطنين ، واتخذوه أداة للإرهاب والتنكيل بزعماء الحزب الوطني حتى امتلأت منهم السجون ، وتعطل كثير من الصحف الوطنية وصودرت ، ومع كل ذلك فإن محرما استقبله بثورة عارمة وسخرية لاذعة فيقول:

صبّوا المدادَ وحطموا الأقلاما ... واطووا الصحائفَ وانزعوا الأفهاما

وخذوا على الوجدان كلّ ثنيةٍ ... واقضوا الحياةَ مُزملين نياما

غضوا العيون وطأطئوا هامتكم ... وأرضوا مُقامَ المستميتِ مُقاما

ودعوا الحقيقة واغدروا بعهودهِ ... شعباً يرى حفظَ العهودِ حراما

يا مصرُ ، ماذا تطلبين؟ أما كفى ... أن تصبحي للعاداتِ طعاما؟

موتي فما موتُ العليلِ بضائرٍ ... وكفى بآلام الحياةِ حِماما[2]

أيمكن بعد هذا أن يقال أن حافظاً الذي لم يؤت من الشجاعة ما يمكنه من الجهر برأيه اعنفَ نبع ثائر في الشعر الوطني في تلك الحقبة كما يصفه النقاد ومنهم شوقي ضيف؟!

كان محرم شديد الحرص على جمع الكلمة ، ووحدة الصف واتفاق الهدف حتى يسد الطريق في وجه المخادعين ، ولهذا يقف من شعبه يسدد خطاه ويذود عنه دعاة الشر وذوي الأطماع ، ويهيب بأبناء وطنه أن ينبذوا الخلاف وأن

---

[1] الدكتور شوقي ضيف الله –دراسات في الشعر العربي المعاصر ، ص ٨.

[2] الديوان ٢ ، ص ٤٧-٤٨.

يدعوا الشقاق، ويستجيبوا لداعي الوطن ، ولذا فقد ندد بذوي الأطماع الذين يحاولون أن يسجلوا لأنفسهم مجداً ،ولو كان على حساب اوطانهم وحذر من مسلكهم:

بلوت المدعين بلاءَ صدقٍ ... فلا أدبا وجدت ولا خَلاقا

دعاة الشرقِ يتفقون فيه ... ولا يرجون في الخير اتفاقا

كأن بهم غَداةَ يقال سيروا ... إلى العلياءِ قَيدا أو وثاقا[1]

وطالما منيت الأمة بالأحداث التي اعترضت طريقها ، وفرقت صفوفها ، وعطلت مسيرتها نحو السيادة على أوطانها والسيطرة على موارد ثروتها ، وإصلاح حياتها المضطربة في عالم السياسة والفكر.

الوحدة الوطنية

وطالما منيت هذه الأمة بالأحداث الجسام التي اعترضت طريقها ، وفرقت صفوفها ، فقد حاول الغاصب المحتل أن يمكن لنفسه في الاحتلال ، والاستيلاء على تلك المقدرات ، وصرف الناس عن حياة الجد والعمل على ما فيه صلاح أنفسهم والنهوض بمجتماتهم والانتفاع بمقدراتهم بما بثه فيهم من روح الفرقة والخلاف وإثارة النزوات الحزبية والنعرات الطائفية.

الفتنة الطائفية

لما قتل بطرس غالي رئيس الوزراء المصرية عام ١٩١٠ لأمور نقمها منه أبناء البلاد ، وأثارت عليه الأحرار انتهز الإنجليز هذه الفرصة السانحة بإشعال الفتنة الهوجاء بين المسلمين وإخوانهم الأقباط ،وقد تم لهم ما أرادوا فاستحكم

---

[1] الديون ٢، ص ١٢٥.

الخصام وامتدت الأقلام من هنا وهناك تمزق بكلماتها صفوف الأمة وتفرق وحدتها.

وهال أحمد محرم ذلك الصدع الأثيم الذي شق البنيان المرصوص لمواجهة الأزمات ومقاومة الاحتلال ، فكان في مقدمة الثائرين على تلك الفرقة ، وفي طليعة الدعاة إلى القضاء على أسباب الفتنة ، والعمل على رأب الصدع والتئام الجمع في مواضع متفرقة من شعره الوطني الصادق، وفي قصائد خصها للنعي على دعاة الفرقة والانقسام ، فمن ذلك قوله في قصيدته "هذا السبيل"

إيه بني مصرٍ أما وعظتكم ... ما تصنع الأحداثُ والأيامُ
إيه فقد طمت الخطوب وهالنا ... فيها ركامٌ يعتليه ركامُ
إيه فقد أشقى النفوس جمالها ... وأضلّها التمويهُ والأبهامُ
خلق يهيب الشرمنه وترتمي ... فتن تروع الآمنين جسامُ
سوسوا أموركم سياسة حازم ... فلعل معوج الأمور يقامُ
أسفي على المتباغضين وقد رأوا ... أن الفلاح تودد ووئامُ
شرعوا العداوة بينهم لم يوصهم ... دين المسيح بها ولا الإسلامُ
عوت الثعالب أمس حول عرينهم ... واليوم يزأر حوله الضرغامُ
جثموا بمستن الهوان : وما درَوْا ... أن الحياة تدافع وزحامُ[1]

ويقول في قصيدة عنوانها "الإخاء فتذكر"

تنسى ويعطفها الإخاء فتذكر ... والحب قد يطوي القلوبَ وينشرُ
إنا لعمر اللائمين على الهوى ... لنرى سواء من يلومُ ويعذرُ
نرضى الأحبة لا نراقب بعدهم ... أهواء من يرضى ومن يتذمرُ
يا من يحاول أن يغير عهدنا ... أنظر إلى الإيمان هل يتغيَّرُ؟
يا أمة الإنجيل إنا أمةٌ ... في مصر واحدة لمن يتدبرُ

---

[1] الديوان ١، ص١٦٦-١٦٧.

ونجد هذه الروح في قصيدته "الخلف واللجاج" التي يقول فيها معبراً عما يحاول من البناء وما يحاول دعاة الفتنة من الهدم:

تبني وتهدم أيدي الجهل دائبةً ... فمن لنا ببناءٍ غيرِ مُنهدِمِ؟
يا ويحَ مصرٍ أما تنفكّ ثائرةً ... لحادثٍ جَللٍ أو نكبةٍ عَمَمِ
يا أمة القِبطِ والأجيالُ شاهدةٌ ... بمالنا ولكم من صادقِ الذِّمَمِ
هذي مواقفنا في الدهرِ ناطقةٌ ... فاستنبئوها تريحونا من التُّهَمِ
لا تظلموا الدينَ إن الدينَ يأمرنا ... بما علمتم من الأخلاقِ والشِّيَمِ
منا ومنكم رجالٌ لا حلومَ لهم ... ولا يَفيئون للأديانِ والحُرَمِ
أنتم لنا إخوةٌ لا شيءَ يُبعدنا ... عنكم على عَنَتِ الأقدارِ والقِيمِ[1]

ويبدو أن قصيدته "الإخاء الوطني" بأبياتها الراشدة وقيمتها الرفيعة، وما أعلنه فيها من المحبة المطوية منها والمعلنة، لم تحقق غايتها في تهدئة النفوس، وفي انتزاع فتيل الأحقاد التي رسخها أعداء الفريقين، فاستمر دعاة الفتنة في التحريض على إثارة الفتنة، فكثرت اللجاجات والمهاترات، وجرت الألسنة والأقلام بما يزيد النار اشتعالاً، ودائرة الخلف اتساعاً، ولذلك أبدى الشاعر قلقه، وعبر عن خيبة أمله في إزالة الشقاق، ورأب الصدع، ومن هنا وجد الشاعر نفسه مضطراً إلى شيء من التذكير بالواجب نحو الوطن، يقول محرم:

يا ويحَ مصرَ لخلفٍ لا ركودَ له ... إلا ليعصفَ بالأقدارِ والأمَمِ
مثلُ البراكينِ في الحالين ما هدأتْ ... إلا لتقذفَ بالنيرانِ والحِمَمِ[2]

ويؤكد محرم هذه المعاني في قصيدة "بين المأربين":

---

[1] الديوان ١، ص ١٦٨.

[2] المرجع نفسه ص ١٦٨.

كـــذب الوشـــاةُ وأخطـــأ اللـــوامَ ... أنـــتم أولـــو عهـــدٍ ونحـــن كـــرامُ
حـــبٌّ تُجِـــدُّ الحادثـــاتُ عهـــودَهُ ... وتُزيـــدُ في حُرماتِـــهِ الأيـــامُ
وصـل (المقـوقسُ) بـالنبيِّ حبـا لـهُ ... فـــإذا الحبـــالُ كأنهـــا أرحـــامُ
وجـــرى عليـــه خليفـــةٌ فخليفـــةٌ ... وإمـــامُ عـــدلٍ بعـــده فإمـــامُ
لا ننشـــد العهـــد المؤكـــد بيننـــا ... النيـــلُ عهـــدٌ دائـــمٌ وذِمـــامُ
مُـدّوا القلـوب مصـافحين بموقـفٍ ... عكـــف الصـــليبُ عليـــه والإســـلامُ
(عيســـى وأحمـــد) والأئمـــة كلُّهـــم ... بـــين الحـــواريين فـــين قيـــامُ
أعلـى البنـاءِ لكـلّ شـعبٍ نـاهضٍ ... مـا كـان منـه علـى الإخـاءِ يُقـامُ
الـــدين لله العلـــيّ، وإنمـــا ... ديـــنُ الحيـــاةِ تـــودُّدٌ ووئـــامُ
إنـــا لمصـــرَ علـــى تقلّـــبِ أمرِهـــا ... أبناؤهـــا الموفـــون والخـــدّامُ[1]

وشعره في هذه القصيدة يختلف عن القصيدة السابقة ، ففي الأولى كان ثائراً على التمادي في الخصام ، وعلى اجتهاد غيره في هدمه ، كما يحاول بناء الوفاق بشعره الصادق وعاطفته الفياضة ، ولكنه في هذه القصيدة يبدو هادئ البال، راضي النفس ، ولعل السر في ذلك إحساسه بقرب نزول القوم على حكم العقل ، وإعمال الروية والإحساس بمغبة ما كانوا عليه من الخلف واللجاج كل ذلك يشير إلى قرب انفراج الأزمة ، وانجلاء الغمة ودعوة الصفاء الذي كدره الأعداء ،وفعله الجهلاء من أبناء الأمة.

موقف محرم من الإنجليز

وإذا كان بعض الساسة من أبناء البلاد قد صانعوا المحتلين ، وتابعهم في هذه المصانعة بعض الأدباء والشعراء من ضعاف النفوس الذين لم يراعوا في وطنهم إلا ولا دمة ، فإن أحمد محرم لم تضعف حميته ولم تلن قناته في الحملة على الإنجليز

---

[1] المرجع نفسه ، ص ١٧٠.

والتنديد بسياستهم الغاشمة ، وذلك من خلال شعره الذي استثار به حمية النفوس ، واستمر على هذه الدعوة ولم ينكص عنها في فترة من فترات الضعف التي أصابت بعض الشعراء ، فأخذوا يدعون إلى مهادنة المحتلين ، أما شاعرنا فإنه من حزب الله ، وهو حزب الحق والكرامة ، ولا يخشى في الحق لومه لائم:

نحن حزبُ الله صنا حقّه ... وحفظنا عهده في الناكثينْ
نحن بايعناه مذكنا على ... نصرةِ الحقّ وكنا فاعلينْ
إن غضبنا أو رضينا فله ... لا نبالي تُرّهات المرجفينْ
نحملُ الأقلامَ غرا ولنا ... صحفُ الأبرارِ بين الكاتبينْ
ما الألبّاء كضلّال النّهى ... لا ، ولا الأحرارُ كالمستعبدينْ[1]

ويستمر في بث الحمية ، واستثارة الغيرة في النفوس ، وحث القوم على جهاد الأعداء، وقتالهم ، مؤمنين بنصر الله ، لأن جهادهم مقدس في سبيل العقيدة والحفاظ على المحارم ، ومصر كنانة أرضه، وحصن الإسلام المكين:

يا لقومي ، جاهدوا لا تهنوا ... وسيأتي اللهُ بالنصرِ المبينْ
أنجدوا مصرَ إذا ما فزعَتْ ... وأهابت بالكُماةِ الباسلينْ
احفظوها ، إن مصراً إن تَضعْ ... ضاعَ في الدُّنيا تراثُ المسلمينْ[2]

ويقول عن الإنجليز أنهم استبدوا بخيرات الوطن ، وتركوا أبناءه في فقر، وجوع مستسلمين للأمنيات الخادعة التي يمنيهم بها الإنجليز:-

راحوا بطانا وباتت مصرُ طاويةً ... غرثى تشدُّ على أحشائها النِّطُقُ
لم يبق منها وإن ظنوا الظُّنونَ بها ... إلا الدّماءُ يعاني الموتَ والرمقُ
عجبت للقوتِ يعيي القومَ تحملُهم ... أرضٌ تدفّقَ فيها النيلُ والعَرقُ

---

[1] ديوان ١ ، ص ٤٢١.

[2] المرجع نفسه ، ص ٤٢١.

فرعـــونُ أكـــرم عهـــداً في سياســـتِه مـن مُستبدّينَ لـولا الظلمُ مـا خُلِقـوا[1]

فظائع الأنجليز في مصر إبان الحرب العالمية الأولى

وتقـوم الحـرب العالميـة الأولى ، وتشـتد قبضـة الإنجليـز علـى الـبلاد ، ويستأثرون بخيراتها وأقوات أهلها ويحولـون بينهـا وبـين مـا تخرجـه أراضـيهم ، وتشقى في سبيله أيديهم ويسومون الشعب العسف والمظالم ، حتى ضاق العيش بأناس ، وأظلمت في وجوههم الحياة وتصل آذان الأحرار بين آونة وأخرى تلك الدعاوى العريضة التي يطلقها المحتلون بأنهم حماة العدل، ودعاة الحـق ، فيضـيق محرم بهذه الدعاوي الزائفة ، ويتناولهم في سخرية لاذعة:

أغثيـــوا مصـــرَ واســـتبقوا بينهـــا فقـــد ضـــاقت وضـــاق العـــيشُ فيهـــا
أغثيـــوا أمـــةً تشـــكو إلـــيكم أذى الحـــدثانِ والعـــيشَ الكريهـــا
نعـــوذ بعـــدلكم أن تســـلمونا إلى نـــارِ الخصاصـــةِ نصـــطليها[2]

ولما اشتدت الحركة الوطنية بمصر على أيدي مصطفى كامـل ، وظهـر مـن يدعو للقومية المصرية ، خالصة من دون الترك والإنجليز ، نرى محرم يلبي الدعوة قوياً صريحاً جريئاً شأن المؤمن الذي لا يرهب إلا الله ، ولا يبـالي أصـابة الضـر فيمـا يقـول " أم الخـير "وفي رده علـى خطبـة "كرومـر" الـتي رمـى بهـا المصـريين بالتعصب، وحمل على الإسلام حملة ظالمة ، يقول في قصيدة طويلة:

رويـــدك أيهـــا الجبـــارُ فينـــا فـــإن الـــرأي ألا تزدرينـــا
رويـــدك أيهـــا القاضـــي علينـــا قضـــاءَ الظـــالمين الناقمينـــا
زعمـــت الحكـــمَ حكمـــك في كتـــابٍ كـــذبت بـــه الخلائـــقُ أجمعينـــا
زعمـــت (محمـــداً) لم يُـــؤتَ رُشـــداً ولم يســـلك ســـبيلَ المُصـــلحينا

---

[1] المرجع نفسه ص ٢٤١-٢٤٢ * الذماء : بقية النفس.

[2] الديون ١، ص١٢٠.

فليّـــك كنتـــه للســـن شَـــرعاً يُبلغنـــا مكـــان الســـابقينا[1]

وتنقسم البلاد إلى شيع وأحزاب ، ويصبح بأسها بينها شديداً ،ويقف المحتل يرقب من بعيد في فرح ودهاء يؤجج الخلاف من وراء ستاره ، وتنسج أصابعه الخفية خيوط الفرقة ، فتتفرق الأهواء ، ويتصدع الشمل ويرى محرم هذا ، فيدعو دعوة مخلصة إلى اليقظة والوقوف في وجه رياح الفتنة ، حتى لا تجتاح الصفوف ، ذلك لأنه يُعد نفسه خائناً لبلاده مضيعاً لقومه إذا لم يقف دون وطنه بقية عوادي الشر ، ويدفع عنه كيد الكائدين وحقد الحاقدين.

بـــني وطـــني مـــن يرتـــدِ الشـــرَّ يَلْفِـــه وإن راقـــــه يومـــــاً رداءً مُســـــمّما
بـــني وطـــني مـــالي أراكـــم كأنّمـــا تَـرَوْن السـبيلَ الـوعْرَ أهـدى وأقومـا[2]

وتنتقل الثورة بعد الحرب ، وتندفع مصر تطالب بحقوقها ، وتعلن غضبتها في عزيمة وإصرار ، ويتعرض الغاصب لشبابها الثائر بنيرانه وقذائفه فيتساقط صريعاً كالزهر الغصن وهو يهتف بحب مصر ، يمضي الشهيد إثر الشهيد.

ويمشـي الشـهيد علـى الشـهيد وإنمـا يمضـي علـى إثـر الرفـاق ويتبـع[3]

ومن قصيدة له سنة ١٩١٩ يندد بفظائع الإنجليز في إخماد الثورة ، وما أرتكبوه من القتل والتنكيل بالأبرياء:

يـــا ســـوء مـــا حمـــل البريـــدُ ويالهـــا مـــن نكبـــةٍ تـــدع النفـــوسَ شُـــعاعا
يـــا رب مـــا ذنـــبُ الـــذين تتـــابعوا يسترســـلون إلى المنـــون ســـراعا
عزريـــل نُبِّـــئَ أصـــاب جمـــوعَهم فارتـــاب ثـــم رآهمـــو فارتـاعـــا[4]

---

[1] الديوان ١، ص ١٢٦-١٢٧ * الخصاصة : الفقر وضيق العيش.
[2] المرجع نفسه ، ص ١٦٣.
[3] المرجع نفسه ، ص ٣٦٥.
[4] عبد الرحمن الرافعي ، شعراء الوطنية ، ص٢٠٢.

ثم يقول:-

يـا مصـر خطبـك في الممالـك فـادح ... ومُصـاب أهلِـك جـاوز المسُـطاعا
قـوم يـروعهمُ الـبلاءُ مضـاعفا ... وتعيـبُهمْ نـوبُ الزمـانِ تِباعـا
إن هَـاجمهم طمـعُ الحيـاةِ رمـى بهـم ... خطُـبٌ يـروّعُ مـنهمُ الأطماعـا
وإذا أرادوا نهضـةً نفـرت لهـم ... حمـرٌ خـلا الـوادي فكـنّ سِباعا[1]

موقفه من الأحزاب المصرية

وقف محرم من الأحزاب المصرية موقف الناصح الأمين لا يميل به الهوى إلى حزب دون آخر ، يقدم النصح ويستحثهم على الوحدة والتمسك بالأهداف العليا للقومية المصرية ، استمع إليه ينصح الوفد المصري المطالب بحقوقها:

وفـدّ الكِنانـةِ هـل حملـت رجاءَهـا ... أم قـد حملـت أمانـةَ الأزمـانِ؟
الـدهرّ عـينٌ والممالـكُ السـنُ ... والنيـلُ قلـبٌ دائـمُ الخفقـانِ[2]

وتسفر المفاوضات عن مشروع اتفاق بين المتفاوضين ، ويرى سعد أن يأخذ رأي الأغلبية قبل أن يمضي الاتفاق، ويحمل المشروع بعض اعضاء الوفد ، ويذكرون منافعه ومزاياه ، ويقف محرم يتساءل عما حملوا ، ويصور القلق الذي اعترى الأمة وخوفها مما يتهدد جهادها من فرقة الكلمة ، وشتات الرأي ، فيتوجه إليهم ويحذرهم عاقبة الخلاف وآثارة الوخيمة على البلاد وقضيتها:

يـا أيهـا القـوم مـاذا في حقـائبكم ... أنـي أرى الشـعبَ قـد أودى بـه القلـقُ
جئـتم إلينـا فبانـت مصـر راجفـةً ... ممـا حملـتم وكـاد النيـل يحـترقُ[3]

---

[1] المرجع نفسه ، ص ٢٠١، ٢٠٢.
[2] الديوان ١، ص ٤٠٢.
[3] المرجع نفسه ، ص ٤١٤.

ثم يدعو إلى ضم القوى ، ورصَ الصفوف ، ويذكرهم بمظالم المستعمر، ويحملهم حكم التاريخ ، وحاشاهم أن يسجل عليهم عقوقاً لبلادهم أو خيانة لقضيتهم:

ضموا القوى حوله لا تذهبوا شيعاً ... فما لكم بعده في العيشِ مرتَفقُ
أما تمضّكمُ الأحكامُ جائرة؟ ... ولا تعضّكمْ الأغلالُ والرّيقُ
لا تظلموا مصرَ إن البرآيتُه ... ألا يروّعها ظلمٌ ولا رَهَقُ[1]

ويرى محرم الأهواء قد توزعت قادة الأمة ، وفرقت وحدتها فيسأل الله لبلاده التوفيق حتى يخرج من هذه الغمرة فيقول:

هدايتك اللهمّ ، إني إرى الألى ... هم القادةُ الهادون شتى المسالك
أضنّ بنفسي أن تسيروا وراءَهم ... وأخشى عليها عادياتِ المهالكِ
هدايتك اللهم إنا نخوضُها ... غياهبَ دهرٍ ذي أعاجيبَ حالكِ
أعوذ برب الناسِ من كلّ ظالمٍ ... وأشكو إليه كلّ خصمٍ مُماحكِ
أعوذ به من كلّ سوءٍ وأحتمي ... بأسمائه من كلّ عادٍ وفاتكِ[2]

وتصل الأنباء عن انقسام وقع بين أعضاء الوفد وانقسامهم على أنفسهم ، ولكن محرماً كان ينظر للأمر من زاويته الخاصة ، ولا يعنيه أن يكون الزعيم سعداً أم سعيداً وإنما الذي يعنيه أن يسلم استقلال مصر ، وأن تتجه العزائم إليه وأن الشعب جند للدفاع عن حقوقه واللذوذ عن حماه ، وهو الحصن الذي استند إليه مصطفى كامل ومحمد فريد في جهادهما الطويل الشاق.

وتختلف الآراء حول مشروع الاتفاق ، فيرفضه الحزب الوطني ، ويرى فيه انتفاضاً من حرية البلاد وتسليماً للاحتلال ، ومن جانب آخر يؤيد آخرون

---

*الربق: جمع ربقة وهي العروة في الحبل.

(1) الديوان ١ ، ص ٤١٤.

(2) الديوان ١، ص ٢٧١.

الاتفاق وفيهم من كان صديقاً لمحرم ، فلا تحميه الصداقة من أن يعرض لرأيه وينكره عليه ، لأن الأمر أمر الوطن والقضية قضيته والوطن فوق الصداقات.

ومحرم يرى في الاتفاق ضياعاً لحقوق مصر ، فيشرع قلمه يحاجج المدافعين عن الاتفاق والمؤيدين له ، ويسميه الاستقلال الزائف ، قد يخدع مظهره البراق ، ولكنه لا يقوى أمام الدرس والتدقيق على البقاء ، وإن كان هواه مع الحزب الوطني ، حتى لقد أتهم بأنه من حساد سعد ، مع أنه كان وطنياً مخلصاً لا يرتضي انصاف الحلول ، ولا يقنع رأيه في الاستقلال ، وأنه يرجو أن يكون سعد فوق السحاب تنال البلاد خيرها واستقلالها على يديه ، لا ذلك الاستقلال الزائف.

لم يكن محرم في الواقع حزيناً، ولكنه كان شديد الحمية في التعصب لوطنه ، وقد غضب حين رضى قومه بالاستقلال الزائف وتوج الجهاد الطويل بالخداع ، والمداهنة ، ولذلك كان جريئاً في لومه وتعنيفه لساسة مصر حينذاك ، ولقد تميز محرم دائماً بالجرأة ، وانصرف عن الاصلاح لم يتردد في أن يقول فيه ما كان يعد في ذلك الوقت جريمة ، ويعرض صاحبه للعقاب الصارم.

وكان محرم يتتبع في حرص بالغ شؤون السياسة المصرية ، وخطوات ساستها ولم يدع مقاماً إلا أدلى فيه برأيه ، صادعاً بكلمة الحق ، محذراً ، ناصحاً ، ومشجعاً ومقرعاً على حسب الموقف الذي يقفه الزعماء والمصلحون.

ولما عاد أعضاء الوفد يعرضون على الأمة مشروع "لنر" الذي وضعه اللورد "لنر" عام ١٩٢٠، وخشي محرم أن يكون المشروع خدعة إنجليزية ، إذ طالما وعدوا ومنوا بالأماني ولم يتحقق لهم وعد ، ولم ينجزوا أمنية ، وراح أحمد محرم يحذر المصريين من الفرقة ، ثم يتوجه إلى وفد الصحفيين الأجانب ، وكان أحد المحامين قد عاد إلى مأدبة أقامها بمدينة حلوان وأخذ يصف لهم شعب الكنانة

حتى يكتبوا عن مصر ما ينبغي أن يكتب عن شعب يسعى للحرية الخالصة ، ويسعى لنيل الاستقلال الصريح ، فقال يخاطب المحامي المضيف:

أبلغ ضيوفك حين يشهد جمعهم ... كرم الشعوب يَزينْ شعبَ النيلِ

إن الكنانة لا يحومْ رجاؤها ... إلا على استقلالها المأمولِ

أنتم لها رسلُ الحضارةِ فاشهدوا ... وَضَحَ السبيلُ وقام كلُّ دليلِ[1]

والاتفاق الإنجليزي في رأي محرم ، نكبة على مصر أي نكبة ، وهو نكسة للحركة الوطنية الرائعة التي خاضها الشعب مستبسلاً وخيانة للدماء الطاهرة الزكية التي أريقت على تراب مصر ، أليس في هذا الاتفاق غدر بالمبادئ والمثل التي قدم الشهداء أرواحهم من أجلها ، ويذكرهم محرم فيقول:

وَيحَ نفسي ويحَ مصر كلّما ... ذكرتُ مصرُ بنيها الهالكينْ

يوم جاشَ الهولُ في أرجائها ... فاتقتُه بالشبابِ الناهضينْ[2]

وترسل إنجلترا جورج لويد معتمداً لها في مصر عام ١٩٢٥ فيستقبله محرم بقصيدة قوية ، ويتوقع على يديه شراً جديداً لأن مصر تعودت هذا دائماً من الانجليز، ثم يحذره من غضبة مصر ويدعوه لانصافها:

أتسأل مصر ما حمل العميدْ؟ ... وهل عند الرماةِ لها جديدٌ؟

هو السهم الذي عرفته قدماً ... وجرّب وقعّه الشعبُ الوئيدُ[3]

ثم عرج على الزعماء ، وقال عنهم أنهم اتخذوا من الزعامة دعوى يكيدون بها الوطن الجريح ، أما الشعب فإنه يدين بغير ما يدينون به لأنه ناله بسهامهم ما أصابه في السويداء.

---

[1] الديوان ١، ص ٣٨٨.

[2] الديوان ١، ص ٤٢٠.

[3] الديوان ٢، ص ٥١٢.

دع الزعمـــاء إن لهـــم لـــدينا يـــدين بغـــيره الشـــعبُ الرشـــيدُ[1]

فهو يرى مقدار ما جناه الصراع الحربي على قضية الوطن ، وما جره النزاع بين الزعماء من آثار سيئة عادت على الوطن وقضية البلاد بالضرر البالغ ، وهذا النزاع يملأ القلوب المخلصة أسى ويزيدها حسرة وهماً .

وقد صور لنا محرم ما أصيب به البلاد على يد هذا الانقسام تصويراً صادقا ودقيقاً ، ولا يلبث أن يعود بعدها إلى "لويد" يحذره ويذكره بما آل إليه أمر الطغاة، ويستعرض تاريخهم الأسود في حادثة دنشواي ، وكيف قد آب حاملاً آثامه ملطخاً بخزيه وعاره:

عميـــد الغاصـــبين نزلـــت أرضـــاً يبيـــد الغاصـــبون ولا تبيـــدُ
يـــذود الواحـــدُ القهّـــارُ عنهـــا إذا قهـــرت جنـــودَك مـــن يـــذودَ[2]

والقصيدة كلها من النمط العالي تتأجج فيها روح الوطنية وتجيش بالأحاسيس الملتهبة ، وترمى المتخاذلين ، بصواعقها ، و كان محرم يتخذ من ذكرى الزعماء الوطنيين فرصاً سانحة يتغنى فيها بمجد مصر ، ويصور ما حل بها من أرزاء ، فيقول في ذكرى مصطفى كامل :

طبيـبَ النيـلِ هـل للنّيـلِ شـافٍ؟ وهـل للـداءِ بعـدك مـن طبيـبِ؟
ألم تـر كيـف أخطـأ كـلُّ آسٍ ومـن لـك بالنطاسـي المصـيب؟
هـوى الـوطنُ الجـريحُ ، وكنـتَ قِـدماً تضُـمّ جوانـبَ الجُـرحِ الرغيـبِ[3]

وكان دائماً يصور تطاحن الأحزاب وصراعها ، ويبين أن الضحية الوطن ، ويقول في ذكرى مصطفى كامل عام ١٩٣٣ من قصيدة وطنية غاية في القوة ،

---

[1] الديوان ٢، ص٥١٢.
[2] المرجع نفسه ، ص٥١٢.
[3] المرجع نفسه ، ص ٦٥٣.

وقد تعجب لما ترى من قصائده التي أنشدها في مصطفى كامل، ولكن لا يلبث هذا العجب أن يزول حينما نسمع محرماً يقول عنه:

من لا يرى أن الجهادَ مروءةٌ ... حتى يكون المرءُ من شهدائِهِ
من علم (المصرى) حبَّ بلادِهِ ... وأقام من دمِه مثالَ وفائِهِ
لم يلق (قيسٌ) في هوى (ليلاه) ما ... لاقى ولا (بنُ حزامَ) في (عفرائِهِ)[1]

و"محرم" أمين على مبادئ مصطفى كامل، شديد التمسك بها، يرى أن مهادنة المحتل خيانة، وأن أشد أعداء الوطن من لا يرى المحتل من أعدائه:

هي في جلالتها حِمى أبنائِه ... ومضاجعُ الماضين من آبائِهِ[2]

ولمحرم كثير من أمثال هذه الفوائد التي تزخر بالعاطفة الجياشة والحمية والغيرة على الوطن وقضيته.

محرم وسعد زغلول:

على الرغم من الدور العظيم الذي قام به سعد زغلول، إلا أن الحالة التي وصلت إليها مصر زمن سعد، دعت المخلصين من الرجال المحنّكين إلى السخط على سعد، والسخط على الشعب الجاهل الذي لا يميز بين الحق والباطل ولا يعرف المخلص من المداهن ومن ذلك قول محرم:

ولم أر كالشعوبِ تساسُ فوضى ... وتُؤخذُ بالمخالبِ والنيوبِ
رمى الأبصارَ ساحُرها فزاغت ... وران هوى النفوسِ على القلوبِ
فما عَرف النصيحُ من المدجي ... ولا وضح الصريحُ من المشوبِ
فوا أسفي لآمالِ حِسانٍ ... هززتُ لهنّ أعطافَ الطّروبِ
غرسناهنّ خُضْراً يانعاتٍ ... فأخلفهنَّ كلُّ حيا سكوبِ

---

[1] المرجع نفسه، ص ٧٣١.

[2] المرجع نفسه، ص ٧٣٣.

ذويْـــن ، فكـــنّ لـــي ولكـــلّ حُـــرٍّ أواخـــرَ نُضـــرةِ العـــيشِ الرّطيـــبِ
أراقـــب دولـــةَ الخَلَـــقِ المُرجّـــى وأخشـــى ماأصـــاب بـــني عتيـــبْ*
فيـــا وطنـــاً وهبـــت لـــه شـــبابي ومـــا رعـــت المـــروءةُ مـــن مَشـــيبِ
لأجلـــكَ مـــا حييـــت أعـــيش حـــراً وفيـــك امـــوتْ مـــوت فتـــى نجيـــبٍ[1]

نرى محرماً في هذه القصيدة التي اجتزانا منها هذه الأبيات يعبر عن الحال السيء الذي وصلت إليه مصر ،والتي دعت المخلصين الذين يعرفون ماضي سعد وتاريخه إلى السخط على سعد تارة والسخط على الشعب الجاهل الذي تأثر بمقدرة سعد الخطابية تارة أخرى، واندفع الناس في تنزيه سعد حتى أصبح الدين مبرءاً من كل عيب[2].

ويقول د. محمد محمد حسين : "إن سعد زغلول كان قد استغل الطلبة كسلاح سياسي ضد خصومة المعارضين له ، وإن إثارتهم كانت سهلة بالخطابة ، وكانت أساليب الوفد السياسية في ذلك الوقت أشبه بالدجل والشعوذة في كثير من الأحيان، وربما كان أصلح الأمثلة على ذلك موقف سعد وحزبه من مشروع ملنر ، فقد كان من الواضح أنه يميل لقبوله ، لكنه في الوقت نفسه يخشى أن يفقد سمعته عند الشعب[3].

ويرد محرم على سعد الذي وصف أعضاء الحزب الوطني بأنهم جماعة من الشعراء والخياليين فيقول:

---

* بنوعتيب قبيلة من اليمن أبوها عتيب بن أسلم ، غزاها أحد الجبابرة ، فأسر الرجال واستعبدهم فكانوا يقولون إذا كبر صبياننا لم يتركونا حتى يفكونا من الأسر، فما زالوا عنده حتى هلكوا ، وبهم يضرب المثل لمن مات وهو مغلوب ، فيقال أودى عتيب.

[1] الديوان ١، ص ٦٥٦.

[2] محمد محمد حسين –الاتجاهات الوطنية ج٢، ص٣٧٩-٣٨٠.

[3] المرجع نفسه ، ص ٣٨٥.

مـــالي دعـــوت فلـــم أجـــد ... في الشـــعب أجمـــعَ مـــن مجيـــبْ
ذنـــبي إليـــه أمانـــة ... هـــي عنـــده شـــرّ الـــذّنوبُ
الحـــقُ أنّ ســـبيلنا ... خَطِـــرُ المطـــامعِ والـــدّروبْ[1]

ويسترسل محرم في تهكمه اللاذع وسخريته من منطق سعد الذي أصم أذنيه عن كل دعوة للوئام بينه وبين الأعضاء المستقلين من وفد المفاوضات متجاهلاً رأي كثرة أعضاء الوفد ،واندفاع سعد بدلاً من ذلك في الاستخفاف بخصومه المخالفين لرأيه من أعضاء الحزب الوطني ووصفهم بالشعراء والخياليين.

وتعم المظاهرات البلاد سنة ١٩٣٥ فيتلقفهم رصاص الجند ، وتسيل دماؤهم على بطاح الوادي فترويها ، ويقف محرم إزاء هذا الحادث تتنازعه عاطفتان : عاطفة الأسى والحزن على الشباب النضر الذي ذهب ضحية رصاصات طائشة أطلقها مغرورون مأفونون ، وعاطفة الفرح والاعتداد بالنفس، لأن شباب مصر أثبتوا أن على ثراها من يقدم روحه قرباناً لها ، وتجود قريحة محرم بقصيدة أسماها "مصر العروس" يقول فيها:

قـــل مـــا أردت فمـــا عليـــك جُنـــاحُ ... أســـدى كـــذلك تـــذهب الأرواحُ؟
يـــا للضـــحايا الحـــاملاتِ جراحَهـــا ... يُغـــدى بهـــا محمولـــةً ويُـــراحُ
يـــا للشـــبابِ ، جـــرى علـــى آمالـــه ... قَـــدّر مـــن المـــوتِ الـــزؤامِ مُتـــاعُ
تبكـــي علـــى الفتيـــانِ في آنـــافِهم ... شَـــمَمٌ وفـــيهم نخـــوةٌ وطِمـــاعُ[2]

ولعمري ، إن هذه النفس التي تتحرق وطنية وألماً لما نكبت به مصر في بنيها، كانت جديرة بأن تتبوأ مكانتها اللائقة بها في عالم الأدب ، لقد حظي حافظ بالشهرة في عالم الوطنيات مع أنه لم يقف لحر الوطنية، وما يلاقيه الوطنيون في سبيل مبادئهم إلا أمراً يسيراً، وهو في شعره الوطني لا يشعرك بتلك الحرارة

---

[1] الديوان ٢، ص ٦١٢.

[2] الديوان ٢، ص ٧٧٢.

التي يبعثها في نفسك شعر محرم ، لكن عيب محرم وعيب صديقه الكاشف أنهما آثرا العزلة بالريف حين فسدت الحياة في القاهرة ، واختلف الناس فيما بينهم على المبادئ السامية ، وكان في محرم زهد وعفه وإيمان قوي ، فلم يتملق رئيساً أو يعرف في الحقد لينا أو مواربة ، وكان حافظ رجل دنيا ، كثير الاختلاط بالناس، فالتمس له أصدقاؤه الأعذار حين قصر ، وأغدقوا عليه عاطر الثناء حين وفق.

أما محرم فقد بقي محروم القلم القوي الذي يعرض دوره بين الناس ، ويعرف به قومه ، وهو الذي آثر الفقر والوحدة والحرمان في سبيل مبدئه ، وكان شاعراً صاحب رسالة ، وقد وجدت في شعره من القوة والبيان ما يجعله في مصاف المجيدين.

ولكن عيب محرم الوحيد أنه يمثل الفريق الجاد في الأمة الذي يشعر بآلامها المبرحة ، وأدواتها المستعصية ، وكان صاحب مثل أعلى في أمة هازلة تطرب للعبث ويفتنها زبرج الحضارة الغربية ليصرفونا عن أهدافنا الإسلامية والقومية ، وكان شاعر مصر سياسياً واجتماعياً ،وكان شاعر العروبة والإسلام، متعدد النواحي الأدبية ، ومع ذلك كان عاثر الحظ في حياته ، لأنه لم يتملق العظماء فيمدحهم بما ليس فيهم ، ويرثيهم إذا ما لاقوا حتفهم ، بل كان شاعراً صادق الشعور في كل ما ينطق به.

لا نظاما يقول في المناسبات ، فلم يجد من يدفعه إلى عالم الصدارة ، كما وجد سواه من الشعراء ، فالوطنية كانت واضحة في شعره عندما وصف الفظائع التي ارتكبها الغاصب وحينما نادى بالاستقلال والتحرر من ربقة الأجنبي ، وحينما حث على الثورة أو عندما صور الصدام بين جنود الاحتلال الوطنيين المجاهدين .

رحم الله محرما وجزاه عن وطنه خير الجزاء ، فقد أقام على حبه حين مالت بالناس الأمور، وعانى من الأذى والإنكار في سبيله ما عانى ، ولو أنصف الوطن بنوه لخلدوا ذكره ، ورفعوا مجده ، فما عرفت مصر شاعراً تغنى بحبها مثلما تغنى محرم ، ولا شاعراً بكى الآمها وجراحها مثلما بكى محرم ، وقد لقى ربه وهو يهتف:

لسنا حماةَ النيل إن ظفروا بها ... حتى يسيلَ دمُ الرجالِ كمائِهِ[1]

وكما كان محرم محباً لوطنه ، فقد كان صادقاً في غضبه وثورته ، وكان مارداً جباراً يقف في وجه الطغيان المستعمرين ، ويرى فيهم فظاظة وقسوة وغلظة فيقول:

يا يومَ جدد للكنانةِ عهدَهم ... بوركتَ يوماً صالحاً ونهارا
أرنا الوغى تجلو السيوفَ بواتراً ... والخيلَ جُردا والعَجاجَ مثارا
وأفِضْ على النيل الدماء زكيةً ... تحيي القرى موتى الزروعِ قفارا
إن الذي منح الكنانةَ ريّها ... أخلى الجداولَ منه والأنهارا
يجري الصّدى فيها ويندفع الرّدى ... متدفقاً ملءَ القرى زخّارا[2]

---

[1] الديوان ٢، ص ٧٣٣.

[2] المرجع نفسه ، ص ٧٠٣

رفع
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس
www.moswarat.com

رفع
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس
www.moswarat.com

الفصل الثاني

شعره الإسلامي

رفع
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس
www.moswarat.com

رفع
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس
www.moswarat.com

الصلة بين الشعر والدين

شعر محرم الإسلامي جدير بالدراسة والبحث ، لأنه يعكس الدور الذي أداه هذا الاتجاه من الشعر في المواجهة الشاملة بين الحضارة الإسلامية الأصلية والحضارة الغربية الوافدة ، كما أنه يكشف عن عظمة الإسلام وقدرته على الثبات والتحدي بما له من إمكانات تصلح أساساً لأقوى حضارة وأشمل ثقافة .

ولقد كان محرم واحداً من الشعراء المحافظين *في مصر الذين دافعوا عن الجامعة الإسلامية والسيادة الوطنية ، وتمجيد الشورى ورفض الاحتلال والاستبداد[1].

ولا بد قبل الحديث عن شعر محرم الإسلامي من البحث في صلة الشعر بالدين بوصفه دين العلم والحياة ، وليس كما يزعم أعداء الدين الإسلامي بأنه دين الجهل والتخلف.

ولما كان الشعر صدى للمجتمع ، فإن الشعر بماله من مكانة قوية يستطيع أن يخدم الدين في ظروف كثيرة تمكنه من نشر أهدافه ، وفي نفس الوقت يستطيع الدين أن يمد الشعر بموضوعات جليلة ، وأن يلونه في كثير من الأحيان بألوان دينية مختلفة[2].

---

* في مقدمة هؤلاء الشعراء: أحمد محرم ، أحمد شوقي ، وحافظ إبراهيم ، ومحمد عبد المطلب ، أحمد نسيم وأحمد الكاشف وعلي الغاياتي ، وقد سماهم الجيل الذي خلفهم بالمحافظين لتمسكهم بالمادة الأدبية القديمة.

[1] د. نبيل طبوشة – الاتجاه الإسلامي في الشعر المصري المحافظ ، الهيئة المصرية للكتاب ، القاهرة ص ٩.

[2] د. ماهر حسن فهمي ، شوقي في شعره الإسلامي ، دار المعارف بالقاهرة ، ١٩٥٩ص١٤.

الشعر الديني عند محرم

وقد أتخذ الشعر الديني عند محرم شكلاً جديداً وإيجابياً ،إذ أنه شارك في علاج أمراض كثيرة في المجتمع ، ووضع يده على مواطن الداء فيه ، ومن ناحية أخرى فقد وقف محرم شعره الديني في الدفاع عن الإسلام يذود عنه أكاذيب المغرضين راداً كيدهم إلى نحورهم ، ناشراً على الناس أمجاده ، مشيداً بعظمته ، وخلود مبادئه ، ومن منطلق القول بإن الإسلام وطن المسلمين ، فقد انطلق محرم يدافع ويناضل عن كل شعب عربي ومسلم ابتلى بالاستعمار ، ولا ينسى شاعرنا الذي أراد للمسلمين العزة والصلاح ، ونذر نفسه وقلمه للدفاع عن العروبة والإسلام ، أن يخص فلسطين العربية الإسلامية بنصيب مهم من شعره الإسلامي ، فتراه لا يتخلى عن ذكر مأساة فلسطين في كل مناسبة تسنح له .

وقد كانت العاطفة الدينية متغلغلة في نفس شاعرنا منذ نعومة أظفاره ، فهي التي أوحت إليه بذلك الفيض الثر من الشعر الإسلامي ، تمده بالقوة ، وتدفعه للانطلاق بهذا المدد الدافق من الأحاسيس والعواطف التي تتقد غيرة على الإسلام ،وتتفانى في الدفاع عنه .

ولم يقتصر محرم في شعره الديني على النفحات الإسلامية تعمر حياته الشعرية التي استغرقت جل عمره المبارك، وإنما أفرد لشعره الإسلامي ديواناً خاصاً اطلق عليه " ديوان مجد الإسلام" .

وأحمد محرم بوقفته الإسلامية الرائعة إنما يضرب لنا أمثلة مما أبعدته السنون، يذكر بها العاقل وينبه الغافل، وقد أودع ذلك كله في شعر منظوم ، سهل التناول، قريب إلى النفس ومحبب لها.

كان محرم يغتنم المناسبات الإسلامية ليقف مدافعاً ، متخذاً منها مثلاً يـذكر فيها المسلمين بمجد آبائهم الأولين ، ويعرض أمـامهم صـور هـذا المجـد في أبهـى حلله وأنضر وجوهه.

الجامعة الإسلامية

كان الاتجاه نحو الخلافة الإسلامية ، وتأييد فكـرة الجامعـة الإسـلامية تيـاراً أساسياً في الفكر السياسي المصري منذ أواخر القرن التاسع عشر ، وإلى مـا بعـد الحرب العالمية الأولى ، وكان لذلك الاتجاه دوافعه الدينية والوطنية التي تـتلخص في الخوف على ديار الإسلام من خطر الأوروبي الذي أشـتد علـى المسـلمين في منتصف القرن التاسع عشر، حين أخذت أوربا تغرس مخالبها في كـثير مـن بـلاد العالم الإسلامي ، فاحتل الفرنسيون الجزائر سنة ١٨٣٠ ثـم تـونس سـنة ١٨٨١ واستولى الروس على القوقاز، وسيطرت إنجلترا على الهند ثـم علـى مصـر بعـد ذلك ، واستعمرت هولندا أندونيسيا وبات العالم الإسلامي كلـه محوطـا بـالخطر مهدداً بالضياع وإزاء هـذا الإحسـاس بـالخطر علـى الإسـلام تنـادى المسـلمون بالدعوة إلى ما يأمربه الدين من وحدة دينية تجمع المسلمين تيـاراً دينيـاً يسـتهدف مقاومة الغرب وعدوانه، وتحرير بلاد الشرق الإسلامي من سيطرته[١].

وكان زعماء الفكر السياسي في مصـر يـرون في الدولـة العثمانيـة مـا يـراه المسلمون فيها من أنها وحدها الحافظة لسلطان الدين ، الكافلة لبقاء حـوزتهم ، وأنها هي الحامية لبيضة الدين الإسلامي [٢].

بهذه العاطفة الدينية اتجـه الشـعراء في مصـر إلى الدولـة العثمانيـة ، دولـة الخلافة الإسلامية يؤيدونها ، ويلتفون حول رايتها:

---

[١] د. نبيل طبوشة ، الاتجاه الإسلامي ،ص١٧.

[٢] محمد فريد ، تاريخ الدولة العثمانية ، مقدمة الطبعة الثالثة ، ١٩١٢.

يقول "محرم" عن السلطان عبد الحميد مشيداً بجهوده في حماية الإسلام:

حمى بيضةً الإسلام عن يد لامسٍ ... فأصبح من كيد العدا وهو سالمُ
وصان ذمارَ الدين والدين حوله ... أيامنُ من أعدائه واشائمُ
هو الذائد الأعداء عن حوض مجده ... بصارمِ عزمٍ لا يحاكيه صارمُ[1]

ويغلب الوفاء على محرم، وهو يرى الناس الذين كانوا يتزلفون إلى عبد الحميد بالأمس ولا يرونه الا خيراً خالصاً يأكلون لحمه اليوم، ولا يرونه إلا شراً صرفا فيلقي تبعه ما يتهمه به خصومه من تهم على عاتق بطانته:

ثوى عاثر الآمال يؤنسه الأسى ... وتوحشه أوطارهُ ومآربُهْ
كأن جلال الملك لم يبد حوله ... مهيباً ولم تضربْ عليه مَضاربُهْ
كأن السرايا والفيالق لم تسرْ ... إلى الموت تثني دونه من يُحاربُهْ
كأن رؤوس الصيد لم تك خُشّعاً ... لدى بابه المرجوّ بالأمس حاجبُهْ
طووا ذكره واستودعوا الله عهدَه ... وكلّ امرئ رهن بما هو كاتبُهْ[2]

وفي السادس والعشرين من شهر ابريل لعام ١٩٠٩ يتخذ قرار في الجمعية الوطنية بخلع السلطان عبد الحميد ويتألم لألمه ومنهم من يرى أنه لقى ثمار سوء سياسته.

ونجد شوقيا يتألم لمصاب عبد الحميد، ويرى أنه جدير بالرثاء، وأنه كان العزيز في قومه تحمل في سبيلهم الكثير، وكان حافظ صامتاً فلم يكتب شيئاً حين قامت الحركة الأولى وأقر عبد الحميد الدستور، فلما انقضى عام وعزل عبد الحميد نظم حافظ قصيدة يمجد فيها الجيش التركي الذي قام بحركته الانقلابية.

---

[1] ديوان محرم ١، ص١٩٨.

[2] محمد محمد حسين، الاتجاهات الوطنية جـ١، ص٣٢.

أما شاعرنا أحمد محرم، فيبدي حزنه وألمه على مصير عبد الحميد ، ويرى أن اللوم يجب أن يوجه إلى حاشية عبد الحميد وليس إليه ، فيقول:

أرى الناس من يقعد به الدهر ينقموا ... عليه وإن كانت قليلاً معايبُهْ

ألم يك ظلّ الله بالأمس بينما ... تلوذ به والخطب ضنك مذاهُبهْ

أنطريه قهّاراً ونؤذيه مُرهقاً ... كفى الليث شراً أن تُقلّ مخالبُهْ[1]

وبينما الأتراك مشغولون بثبيت نظام الحكم الجديد بعد نفي عبد الحميد والشعراء يتبارون بين مواسٍ ومهاجم ، وكانت الحلقة تكتمل لتدمير دولة الخلافة الإسلامية ، وتحويلها إلى ذكرى عبر التاريخ ، فبعد أن اقتطعت روسيا جزءاً من الدولة العثمانية ، واستولت فرنسا على تونس ، بدأت ايطاليا تبحث لنفسها عن مكان وسط هذه الإمبراطورية الحزينة ، فوقع نظرها على طرابلس الغرب ، فأعلنت إيطاليا الحرب ووقف العرب مع الأتراك للدفاع عن شرفهم وبلادهم.

أما الشعراء فقد أعلنوا سخطهم على الإيطاليين ، وعلى كل من يحارب الدولة العلية ، ويحاول اقتطاع جزء من ممتلكاتها ، ويهيبون بالمسلمين في كل مكان أن يهبوا للدفاع عن دولة الخلافة[2].

وينشىء أحمد محرم ثماني قصائد في مناسبات مختلفة ، يفيض كل بيت منها بالغيرة على الإسلام ، والحرص على وحدة المسلمين ، وتضامنهم في وجه الأخطار ، وينادي الأمة أن تهب لنجدة طرابلس ، والوقوف في وجه المعتدين فيقول في إحدى هذه القصائد:

---

(1) د. عبد الرشيد عبد العزيز سالم ، دولة الخلاف الإسلامية ، الكويت ص ١٢٥ الديوان ٢ ، ص ٨.

(2) المرجع نفسه ، دولة الخلافة الإسلامية ، ص ١٣٢.

رويداً بني روما فللحرب فتيةً ... تَهيجُ الظُّبا أطرابهم وا للهاذِمُ
أولئك أبطالُ الخلافة تحتمي ... بأسيافها إن داهمتها العظائمُ
هم المانعوها أن يُقسّمَ فيئُها ... وأن تُستَبى بيضاتُها والمحارمُ
أنذعنُ للباغي وتعطيه حَكْمَةً ... وفي الترك مقدامٌ وفي العُربِ حازمُ[1]

ويتحدى الأعداء بقوة الأتراك وعزيمتهم التي لا تلين في الدفاع عن الإسلام والمسلمين في كل مكان فيقول:

صانوا محارمها باليأس فامتنعت ... على المبيح وعافت خطةَ الهونِ
وألبسوها ثياب العز ضافية ... تمشي تجرّرها فوق العرانينِ
حاكوا سوابغها من نافذ ذربٍ ... وقاطعٍ من سيوفِ الله مسنونِ
شدوا دعائمها من بعدما اضطربت ... وداركوها بتأييد وتمكينِ
تمر بالدهر والأحداث هازئة ... تخوض أهوالها شتى الأفانينِ[2]

وفي السادس عشر من أغسطس سنة ١٩١٥ حاول الإنجليز وحلفاؤهم احتلال القسطنطينية والاستيلاء على الدردنيل الممر الحيوي في البحر الأبيض المتوسط ، فأرسلوا قوات إلى شبه جزيرة غاليبولى التي تعد مفتاح العاصمة التركية ، ودارت معارك بين هذه القوات الغازية وبين القوات التركية التي استلم قيادتها مصطفى كمال أتاتورك ، واستطاع هذا القائد أن ينزل الهزيمة بالإنجلترا وحلفائهم في ديسمبر سنة ١٩١٦ وهكذا لمع أسم مصطفى كمال وبدأ يظهر في الأفق بطلاً من أبطال تركيا[3].

وينتهز أحمد محرم هذه الفرصة التي تحقق فيها النصر للأتراك فأخذ يقول:

---

[1] الديوان ، ٢، ص١٩٣.

[2] دولة الخلافة ، مرجع سابق ، ص١٣٤، ديوان محرم ج٢ ، ص٣٩.

[3] دولة الخلافة ، مرجع سابق ، ص١٦٧.

في الـــدردنيل وفي الجزيـــرة بعـــده ... رعـــبُ الميـــاهِ وروعـــة الـــنيرانِ
البحـــر يفـــتح للبـــوارج جوفـــه ... فتغـــور مـــن مثنـــى ومـــن وِحـــدانِ
والنهـــر ملتهـــب الجـــوائح مضـــمر ... حنـــق المغـــيظ ولوعـــة الحـــرّانِ
شـربوا المنايـا الحمـر يسـطع موجهـا ... بـــين المـــروج الخضـــرِ والغـــدرانِ[1]

وبينما كان الفرح يغمر قلب كل مسلم بالانتصار الذي حققه مصطفى كمال إذ به يأمر رجاله في العاصمة بالاستيلاء على السلطة وطرد الخليفة "وحيد الدين" وأسرته إلى خارج تركيا ، ونودي بأبن أخي الخليفة عبد الحميد خليفة ، خليفة فقط لا سلطانا فجرد من كل نفوذ واستقبل الشعراء هذا الحدث بالحزن ، وطارت قلوبهم ، فزعاً على الخلافة التي كانوا ينتظرون لها المجد والعزة[2].

يضيق محرم ذرعاً بما آل إليه أمر الخلافة ، وبالسياسة ، التي لا ضمير لها ، والتي تدوس تحت أقدامها كل الحرمات في سبيل تحقيق أهدافها فيقول:-

ولم أر كالسياســـــة في أذاهـــــا ... وفي أعـــذارها تزجـــى منينـــا
تغـــير علـــى الأســـود فتحتويهـــا ... وتـــزعم أنهـــا تحمـــي العرينـــا
تريـــد فتخلـــق الأصـــباغ شـــتي ... وتبتـــدع الطرائـــف والفنونـــا
وتتخـــذ الـــدم المســـفوك وردا ... تظـــن زعافـــه المـــاءَ المُعينـــا[3]

دفاعه عن الدين

وتتنوع أساليب الغزو الأجنبي للعالم الإسلامي ، وكان الغزو الفكري هو أحد هذه الأساليب وأخطرها ، وقد ظهر ذلك عندما أخذ المفكرون من ساسة الغرب وكتابة في التهجم على الإسلام والطعن في مبادئه ، والزراية بالمسلمين وبمدنيتهم التي أسسها القرآن ، فكتب "هانوتو" مقالاً عن الإسلام وازن فيه بين

---

[1] الاتجاهات الوطنية (مرجع سابق)جـ٢، ص١٦.

[2] دولة الخلافة ، مرجع سابق ، ص١٨٦.

[3] الاتجاهات الوطنية ، جـ٢، ص٣٦.

الإسلام والمسيحية ،ولم يتورع "هانوتو" عن شتم الإسلام ونبيه والمسلمين ، واصفا الإسلام بأنه مرض مريع فشا بين الناس وأخذ يفتك بهم ، وطالب بتدمير الكعبة ووضع قبر النبي –صلى الله عليه وسلم في متحف اللوفر[1].

وتثير هذه المطاعن والتحريضات غضب محرم ، مشيراً إلى تهجم هاتوتو على الإسلام فيقول:

غضب الحماةُ لدين (أحمدَ) غضبةً ... نصراً الإلهُ بها ، وعزَّ المصحفُ
قذفت (بهانوتو) فطاح بَهبْوةٍ ... ترمي بأبطال الرجالِ وتقذفُ
أيهمّ (هانوتو) بقبرِ (محمدٍ) ... و(يسوعُ) حوليه يطوف ويعكفُ؟
أيقول تلك ، فلا تميدُ بأهلها ... (باريسُ) من فزعٍ ويهوى (المُتحَفُ)
فلسوف ينظر أيّ ملكٍ ينطوي؟ ... ولسوف يعلمُ أيّ عرشٍ يُنسفُ؟
ويحي على الإسلام هان وزَلزلت ... أيدي الخطوبِ شعوبَه فاستُضعفوا
لولا التعصبُ لم تُرَع في ظلّه ... أممٌ تميدُ ، ولا ممالكُ تَرجُفُ[2]

ثم يقول مشيراً إلى رد الإمام محمد عبده على هانوتو:

كشف الكتابُ عن المحجّةِ فانظروا ... وأرى المحجّة عندكم أن تَصدِفوا
لوذوا بأروع ما تخاف نفوسُكم ... إن الكتابُ على النفوسِ لأخوفُ
إن الذي قهر الجبابرَ ماله ... مَثَلٌ يَعَدّ ولا شبيه يوصفُ
يُزجي أساطيلَ القضاءِ سطورُه ... وتقود خيلَ اللهِ منه الأحرفُ[3]

أما (كرومر) عميد الاحتلال في مصر، فينتقد الإسلام ، ويصوره دينا رجعياً لا يصلح لأن يقوم على أساسه نظام اجتماعي راق، وأنه عبارة عن مبادئ وضعت من ألف سنة هديا لهيئة اجتماعية في حالة الفطرة والسذاجة[4].

---

[1] الاتجاه الإسلامي في الشعر المصري المحافظ ، مرجع سابق ، ص٥٤.

[2] الديوان ١، ص٥٣-٥٥.

[3] الديوان ١، ص٥٥.

[4] جريدة المؤيد ، العدد٥١٤٨ بتاريخ ٢٤/ ٤/ ١٩٠٧.

وفي الرد على هذه المزاعم يقول محرم مخاطباً (كرومر):

زعمت الدين والقرآن جاءا ... بما يُشقي حياةَ المسلمينا
زعمت محمدا لم يؤت رُشدا ... ولم يسلك سبيل المصلحينا
رويدك أيها الجبارُ فينا ... فما أنصفتنا دنيا ودينا[1]

ويعبر محرم عن همومه الدينية ، وآماله في نهوض الأمة ، وتجديد البناء الذي قوضته الأحداث فيقول في تحية موجهة لمجلة الفتح في عامها العاشر:

أمل يُزفُّ مع السنين عروسا ... فيشوقهنّ أهلهُ وشموسا
يتبسم الإسلام في نظراتِه ... بينا يراه الناظرون عَبوسا
المسلمون على جهالةِ بعضِهم ... عرفوا الحياةَ نعيمَها والبوسا
أخذوا عن الزمنِ المشاغب علمَها ... وتجزعوه من الخطوبِ دروسا[2]

ثم ينتقل إلى مجلة الفتح وهو يلتفت إلى حال الإسلام والمسلمين فيقول:

يا فتحُ والدنيا مجال مغامرٍ ... يُزجي خميساً للوغى فخميسا
قل للألى جَهلوا الجهادَ وحُكمَهُ ... لا تأخذوه محرّفاً معكوساً
إلا يكُنُ الا المنايا فاطلبوا ... بينَ الأسنةِ والسيوفِ رموسا
لو ضنّ معتنقُ الحتوفِ بنفسه ... مانال من دنيا الرجالِ نفيسا
لا تلتمسْ عدّما ، فلست بواجدٍ ... من ليس يوجد في دمٍ مغموسا
ودع الخسيسَ من المطالبِ والمنى ... فاربأ بنفسك أن تكونَ حبيسا
الكونُ منطلقٌ لعزمك واسعُ ... إن كنتَ تأنفُ أن تكونَ خسيسا
يا حارسَ الإسلامِ حسبك أن ترى ... من كيدِ كلّ مناجزٍ محروسا
اطرد دعاةَ السوءِ عنه ، ولا تدعْ ... في المؤمنين الصادقين دسيسا
واعملْ لربك ، لا يَرُعْك مضلّلٌ ... يجفو الإلهَ ويصطفي إبليسا

---

[1] ديوان محرم ٢، ص١٥.

[2] الديوان ٢، ص٧٦٤-٧٦٥.

سبحان ربّك لن يغادرَ عدلُه بين البريةِ عاملاً مبخوساً[1]

وهو لا يرى عزاً إلا في رحاب الدين ،ولا حمى إلا في حماه فتراه يقول:

هل الدينُ إلا معقلٌ تهتدي به إذا دلف العادي إلينا فأسرعا

والإسلام هو الدرع الحصين الواقي الذي يفي البشرية من نكبات الزمان ويحمي حقوق الضعفاء ، فلا يطمع فيهم القوي ويكفل الحقوق لأصحابها ، ويقف في وجوه المتجبرين ، فمن أراد البناء الحق فليتخذه عماداً وأساساً.

وهذه النفس المشتعلة حباً للإسلام ومبادئه وتمسكاً باخلاقه وآدابه ، وإيماناً به وبقوته ، أخذت تدفعه إلى أرسال النذير تلو النذير للأمم الإسلامية ، كي تستفيظ من رقدتها وتنهض من كبوتها فيقول:

متى ينهض الشرقُ من كبوتهِ وحتى متى هو في غفوتِه

كبا ، وكذلك يكبو الجوادُ براكبهِ وهو في جِلْبتِهِ[2]

ويتلهف على المجد الماضي، ويلج به الشوق كي يعود ويستحضر ما قام به الآباء ، من بذل الجهود الحثيثة لبناء مجدهم ، في حين ضيع الأبناء هذا المجد الذي بناه الآباء ، ولم يعف محرم علماء الدين ورجاله من المسؤولية ، فتراه يرميهم بالتقصير في تأديه رسالتهم نحو الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر واتخاذهم الدين وسيلة إلى ما يشتهون من حطام الدنيا ، ومظاهرتهم للحكام بإصدار الفتاوي التي ترضيهم والضحية أولاً وأخيراً هو الوطن والشعب الذي يقاد إلى حتفه:

أرى شعباً وأحزاباً غِضابا لغير الله والوطنِ الغضوبِ

أرى سلبا يطيح على أكفّ تُراش سهامُها بيدِ السليبِ

أرى شعباً يقادُ إلى المنايا فيذهب ممعنا حبب الجنيبِ

---

[1] الديوان ٢، ص٧٦٦-٧٦٧.

[2] الديوان ١، ص٦٣.

برئـــت إلى الكنانـــةِ إن أقامـــت ... علـــى تلـــك المـــآثم والـــذنوبِ[1]

والإسلام هو الذي يقي البشرية وافدات الحياة ، ويحمي حقوق الضعفاء ، فلا يطمع فيهم القوى ويكفل الحقوق لأصحابها ، ويقف في وجوه الباغين والمتجرين فمن أراد البناء الحق فليتخذ من مبادئه نبراساً وهدى:

هـــو الإســـلامُ مـــا للنـــاس واقٍ ... ســـواه فـــأين يـــذهب مـــن تعـــامى؟
يـــذود عـــن الضـــعيفِ فيتقيـــه ... مـــن الأقـــوامِ أنفـــذْهم ســـهاما
يلـــوذ بـــه إذا مـــا خـــاف ضـــيما ... فينصـــره ويمنـــع أن يُضـــاما
كفـــى بكتـــابكم يـــا قـــومُ طبـــا ... لمـــن يشـــكو مـــن الأمـــم السّـــقاما
كتـــابٌ يمـــلأ الـــدنيا حيـــاةً ... وينشـــر في جوانبهـــا السّـــلاما[2]

وهو يتلهف على المجد الماضي، ويلج به الشوق كي يعود في حين ضيع الأبناء هذا المجد وتركوه لعاديات الزمن:

هـــم غـــادروه كـــروضٍ أريـــضٍ ... تتـــوق النفـــوسُ إلى نَضْـــرتِهْ
ونحـــن تركنـــاه للعاديـــاتٍ ... ولم نـــرعَ مـــا ضـــاع مـــن حرمتـــهْ[3]

وهو يكثر البحث في أحوال هذا الشرق الذي ملك حبه فؤاده ويسأل الأيام والليالي عن سبب نكبته وهوان أهله، وأفول نجمه ، ثم يعود وقد وضع يده على مكمن الداء ، وامسك بأسبابه ، وهو ضعف الهمة والاستسلام إلى كاذبات الأحلام:

يـــا بـــني الشـــرقِ أفيقـــوا إنمـــا ... خـــدعتكم كاذبـــاتُ الحلـــمِ
إن مـــن شـــرِّ البلايـــا نـــومكم ... عـــن عـــدوٍّ ســـاهرٍ لم تـــنمِ[4]

---

(1) محمد إبراهيم الجيوشي ، أحمد محرم ، شاعر العروبة والإسلام ، ص١٦٦.

(2) المرجع نفسه ص ١٢٣.

(3) الديوان ١، ص٧١.

وكم هاجت أحرانه لما رأى أيديهم تمتد لهدمه ، فهل يرى منهم بناة يجددون شبابه ويرفعون بناءه؟

يـــا بنـــى الشـــرقِ لمجـــد ضـــائعٍ ... مـــن بكـــى ضـــيعتَه لم يُلـــمِ
كـــان مـــن قبـــل منيعـــا صـــرحه ... مشـــمخراً فـــوق هـــام الأنجـــمِ[1]

نكبة فلسطين

هزت مأساة فلسطين فؤاد شاعرنا أحمد محرم هـزاً عنيفـاً، واستولت علـى مشاعره ولا عجب في ذلك ، فهو الشاعر الذي نذر قلمـه للـدفاع عـن العروبـة والإسلام فأخذ يستنهض العرب والمسلمين ويحثهم لإنقاذ فلسطين قبـل أن تحـل بها الكارثة ، ويتحقق حلم اليهود بإقامة دولتهم من الفرات إلى النيل.

وفي صيحة عالية يرسلها الشاعر في قصيدة عنوانها "نكبة فلسـطين" تتـألف من ثمانين بيتاً يقول الشاعر:

في حمـى القـدس ومـن حـول الحـرم ... أمـــة تـــؤذى وشـــعب يُهتضـــمْ
فـــزع القـــدس وضـــجت مكـــة ... وبكـــت (يثـــرب) مـــن فَـــرْط الألمْ
ومضـــى الظلـــم خليـــاً ناعمـــاً ... يســـحب الـــبردين مـــن نـــارٍ ودمْ
ياخـــذ الأرواح مـــا يعصـــمها ... معقـــل الحـــق إذا مـــا تعتصـــمْ
ويـــرى النـــاس إذا أعجبـــه ... أن يبيـــدوا كأقـــاطيع الـــبَهَمْ
بعثتـــه شـــهوة وحشـــية ... تتلظـــى مثـــل أجـــواف الأطَـــمْ
مـــا تُبـــالي إن مضـــت ويلاتهـــا ... مـــا أصـــابت مـــن شـــعوبٍ وأمَـــمْ
أهـــون الأشـــياءِ في شـــرعتها ... أمـــة تحمـــى وشـــعبٌ يلـــتهَمْ
يـــا فلســـطين اصـــطليها نكبـــةً ... هاجهـــا للقـــوم عهـــدٌ مضـــطرمْ
واشـــربي كأســـك ممـــا عصـــروا ... مـــن زُعـــافٍ حانـــلٍ في كـــلِّ فـــمْ

---

[4] المرجع نفسه ، ص١٢٤.

[1] المرجع نفسه ص١٢٤.

اكشفيها غمة ليس لها ... من كفاء غير كشّاف الغممْ
الجهاد الحر يقضي حقه ... سؤدد العرب ويحميه العلّمْ
لا تنامي للعوادي وادأبي ... وأذهبي طامحةً في المُزْدحَمْ[1]

ثم يهيب بالأحرار أن يخفوا لحماية وطنهم العربي ، ويدافعوا عنه ما سيم من خسف وظلم ، ويعرض لتآمر ، الاستعماريين والصهيونيين ، ويصور أساليبهم الوحشية لتحقيق أغراضهم الخبيثة، فهم يسلكون مسلك الذئاب من الغدر والخديعة ثم يقسمون ما غنموا:

همم الأحرار تحمي وطناً ... عربياً سيم خسفاً وظُلمْ
باعه ذئب لذئب غيلة ... فهو للذئبين نهب مقتسمْ
تنزع الأرزاق من أبنائه ... وتسل الأرض من فرط النَّهمْ[2]

ويسقط سعيد العاص القائد السوري البطل في معركة "حوسان-الخضر" في الرابع من اكتوبر "تشرين الأول" عام ١٩٣٦ ويغدو استشهاده في الأرض الطاهرة قودا للعزمات والقرائح في مختلف ديار العرب والمسلمين ، ويعبر شاعرنا عن بطولة هذا الشهيد بقوله:

نظم المجد لأبطال الحمى ... ونظمت الشعر ناراً ودَما
بطل أبصرت مجرى دمه ... في جبين الشرق لما وجَما
صخرة صماء تحمي صخرة ... علمتها كيف تشفي الصّمما
رفع السيف على هام السُهى ... أفلا أرفع فيه القلما؟[3]

ويتطلع الشاعر إلى فلسطين المنكوبة بوعد بلفور المشؤوم ، وعجز العرب والمسلمين عن الحفاظ على مقدساتهم بسبب تخاذلهم ، فينتهز فرصة احتفال

---

[1] أحمد محرم ، ديوان الأقصى الحزين ، حققه محمود أحمد محرم ، مكتبة الفلاح ، الكويت ، ص ١٧-٣٠.

[2] المرجع نفسه ، ص١٩٨.

[3] الديوان ٢، ص٨٠٣.

المركز العام لجماعة الشبان المسلمين بالقاهرة في الثالث من نوفمبر سنة ١٩٣٧ فيلقي قصيدة منها:

إيه شعوب المسلمين تنبهوا	وتداركوا أسبابَكُمْ أن تجذما
الله في إخوانكم وبلادكم	أفما ترون الخطْبَ كيف تهجما؟
حفظوا التراث لكم ، وصانوا عرضكم	افتكر هون لعرضكم أن يَسْلما؟
لا تخذلوهم و الملائك شُهد	بالمسجدين ، كفى بذلك مأثما
إني وفيت لهم ولست بمسلم	إن خنت في دنياي شعباً مُسلما
أتبيت أولى القبيلتين حزينةً	وابيت وسنانَ الجفونِ منعَّما؟[1]

وأحدث استشهاد الشيخ فرحان السعدي رنة حزن ونقمة عظيمة على الإنجليز، وكان هذا الشهيد المجاهد قد نفذ فيه حكم الإعدام في السابع والعشرين من نوفمبر "تشرين الثاني" عام ١٩٣٧ الموافق للرابع عشر من رمضان ١٣٥٦هـ ، ولم تأخذ المحكمة بدفاع المحامين من أنه لم يقبض عليه ، وهو يحمل السلاح ، ولا بكبر سنه الذي قارب الثمانين، ورفض المندوب السامي تأجيل الحكم إلى ما بعد رمضان ، على أنه لم يحدث في تاريخ البلاد أن أعدم شيخ في مثل سنة وهو صائم[2] ويلقي شاعرنا في ذكرى الأربعين لاستشهاد هذا البطل قصيدة عصماء يختمها بقوله:

أودى بأهل التيه من أوهامه	تيهٌ عواقبُه أضرُ وأشأمُ
نثرتهم الأقدار شراً شائعاً	أمسى على يده يُضمُّ وينظَمُ
يحيى مطامعهم ، ويلأم صدعهم	والقوم هلكى ، صدعهم ، لا يلأمُ

---

[1] أحمد محرم ، ديوان الأقصى الحزين ص ٥٤.

[2] أكرم زعيتر ، الحركة الوطنية الفلسطينية ١٩١٨-١٩٣٩، مؤسسة الدراسات الفلسطينية ١٩٨٣ ص٣٣٩-٣٤١.

كالـــداء منتشـــراً تجمـــع كلـــه ... في موضـــع يُجتـــث منـــه ويُحســـمُ[1]

ويلقي في المؤتمر النيابي العالمي لقضية فلسطين بتاريخ ١٣ من شعبان ١٣٥٧ قصيدة تحت عنوان "وطن يعذب في الجحيم" يقول منها:

مـــن ذا يـــرى دمـــه أعـــز مكانـــة ... مـــن أن يخضّـــب مـــن فلســـطين الرّبـــى
وطـــن يعـــذب في الجحـــيم ، وأمـــة ... أعـــزز علينـــا أن تصـــاب وتُنْكبـــا
بقلوبنـــا الحـــرى ، وفي أحشـــائنا ... مـــا شـــب مـــن أشـــجانها وتلـــهبّا
تتجـــرع البلـــوى ، وتـــدرع الأســـى ... نرعـــى لأخوتنـــا الـــذمام الأقربـــا
إنـــا لـــنعلم أن آكـــل لحمهـــم ... ســـيخوض منـــا في الـــدماء ليشـــربا
إن الـــذي جعـــل الســـلام مـــراده ... جعـــل الـــدماء ســـبيله والمركبـــا[2]

وفي قصيدة نشرت في ١١/ ١٢/ ١٩٤٩ يسخر فيها من مطالبة اليهود بوطن قومي لهم في فلسطين فيقول:

أيمسي (عبيد العجل) للنـاس سـادةً ... ومـا عرفـوا منهم على الدهر سيّدا؟
لهـم مـن فلسـطين القبـور، ولم يكـن ... ثراهـا لأهـل الـرجس مثـوى ومرقـدا[3]

وفي ١٢/ ١٢/ ١٩٤٤ يعقد المؤتمر النسائي العربي في القاهرة لنصرة فلسطين فيلقي قصيدة يقول فيها:

هـويـا (فلسـطين) النضـال وهـل نجـا ... مـن حتفـه وطـن بغـير نضـالِ؟
قـولي (لروزفلـت) المؤهـل عدلـه ... (روزفلـت) مـا للظـالمين ومـالي؟
أعلـي إيـواء الشـريد؟ ومـن دمـي ... يُسـقى ويطعـم بعـد قتـل عيـالي؟

---

[1] الديوان ٢، ٥٠١.

[2] الديوان ٢، ص٥٠١، د. عبد القدوس أبو صالح ، شعر الجهاد في العصر الحديث ، الرياض ١٩٨٥ ص٢١٣.

[3] الديوان ٢، ص٥٠١.

شـــر القضـــاة ســـجية وأضـــرهم قـــاضٍ يـــرى الأنصـــافَ غـــيرَ حـــلالِ[1]

ويمضي الاستعمار الانجليزي في تثبيت اقدام اليهود في فلسطين ، وتسير عملية التهويد قدماً حسب الخطة التي وضعها الصهاينة ، ويصاب الضمير العالمي بحالة من الركود ، فلا يتحرك لمنع الجرائم التي تقترف في حق العرب ، ويخشى شاعرنا أن يتسرب اليأس إلى نفوس المجاهدين فيتجه إليهم يحثهم على الصبر والمصابرة ، والتمسك بحقهم في الحرية والحياة فيقول:

(فلســطين) صــبرا إن للفــوز موعــدا فــإلا تفــوزي اليــوم فــانتظري غــدا
ضــمان علــى الأقــدار نصــر مجاهــد يــرى المــوت أن يحيــا ذلــيلاً معبــدا
إذا الســيف لم يســعفه أســعف نفســه ببــأس يــراه الســيف حتمــاً مجــردا
يلــوذ بحديــه ويمضــي إلى الــوغى علــى جانبيــه مــن حيــاةٍ مــن ردى
منعــت ذئــابَ الســوءِ عــن غيــلِ حــرةٍ سمــت في الضــواري الغلــبِ جــذما ومحتِــدا
لهــا مــن ذويهــا الصــالحين عــزائم تفــض القــوى فضــا ولــو كــن جَلْمــدا
إذا صــدمت صــم الخطــوب تطــايرات لــدى الصــدمة الأولى شــعاعاً مبــدّدا[2]

وفي يوم السبت بتاريخ الحادي والعشرين من شعبان عام ١٣٥٧هـ يلقي شاعرنا قصيدة في المؤتمر النسائي الشرقي دعا إليه الاتحاد النسائي في القاهرة مشاركة لفلسطين في محنتها يقول منها:

فلســطين خطبــك غــولُ الخطــوبِ وذعــرُ الزمــان ورعــبُ القــدرْ
تنــام الــبراكين عــن همّهــا ومــا نــام بركانُــك المســتعِرْ
معــارض للظلــم قامــت بهــا أعاجيــب مختلفــات الصُّــور
تصــبّ الحضــارة أهوالهــا بأيــدي الألى هــم (هــداةُ البشــرْ)
يقولــون : إنــا حمــاة الضــعيف أجــل : إنهــم لحمــاة الهــذَرْ

---

[1] الديوان ٢، ٢٥٠٢.

[2] ديوان الأقصى الحزين مرجع سابق ص٧١-٧٢.

لهـــم قـــدرة يـــا لهـــا قـــدرة ... تضـــل العقـــول وتعيـــي الفِكَـــرْ
فمـــن نمـــط لـــلأذى رائـــعٍ ... إلى نمـــطٍ غـــيره مبتكَـــرْ
إذا فرغـــوا مـــن فنـــونٍ خلـــت ... أتـــوا بعـــدها بفنـــونٍ أخَـــرْ
هُـــمُ القـــومُ، مـــا مثلـــهم امـــةٌ ... تُرجّـــى علـــى الـــدهرِ أو تنتظـــرْ
جبـــابرةٌ يـــأكلون الشـــعوبَ ... ويُمســـون مـــن سَـــغَب في سُـــعُرْ[1]

وفي احتفال اقامه المركز العام لجمعيات الشبان المسلمين في القاهرة بمناسبة مرور مئة يوم على جهاد شعب فلسطين، ألقى شاعرنا قصيدة شرح فيها أبعاد قضية فلسطين ودعا شعبها إلى مزيد من النضال ، مؤكداً لهم دعم إخوانهم في مصر قلباً وقالباً ،ويندد فيها بوعد بلفور وبالانجليز المتحالفين مع الصهيونية لإحلال شعب دخيل مكان شعب أصيل، ويهيب بالعرب والمسلمين أن يسارعوا لنجدة اخوانهم الذين يجاهدون دفاعاً عن حمى القدس وكرامة الإسلام فيقول:

جـودوا (حمـاةَ القـدسِ) مـابكرامِكُمْ ... بخـــلٌ، ولا للمكُرمـــاتِ نفـــادُ
ذودوا العـدوّ عـن البلادِ وناضلوا ... إن العـــدوّ عـــن البـــلادِ يُـــذادُ
الله أكـبرُ يـا خلائـفَ (يعـربٍ) ... أتضـيعُ أوطـانٌ لكـم وبـلادُ؟
صـنتم ودائـعَ ربّكـم ، مـا راعكـم ... في الحـق طغيـانٌ ولا اسـتبدادُ
تلـك الـذخائر مـا لكـم مـن بعـدها ... في المـؤمنين الصـادقين عتـادُ
تلـك الـذخائر يـأنفُ الإسـلامُ أن ... تـؤذى كرائمُهـا وتـأبى (الضـادُ)
أبـني العمومـةِ مـا سـهرتُم وحـدّكم ... (مصـرُ الشـقيقةُ) لَوعـةٌ وسُـهادُ
إن سـاءكم الا تـزال همـومُكم ... تـترى فتلـك همومُنـا تـزدادُ
يـا قـومُ تلـك شـريعةٌ مـا سـنّها ... مـن قبـل دبـاحٌ ولا جـلادُ
(بلفـور) أنزلهـا وبـاء بإثمهـا ... والظلـم إثـم كلُّـه وفسـادُ[2]

---

[1] ديوان الأقصى الحزين ، ص ٨٠-٨١.

[2] الديوان ، ٢، ص٨٠٢.

الجامعة العربية

هناك علاقة عضوية بين العروبة والإسلام تتمثل في اختيار الله تعالى النبي العربي محمد بن عبد الله صلى الله عليه وسلم ، لتبليغ رسالته الخاتمة إلى الناس كافة ، وكان النبي قد أمر بأن يبدأ بعشيرته الأقربين فقال تعالى (وأنذر عشيرتك الأقربين)آية ٢١٤ من سورة الشعراء.

وكما اختار الله تعالى رسوله الخاتم من العرب ، فقد اختار العربية بين سائر اللغات لتكون لغة كلامه ووحيه ، قال تعالى (وكذلك أنزلناه حكماً عربياً)آية ٣٧من سورة الرعد.

ومن فضل الله على العرب أن جعلهم الله تعالى أئمة هداية فلم تنظر إليهم الشعوب نظرة عنصرية عرقية ، ولم تعدهم مستعمرين متجبرين متغلبين ، والسبب في ذلك أن عروبتهم كانت خادمة لدينهم ووسيلة لنقله وتبليغه ، ولم تكن سبب تميز على غيرهم.

من هنا ومن خلال هذه العلاقة العنصرية بين العروبة والإسلام ، فقد تأثر الشعر العربي الذي دعا للوحدة العربية والقضايا العربية وبخاصة الشعر المحافظ في مصر بالثقافة الإسلامية ، ونخص بالذكر من هؤلاء الشعراء أحمد محرم ، ويظهر ذلك واضحاً فيما اقتبسه من معاني القرآن الكريم والحديث الشريف والتاريخ الإسلامي ، وقد تجلى أثر هذه الثقافة في معالجته للقضايا السياسية والاجتماعية.

مصر والجامعة العربية

احتلت مصر مكان الصدارة في الدعوة إلى الجامعة العربية منذ نشأتها ، إليها لجأ دعاتها ممن طاردتهم الحكومة التركية قبل الحرب، وفيها تمت كل المقابلات التي مهدت لاتفاق الشريف حسين مع الانجليز قبل إعلان الثورة ، ثم

عا دت فاحتضنت من لجأ إليها من العرب بعد أن غدر بهم الانجليز وحلفاؤهم، وأفسحت لهم الصحف صدورها ،يدعون فيها إلى دعوتهم من جديد، وأعان مصر على احتلال هذه المكانة من القضية العربية عدة عوامل منها:

١. الأزهر : وهو أعرق المعاهد الإسلامية، بل هو أعرق جامعة في العالم كله.

٢. تقدم الطباعة والصحافة.

وكان تقدم الطباعة والصحافة في مصر يعين على تدعيم مكانتها في العالم الإسلامي والعربي منه خاصة ، وكانت الصحف على تعدد ألوانها تفسح صدورها لأبناء المسلمين والعرب ،وبذلك تحقق التواصل بين قراء العربية الذين أقبلوا على قراءتها، وحرصوا على تتبعها واقتنائها ، كما أقبل عليها كتابهم وشعراؤهم وزعماؤهم ينشرون إنتاجهم وآراءهم[1].

لم تكن الوحدة العربية فكرة اليوم ، فهي ربيبة الدعوة للجامعة الإسلامية ، أو هي جزء لا يتجزء منها ، والوحدة العربية كما كان يراها عبد الرحمن عزام أول أمين عام للجامعة العربية هي الضمان الوحيد للاستقلال والحرية والسلم الداخلي والخارجي لهذه الشعوب.

ومضت الدعوة إلى الجامعة العربية قدماً ،حتى أصبحت حقيقة واقعة في ٢٢مارس آذار ١٩٤٤ حين أشترك في توقيع ميثاقها سبع دول عربية : مصر والمملكة العربية السعودية وسورية ولبنان وشرق الأردن والعراق واليمن. وكان شاعرناً أحمد محرم يداعبه الأمل في مستقبل العرب فتراه يصور هذا الأمل البسّام بقوله:

أمـمَ العروبـةِ جـاء يومُـك فـاعملي وإلى مكانـكِ فانهضـي وتقـدّمي

---

[1] الاتجاهات الوطنية ، مرجع سابق ، ص١٧٠.

لـك في فـمِ الأحـداث دعـوة صـارخٍ ... ينفـي القـرارَ عـن الشـعوب النُـوّمِ
فـدعي المضـاجعَ وانفضي عنـك الكـرى ... وخـذي السـبيلَ إلى المقـامِ الأعظـمِ
ضـمي القـوى وتجمعـي في وحَـدةٍ ... عربيـة تحمـي اللـواءَ وتحتمـي
هـذا زمـانٌ لـيس يَفهـم أهلُـه ... إلا حـديثَ النـار أو لغـةَ الـدّمِ
كثُـرت لغـاتُ العـالمين ، وهـذه ... أوفـى بيانـاً في اللسـانِ وفي الفـمِ
والعـدلُ أكثـر مـا يكـون حديثُـه ... أنشـودةَ الجـاني ودعـوى المجـرمِ
أمـمَ العروبـةِ جـد جـدك فـانظمي ... مـن عَقْـدك المنثـورِ مـا لم يُـنظمِ
لـك أن تسـودي تحـتَ رايتـك الـتي ... خفقـت لهـا الـدنيا فسـودي وأسلْمي[1]

ويلتفت إلى الدول العربية يعمر قلبه الأمل بـأن تتحقـق علـى يـديها منعـة العرب وقوتهم بعد أن تزول كاهلها الهيمنة الأجنبية ، موضحاً أن الطريق القويم لبلوغ هذه الآمال هي طريق العزة والكرامة والأستعداد لكل طارئ فيقول:

أمـمَ العروبـةِ أيـن أنـت فقـد طغـى ... سـيلُ الأذى في موجـهِ المتضـرم
هـذا هـو الطوفـانُ ، إن تتهيبَـي ... يطبـقُ عليـكِ ، وإن تُهبّـي تُعصْـمي
هبّـي فمـا يُغـني الـتردّدُ وأذكـرى ... نهضـاتِ قومـكِ في الزمـان الأقـدمِ
نعـمَ السـبيلُ إلى الحيـاةِ سـبيلُهم ... فتتبعـي آثـارهم وترسّـمي
دعمـوا المالـكَ بالأسـنةِ وابتغـوا ... مجـداً بغـير سـيوفِهم لم يُـدْعَمِ[2]

ثم يقول حاثا على رصّ الصفوف في سبيل تحقيق الأهداف العليا:

(أمـمَ العروبـة) لانجـاةَ لمُـدبرٍ ... يبغـي النجـاةَ ولا حيـاةَ لمجـمِ
مـا في الصـوادعِ ، وهـي شـتى كالـذي ... صـدع القُـوى مـن أمـركِ المتقسّـمِ
كـوني جميعـا ، فـالتفرقُ لم يـزلْ ... مـذ كـان مـن نـذر القضـاءِ المُبْـرمِ
إن البنـاءَ إذا تماسـك فاسـتوى ... لم يضـطربُ ضـعفاً ولم يتهـدمِ

---

[1] الديوان ٢، ص٩١٩.

[2] المرجع نفسه ص٩٢٠.

والضعفُ للضعفِ المهدْدِ قوةْ تمضي ، فتدفع قوةُ المتهجمِ
ويهيب باللاهين من أبنائهِ يخشى عليهم حسرةَ المتندمِ[1]

وشأن الدعوة إلى العروبة شأن غيرها من الدعوات تبقى في ظل الإطار الذي رسمه محرم وآمن به ، فلا مرحبا بها إن كانت حربا على كلمة الإسلام الجامعة ، ولا محاباة للقائمين بها إن أعانوا عدو الإسلام.

أما إن كانت الدعوة إلى العروبة لبنة في صرح الوحدة الإسلامية ، وبناء يتحصن به العرب ضد أعدائهم من المستعمرين ، فمحرم أول الداعين اليها والهاتفين بها ، خاصة وأن الجامعة الإسلامية أصبحت أمرا بعيدا بعدما ألغيت الخلافة الإسلامية وتغيرت الأوضاع السياسية في الشرق العربي كله ، فأصبح شاعرنا الهاتف بها ، يقول عن نفسه في حفل تكريم الرابطة العربية لرئيسها الأستاذ محمود بسيوني بمناسبة إسناد رئاسة مجلس الشيوخ إليه:

تلك العروبة قد حيّاك (شاعرها) عن كل من قال قول الصدق أو كتبا

والمجد صرح لا ينزل (الضاد) فيه معقلا أشبا

وإنما المجد صرح ليس يرفعه إلا فتى عربياً يرفع الشُّهبا
إنا أقمنا من أشياخنا علَما يقيم للشرق منا دولةً عجَبا
شماءَ يضربُ ركنَ الدهرِ منكبَها كبراً وتحمل في عرنينها الشّهبا
إنا أقمناه من آمالنا جبلاً يعلو الجبال ويمضي يخرقُ السّحبا
تلقى العروبةُ في اكنافه حرما وتنزل الضادُ فيه معقلا أشبا[2]

ويتألم محرم لما حل بالشام ، ويبدي قلقه للاخبار المزعجة التي تأتي عنها ، ويجزع اشد الجزع للدم الذي يخضب الأرض ، ويوزع أساه بين مصر والشام ويعطي لكل منهما جانباً من فؤاده:

---

(1) المرجع نفسه ، ص ٩٢٠.

(2) محمد إبراهيم الجيوشي ، أحمد محرم ، شاعر العروبة والإسلام ، ص١٩٤.

يـــا غاديـــا ببريـــد الشـــام ينتحـــب ... مـــاذا دهـــاك ومـــاذا أنـــت محتقـــبُ؟
أفـرغ غليـل الأسـى نـارا علـى كبـدي ... وخـــل قلـــبي لأخـــرى فيـــه تلتهـــبُ
هـــذي لمصـــر تـــؤدي الحـــق ناحيـــة ... وتلـك (للشـام) تقضـي منـه مـا يجـبُ
همّـــان في كـــل جانـــب منهمـــا ضُـــرَم ... عـــالٍ وفي كـــلُ عـــين واكـــفٌ سَـــرِبُ[1]

ثم يصور وحشية الاستعمار واشاعته الدمار في هذه البلاد العزيزة وإحالة ربوعها الخضراء إلى أرض جرداء قاحلة:

يـــا أمـــة في ربـــوع الشـــامِ يوحشـــها ... عـــيشٌ جـــديبٌ وربـــعُ للمنـــى خَـــرِبُ
طاحـتْ بآمالِهـا الخُضـرِ اللـدانِ يـدْ ... خضـرُ الحـدائقِ في إعصـارها حطـبُ
عسـراءُ سـوداءُ يجـري مـن أناملـها ... حتـفُ الشعوبِ ويَهمي الويـلُ والحَـرَبُ
لا تلمـــسِ الأرضَ إلا اســـودّ جانيهـــا ... بعـدَ الضـياءِ وجـفّ المـاءُ والعشـبُ
أحنـــو وأعطـــف لامـــالٌ ولا ولـــدٌ ... لـــي بالشـــآمِ ولا قربـــى ولا نســـبُ
مـــا هـــاجني شـجَنٌ بالشـام أطلبـهُ ... وإنمـــا هـــاجني الأسـلامُ والحسـبُ[2]

ثم يعرج على العراق واحداثه ، واضطراب الأمر فيه ، ويستعيد ذكريات المجد العربي الباذخ ايام بغداد والرشيد ، والفتية النجب الذين حموا الحضارة ورفعوا للناس منارها:

إن يفـــزع النيـــل والأردن مـــا بهمـــا ... فبـــالفرات وشـــطي دجلَـــة العجـــبُ
ويـــح العـــراق ، وقـــوم بـــالعراق عـــلا ... ضـــجيجهم و تمـــادي مـــنهم الصـــخبُ
طـاش الرجـاء بهـم فـالأمر مضـطرب ... فوضـى بـأرجائـه والصـدع منشـعبُ
(بغـداد) تنظـرُ والأحشـاءُ خافقَـةٌ ... والعـينُ داققـةٌ والقلـبُ مرتعـبُ
أيـن الرشـيْد وايـامْ لـه سـلفتْ؟ ... أيـن الحمـاةُ وأيـن الفتيـةُ النُّجُـبُ؟
(دارَ السـلام) أهزتـك الخطـوبُ اسـىً ... لمـا فجعـتِ بهـم أم هـزّك الطـربُ؟

---

[1] الديوان ج٢، ص١٥٨.

[2] الديوان ج٢، ص ٣٥٨وما بعدها.

أيــن الحضــارةُ يحيمهمــا ويرفعهــا للبــأس والعــدل مــنهم معقــلٌ أشِــبُ[1]

ويعطي محرم مزيداً من الفرص لفهم الأوضاع العربية في شتى النواحي، ويطرب لذلك ويرى فيه بشيرا صادقاً ببزوغ الفجر العرب من جديد، ويخف إلى تحية الشباب العربي، والنشوة تملأ قلبه ، والأمل في المستقبل يحدو خطاه ، وهو يهتف، تراها منبثة في الفاظه وقوافيه:

حــي العروبــة آســاداً وأشــبالا واضِربْ لها من عظاتِ الدهرِ أمثالا
هــل كــان في الأرض مــن أعلامِهــا علــمْ مالــت جوانبُهــا فــانحط أو مــالا؟
وأيّ ملــك رَمتْــه في معاقلــه براجــفٍ مــن عواديهــا فمــازلا؟
رســا علــى حــدثانِ الــدهرِ حائطُهــا فمــا اتقــى عاصــفاً أو خــاف زِلــزالا
هــي الكنانــةْ، والأعــراقُ واشــجةْ لــن تعــدموا وطنــا فيهــا ولا آلا
انــتم لهــا أمــلٌ ترعــاه ســاهرةً فمــا تنــام ولا تــألوه إقبــالا
أدوا رســالتَها ، واقضــوا لبانتهــا وامضــوا ســراعا إلى الغايــات إرســالا
دَمُ العربــةِ في الآفــاق مــا برحــت تجــري شــآبيُه سَــحا وتَهْطــالا
هــو الحيــاةْ فصــونوه علــى يــدكم مــن أن يسيلَ كفــاكم منــه ماســالا
مــن لــي بهــا همــماً ،إن هِجْتُهــا بعثَــتْ مــن قومنــا أممــا مــرّت وآجيــالا[2]

الأليـاذة الإسلامية ، أو مجد الإسلام :

الملحمة فن جديد ، لم يتحدث العرب القدامى عنه ، ولم يعرفوا قواعده وأصوله ، ولم يعوا وجوده وعيا صحيحا ، على الرغم من اتصالهم بالفرس واليونان والهنود ، أصحاب الملاحم الشهيرة في العالم[3] ويعد سليمان البستاني أول من عرّف العرب بهذا الفن حينما عمد إلى ترجمة الإلياذة ونقلها من اليونانية

---

[1] الديوان ج١، ص٣٥٨وما بعدها.

[2] الديوان ج٢ص٩٤٠.

[3] أحمد ابو حاقة ، فن الشعر الملحمي ، منشورات دار الشرق الجديد ، بيروت ١٩٦٠ ص١٧٨.

إلى العربية شعرا ، في نيف وأحد عشر الف بيت من الشعر ، فكان أن بث في أدبنا أول روح ملحمية بالمعنى الصحيح[1] . ثم جاء الشعراء بعد البستاني ، فاطلعوا على حقيقة الفن الملحمي ، وأرادوا أن يمنحوا الأدب العربي ألوانا منه ..محاولة أحمد محرم في الألياذة الإسلامية.

الغرض من تأليف الإلياذة الإسلامية.

استعرض محرم في هذه الملحمة ، كل ما حدث للنبي -صلى الله عليه وسلم-يوم قام ..الناس إلى الإسلام ، من معارضة قريش ، وايذائها للمؤمنين ، ومن جهاد في سبيل الله ومن...ومعاناة لرفع كلمة الحق ، وإخماد الباطل والفساد المتمثلين في الوثنية والفوضى ...والجهل ،وتحدث عن هجرة الرسول وأصحابه ، وعن الأنصار واستقبالهم للمهاجرين ، وأشاد بالاخوة العربية الصادقة ، التي وثقت عرى المحبة بين الناس ، وجمعت..حول كتاب الله ورسوله ودينه ، فكان من جراء ذلك انتصارات رائعة وأمجاد ، وإحلال الإيمان محل الكفر ، وللنظام محل الفوضى وللوحدة محل التنابذ والتفكك، وللرقيّ محل التخلف وللعلم محل الجهل.

أطلق محرم على هذه الملحمة اسم "مجد الإسلام" واطلق عليها اخرون اسم "الإلياذة الإسلامية" تقع في نيف وخمسة آلاف بيت من الشعر الموزون المقفى ، وهو حدث لم يشهده تاريخ الشعر العربي، وقلما وجدنا غيره يصل إلى مائة بيت أو مائتين على أكثر تقدير ، وليس الأمر بذي أهمية فقط لطولها، وإنما لموضوعها الذي يعد من أهم الموضوعات الشعرية التي طرقها الشعراء المحدثون ، وقد شهد شاعر فحل هو أحمد زكي أبو شادي لهذه الملحمة بأنها درة يتيمة في الادب العربي، إذ أن التاريخ الذي تحتويه هذه الملحمة ليس مجرد تاريخ ، وإنما هو

---

[1] المرجع نفسه ص ١٧٩.

عرض فني شائق للروح الإسلامية العالمية التي فتحت الأقطار، ونشرت العدل ، واستوعبت الثقافة ، ودعمت الحضارة ، وزادتها تألقاً على تألق[1].

أما الأستاذ محب الدين الخطيب - صاحب مجلة الفتح- وهو الذي بعث يقترح على الشاعر أحمد محرم فكرة ديوان مجد الإسلام ، ودعاه إلى الاضطلاع بهذه المهمة ، فيقول في كتاب وجهه إلى أحمد محرم : "كنت صممت غير مرة ، أن أكتب اليكم اقترح عليكم مشروعاً كنا نحاول إقناع شوقي رحمه الله به ، ولكنني خشيت أن يصرفكم ذلك عن معاني الجهاد الأخرى ، وهذا المشروع هو إرسال نظركم إلى مفاخر التاريخ الإسلامي ونظم كل مفخرة منها في قطعة تنقش في أفئدة الشباب"[2]

البطولات والأمجاد في غزوات الرسول

تحدث محرم في الجزء الأول من الملحمة- ديوان مجد الإسلام- عن حياة الرسول في مكّة ثم هجرته ، ثم استقراره ومؤاخاته بين المهاجرين والأنصار ، وموقفه من اليهود والمنافقين ، ثم تحدث عن الغزوات وما وقع فيها من أحداث وبطولات ، استغرق بقية الجزء الأول والجزأين الثاني والثالث.

وهو يفتتحها بقوله:

املأ الأرض يا محمد نورا	واعمر الناسَ حكمةً والدهورا
حجبتكَ الغيوبُ سراً تجلى	يكشف الحُجْبَ كلّها والستورا
عبّ سيلُ الفسادِ في كلّ وادٍ	فتدفّق عليه حتى يغورا
جنت ترمي عُبابَه بغبابِ	راح يطوي سيوله والبحورا

---

[1] أحمد زكي أبو شادي "مجلة الفتح" العدد الصادر في ٢٦ شوال ١٣٥٣هـ.

[2] محمد إبراهيم الجيوشي- مقدمة ديوان مجد الإسلام ، مكتبة العروبة، القاهرة ، ١٩٦٣ص١٤-١٥.

ينقـــذ العـــالمَ الغريـــقَ ويحمـــي أمـــمَ الأرضِ أن تـــذوقَ الثّبـــور[1]

ويصف موقف أهل مكة من الدعوة الإسلامية ، وكيف كان ذلك الموقف عدائياً تعرض الرسول خلاله للإيذاء من رجالات قريش وسفهائهم فيقول:

أمـــن الحـــقّ أن تصـــد قـــريشٌ عـــن فتاهـــا وان تطيـــل الـــنكيرا؟
ســـل (أباجهلـــها) وقومـــا دعـــاهم فاســـتجابوا جهالـــة و غـــرورا
أولعـــوا بـــالأذى ، فـــالفوا رســـول الله جَلْـــدا علـــى الـــبلاءِ صـــبورا[2]

وبعد ذلك يعدد بعض صفا ت الرسول واخلاقه ، وعلاقاته مع قومه فيقول:

كلمـــا أحـــدثوا الـــذنوب كبـــارا وجـــدوه لكـــلّ ذنـــبٍ غفـــورا
مـــا زكـــا ســـابقٌ مـــن الرســـل إلا هـــو أزكـــى نفســـا وأصـــفى ضـــميرا
جـــاءه عمُّـــه يقـــول: أترضـــى أنْ يقيمـــوك ســـيدا أو أمـــيرا؟
ويصـــبّوا عليـــك مـــن صـــفوة المـــا لِ حيّـــا مـــاطراً ، وغيثـــا غزيـــرا
قـــال: يـــا عـــمّ مـــا بُعثـــت لـــدنيا أبتغيهـــا ومـــا خلقـــت حصـــورا
لـــو أتـــوني بـــالنيّرين لأعرضـــتُ أريهـــم مطـــالبي والشُّـــقورا[3]

وهو بذلك يشير إلى موقف الرسول الكريم من دعوة عمه أبي طالب له لسماع مقترحات قريش ، واستعدادهم لإعطائه كل ما يريد في سبيل التخلى عن دعوته فقال – صلى الله عليه وسلم- قولته المشهورة : "يا عم : والله لو وضعوا الشمس في يميني والقمر في يساري على أن اترك هذا الأمر حتى يظهره الله تعالى أو اهلك فيه ، ما تركته".

---

[1] ديوان مجد الإسلام، مكتبة الفلاح ، ١٩٨٢، ص ٤٥.

[2] المرجع نفسه ص٤٧.

[3] المرجع نفسه ص٤٧.

وينتقل بعد ذلك إلى وصف بعض المواقف التي كانت تحدث بين الرسول الكريم وبعض رجال مكة ، لا سيما البارزين منهم : ومن هذه المواقف ما كان بين الرسول وبين المطعم بن عدي الذي حمى الرسول الكريم وأجاره ، وذلك بعد موت عمه أبي طالب.

ويعود المسلم بذاكرته ليشاهد صور الجياد ، بل الكفاح بين الرسول وعشيرته ، وتتبعه صفوة منها ، ولكن تبقى الكثرة ، وتستخدم ، وخاصة (طغاتها) ، كل أسلحتها ضده ، وتبلغ تباشير هذا النور المحمدي المدينة ، فيطلبه نفر منها ويعاهدوه أن يجاهدوا معه في سبيل دعوته وأن يموتوا دونه ، فيهاجر اليهم ، ويقص علينا محرم في فصل ثان هذه الهجرة ، وكيف استخفى الرسول في الغار مع صاحبه أبي بكر ، وكيف عميت عنه عيون المشركين ، حتى إذا أمنهم تابع هجرته إلى أن نزل في ضاحية المدينة المسماة "قباء" فرفع بها المسجد المبارك، وصلى فيه الصلاة التي شرعها ربه ، والتي تشفي نفوس المسلمين ، وتغسل عنهم أوضار الحياة وشرورها كلما ألم بهم أذى أو مسهم ضر ، فهي بلسم جراحهم ، وهي الينبوع الدائم لسعادتهم ، وينهض الرسول عليه السلام" من قباء" إلى المدينة فينشد محرم:

أقبلْ فتلك ديارُ يثربَ تُقبلُ ... يكفيك من أشواقِها ما تحملُ
القومُ مذ فارقتَ ، مكة أعينٌ ... تأبى الكرى وجوانحٌ تتململُ[1]
يتطلعون إلى الفِجاجِ وقولُهم ... أفما يطالعنا النبيّ المرسل
أقبلت في بيضِ الثيابِ مباركاً ... يُزجي البشائرَ وجهُك المتهلّلُ
خفّ الرجالُ إليك يهتف جمعُهم ... وقلوبُهم فرحاً أخفّ وأعجلَ
انظر بني النجار حولك عُكّفاً ... يردون نورَك حين فاض المَنْهلْ

---

[1] المرجع نفسه ص٥٩.

*الشقور : الحاجات والأمم الملتصقة بالقلب المهمة له ، جمع شقر.

لم يُنزلوك على الخئولة وحدَها ... كلُّ المواطن للنبوة منزلُ
نزلوا على الإسلام عندك ، إنه ... نسبتْ يَعُمّ المسلمين ويَشْملُ
ما للديار تهزّها نشواتُها؟ ... أهي الأناشيد الحِسانْ ترتّلُ[1]

وانطلق محرم في هذا الفصل يتحدث عن استقبال أهل المدينة للرسول ، وكيف كان يود كل منهم صادقاً أن يحط رحاله عنده ، فيضم هذا النور إلى بيته وصدره ، وكيف تلطف الرسول فالقى حبل ناقته على غاربها ، وترك لها أن تختار هي مناخها ، حتى لا يعلم أحد من مسلمي المدينة فيظن أن النبي يؤثر عليه أخا له ، وما كان يعرف الإيثار بين أنصاره وأصحابه، وما زالت الناقة تسير ، ويسير الراكب من خلفها ، ودفوف النساء تضرب ، وهن يغنين الأغنية المشهورة (طلع البدر علينا) وتوقفت الناقة ، وتوقف الركب بفناء أبي أيوب الأنصاري.

وسقط البدر في حجرة ، فيا للبشرى ويا للسعادة وهنيئا له ولأهل بيته.

ويفيض محرم في ضيافة الأنصار للمهاجرين ، وما بذلوه لهم ، فقد شاطروه بيوتهم وأموالهم ، وأنزلوهم من نفوسهم منازل كريمة ، وباركت يد الرسول هذه الأخوة ، الصادقة ووثقت عرا تلك المحبة الصافية في الله ودينة.

هي الأواصر أدناها الدمُ الجاري ... فلا محالةَ من حبٍ وإيثارِ
الأسرةُ اجتمعت في الدار واحدةً ... حييتِ من أسرةٍ بوركت من دارِ
مشى بها من رسولِ الله خيرُ أبٍ ... يدعو البنين فلبّوا غيرَ أغمارِ
تأكد العهدُ مما ضمّ ألفتهمِ ... واستحصد الحبلُ من شدَ وإمرارِ
كل له من سراةِ المسلمين أخ ... يحمي الذمار ويرعى حُرمةَ الجارِ
هم الجماعة الا أنهم برزوا ... في صورة الفردِ فانظر قدرةَ الباري[2]

---

[1] المرجع السابق، ص ٥٩-٦١.

[2] المرجع السابق ، ص٦٩-٧٢.

ويعرض أحمد محرم للجاهلية ومآثمها ومظالمها ، وأن الرسول جاء يدعو بالحق ودين الهدى ، ثم يعقد فصلا يسلك فيه المنافقين مع اليهود ، ويذكر كيف أن الآخرين نقضوا ما بينهم الرسول من عهود ،ويوسع الطرفين قدحا لما نقموا من الله ورسوله ويصور لنا محرم ما كان يدور بين الرسول-صلى الله عليه وسلم -وبين يهود المدينة من ذلك قوله في غزوة بني قينقاع الذين نقضوا العهد مع الرسول الكريم:

دينُ الهدى يا بني التوراةَ يشرعُه ... للناسِ من شرّع الأديانَ والملَلا
لقد دعاكم إلى الحسنى فمال بكم ... من طائفِ الجهلِ داعٍ يورث الخَبَلا
مشى الرسولُ وجُند الله يتبعه ... من كلّ مقدامةٍ يغشى الوغى جَذِلا
يهفو إلى الموتِ مشتاقاً ويطلبه ... بين الخميسين، لا نكْسا ولا وَكَلا
أهاب(حمزةُ) بالأبطالِ فانطلقوا ... وانساب منطلقا يهديهم السّبلا
عجبت للقوم طاروا من مواقعهم ... ما ذاق هاربهم سيفا ولا رَجُلا
طال الحصارُ وظل الحتفُ يرقبهم ... حرانَ يشجيه ألا ينفع الفُلا
لا يملكون لأهليهم وأنفسهم ... إلا العذابَ ، وإلا الظنّ والأمَلا
زالوا عن الدورِ والأموالِ وانكشفوا ... عن السلاح وراحوا خُضعا ذَلّلا
هو الجلاءُ لقومٍ لا حلومَ لهم ... ساءوا مُقاما وساءوا بعدُ مُرتجلا
ساروا إلى أذرعاتِ* ينزلون بها ... نُكْدا مشائيمَ ، لا طابت لهم نُزُلا
بادوا بها ، وتساقوا في مصارعهم ... سوءَ العذاب ومكروهَ الأذى نَهَلا
يلومُ بعضٌ على ما كان من سَفَهٍ ... بعضاً ، فمن يقترب يسمعْ لهم جَدَلا
أهلُ المعاقلِ ، هدّتهم مدمرةٌ ... تمضي ، فلا معقلا تُبقى ولا جبلا
رمى بها من رسول الله متئيدٌ ... لا يأخذ الناس حتى ينبذوا الرّسلا
هل دولةُ الحق إلا قوةٌ غلَبتْ؟ ... فافتح بها الأرض أو فامسحْ بها الدّولا[1]

---

* اذرعات بلد بالشام

[1] المرجع السابق ، ص١١٣-١١٦.

ويتحدث عن أبي سفيان بن حرب ، وكيف أن قومه بعثوه في تجارة إلى الشام ، فلما اقترب من المدينة خرج الرسول في طلبه ، وعلم أبو سفيان ، فانبأ قومه أن يهبوا لإنقاذه وإنقاذ تجارته ، فكانت هذه الغزوة التي سالت دماء المشركين من قريش أعداء الله:

يقول محرم:

ذهب ابن حربٍ في تجارة قومه ... ولسوف يعلمُ من يفوزُ ويربحُ
نَسر مضى متصيدا ووراءَهُ ... يوم تصادُ به النسورُ وتُذبحُ
بينا يحيدُ عن السهامِ أصابه ... نبأ تصاب به السهامْ فتَجْرَحُ
بعث ابنَ عمرو: ما لكم من قوةٍ ... إن مالُكم أمسى يلمّ ويكسحُ
واها قريشٌ إنه الدمْ. فاعلموا ... من دونِ بيضتكم يراق ويفسحُ
إني صدقتكم البلاغَ لتعلموا ... وجبالُ مكة شُهدُ والأبطحُ
جفلتْ نفوسُ القوم حتى مالها ... لُجُم ترد ولا مقاود تُكبحُ
نفروا يريدون القتالُ وغرهُم ... عبثُ اللواتي في الهوادجِ تنبَحُ
غنتْ يهجو المسلمين وإنها ... لأضلّ من يهجو الرجالُ ويمدحُ
الضارباتُ على الدفوفِ فإن هُمْ ... ضربوا الطّلى فالنادباتُ النوحُ[1]

وهو يشير بالضاربات اللواتي في الهوادج إلى فرقة النسوة العازفات اللائى كن يصحن جيش قريش ، ويصحن في الرجال ويحمسنهم.

بعد ذلك كانت غزوة أحد التي كانت في شهر شوال من السنة الثالثة للهجرة يقول أحمد محرم معيدا إلى الأذهان بعض ما جرى فيها:

أدأبك أن تريد المستحيلا؟ ... تأمل أيها المولى قليلا
لبثت تعالج الداء الدخيلا ... وتضمر في جوانحك الغليلا

---

[1] ديون مجد الإسلام ص٧٩ وما بعدها.

وما يجديك لا عجُه فتيلا

أمـــا تنفـــك تـــذكر يـــوم بـــدر؟ ومـــا عانيـــت مـــن قتـــل وأســـر

وراءك إنهـــا الأقـــدار تجـــري بنصـــر للـــنبي وراء نصـــر

وكان الله بالحسنى كفيلا

تولـــوا بالكتائـــب والســـرايا وســـاروا بـــالحرائر والبغايـــا

منايـــا قـــومهم جلبـــت منايـــا فســـيري في ســـبيلك يـــا مطايـــا

ولا تدعي الرسيم ولا الذميلا[1]

ويبدع الشاعر في تصوير قوة الشيوخ والشباب من المسلمين، وكان كل فريق يقول للاخر: خل عنك الأمر ، وأنا سأكيفك اياه.

ولعل لقاءنا مع أمجاد الغزوات ينتهي عند اخر غزوات الرسول-صلى الله عليه وسلم- وهي غزوة تبوك التي كانت في شهر رجب من السنة التاسعة الهجرية ، وقد تسابق المسلمون إلى تقديم انفسهم ، وكان وجودهم هذا اقصى غاية الوجود، وقد عقد الرسول الرايات لعدد من الصحابة ، فدفع لواءه إلى أبي بكر ، كما اعطى رايته للزبير بن العوام ، وجعل راية الأوس لأسيد بن حضير، وراية الخزرج للحباب بن المنذر ، ووصل الجيش إلى مشارف البلقاء ولم يجد هيئة قتال من الروم ، فرجع الجيش فائزاً سالماً بنصر الله .

والشاعر : إذ ينتهز هذه الحوادث ، فإنه يخلدها بشعره ، ويذكر الكثير من الأمور الأخرى والحوادث الجانبية التي حدثت بسبب هذه الغزوة فيقول:

---

[1] المرجع السابق ص١٢٠ وما بعدها.

*الذميل : نوعان من سير الإبل والأول أسرع.

لمن تجمع الروم أبطالها؟ وتحمل للحرب أثقالها

الجاعلين نفوس العباد ودائع يقضون آجالها؟

جنود تقدم أرواحها وتبذل في الله أموالها

ويعدد أسماء الصحابة الذين قدموا المال لتجهيز هذا الجيش فيقول:

ومن مثل عثمانَ يرعي النفوسَ إذا آدها الأمرُ أو عالها

كثيرُ النوال رحيبُ المجالِ إذا رام منزلةً نالها

أبا بكر اخترتَ أبقى الثراء وجنَّبت نفسك بَلْبالَها

تمنيتها نعمةً سَمْحةً فالبسَك اللهُ سِربالَها

وفي ذكر النساء يقول:

ألح النساءُ على حَليهن وأقبلنَ في ضجّةٍ يالها

نبيّ الهدى أتُلمُّ الحقوقَ فنأبى ونُؤثر إهمالَها؟

فما أمسكَ البخلُ دملوجَها ولا ملك الحرصُ خُلخالها

وفي أهل النفاق الذين أخذوا ينتحلون الأعذار حتى لا يذهبوا في تلك الغزوة ، يقول الشاعر مبينا بعض أعذاراهم التي ورد ذكرها في القرآن الكريم:

مشى الجحفلُ الضخمُ في جحفلٍ يحبُّ الحروبَ وأهوالها

وخاف من الحرِّ أهلُ النفاقِ فقالوا: البيوتَ وأظلامها

وأهلكُهم شيخُ أشياخهم بشنعاءَ يأثمُ من قالها*

تبوكُ اشهدي نزواتِ الذئابِ وحيّ الأسودَ وأشبالها

أما ينبغي لك أن تعرفي شيوخَ الحروب وأطفالها؟

ولن تستبين سبيل الهدى اذا ابتع الناس ظُلاّلها[1]

---

* هو عبد الله بن ابي سلول قال : يغزو محمد بني الأصفر على جهد الحال والحر والبلد البعيد إلى ما طاقه له به يحسب أن قتالهم معه اللعب والله لكأني أنظر إلى أصحابه مقرنين في الجبال.."

[1] المرجع السابق ص٤٠٨وما بعدها.

وبعد ، فلعلنا بهذا القدر المختار من رحلتنا مع الإلياذة الإسلامية –أو ديوان مجد الإسلام ، نكون قد بينا ما أداه أحمد محرم من دور بارز ورئيس بما عرضه من بطولات وتضحيات الرعيل الأول من أهل الإسلام ، الذين ضحوا بكل شيء في سبيل غرس بذرة الإسلام حتى غدت شجرة ورافة الظلال ، فالشاعر ، وإن فاته شرف الجهاد بالسيف ، فانه لم يفته شرف الجهاد بالقلم واللسان.

ولعل أسلوب الشاعر الذي تراوح بين سلوك طريقة الشعر التعليمي والشعر القصصي ، قد وصل به إلى أسماع وقلوب الشباب والشيوخ من المسلمين ، ولعله في أسلوبه الخطابي وأسلوب الحوار الهادئ في طريقة نظم الشعر ما يتيح مجال الفهم والاستيعاب أمام جميع الدراسين ، فعلى الرغم من نزول الشاعر بألفاظه إلى مستوى الشعبية، إلا أنه لم يجانب اللغة السليمة في اللفظ والتركيب[1].

أما سبب هذه الكثرة في شعر محرم حول السيرة النبوية وأحداثها ، والقيم الإسلامية وتنوعها وهي على العموم من التاريخ الإسلامي ، والحضارة الإسلامية ، مع أن غيره من الشعراء منذ القديم أمثال أبي تمام ، وغيره من الشعراء في العصر الحاضر، قد نظموا أقل مما نظم محرم ، فالجواب على ذلك يسير أذا ما نظرنا إلى الأصول الفكرية لشعر محرم ، وذلك أن محرماً قبل أن ينظم، تحوط إلى أنه يملك عدة الشاعر المثقف ، من دراسة للسيرة ومعرفة لمعالم الحضارة ، ثم إنه تمرس بأساليب العربية الفصيحة ، ووقف على أسرارها في الاستخدام والبناء[2].

---

[1] د محمد محمود قاسم نوفل ، بطولات الشباب وأمجاد الشيوخ،دار الفرقان ، عمان١٩٨٣، ص١٦٢.

[2] د. محمد بركات أبو علي ، بحوث ومقالات في البيان والنقد الأدبي ، دار البشير ، عمان ١٩٨٨،ص١١٠.

حول رأي شوقي ضيف في ديوان مجد الإسلام

ومن هنا ، فإننا نرى أن د. شوقي ضيف قد بالغ كثيرا حينما وصف الإلياذة الإسلامية " بأنها مجموعة كبيرة من القصائد لا رابطة بينها ولا حياة ولا خيال"[1] فإن نفي الناقد الفاضل لوجود رابط بين قصائده في الديوان ، يخالف الواقع ؛لأن الديوان يتحدث عن سيرة مترابطة الأحداث، وقد سلسل الشاعر حديثة تسلسلاً زمنياً، وإذا كان الشاعر يسرد تاريخاً معيناً ترتب زمنه فتسلسلت أحداثه حدثاً وراء حدث فأين هو عدم الترابط ؟ فإذا تركنا قول شوقي ضيف بعدم الترابط إلى قوله:" إن الديوان قد خلا من الحياة والخيال، وإنما هو ضرب من الشعر التاريخي تسجل فيه حوادث التاريخ ، أو ضرب من الشعر التعليمي الذي ينظم فيه تاريخ العلوم"[2] فإننا نعجب لهذا القول؛ لأن النظام التعليمي في متونة المشهورة لا يمت بسبب قريب أو بعيد إلى إلياذة محرم . ولكن ، فإن عجبنا يزول إذا عرفنا أن ناقدي محرم لا يريدون أن يفهموا من ديوان محرم إلا ما فهموه من الياذة هوميروس ، فلا بد أن يخلق الشاعر أسطورة ، وأن يحلق بجناحيه ، وهنا يكون الشاعر ذا خيال...

---

[1] د. شوقي ضيف ، دراسات في الشعر العربي المعاصر، دار المعارف ، القاهرة ١٩٥٩، ص٥٤.

[2] المرجع السابق ، ص٥٥.

رفع
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس
www.moswarat.com

الفصل الثالث

شعره الاجتماعي

رفع
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس
www.moswarat.com

رفع
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس
www.moswarat.com

الغرض من الشعر الاجتماعي

درج المعاصرون على أن يسموا الشعر الذي يعالج أحوال المجتمعات الإنسانية ، ويصف عللها وآلامها ، ويشرح أمانيها ومطالب حياتها الشعر الاجتماعي" ، وهي تسمية حديثة ، وإن كان شعرنا العربي القديم لم يتخل عن العناية بالإنسان ، ووصف علل المجتمع وأحوال الناس فيه ، فقد ظهر الهجاء الاجتماعي في العصر العباسي وما بعده نتيجة لتغيّر العادات ، والتقاليد والمفاهيم وطرق الحكم ، وتبدل الحياة الاجتماعية ؛ بسبب احتكاك العرب بالأمم الأخرى[1].

وجل ما يمكن أن يقال في هذا الشأن : أن العناية بالإنسان ، ووصف لواعجه ، والعمل على حل مشكلاته ، قد زاد في هذا الزمان إثر الوعي ، والإحساس بالمجتمعات المتكاملة التي تتفاعل فيها القوى المختلفة للسمو بالحياة والأحياء فيها .

والشعر الاجتماعي بما يتمضنه من فكرة الرحمة بالضعيف، ومواساة العاجز الفقير ، والوقوف بجانب الطبقة الكادحة من الشعب ، والارتقاء بالحياة البشرية لدفع الضرر ، والتعاطف ، والتآزر ، والتعاون ، لهو نزعة إنسانية؛ لأنه يصدر عن الإنسان ، فيصور أحاسيسه وأفكاره وتطلعاته[2].

وقد عالج كثير من شعراء هذا العصر وكتابه في شعرهم ، وفي كتاباتهم أحوال مجتمعاتهم ومنهم أحمد محرم ، الذي عرفنا رهافة حسه ، ورقة مشاعره،

---

[1] زكي المحاسني ، أبو العلاء ناقد المجتمع ، دار الفكر ، القاهرة ، د.ت: ص١٢.

[2] د. مفيد محمد قميحة ، الاتجاه الانساني في الشعر العربي المعاصر ، دار الآفاق الجديدة ، بيروت ص٤٠.

واتجاهه المطبوع إلى الحياة الإنسانية العامة ، ومشاركته فيها بالفن الجميل الذي أمتعه الله به ، ووهبه إياه.

الجوانب الاجتماعية في شعر محرم

وقد رأينا شاعرية أحمد محرم ، وما فاضت به في ميدان الشعر الوطني والإسلامي مما نحسبه غير بعيد عن مجالات الشعر الاجتماعي ، وبقي أن نشير إلى بعض الجوانب الاجتماعية والإنسانية التي تتصدى لها أحمد محرم في شعره ، والتي إن بدت متداخلة ومتصلة بالاتجاهين الاجتماعية والإنسانية التي تصدى لها أحمد محرم في شعره ، والتي إن بدت متداخلة ومتصلة بالاتجاهين السابقين ، إلا أنها في الوقت نفسه تبرز سمة خاصة ، ثار فيها شاعرنا على المجتمع ، بما يحقق معادلة التفاعل بين الشاعر وقضايا مجتمعه.

وكان لدعوات الإصلاح التي تطالعه بها الصحف لمحمد عبده، وجمال الدين الأفغاني ، وعلي يوسف ، وقاسم أمين ، ومحرم لما يزل في رونق العمر ، وربيع الحياة ، أكبر حافز له أن يشارك بقلمه في هذه المعركة ، وهو يرى أن المصلحين سر سعادة الحياة ، ويعلم أن طريق الإصلاح صعب محفوف بالأشواك ومع ذلك، فهو يقف نفسه على إصلاح أمته ، غير راج جزاء الا من الله...

ولولا أولو الإصلاح من كل أمة ... لأضحت حياة العالمين بلاءْ
وقفت على الإصلاح نفسا جعلتها ... لقومي حبا صادقاً ووفاءْ
أتابع سعيا ما أريد جزاءه ... اذا ما أراد المصلحون جزاءْ
عليك جزاء الخير يارب لامرئ ... يعدك ذخرا صالحا ورجاءْ[1]

وبهذه الروح المؤمنة الوثابة يأخذ محرم مكانه في الركب الصاعد ، وبهذا العزم المصمم يحمل قلمه ، ويصرخ في المتهاونين الكسالى ، ويتجه بصره أول ما

---

[1] الديوان ٢، ص٧٣.

يتجه إلى الدين ، ذلك النبع الصافي مصدر الهدى والنور، ولكنه يجده مضيعاً معطلاً ، قد هان أمره وضاعت هيبته ، وتجرأ عليه المفترون ورماه المغرضون ، وهو صاحب الماضي المجيد ، وكلما تذكر ذلك هاجت مواجعة وزاد حزنه:

تذكر ماضي دينه فتوجعا ... وأحزنه ما نابه فتفجّعا
وأهلكه من قومه أن قومه ... بعمياء يأبى غيهما أن يَقشعا
هم ضيعوا ما أستودعوا من نفائس ... أراها بأيدي القوم نبهاً موزّعا
وهم خذلوا الدين القويم وزعزعوا ... جوانبه حتى وهى تضعضعا[1]

لقد حاول محرم الإجابة عن هذا السؤال فتكشفت محاولته عن إتهام خطير لرجال الدين الذين ضيعوه وجهلوا مكانه ، فأضاعوه وأضاعوا انفسهم:

أيعجب قوما من أولي العلم أنهم ... يسيرون بين الناس في نوره عُميا؟
ألا هل أرى من جلة القوم شافيا ... لشعب مريض لا يموت ولا يحيا؟
مَحنْه عوادي الدهرِ إلا بقية ... من الدين والدنيا تؤثر البقا[2]

وهذا الدين الذي أضاعه أصحابه فذلوا ، لا اصلاح إلا على يديه ، ولا تقدم إلا على هدي من مبادئه ولكن ، ما بال الدعاة قد غفلوا من هذه الحقيقة فلم يقفو عليها ؟ وضلوا عن ذلك النور ، فلم يجذبهم شعاعه؟ وما بال الأمة تصغي إلى كل غوى ، وتصد عن الناصح الصادق حتى تفرقت أهواؤها ، وصمت عن الحق آذانها:

أرى كل ميراث جليل محببا ... ولا مثل ميراث النبي(محمد)
فذلك كنز الدهر من يك جاهلا ... فعندك علم العبقري المسدّدِ
أقم من بناء الله كل مهدم ... اذا القوم هدّوا كل عاد ممردِ
ألست ترى القومَ الذين تألبّوا ... على دينه من خارجي وملحِدِ

---

[1] الديوان ٢ ، ص ١١١-١١٢.

[2] الديوان ٢، ص٨٠.

أرى أمـةً تـأبى علـى كّـل مصـلح وتلقـي بأيـديها إلى كـل مفسـدِ
أعِـدْها إلى الإسـلام إن كنـت تبتغـي لها الرشدَ واصرفها عن الغيّ و الددِ[1]

محرم والدعوة إلى تحرير المرأة

ولسنا في حاجة أن نذكر أن هذه الاتجاهات صدى لدعوة الإمام (محمد عبده) في الإصلاح الذي كان ينشده ، وبقدر ما نرى من تحمس محرم واندفاعه في تأييد دعوة الإمام محمد عبده والاحتجاج لها ، نرى هناك حماسة تأخذ اتجاها آخر إزاء دعوة إصلاحية أخرى ، جهر بها صاحبها في أواخر القرن التاسع عشر وأوئل القرن العشرين ، تلك هي دعوة قاسم أمين لتحرير المرأة ،وقد ظهر له في هذا الموضوع كتابان : وهما –تحرير المرأة –والمرأة الجديدة . وقد طبع الكتاب الأول سنة ١٨٩٩ وطبع الثاني سنة ١٩٠٠ وأثار ظهور الكتابين ضجة عنفية في ذلك الوقت ، أما كتاب (تحرير المرأة) فقد انصرف جهد المؤلف فيه إلى التدليل على مازعمه من أن حجاب المرأة بوضعه السائد ليس من الإسلام في شيء ، وأن الدعوة إلى السفور ليس فيها خروج على الدين أو مخالفة لقواعده، ويرد على المتذرعين بخوف الفتنة بأن خوف الفتنة يتعلق بقلوب الخائفين من الرجال، ويتساءل متهكما (ولماذا لا يؤمر الرجال[2] بالتبرقع خوفاً من النساء من الفتنة؟ ولا يخلو الكتاب من تهكم بما يسميه (جمود رجال الدين).

وقد كان موقف محرم صريحاً وحازماً في تخطئة قاسم ، فيما دعا إليه من الثورة على الحجاب فقد كان يرى أن دعوته ستؤدي إلى فساد المجتمع ، ولذلك عدّ كتابه مصيبة كبرى تصيب الأمة في كرامتها وعزتها ، وجيشا آخر ينظم إلى جيوش الأعداء في حربها وتقويض أركانها ، فخاطبه بقوله:

---

[1] مجلة الفتح ١٧ من ربيع الأول ، سنة ١٣٥٦هـ السنة الثانية عشر.

[2] قاسم أمين ، تحرير المرأة ط٢، مطبعة روز اليوسف ، ١٩٤١، ص٥٥-٥٩.

أقاسم لا تقذف بجيشك تبتغي ... بقومك والإسلام ما الله عالمُ
لنا من بناء الأولين بقية ... تلوذ بها أعراضنا والمحارمُ
أسائل نفسي إذ دلفت تريدها ... أأنت من البانين أم أنت هادمُ؟
ولولا اللواتي أنت تبكي مصابها ... لما قام للأخلاق في مصر قائمُ
نبذت الينا بالكتاب كأنما ... صحائفه مما حملن ملاحمُ
ففي كل سطر منه حتف مفاجئ ... وفي كل حرف منه جيش مهاجمُ[1]

ثم اتجه الشاعر بعد ذلك إلى المرأة راجياً إياها ألا تغتر بما يدعوها قاسم إليه، ويحذرها من مغبة ترك البيت، وينصحها الا تضيق ذرعا بالحجاب ، لأنه علامة فضل :

أغرك يا أسماء ما قال قاسم؟ ... أقيمي وراء الخدر فالمرء واهم
ذكرتك ، إني أن تجلت غيابتي ... على ما نمى من ذكرك اليوم نادم
تضيقين ذرعا بالحجاب، وما به ... سوى ما جنت تلك الرؤى والمزاعم
سلام على الأخلاق في الشرق كله ... إذا ما استجيبت في الخدور الكرائم[1]

وقد ظل محرم على موقفه ، لم يتراجع حتى في تأبينه لقاسم ، لكنه على الرغم من ذلك نفى عنه سوء النية ، واكتفى بتخطئته قائلاً: لو كان هناك شعب من الملائكة لجاز أن تقبل هذه الدعوة.

رمى بالحجاب ، فلولا الله يمسكه ... لا نشقّ أو طار أو خرّتْ به العُمَدُ
لتلك خطة سوء لست أحمدها ... منه وإن رضي الجهّال أو حَمدوا
لو كان من قومنا شعب الملائكة ... قلنا : أصبت ، فلا لوم ولا حردُ[1]

---

[1] الديوان ١ص ٦١ * الحرد : الغضب.

[1] المرجع السابق ، ص٦١.

[1] الديوان ٢ص٣٣٣.

ولكن معارضة محرم لدعوة قاسم أمين ، قد كانت مقصورة على ناحية سفور المرآة ، أما تعليم الفتاة ، فقد كان محرم من أكثر الشعراء حماسة له ، فقد كان يؤمن بحاجة الأمة إلى العلم الذي يخرجها من الظلمات إلى النور ، وكان يؤمن في دور المرأة بتربية الشعوب، ودور الأمهات في تنشئة الأبناء على الخير والصلاح إن كن عالمات ، وعلى الشر والفساد أن كن جاهلات ، يقول في قصيدة بعنوان(الأمهات).

رأيت الأمهات لكل شيء ... يكون لدى المالك محدثاتِ
دعاة الشر والإصلاح منها ... ورسل الموت فيها والحياةِ
فهن يكنّ إما بانياتٍ ... إذا نهضتْ ، وإما هادماتِ
لذلك كان من خيرِ الأماني ... لدى الأقوام تعليمُ البناتِ
عليهن الرجاءُ الحقُّ يلقى ... إذا طلبوا المراتبَ عاليات[٢]

ويهيب محرم الشعب أن يحرص على إعداد الأم إعداداً صالحا، لأنها الأساس الذي يقوم عليه الأصلاح ، فالأم النافعة رحمة وهدى لقومها ، والأم الجاهلة نكبة قومية ، وما دامت الأم ذات خلق عال ورأي سديد، فسينشأ الشعب على قوة الأخلاق وصدق العزيمة :

لا يتأسوا وأعدوا الأم الصالحةً ... فهي السبيل إلى إصلاحِ ما فسدا
الأمُّ للشعبِ إما رحمةٌ وهدى ... أو نكبةٌ ما لها من دافعٍ أبدا
لا يذهب الشعبُ في أخلاقه سببا ... والأمُّ تذهب في اخلاقها صُعدا
لن ينفعَ العلمُ والأخلاقُ فاسدةٌ ... والنفسُ جامحةٌ لا تتبع الرَّشَدا
وجاهل ظنّ أن العلمَ مفسدةٌ ... للبنت فانتقصَ التعليمَ وانتقدا
مهلاً، فَرُبَّ فتاةٍ أهلكت أسراً ... بجهلها وعجوزٍ أفسدت بلدا
أعملت رأيي في معنى الحياةِ لمن ... يبني الحياةَ فكان البيتَ والولدا

---

[٢] الديوان ٢، ص١٤٠.

هـــذا يُصـــان بتـــدبيرٍ ومعرفـــةٍ وذا يُعـــد لإصـــلاحِ الـــبلادِ غـــدا[1]

ويحمل محرم على الجهل حملة شعراء، ومن أجل هذا يدعو أبناء وطنه إلى بذل المال لتشفى الأمة من دائها المزمن ، وهو الجهل ، ويشيد بالصناعة وأثرها في تقدم الزمن ورخائها:

يـــا آل مصـــرَ، أنـــتمُ أبناؤهـــا ولكـــم جوانـــبُ أرضِـــها وسمائِهـــا
الجهـــل أصـــبح داءَهـــا المـــزري بهـــا ومـــن البليـــةِ أن تمـــوت بـــدائِها
والمـــالُ وهـــو أقـــلُ مـــا أجـــدتْكُمُ نِعـــمَ الـــدواءُ المرتجـــى لشـــفائِها
إن الصـــنائعَ للحيـــاة وســـيلةٌ فتعـــاونوا طُـــرّا علـــى إحيائِهـــا[2]

وكم جنى الجهل على أسر كانت تنعم في ظلال الأمن ، وتمرح في بحبوحة السعادة ، فاستحالت حياتها إلى شقاء دائم ، وجحيم مستمر، فهذه أم دفعها جهلها إلى حرمان بنيها من العلم ونوره حرصاً على بقائهم بجانبها ، وأرضاء لحنانها الأحمق ، ولا يلبث الأولاد أن يكبروا ويتمرغوا في حمأة الجهل ويعرض محرم لهذه المأساة التي صنعها جهل الأم فيقول:

رضـــيت الجهـــل دون العلـــم خلقـــا وهـــل كالجهـــل في الـــدنيا مضـــرهْ
وهـــل ســـعد الســـعيد بغـــير علـــم يعظـــم شـــانه ويـــذيع ذكـــرهْ[3]

وبعد أن يستعرض محاولات الأم لصد الأب عن الذهاب بابنيه إلى دور العلم يعرض للعاقبة الوخيمة التي حلت بالأسرة نتيجة حمق الأم وجهلها!

فكـــم مـــن آمـــن طلعـــا عليـــه بحتـــفٍ حـــين أرخـــى الليـــل ســـترهْ
وشـــاك منهمـــا بكـــرا إليـــه بشـــر توقـــد البغضـــاءَ جَمْـــرهْ
وقـــال لأمـــه عمـــرو بـــدا لـــي مـــن الشـــنآن مـــا أخفيـــتْ سِـــرَّهْ

---

[1] الديوان ٢، ص١٥٠.

[2] الديوان ١، ص٦٠.

[3] الديوان١، ص ١٢٦.

أطلـــت شـــكيتي وأبيـــت الا ... ملامـــي لســـت يـــا أمـــاه بَـــرَّهْ
وســـاورها بضـــرب تـابعتـــه ... يـــداه فمـــا أشـــدَّ الآن غـــدْرَهْ
فحـــم حمامهـــا ممـــا دهاهـــا ... وأودعهـــا ذووهـــا بطـــنْ حفـــرَهْ[1]

فترى في هذه القصة كيف أن فساد تربية الابنين ، قد جعلهما يعكفان على الدنايا، ولم تسلم الأم من أذاهما فقد ساماها الخسف والهوان.

والعلم حياة الشعوب ، وقوام الحضارة ، فكل خطوة جديدة في سبيله كسب كبير للامة ، ولبنة في بناء مجدها.

ولا يكاد محرم يسمع بسفر إحدى البعثات العلمية إلى أوروبا حتى ترفرف حولها آماله ، وتحدوها ثقته في المستقبل المجيد الذي يرجوه للأمة على ايدي هؤلاء الأبناء الذين يثبتون للعالم أننا أمة عرفت الحياة ، وودعت النوم ، وثارت على الضعف ، استمع إليه وهو يناجيها والأمل ملء فؤاده:

يـــا بعثـــة الأمـــل المخضـــر جانبـــه ... يحيـا بـه الراجيـان : الشـعب والـوطَنْ
ســيروا إلى الأفــق الغربــي عــن أفــق ... أنـــتم أهلتـــه تجلـــى بـــه المحَـــنْ
وحـــدثوا القـــوم أنـــا أمـــة عرفـــت ... معنـــى الحيـــاة فـــلا نـــوم ولا وهَـــنْ[2]

وايتما اتجهت في شعر محرم ، فأنك تستطيع أن ترد ما كتبه إلى عاطفة إنسانية جياشة تجعله سريع التأثر بما يعيب الناس من أحداث ، وما يلم بهم من خطوب ، وهو أشد تأثرا لما حل ببني وطنه وعشيرته ، وسبب ذلك أن محرما كان عميق الإحساس بمبادئ الدين وأحكامه ، عميق الحب لبلاده ومواطنيه.

من أجل هذه العاطفة الإنسانية الجياشة، ومن أجل ذلك الإحساس الديني العميق ، وحب الوطن الجارف، لا يكاد الشيخ محمد عبده يدعو إلى مد يد

---

[1] المرجع نفسه ، ص١٢٦.

[2] الديوان ٢، ص١٠٤-١٠٥.

المعونة لمنكوبي حريق (ميت غمر) حتى ينطلق محرم يصور عظم الكارثة التي حلت بهؤلاء المواطنين تصويرا بأخذ بمجامع القلوب ، ثم يدعو ذوي الغنى واليسار أن يبذلوا العون لإخوانهم المصابين يقول في تصوير الفاجعة:

نزل القضاء، فيا لهول النازل ... ونأى الحماة ، فما ترى من وائلِ
الهول نظّار بمقلة حانقٍ ... والموت خطّارٌ بمخلبِ باسلِ
تمشي المنايا الحمرُ في أرجائه ... لا مِشيةَ الواني ولا المتخاذلِ
تتخطف الأعمار يفزع سربها ... فزع الفراش في شراكِ الحابلِ[1]

ثم يخاطب النيران خطاب المفجوع الثاكل ويسميها جهنم الدنيا:

أجنهمَ الدنيا تركتِ قلوبَنا ... حرى نعالجها بدمعٍ هامل
ما كان ذنب معاشرٍ فاجأتهم ... من كلّ صوبٍ بالفناء العاجلِ
كم أمّلوا منك النجاة ودونها ... ما ليس يدفعه رجاء الآملِ
ذهبوا فمن غض الشبيبة ناضر ... فيهم ومن ذواي المعاطفِ ذابلِ[2]

وبعد أن يصور الفاجعة وما خلفته من ضحايا وجراح ، يدعو إلى معاونة هؤلاء المنكوبين ، ويشيد بكرم قومه ، وتسابقهم في مسح الجراح التي خلفتها الفاجعة:

قوم إذا سئلوا المعونة أحسنت ... مثنى أياديهم جواب السائلِ
ما سال صرفُ الدهر الا رده ... منهم على عقبيه أفتكُ صائلِ
قل للحريق إذا استهل نداهمو ... كن كيف شئت فقد منيتَ بوابلِ
ولقد تبينتَ الرجال فلم تجد ... في الناس الأمَ من غنيّ باخلِ[2]

---

[1] الديوان ١ ، ص٧٥ وما بعدها.

[2] المرجع السابق ، ص٧٥ وما بعدها.

[2] الديوان ٢، ص٧٥ وما بعدها.

ويبصر محرم فساد التربية وسوء القدرة في الآباء الذين جنوا على أبنائهم ، فانحدروا إلى طريق الغواية واستباحوا لأنفسهم كل إثم وستهانوا بكل مقدس من الأخلاق والعقائد يمد لهم الثراء حبل الغواية فصاروا وبالا على الأمة ، يرى محرم كل ذلك فيعبر عن أساه وألمه فيقول:

أسيت لمسرفين أعان كُلاّ ... على ادمانِ لذّته أبوهُ
إذا ما عاقرٌ الفحشاءِ منهم ... أخو النشوات غناه أخوهُ
أضروا الشعبَ واستلبوا قواه ... وآفة كلِّ شعبٍ مترفوهُ
وهت أخلاقُه وعدت عليه ... عوادي الموتِ مما جشموه[1]

ثم يرى صنيع الأوصياء على أموال اليتامى ، وغفوة ضمائرهم حتى يستبيحوا لأنفسهم أن يسطوا على أموالهم غير مقدرين للعواقب، ولا ناظرين إلى ما يأتي به المستقبل، ولا عليهم أن شف الضر ذلك البائس المحروم ما داموا منعمين بالطيبات يكرعون من اللذائذ ما يشتهون:

يا أمين الله في النفس التي ... شفها اليتم فذابت ألما
ذئب قفر أنت؟! أم أنت امرؤ ... يتقي الله ويرعى الحرّما!
تأكل المال الذي استرعاكه ... غافلٌ من شأنه ما عَلِما
مشرع تكرع في سلساله ... وهو ملتاع الحشا يشكو الظّمى
تأخذ الدينار أن أوليته ... جانب الرفق وتعطي الدرهما
شفّه من سوء عيش وأذى ... ما برى اللحم وهد الأعظُما
نال منه الضرُّ حتى لو مشى ... بين جنبيْ ناعمٍ ما حَلِما[2]

---

[1] الديوان جـ٢، ص١٥٧.

[2] الديوان ٢، ص١٥٤ .

ويفزع محرم لما يرى من انتشار المنكرات بين أفراد المجتمع ، واقبالهم على تعاطيها اندفاعا وراء التقليد الأعمى، ومجاراة المدنية الكاذبة في آثامها وشرورها، وكثيرا ما تجر المنكرات من أخطار داهمة ليست أقل فتكا ، ولا أوخم عاقبة منها، ذلك هو الميسر الذي تفشى في الأمة كالداء الوبيل ، فكم تحول على يديه أغنياء إلى فقراء ، وكم جر البؤس والشقاء على أسر كانت تنعم في رحاب السعادة ، وتمرح في أفياء الاستقامة ، ويصرخ محرم صرخة المكلوم الحانق على ما يرى من غفلة الناس وعدم تبصرهم:

عمّت غوائلها فهل من عاصمٍ؟ ... وعلت معاقلُها فهل من هادمِ
يجني على الشرف الرفيع بناتها ... بنست بنايةُ كلّ جانٍ آثمِ
خمرٌ تجورُ على العقولِ وميسرٌ ... يدع الفتى يعضَ كفَّ النادمِ
السيد المرجو أصبح بائسا ... يرجو عواطف كل بر راحم
قد كان ذا خدم تطوف ببابه ... فمضى يطوف به مطافَ الخادمِ[1]

ثم يتجه إلى أعضاء جماعة منع المسكرات والميسر ، ويشد على أيديهم مشجعا لهم هاتفاً بهم أن يمضوا إلى غاياتهم يبثون النصيحة ويرشدون الغوي:

يا معشر النصحاء ، لا تتهيبوا ... أن تنزعوا بالحق وهمَ الواهمِ
هذا كتاب الله في أيمانكم ... يصف الحياة لكل شعبٍ هائمِ[2]

ولا يهدأ لمحرم بال ، وهو يرى الشعب مؤرق الليل، معذب النهار ، مضيع الحق فتشتد الضائقة بأناس في الحرب، ويتكالب الأغنياء على المال يجمعونه من كل صوب ويكثرون من الضياع والمتاع في الوقت الذي يعيي الفقير البحث عن الرغيف ، فلا يهتدي إليه سبيلا، فإن سأل عن قوته رموه بالكذب، وإن شكا إلى ربه هاجوا وماجوا غضبا ورموه بسوء الأدب وليت الأمر وقف عند هذا الحد ،

---

[1] محمد إبراهيم الجيوشي ، أحمد محرم ، شاعر العروبة والإسلام ص١٨٢.

[2] المرجع السابق، ص١٨٢.

بل إن التجار أيضا أبوا إلا أن يضيقوا الحلقة على الفقير حتى يجهزوا عليه ، فاحتكروا الأقوات وادخروها لمن يجزل لهم الثمن غير آبهين بما يجرون على الفقراء من ضرر أو أذى ، حتى لقد استفحل الأمر وأنذر بشر مستطير:

أرى الناس في مصر شتى القلوب ... وإن جمعتهم عوادي النُّوَب
فكل له وجهة تستراد ... وكل له شأنه والأربْ
وبعض يمد الحبالَ الرجاءِ ... وبعضٌ يرى اليأس حقا وجَبْ
وهذا ينام على فضةٍ ... وهذا يبيت ضجيعَ الذهبْ
وهذا يطوف بأوراقِه ... معنى الأماني حثيثَ الطلبْ
يريد الضياعَ بأقصى البقاعِ ... ولو خالط الشوكُ فيها الحطبْ
وبات الفقيرُ يريد الرغيفَ ... فيمعن من ضيقه في الهرَبْ
إذ سأل القوتَ قالوا : أساءَ ... وإن وصف الفقرَ قالوا : كذبْ!
وأن قال : يا ربّ أين القلوبُ؟ ... أجاب الوعيد وهاج الغضَبْ
وقالوا فقيرٌ يصكّ الوجوهَ ... بفُحشِ المقالِ وسوءِ الأدَبْ[1]

ويضيق الأمر بالشعب خلال الحروب ، وفي أعقابها من ثقل ما أرهقه به المستعمرون من مكوس ، وما رموه به من مظالم ومغارم حتى ليأتي الحصاد فيقتسمه الغاصبون والجراد ، ويبيت صاحبه طاويا يشد النطاق على أحشائه من الم الجوع ، وإن تعجب لشيء فلهذه الأرض التي يتدفق فيها النيل ، ولكن أصحابها يعييهم القوت:

يا للمغارم ترمي كل ذي نشب ... بفادحٍ يتلوى تحته العنُقُ
وللمكوسِ تباعا لا مردَّ لها ... إن خاب مزدرعٌ أو جفّ مرتَزَقُ
يأتي الحصادُ فيمضي الغاصبون بما ... عاف الجرادُ وأبقى الدودُ والعلقُ

---

[1] محمد إبراهيم الجيوشي، أحمد محرم شاعر العروبة والإسلام ،ص١٨٣.

راحـوا بطانـا وبـاتـت مصـرُ طاويـةً غرثـى تَشَـدُّ علـى أحشـائِها النُّطُـقُ[1]

ويرى محرم إمعان الغاصبين في الانفراد بثروات البلاد حتى أمتلأت جنبات الوادي بصور الشقاء والبؤس التي تستدر الدمع وتستجيش العواطف الإنسانية، وليس هناك هام يحمي البلاد من ظالميها ، فيطلب الغوث ساخراً مـن أعـدائها ، ربما يكون قد تبقى لهم ذماء من الإنسانية:

أغيثـوا مصـرَ ، واسـتبقوا بنيهـا فقـد ضـاقت وجـوهُ العـيشِ فيهـا
أتلقـى الحتـفَ لا حـامٍ فيحمـي مقاتَلَـها ، ولا راقٍ يقيهـا[2]

ثم يعرض صوراً من الشقاء الذي يخيم على المجتمع في هذه الآونـة عرضـا ينبض بالحياة فتخال أن دم قلبه يمتزج بألفاظه فيقول:

تـردد في الـدّجى نفسُ ليهـفٌ تعلـق بالمـدامعِ يمتريهـا
نفقـت لـه الكـرى عـن ذاتِ قـرحٍ أكاتمهـا الغليـلَ وأتّقيهـا
وقمـت أجـرّ أوصـالاً ثقـالاً تعـاني المـوتَ مـا يَعْتريهـا
نفضـتُ السـمعَ ثـم بعثـت طـرفي وراء البـابِ أعـترف الوجوهـا
رأيـت الهـولَ ينبعـث ارتجـالا فتنصـدع القلـوبُ لـه بـديها
رأيـت البـؤسَ يـركض في جلـودٍ يجانبهـا النعـيمُ ويحتميهـا
رأيـت نيـوبَ سـاغبة تلـوّى كأمثـالِ الأراقـمِ مـلءَ فيهـا
تريـد طعامَهـا والبيـتُ مقـوٍ فتوشـك أن تميـلَ علـى بَنيهـا[3]

ثم يسخر من الإنجليـز ومـن عـدالتهم المزعومـة سـخرية ممزوجـة بـالمرارة والأسى:

---

[1] مشاهير شعراء العصر ص ١٣٥-١٣٦.

[2] الديوان ٢، ص٦١-٦٢.

[3] المرجع السابق ، ص٦١-٦٢.

وعينا الجدب في تلعاتِ مصرٍ وخلّينا الرياضَ لمرتعيها
لقد أعيتْ مواردُها علينا وما أعيت على من يحتويها
وصادي النفس لو أنّ المنايا جرت ماءً لأقبلَ يحتسيها[1]

وكثيراً ما أتجه محرم للطبقات العاملة سواء في ميدان التعليم أو الصناعة والزراعة يحاول جهد طاقته أن يوجه الأنظار إليها ، ويدعو إلى انصافها ، ولهذا نراه يشيد بالمعلم ويدعو إلى تقديره ، وإعطائه حقه الذي يتناسب مع الرسالة الخطيرة التي يقوم بها ، ولن يتمكن من أداء واجبه على الوجه الأكمل إلا إذا نال حقوقه وتهيأت له أسباب الحياة الكريمة ، ومن قوله في ذلك.

ما ضاع من مال الفتى وعتادِهِ ما تستعيرُ من اليمينِ شمالُ[2]

ومن الذين لاقوا نصيباً من نقد محرم " الصديق الذي لا يؤتمن " وقد وصفه بالسفيه وعلى ما يبدو فأن الشاعر كان قد نكب بمن أدعى الصداقة ، ولكنه تبين له أن هذا الصنف من الأصدقاء كانوا مخادعين ، يظهرون له غير ما يبطنون فكانت النتيجة أن جوزي جزاء سنمار، وفي هذه الأبيات يتبدى يأسه واضحاً ، ونقمته على هذا النوع من الصداقة عنيفة فهو يصف هؤلاء بأنهم غير أهل للمودة وحمل أمانة الصداقة ومسؤوليتها ، ويتهمهم بالكذب والنفاق ، ويقرر في النهاية أن الصديق المخلص من المستحيلات ، فهو يشبه من يثق بالصديق الذي يعقد عليه آماله ، بمن يعقد حبال وده بحبائل برج الجوزاء كناية عن استحالة هذا الود:

ولقد علمت وإن رضيت ودادهم أن القلوب مريضةُ الأهواءِ
كذبت مودتهم ولست بصادقٍ حتى أصونَ مودتي وإخائي
آثرت نفسي بالأمانةِ كلّها ووهبتها ثقتي وحسَ وفائي

---

[1] المرجع السابق ، ص٦١-٦٢.

[2] مجلة الحديقة ، ج١٣، ١٩٣٣، ص ١٣٤.

ما الناس أهلٌ للحفاظ ولا أنا ... ممن يريدُ صداقةَ السفهاءِ
ما زلت أكرمُ من يريدُ صداقتي ... حتى نكبت بعفتي وحيائي
إن الذي يبغي المحال لمن يرى ... أني أكون له من الخلطاءِ
إني جمعت حبالَ ودي كلّها ... وعقدتها بحبائلِ الجوْزاءِ[1]

ولكن هذا الهجاء والنقد لمن لا ود لهم لا ينسحب على جميع الأصدقاء، فهو وفيّ لاصدقائه المخلصين، حفيّ بهم، وانطلاقاً من هذا الوفاء نجده حريصاً على مشاركتهم أتراحهم وأفراحهم، فلا تمر مناسبة من المناسبات الاجتماعية دون أن ينظم مشاعره في قصائد يبعث بها إليهم فهو يقول في قصيدة نظمها بمناسبة زواج أحد أصدقائه:

عبدَ الحميدِ سلكتَ خطةَ حازمٍ ... عرف الحياةَ، فجاءَها من بابِها
آثرت دنيا الصالحين وإنها ... لتراك في العالينَ من أقطابِها
الحقُّ آذن والصفوفُ بها استوت ... فارفع يديك، وصلِّ في محرابِها
الله أكبر إنها لمن اهتدى ... بسنا شريعتِها، ونورِ كتابِها[2]

وفي عودة الشاعر عزيز أباظة من الحج وقد كان صديقاً عزيزاً لمحرم، وقد وجد فيه صفات مثالية فحجة عزيز راح الحجاج بها مثوبين كما أن معانيها قد ملأت المناسك بهجة ،وبدا النورواضحاً، يقول محرم:

ركب عليه من الجلالة مظهرٌ ... نعم القدومُ قدومُه والمحضرُ
أقبل، رعاك الله إن قلوبنا ... شوقاً إليك من الحوائج تنظرُ
طال انتظارك يا (عزيزُ) وهذه ... عقبى الذي يرجو اللقاءَ فيصبر
ناداك ربّك فاستجبت وزرته ... وتركت ما يرضي الغبيّ ويُؤثرُ
هيهات ما الدنيا سوى الدنيا التي ... تُبنى على الدينِ القويمِ وتعمرُ

---

[1] ديوان محرم ٣، ص٧١.

[2] الديوان ٤، ص١١.

لله أنـت ، ويـا لهـا مـن حجـة راح الحجـيجُ بهـا يُثـاب ويـؤجرُ
مـلأت معانيهـا المناسـكَ بهجـةً فـالنورُ في أرجائهـا يتفجّـرُ[1]

أما صلته بكبار الأدباء والشعراء فقد كانتْ قائمة على الود والحب والتقدير فهو حين يصدر أحمد الكاشف ديوانه عام١٩٠٢ فتراه يصف أدب الكاشف بالنور الذي يضيء ظلمة العيش الكئيب ،وتلمس في أبياته الصدق والإحساس بالمكانة الشعرية المرموقة التي كانت للكاشف فيقول:

أدب إذا مـا العـيشُ أظلـم جـوُّه أغنـى تبلجُـه عـن النـبراسِ
يقـتص مـن صَـلَفِ الحفـوظِ وبغيهـا ويكـفُّ مـن حَـرَدِ الزمـانِ القاسـي
إن يَبْخسوا حـقّ القـريضِ ، فمـا قَضَـوْا فيـه بمعيـارٍ ولا مقيـاسِ
أغـرى بـك الحرمـانَ نفـسٌ حـرةٌ ويـدٌ مطهـرةٌ مـن الأرجـاسِ
اشـربْ وهـاتِ مـن الحيـاةِ ذُعافَهـا لم يبـق الا فضـلةٌ في الكـاسِ[2]

ولمحرم في وصف شعر أحمد الكاشف قطعة نثرية يوضح فيها أثر شعر الكاشف في بيئته ، فهو يمثلها أصدق تمثيل ، يقول في وصفه:"شعر الكاشف فيض الطبع وسجية النفس، ليس بينه وبين أن تنسق قوافيه وتتناسق أوضاعه ومعانيه ، سوى فورة الذهن ، وثورة خاطر ، يطل فيه المعنى الفاضل من اللفظ النابغ، وتتدافع فيه قوى الشاعرية تدافع التيار الثائر، صادق الإسلوب واضح السنن، صافي العبارة وهو خير غالب لصب وقائع التاريخ، وتصوير حالات العمران وأظهر ما فيه أثر النفس وشدة نفوذها وسلطانها ".[3] وقد كان لمحرم باع طويل في المساجلات والمطارحات ، نشر منها في الجزء الأول من ديوانه الذي طبع عام ١٩٠٨ والجزء الرابع من الديوان الذي أعاد جمعه وتحقيقه ولده محمود أحمد

---

[1] المرجع السابق ، ص١٢.

[2] الديوان ٤، ص١٢.

[3] بدوي طبانة خمسة من شعراء الوطنية ، الهيئة المصرية للكتاب ، القاهرة.

محرم والذي أصدرته مكتبة الفلاح في الكويت عام١٩٨٨، ولا شك أن مثل هذه المساجلات والمطارحات لم تكن لتحدث لولا روح المحبة والألفة والتقدير التي كانت سائدة بين أبناء ذلك الجيل ، وهي في الحق ظاهرة صحية نفتقدها اليوم.

وقد جرى بين محرم والرافعي مساجلة بكيا فيها مجد ا لشرق ، وتأسياً على ما حل به من ضعف وأصابه من هوان ويروي محرم ان الرافعي نظم قصيدة مطلعها:

تمايل ذا الدهر حتى اضطرب وقد ينثني العطف لا من طرب

فبعث إليه محرم قصيدة مطلعها:

رثيت من الشرق مجداً ذهب وعزّا غدا نهب أيدي النّوَبْ

فذكرتني موقفاً كان لي باطلالة يستثير الكُرَبْ

فأجابه الرافعي بقصيدة هذا مطلعها:

أخي هل جرى مدمع فانسكب ومس الفؤاد جوى فالتهَبْ[1]

وكان الشيخ امين الحداد أكثر الشعراء مساجلة مع أحمد محرم ، وقد اثبت أحمد محرم جانباً من هذه المساجلات ،وحسبنا أن نشير إلى واحدة منها ، فقد كان محرم نشر قصيدة يصور فيها عذل أمة له لعكوفه على الشعر والقراءة وضيقها به ، لأنها لم ترَ ابنها قد جلب لأهله نفعاً أو اكتسب لنفسه ما لا يخفف عن أبيه مؤونته ، وقد أشرنا إلى هذه القصيدة في الفصل الثاني من الباب الأول أثناء حديثنا عن حياة محرم:

أبُنيّ ما في الشعر نفعٌ يُطلب فارفق بنفسك كم تكدٌّ وتدابْ

ولم يكد الشيخ أمين الحداد يقرأ القصيدة ،ويقف على عذل أمه حتى بعث إليه بقصيدة منها:

---

[1] الديوان ٤، ص٤٣٠.

لامتـك أمُـك لا تبغـي بمـا عـذلت ... الا إراحـةَ حسّـادٍ وعـزالِ
رأت قصـائدَكَ الغـراءَ مشـرقةً ... كأنهـا لؤلـؤٌ في جيـدِ معطـالِ
فحـاذرتْ عـاطلا يرنـو لهـا حَمـداً ... كمـا يُحـاذر عـينَ العاطـلِ الحـالي
وتلـك زينتُهـا يـوم الفخـارِ وقـد ... تسـربلت مـن حُلاهـا أيُّ سِـرْبالِ[1]

فراجعه محرم بقصيدة مطلعها:

رفعـت قـدري بـين الصـحبِ والآل... ... فرحـت أسـحب فـيهم ذيـلَ مختـالِ[2]

وفن المساجلات والمطارحات من الموضوعات التقليدية التي جرى عليها الشعراء الأقدمون ،ولكن محرماً قد احتفظ بشخصيته ، وانتقل مع موضوعاته حسبما اقتضت البيئة ودعت روح العصر.

ولمحرم قصائد عدة في امتداح بعض الأغنياء الذين كان لهم أثر في الحياة الاجتماعية والذين رصدوا ثرواتهم لأعمال البر والخير والاحسان على النطاقين: الفردي والشعبي ومن هذه القصائد، قصيدة في مدرسة بناها المحسن مصطفى السلانكلي لتعليم الفقراء ووقف عليها خمسين فدانا من أجود أراضيه:

بنيـت فأحسـنت البنـاء لأمـةٍ ... ستنشـر ذكـرى كـل بـانٍ وهـادمِ
فـأين بنـاءُ القـادرين لقـومهم؟ ... وهـل رفعـوا الا صـروحَ المـزاعمِ؟
ألم تـأتهم أنبـاءُ دارك ، إنهـا ... لتـوقظ مـن سـاداتِنا كـلَّ نـائمِ
ألا أنهـا حاجـاتُ مصـر فمـن يكـن ... حفيـاً بهـا فليقضِـها غـيرَ نـادمِ[3]

ويحيى السري حسين الحبشي برّه بالفقراء والمعوزين فيقول:

---

[1] الديوان ٤،ص٣٩٢.

[2] المرجع السابق ص٣٩٤.

[3] المرجع السابق ، ص١٠.

علّمِ القومَ أساليبَ العُلى ... واجعلِ الأخلاقَ فيها مَثَلا
أنت للمجد رسولٌ مجتبى ... شرعَ الدينُ وسنَّ السبلا[1]

إلى أن يقول:

لا تقل من هو ، إني لا أرى ... لامرئٍ عذراً إذا ما سألا
هو من جاوز غاياتِ العلى ... وتناهى الوصفَ عما فعلا
هو من أجرى ينابيعَ الندى ... فارتوى الظمآنُ مما نَهَلا
يتقي الله ويرعى خلقَه ... مُحسناً في كلّ حالٍ مُجمِلا[2]

ويحيى الأمير عمر طوسون على تبرعه للجمعيات الخيرية فيقول:

رضيت الندى فاخترته لك صاحباً ... وأتيته عهداً كريماً وموْثقا
على حين عاداه الرجالُ وأعرضوا ... عن الخير حتى ما يرى المرءُ مرفقا
فيا عجباً للقومِ، لا الحمدُ يبتغى ... على نفعهِ منهم ، ولا الذمُ يتقي
رسالةُ مجدٍ لم تَجِدْ منذ فارقت ... مواطنَها الأولى سواك مصدّقاً
جمعت فنونَ الخيرِ من كلّ وجهةٍ ... وألفت من أشتاتها ما تفرّقا
وقلدتَ شهرَ الصومِ منها قلادةً ... تزينها التقوى وعقداً منسقا
رأيت ثناءَ الناس إلا أقلّه ... وأن عقدوا الإيمانَ زوراً ملفقا[3]

نقده للمجتمع

وهذا المجتمع يموج بألوان شتى من الأوضاع الجائرة والنظم القائمة على هضم حقوق الإنسان واستغلال الضعفاء ، وها هو محرم يشرع قلمه ،ويدعو إلى إزالة هذه الأوضاع الجائرة ، والعمل على الوصول إلى مستوى أعلى وأكرم يتناسب مع كرامة الإنسان وقيمته ، ومن الأوضاع التي تؤرقه وتؤذيه سوء توزيع

---

(١) الديوان٤ ص١٠.

(٢) المرجع السابق ص١٢٥.

(٣) المرجع السابق ، ص١١.

الثروة ، وتكدس الملايين في يد فرد واحد وبجانبه الآلآف يبيتون سفايا ، ثم يدعو إلى توزيع عادل لهذه الثروة ، يحفظ المجتمع من الهزات ، ويضمن له الاستقرار ، وكأنه كان ينظر بعين الغيب إلى ما جرى منذ سنوات من تحديد الملكية ، والأخذ على أيدي المستغلين فيقول:

إني أرى خلل الحوادث موقفاً ... جَلَّا يقيم قيامةَ المُثْرينا

مهلاً مواليناً أيجمعُ واحدٌ ... ما لو تفرّق جاوزَ المليونا؟

ونظل لا نرجو نظاماً صالحاً ... يقضي الحقوقَ ولا نرى قانوناً[1]

ثم يعرج على استغلال أصحاب الأعمال ، وإرهاقهم بالعمل ، وعدم مكافأتهم على جهودهم المضنية ، وليس هناك قانون للعمال يحفظ لهم حقوقهم ويقيهم غوائل جشع الأغنياء ويعطينا محرم كل ذلك في صورة مكتملة فيقول:

يا مدمن الأعمال في طلب الغنى ... لا تظلمن العاملَ المسكينا

ما ضن يوماً بالحياة يذيبُها ... وأراك مطّرد الجحود ضَنينا

لم أدرِ حين نظرتَ سوءَ مكانه ... أرأيت حراً أم رأيت سيجنا؟

إن كنتَ تجهلُ أين ضاع شبابُه ... فاسأل بذلك مالَكَ المخزونا!

أطعمتَ من دمه الخزائنَ جمةً ... ولبثت تُطعمه البلاءَ فنونا[2]

ولئن أرقه ما يعاني العامل من استغلال أصحاب الأعمال وجشعهم ، فهو أشد أرقا لما يلاقيه الفلاح ، ويحيا بين أبنائه من بؤس وضيق وينتهز أزمة مالية تصيب البلاد سنة ١٩٣٢، ويضيق الناس بالحياة ، وترهقهم مطالبها ، ويقع العبء الأكبر من هذا الضيق على عاتق الفلاح ثم لا يرحمه ما يعانيه من قسوة جامعي الضرائب وغلطتهم فهم لا يألون جهدا في امتصاص دماء الفقراء والفلاحين ويصور محرم الشقاء الذي يلاقيه الفلاح وقسوة الحياة فيقول:

---

[1] محمد إبراهيم الجيوشي ، أحمد محرم ، شاعر العروبة والإسلام ص١٨٦.

[2] المرجع السابق ، ص١٨٦.

هـلا سـألت عـن الفـلاح مـا صـنعت ... بـه الخطـوبُ وهـل أبقـت لـه جَلـدا؟
جفـت مـواردُه القصـوى وطـاح بـه ... مـا ذاق مـن عنـت الأيـامِ أو وردا
إن يطلـب المـالَ تُعجـزْه وسـائلهُ ... وإن يصـبْه يجـدْه صـاحبا نَكِـدا
عـونُ الكنانـة إن أودى بهـا حـدث ... فلـن تـرى بعـده عونـا ولا عَضُـدا
إن الـذي كـان مـن أعوادهـا نَضِـرا ... مـا انفك يُعَصر حتى جفّ أو جمدا[1]

وإلى جانب الأوضاع الاجتماعية التي دعا محرم إلى علاجها رأى عيوبا اجتماعية أخرى تفشت في الأمة نتيجة للأوضاع الجائرة فتحالفت جميعها تحطم كيان الأمة وتنخر في عظامها وتقوض دعائمها ، فهب يكشف عن سوءاتها ويحذر من مغبتها ، ويصور قبحها ، عسى أن يستجيب الشعب ، وتنكشف الغمة فلا تفتك الأدواء بما أبقت الأيام لقومه من تماسك.

ومن هذه الغيوب التي انتشرت كالوباء وأنشبت مخالبها القبيحة فيهم ، الرشوة ذلك الداء الوبيل الذي يوشك أن يذهب بالبقية الباقةي ويقضي على طهارة الأيدي ، ويلوث نقاء الضمائر ، استمع إليه يصور قبحها وأثرها السيء في النفوس تصويراً رائعاً، وفي ظني أن محرما من بين شعراء عصره هو الذي انفرد بتسجيل هذه الظاهرة الاجتماعية في شعره:

يـد فقـدت طهارتَهـا ونفـسٌ ... أبـت الا الخبائـثَ فهـي رِجْـسُ
وعقـلٌ واهـنُ الأركـانِ واهٍ ... بـه مـن طـائف الأهـواء حـسُ
أتـى الراشـي، فقيـل لـه تقـدمْ ... تقـدم ماعليـك اليـومَ بـأسُ
(فهـات وخـذ) وتلـك لكـلّ أمـرٍ ... يـراد قضـاؤه ركـنٌ وأسُ
أتـأخـذ حـق غـيرك ، ثـم تمضـي ... بـلا ثمـن يُقـدّم أو يَـدْسُّ؟
أمانـةُ غائـبٍ بيعـت ومهمـا ... يكـن ثمـنُ الأمانـةِ فهـو بَخْـسُ
سَـعدْتَ علـى يـديّ بهـا وأمسـى ... يـنقص عيشـه شـؤمٌ ونَحْـسُ

---

[1] محمد إبراهيم الجيوشي، أحمد محرم ، شاعر العروبة والإسلام ص١٨٦.

وماذا أن نعمتُ وطاب عيشي ... إذا ما طبّقَ الغبراءَ بؤسُ؟
يهون علي ما أتم كلّ باكٍ ... إذا ما ضمّني وبَنِيّ عَرسُ[1]

ثم يسترسل في توجيه نقده لظاهرة الرشوة وأثرها السيء على الأخلاق والفساد الاجتماعي الذي تفشى في المجتمع فيقول:

فتلت برشوةٍ حقا ضعيفاً ... له من إثمها كَفَنٌ ورمسُ
شربت بها دما وأكلت نارا ... يُراع لهولها جن وانسُ
حملت يدا كأن بها جُذاما ... فليس بمسحبٍ منك لمسُ
لئن أهلكت نفسك في خسيس ... لقد أودى بك الخلقُ الأخسُّ
حقوق الناس منسكُ كلّ حرّ ... لها من دينه حرم وقدسُ
وما هذي المناصب في ذويها ... سوى سفن على الأخلاق ترسو
فان عصفت بها الأهواء يوما ... هوت غرقى وما بالأمر لَبْسُ[2]

وتراه في العيد القومي لبنك مصر يملؤه الأمل البسام في مستقبل مصر الزاهر ومجدها الصناعي المرتقب ، ويؤمل الخير الكثير على يدي هذه النهضة الصناعية المباركة التي قام بها المخلصون من أبناء البلاد ، ثم يدعو إلى الأقبال على الصناعة الوطنية والانصراف عما يصدره لنا الغرب حتى نستطيع أن ننهض ببلادنا ونزاحم غيرنا:

قل للعروس تعاف صنع بلادها! ... أزرى يقومك حسنُك المعطالُ
فاز الأجانب واستبد غلاتُهم ... أفما يسرك أن يفوز الآلُ؟
مصر التي ولدتك أعظم حرمه ... والعم اكرم ذمة والخالُ[3]

---

[1] الديوان ٢، ص٢٠٤.

[2] الديوان ٢، ص٢٠٥.

[3] مجلة الحديفة ، ج١٣ ، ١٩٣٣، ص١٣٤.

الدعوة إلى الوفاق:

وتلعب أصابع الاستعمار في إيقاد الفتنة بين المسلمين والأقباط ، وتحاول هذه الأصابع أن تبعث بوحدة البلاد الوطنية ، حتى تجد الأسباب للبقاء في مصر، وقد أنساق بعض الأقباط وراء هذه الأماني الاستعمارية ، وأخذوا يطالبون بحماية الإنجليز لهم والمناداة ببقائهم حرصا على مصالحهم، وينطلق محرم يذكر بوحدة الوطن ، ويدعو إلى نبذ الخلاف ، واصفا مصر بحرم الله التي يدين المصريون جميعاً ،مسلميهم وأقباطهم بالوفاء لها مبينا أن من عقبها فقد عق آباءه وخان بنيه ، فينشد قصيدة بعنوان: "مصر في حرم الله" يقول فيها:

مرحبا لإخاء في حرم الله ... واهلا بقومنا الصالحينا
حيّ آل المسيح يا بيت واقض الحق ... عن آل (أحمد) أجمعينا
اكتب العهد بيننا واجعل المصحفِ ... خيرَ الشهودِ فيهم وفينا
حسبنا الله لا نريد سواه ... من كفيل ولا نريد ضمينا
إن عقدنا عرى الوفاء(لمصر) ... وجعلنا الإخاء دنيا ودينا
فهي لله حرمة من يصنها ... يحيا في ظله الظليل مصونا
إن من عقّ من بني النيل مصراً ... عق آباءه وخان البنينا[1]

ويوالي الشاعر التعبير عن إشفاقه على سلامة الوطن جراء تلك الوقيعة التي تنذر بتقويض دعائم الوحدة ، وتعصف بالآمال المنشودة في خدمة الوطن ، والحفاظ على أمجاده وقدرته على السير في طريق التقدم والحضارة ، يقول في قصيدته : "دنيا الممالك":-

يا أمة الإنجيل آمنا به ... ما بالنبي ولا يسوع حجودُ
الدين في أمر ونهي واحد ... والله جل جلاله المعبودْ

---

[1] الديوان ١، ص ٣٧٦.

درج الزمـــان علـــى المـــودة بيننـــا ... وأراه يـــــنقص والإخـــــاء يزيـــــدُ
بـــرا بمصـــر، ومصـــر أعظـــم حرمـــة ... مـــن أن يضـــيع رجاؤهـــا المنشـــودُ
شـــدوا القلـــوب علـــى الإخـــاء فانهـــا ... مصـــــر وإن بلاءهـــــا لشـــــديدُ
زعـــم العـــدى انـــا نعـــق بلادنـــا ... زعـــم لعمـــر الأمـــتين بعيـــدُ[1]

ولم يدع محرم فرصة إلا انتهزها يدعو فيها إلى الوفاق واجتماع الكلمة ، ونبذ الفرقة ، وقد تناول محرم هذا الموضوع في أكثر من سبع قصائد في ديوانه ، ومع كثرة ما قال من شعر في إخماد هذه الفتنة فإنه لم يشر من قريب أو بعيد إلى بطرس غالي الذي كان مقتله في ٢٠ فبراير سنة ١٩١٠ سببا لا ندلاع الخلافات بين المسلمين والأقباط ، وكان الحزب الوطني يرى أن الرجل خان وطنه وآذاه ، ولكن الصحف القبطية ومعها كثير من الاقباط كانوا يرون أنه لم يقتل الا بدافع التعصب الديني[2].

ويصور محرم فساد بعض الصحف التي لا ينفق سوقها الا بتبادل الشتائم بالباطل حتى ضج المصلحون من هذه الفوضى المؤذية للأذواق ، يغدون ويروحون بين هذه المتناقضات ، وهم يتناظرون ويتجاولون وكان هدف الإنجليز من وراء هذا كله إلهاء المصريين عن القضية الكبرى ، قضية الوطن[3].

يقول محرم في تصوير هذا الفساد والشقاق:

ولقـــد بلـــوت الكـــاتبين جمـــيعهم ... فوجـــدت أكثـــر مـــا يقـــال دعاويـــا
شـــدوا العيـــاب علـــى هنـــات لـــو بـــدت ... مـــلأت منـــاديح الفضـــاء مســـاوِيا

---

(١) الديوان ٢، ص١٢٠-١٢٣.

(٢) الاتجاهات الوطنية ج١، ص١١٥.

(٣) محمد محمد حسين ، الاتجاهات الوطنية ، ص٢١٦-٢٢٧.

*العياب جمع عيبة (بفتح العين) وهي الحقيبة، مناديح جمع مندوحة ، وهي ما تسع من القضاء ، يقول: أن جنبات هؤلاء الكتاب الذين يتشدقون بالفضيلة من الشر ما هو خليف أن يسد الفضاء.

لا بوركت تلك الأكفُّ فإنها ... ضربت على الألباب سدا عاتيا

حجبت صديع الرشد عنها فارتمت ... تجتاب ليل الغي اسفع داجيا

سلني أنبئك اليقين فإن لي ... علما بما تخفي السرائر وافيا

ألفيت أصدق من بلوت مداهنا ... ورأيت أمثل من رأيت مداجيا

بعثوا الصحائف يلتوين كأنما ... بعثوا بهن عقاربا وأفاعيا

صحف يزل الصدق عن صفحاتها ... ويظل جد القول عنها نابيها

..صَدَقوا العدو ولاءهم وتمزقوا ... خصماء فيما بينهم وأعاديا

فهم المعاوِل إن رماهم هادما ... وهم الرعائم أن علاهم بانيا

وهم السلاحُ اذا يشيح مناجزا ... وهم العديد إذا يصيح مناوِيا

مالي اهيب بمن لو اني نافخ ... في الصور ما نبهت منهم غافِيا

...ليت الزلازلُ والصواعقَ في يدي ... فأصبها للغافلين قوافيها

فَنيَتْ براكين القريض ولا أرى ... ما شفني من جهل قومي فانيا

فلئن صمت لا صمتن تجلدا ... ولئن نطقت لأنطقن تشاكيا[1]

من أجل ذلك أخذ الناس يدعون إلى الاتحاد وضم الصفوف ، ولكنهم كانوا كالذين يصرخون وسط الضجيج ، ينشدون الناس السكوت ، فيضيفون إلى الضجيج ضجيجاً جديداً ، يقول محرم:

بلوت المدعين بلاءَ صدقٍ ... فلا أدباً وجدتُ ولا خَلاقا

دعاة الشر يتفقون فيه ... ولا يرجون في الخيرِ اتّفاقا

إذا كان الهوى دلفوا سراعا ... وإن كان الهدى ركبوا الأباقا

الست ترى مجال الجد فيهم ... على سعة الجوانب كيف ضاقا

أضاعو الشعب حين تواكلوه ... وسامره التفرق والشقاقا[2]

---

[1] ديوان محرم ٢، ص ٩٧-١٠٠

[2] ديوان محرم ٢، ص٩٧-١٠٠

الإشادة بالمحسنين

ويصور محرم بإحساس الشاعر المروهف وعاطفته القوية ، دار اليتيم التي اقيمت من تبرعات الأغنياء المحسنين ، فكانت بلسما شافيا لبؤسهم وملجأ يقيهم عثرات الدهر وصروف الأيام فيقول في تصوير "دار اليتامى"

دارَ اليتامى ، من بناك؟ وما الذي ... يبغي الألى جعلوا البلاءَ مُطاقا
وهب الحياة لها على أيديهم ... في جانبيك، وقدر الأرزاقا
قوم تلحوا بالثناء ومعشر ... نالوا جزاء المحسنين وِفاقا
داووا جراحا لو تولوا لم تزل ... تجري جوانبها دما دفّاعا
عرفوا سبيل المال كيف يهينه ... من يكرم الآداب والأخلاقا[1]

وبعد هذه التحية إلى المحسنين الذين اسهموا في بناء الدار لتكون مأوى لليتامى ، ينتقل الشاعر إليه وصف الآثار التي خلفتها يد المحسنين حيث بدلت شقاءهم إلى اطمئنان وجددت حياتهم بالأمل الوارف، والمستقبل الواعد بالراحة والاستقرار.

نشر الزمان الطلق منا إقباله ... علماً على أرجائه خفّاقا
جمع الرفاق على النعيم تألفوا ... فيه ، وكانوا للشقاء رِفاقا
دار اليتامى جددي لنفوسهم ... عهدُ الحياةِ ، وأكّدي الميثاقا
لا تتركيهم للزمان وصرفه ... حسب اليتيم من الأذى ما ذاقا
ما فارق الدنيا يرف نعيمها ... من لم يذقْ للوالدين فِراقا[2]

ويقول في قصيدة أخرى بعنوان (دار اليتيم) يصف فيها هذا الملجأ بأنه رمز الحنان والعطف ، و موئل السلام والأمان ، ويصور لنا كيف قامت هذه الدار

---

[1] ديوان محرم ٢، ص٢٣١-٢٣٢.

[2] الديوان ٢ ، ص٢٣١-٢٣٢.

بالدور المنوط بها من الرعاية والعناية ، وما أضفته على الأيتام من مؤاساة على يد مشرفات فاضلات كن لليتيمات خير الأمهات بها أسبغن عليهن من نعمى وفضل ورعاية فيقول:

هاهنا رمز الحنان ... يتجلى كل آنْ
نحن في هذا المكان ... في سلامٍ وأمانْ

من ملمات الزمان

هاهنا مأوى اليتيم ... هاهنا دارُ النعيمِ
في حمى رب كريم ... فله الفضلُ العميمِ

وهو نعم المستعانْ

هاهنا نقضي الحياة ... بين خير الأمهاتْ
خير من يرعى البنات ... أمهات صالحاتْ[1]

واقع الفلاح المصري

أما الفلاح وما يلاقيه من بؤس ومشقة ، فقد استولى على أحاسيس شاعرنا ومشاعره منذ شبابه ، ففي ١٨٩٨ نشر قصيدة "شكوى الاحتلال" في كتيب ، تحدث فيما تحدث عن مصائب الفلاح وما يعانيه من عنت فقال:

وفلاحُ مصرٍ ، كم توالت مصائب ... عليه تلقي شرها وهو مرغمُ
رأى القوت من هم الحياة فباعه ... يخاف أذاهم ، وانثنى يتألمُ
له صبية خمصُ البطونِ كأنهم ... جوازلُ وكرٍ ، مالها فيه مطعمُ
وبادية الثديين أخلق ثوبُها ... وأبلاء بعدَ الحولِ حَوْلٌ مُجرَّمُ
توجعُ تبتغي بعد عامين غيره ... حفاظا على العورات والمرء معدمُ

---

* ابق العبد أباقا : اختفى وهرب من سيده

[1] الديوان ٢، ص٢٤٦.

يقول لها لا ترفعي الصوت واجعلي لباسك حسن الصبر ما ثمّ درهمُ[1]

ولما أصابت البلاد أزمة مالية طاحنة عام ١٩٣٢ نظم قصيدة قدمت لها جريدة الأهرام بقولها: "هذه نفثة حرة من الشعور النزيه ، أو هي زفرة حرّى من الشعور القومي الفصيح ، يرسلها شاعر وطني كبير على صفحات الأهرام مصورا هذه الأزمة المالية الطاحنة وآثارها المحزنة [2].ومطلع القصيدة :

طم البلاءُ ، وأمسى الصبرُ قد نفدا واستفحل الخطبُ حتى جاوزَ الأمدا

وفيها يصور الضيق والعنت الذي يلاقه الفلاح حيث يقول:

هلا سألتَ عن الفلاحِ ما صنعتْ به الخطوبُ ، وهل أبقت له جَلَدا
جفت موارده القصوى وطاح به ما ذاق من عنت الأيام أو وَردا
إن يطلب المال تعجزه وسائلهُ وإن يصبه يجده صاحباً نَكِدا
عون الكنانة إن أودى به حدث فلن ترى بعده عونا ولا عَضُدا
أن الذي كان من أعوادها نضرا ما انفك يعصر حتى جف أو جَمَدا[3]

ثم يقول بعد أن يصور اختلاف الحالين بين الفقير والغني:

الحق أن تجمع الأقوام منزلة لا تترك الجمعَ دون الجمعِ منفردا
وأن يكون لهم في العيش موردهم يسقي الجماهيرَ إن صابا وإن شُهُدا[4]

ومن قصيدة له بعنوان "رحلة عابسة" عام ١٩٤٠ وقد مر ببعض القرى.

قل للجداول والزروع تحدثي في غير ما وجل لا إشفاقِ
ماذا يمارس من شدائد دهره من أنت كلّ رجائه ويلاقي؟
ويلي على فلاح مصر اما كفي ما ذاق من عنت ومن إرهاقِ ؟
يغني ألوف المترفين بماله ويعيش في فقر وفي إملاقٍ[5]

---

[1] الديوان ٢، ١٩.
[2] الديوان ٢، ص ١٩.
[3] الديوان ٢، ص١٩.
[4] المرجع نفسه ص١٩
[5] المرجع نفسه ص١٩.

رفع
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس
www.moswarat.com

الفصل الرابع

شعره الوجداني

رفع
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس
www.moswarat.com

رفع
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس
www.moswarat.com

قر في نفوس الدارسين المعاصرين أن الاتجاه الوجداني للشعر يرتبط بموضوعات بعينها ، كالتعبير عن الذات والجنوح نحو التجارب العاطفية ، وشرح الأحاسيس نحو الآخرين من الأهل والعشيرة ، وما تثيره فرحة الطبيعة من حوله.

وليست الذاتية ولا التجارب العاطفية شيئاً جديداً على الشعر العربي ، لكننا ينبغي أن نفرق بين العواطف الإنسانية العامة التي لا يكاد يخلو منها أدب إنساني في أي عصر من العصور، والعاطفية التي تمثل موقفاً خاصاً من الحياة والمرأة [1].

المراثي:

ومن الشعر الوجداني الذي عبر فيه محرم عن خوالجه وأحاسيسه نحو الأقربين من عشيرته قصيدته التي رثى فيها أباه ، وقد سبق أن أشرنا اليها في الفصل الثاني من الباب الأول، وفي أخرياتها يبدو وجده على ابيه الذي كان يحنو عليه ، ويذكر في هذا المقام ما فقد من بينه وإخوته:

بني وإخوتي وأبي وأمي ... أيُسمع في قبوركم النداءُ

نزلتم منزلَ القومِ الأسارى ... فلا من يصاب ولا فداءَ

حملت فقودكم ، فعييت حتى ... لظَهْري قبل موعده انحناءُ

عليكم من صلاةِ الله روحَ ... وريْحان ، وبرّ واحتفاءُ [2]

ويرثى أمه فتجعله هذه الكارثة الكبرى يفكر في الموت ويتمناه حيث يقول:

إذا لم يكن عيشٌ يُسرّ له الفتى ... وتحيا به الآمالُ فالموتُ أمثل

---

[1] الدكتور عبد القادر القط، الاتجاه الوجداني في الشعر العربي المعاصر، دار النهضة العربية ، بيروت ١٩٧٨، ص ١٢-١٣.

[2] الديوان ٢، ص٢٦.

وفي الموت للإنسان ما تشهي المنى وتصبو إليه النفسُ لو كان يعقلُ
رقادْ يريحُ الجسمَ والروحَ طولُه فلا هذه تشقى ، ولا ذاك يعملُ[1]

ثم تبرز فجأة أمام مخيلته صورة الأم التي كانت تفيض على ابنائها من الخير والهدى ما يبدد ظلمات الحياة حيث يقول:

فُجعنا بها كالشمسِ سال شُعاعُها يُفيضُ الهدى والخيرُ أو هي أفضلُ[2]

ثم يتابع شاعرنا التقاط الصور التي ذخرت بها الدار على إثر تلك الفجيعة الجسمية ، فتتعلق عيناه بأخيه الطفل الذي لم يتجاوز الخامسة من عمره ، وهو يبحث عن أمه ، ويسأل عنها ، وينخرط في البكاء، دون أن يدري شيئاً مما يدور حوله ، ثم يتجه طرفه بالرغم عنه نحو شقيقته التي أخذت تنتحب وتبكي من شدة لوعتها وحزنها ، ثم تأخذه صورة شقيقه الشاب وهو يندفع نحو أمه ليودعها قبل أن يختطفها الموت ، ثم تجذبه صورة الأب الاشيب وهو يبتلع أحزانه فتراه يقول:

وما هاجني إلا ابنُ خمسٍ يريدها وقد غالها ما غال فالدمعُ مُرسَلُ
يقلبُ عينيه ، ويسألُ ماله يرى الرّبعَ منها وهو قفرٌ معطلُ؟
وما بالُ من قامت تشق إزارها وتنحبُ ، لا تألو ولا تتجمَّلُ
واخرَ لم يملكْ من الحزن نفسهَ يعاجلها التوديعُ ، والموتُ أعجلُ
دعاها وعيناها يغيضُ سناهُما وقد حشرجت ، فالروحُ تعلو وتَسفُلُ
وأشيبَ صافاها وصافَتْهُ حِقبةً وللحبِّ في قلبيهما مُتغلغَلُ[3]

ولكن شاعرنا لا يستطيع بعد ذلك أن يكتم ما به من حزن وأسى ، فيصيح:

---

[1] المرجع السابق ص٢٤.

[2] المرجع السابق ص ٢٤.

[3] الديوان ٢، ص٣١٩-٣٢٢.

أأمـــاه إن العـــيش بعـــدكِ باطـــلٌ ... فلســتُ بشـــيءٍ بعـــدَ موتِـــكِ أفعـــلُ
أكنـــت ســـوى الـــدنيا تـــولّى نعيمُهـــا ... وقـــد كنـــتُ في افيائـــهِ انتقـــلُ؟
أأمـــاهُ هـــل تـــدرين مـــا صـــنعَ الأســـى ... بـــنفسٍ عناهـــا الخطـــبُ فهـــي تَملمَـــلُ؟
رَثَيْـــتُ حيـــاتي فيـــكِ وهـــيَ قتيلـــةٌ ... وقـــد يضـــربُ البـــؤسُ الحيـــاةَ فتقتَـــلُ[1]

ويرثي شقيقه الأكبر "محمود صفر" بقصيدتين باكتين : إحداهما في ديوانه الأول الذي نشره سنة١٩٠٨ والأخرى في ديوانه الثاني الذي نشره سنة ١٩٢٠ وفي القصيدة الأولى يقول:

أخـــي والمنايـــا لا يغـــادرن مـــن أخ ... ولا مـــن خليـــل يـــأمن الثكـــل صـــاحبه
بكيتـــك حتـــى عاتـــب الـــدمع نفســـه ... وحتـــى ارتـــوى مـــن خشـــية الله ســـاكبهْ[2]

وتنتزع يد الموت أصدقاء شاعرنا ومعارفة الواحد تلو الآخر، فيئن قلمه من لوعة الحزن على فراقهم ، وينطلق شعره يعدد مآثر كل منهم دون مبالغة أو محاباة أو انتقاص، وبعرض أعمالهم عرضاً صحيحاً لا زيف فيه ، ففي رثاء أمير الشعراء أحمد شوقي[3]، يبدأ محرم قصيدته بذكر المصاب:

مصـــيبة أمـــة ، وأنـــا المصـــاب ... شـــهدت لقـــد مضـــى الأدبَ اللّبـــابَ
ســـلوا البطـــل الصـــريعَ بـــأي جُـــرحٍ ... رمـــى كبـــدي؟ ففـــي فمـــه الجـــوابُ
وبـــين جـــوانحي حـــرّانُ هـــافٍ ... تمـــور علـــى جوانبـــه الثيـــابُ
دعـــوا ذكـــرَ الفجيعـــةِ واســـتفيقوا ... أنـــا المفجـــوعُ لـــو وَضَـــحَ الصّـــوابُ
تـــراثُ العـــربِ عـــاث الـــدهرُ فيـــه ... وملـــكُ الضـــادِ عاجلـــة التّبـــابُ[4]

---

[1] المرجع نفسه ص٣١٩-٣٢٢.

[2] المرجع نفسه ص٢٤.

[3] القيت هذه القصيدة بالنيابة عن الشاعر محرم في الحفل التأبيني لشوقي في مدرسة النجاح بنابلس .

[4] محمود خورشيد العدناني، امير الشعراء شوقي بين العاطفة والتاريخ ، القدس سنة ١٩٣٨ ص١٧٥-١٧٨.

ثم يذكر محرم عظمة فن شوقي وبراعته ، حيث يقول:

شبابُ الفنّ كنتَ له جَمالاً ... فزال جمالُه ، ومضى الشَّبابُ
رأيت القولَ يُكرهُ منه بَعْضٌ ... وباقيةٌ يحبُّ ويستطابُ
بَرعتَ فكنتَ ملءَ الدهرِ خُلداً ... وكلُّ براعةٍ للخلدِ بابُ[1]

وفي رثائه لشريكة حياته ، يتأمل الشاعر في حقيقته الموت ، ويتناول ببساطة ووضوح مشاعر زوج بلغ الفراق مداه، ولكن لا سبيل إلى رجوع الفقيد الغالي ، بعد أن قضى الموت بهذا الفراق القسري ونشعر أن الشاعر في رثائه لزوجه الراحلة كان شديد الحرارة ، قوي الجهر بالعاطفة ، فقد سكب في هذه القصيدة كل إخلاصه ووفائه ، وشتان رثاء الدم ورثاء الدموع ، ويقول أحمد محرم:

حقا لقد بلغ الفراقُ مداهُ ... فعلمتُ أن هواك طَوعَ هواهُ
لا أنتِ راجعةٌ ولا هو منقَضٍ ... وَيلي عليكِ لَشَدَّ ما ألقاهُ
أيّ المواطن حلَّ ركبُك ليتَني ... أدري، لعلّي إن نظرتُ أراهُ
سِرّيا خيالي كبالبُراقِ فهذه ... آثارهُ ، العليا ، وتلك خطاهُ
واسأل ملائكةَ السماءِ وطُف بها ... في نورِ ربّكَ ، لا إلهَ سواهُ

ويتوجه بعد هذا الوصف للفراق الدافق إلى الفقيدة فيقول:

أفقيدتي ، وأنا الفقيدُ ، متى ترى ... عيناي وجهَك مونقا مرآهُ
ذكراك ملءُ فمي ، وحبّك في دمي ... ماجفَّ منبعُه ولا مجراهُ
ودعي الحياةَ ، فللحياةِ شؤونُها ... مما يعافُ المرءُ أو يرضاهُ
لا تعجبي للأمرِ ، ليس كعهدنا ... فالله قدّرهُ لنا وقضاهُ
لك من حقوقِ الصاحبِ الحُلوِ الجَنى ... ما لستُ أجحُده ولا أنساهُ
هيهاتَ ، لن ينساك آخرَ دهرِهِ ... من أنتِ إلفُ مشيبِهِ وصباهُ
لا يشغلنك عنه ما شغل الألى ... سكنوا المقابرَ واسمعي نجواهُ

---

[1] المرجع نفسه ، ص١٧٥-١٧٨.

مـا زالـت الـدنيا تـدور صـروفها ... حتـى نـأى مثـواك عـن مثـواهُ
الصـبر أجمـل بـالحزين وربمـا ... جـزع الفتـى فتضـاعفت بلـواهُ
والمـرء لـيس بسـالمٍ مـن دهـرهِ ... حتـى يـوّطن نفسـهَ لأذاهُ[1]

وشاعرنا في محراب الطبيعة يقف مسحور اللب، مـأخوذ الفـؤاد ، يـرى في جمالها لوناً من العبادة ، وفي حبها طريقاً إلى تجلي عظمة الخالق.

وقد ظل محـرم محجوبـاً عـن مفـاتن الطبيعـة حتـى ودع الكهولـة ودب إلى الشيخوخة فأخذت تلقي إليه بمقاليدها ، وتفيض عليه من أسرارها ، وتقـدم لـه من صور الجمال ما تقر به عن عين الفن ، ويسعد به عالم الشعر،ولا بدع في هذا ولا عجب ، فالشاعر يقبل على الطبيعة وقد وطن نفسه على الاستمتاع بما فيها من صفاء وجمال ، فإذا بهذا الطموح الروحي يتفاعل مع هذه المتعة ومع اكتشاف الذات ، وتقوم فيها الصـورة الشـعرية في صـفة مبتكـرة تكتسـب فيهـا الألفـاظ دلالات وقدرة على الاتجاه كانت قد فقدتها في الصـيغ النمطيـة التقليديـة عنـد غيره من الشعراء.

وإذا نظرنا إلى مراثيه في زعماء الوطنيـة ، ورجـال السياسـية ، نجـده يعـدد مناقبهم وأعمالهم ثم يذكر مصيبة الوطن بفقـدهم ، ويهيـب بـالمواطنين ليقتفـوا آثارهـم ، ويعملوا على تحرير البلاد من الاستعمار والاستبداد وألعبودية ، فنجده يرثي الزعيم مصطفى كامل في فبراير ١٩٠٨ من قصيدة مطلعها :

عـرف الزمـان مصـارعَ الأبطـالِ ... وأقـام فيـك مـآتمَ الأجيـالِ[2]

ويقول في ذكرى الأربعين:

بربـك مـاذا اصـاب الـبلادا ... فـلا تنظـر العـين إلا حـدادا؟
فـويح القلـوب، وويـح العيـون ... أحـزن تـوالي، وخطـب تمـادى

---

[1] الديوان ٢، ص٤٧٦-٤٧٧.

[2] الديوان ٢،،ص٢٧.

فقـــدنا الظهـــير، فقـــدنا الـــنظير فقـــدنا المجـــير، فقـــدنا العمـــادا
فقـــدنا المضـــاء، فقـــدنا الوفـــاء فقـــدنا الإبـــاء ، فقـــدنا السَّـــدادا[1]

وبعد أن يصور هول الخطب على النفوس، وطول حزنه على أمته التي شاء قدرها أن تمد يد الموت إلى المخلصين من رجالها؛ فالنفوس القوية تمضي سراعاً إلى الموت على نقيض النفوس الضعيفة، وأن الحياة ليست روحاً ودماً جائلاً ، وإنما هي الفعال الحميدة التي تفيد البلاد والعباد ،وأن المواطن الحق هو الذي يجيب نداء العلى ويخوض إليها جسام الأمور ، لا يخاف الموت ، ولا يهابه ، ويختتم القصيدة بقوله:

عـــزاءً بـــني مصـــر عـــن كوكـــبٍ أحالتـــه أيـــدي المنايـــا رمـــادا
كـــأني بـــه يســـتثير القبـــور ويبعـــث فيهـــا الحيـــاة اجتهـــادا
كـــأني بأقيـــدي البلـــى واهنـــات تمـــارس منـــه خطوبـــاً شـــدادا
عـــزاء بـــني مصـــر عـــن فقـــده وضـــنا بشـــرعته واعتـــدادا
ولا تتعـــادوا ، فـــإن الشـــعوب تمـــوت انقســـاماً وتحيـــا اتحـــاداً[2]

وفي الذكرى السابعة عشرة لوفاته عام ١٩٢٥ يقول:

دعـــوا الشـــهيد لشـــعبٍ لـــيس ينســـاه وارعـــوا لمصـــرَ ذمامـــا كـــان يرعـــاهُ
مـــاذا تعيـــدون مـــن ذكـــرى امـــرئٍ نَبِـــهٍ النيـــلُ ســـيرتهُ ، والـــدهرُ ذكـــراهُ
خوضـــوا الرّمـــاة، وســـيروا حـــول رايتـــهِ جنـــداً مـــن الحـــقّ يرمـــي دونـــه اللهُ
إلى الأمـــام ســـراعاً خلـــف قائـــدكم إلى الإمـــام، فهـــذي مـــن وصـــاياهُ
ســـنَّ الجهـــادَ لكـــم ، يحمـــي بـــه وطنـــاً مـــن الحـــدادَ عليـــه يـــوم منعـــاهُ[3]

---

[1] الديوان ٢،ص٢٧.

[2] الديوان ٢، ص٢٨.

[3] الديوان ص، ص٢٩.

وبعد أن يذكر يوم وفاته ، رمى مشارق الأرض ومغاربها بالخطب الهائل الذي أصاب النيل، وجمع الدول المغلوبة على حد سواء ، يقرر أن رسالة الهداة لا تقتصر على شعوبهم فحسب بل هم رحمة الله للدنيا كافة ، ويطلب من مواطنيه أن يتدبروا معنى الذكرى:

مدَّ الشّهيدْ إلى الأحزاب يجمعها ... من جانبِ القبر بمناه ويسراهُ
وأرسل الصوتَ يُسدى النصح فابتدرت ... مصرُ الجريحةُ تستشفي بنجواهُ
اليوم يبصر حادي الركب وجهته ... ويعرف الحائر الضّليل عقباهُ[1]

ويمضي محرم في مراثيه يتحسر على المجد العابر، كلما اختطف الموت علماً من أعلام الشرق أو بطلاً من أبطال الإسلام ، فنراه يرثي شيخ العروبة " أحمد زكي " وكان قد لقب بهذا اللقب، لأنه وقف حياته على خدمة العروبة والإسلام، حيث يقول محرم:

لا الريبُ من شأنه ولا التؤدَهْ ... رامٍ من الحتفِ آخذْ عددَهْ
لو انطوى المرءُ في كِنانته ... يطمع إلا يُصيبهُ وَجَدَهْ
ولو تغطى منه بصارمه ... ألفى غِراريْهِ عينَه ويدَهْ
النافذ الندبُ من فرائسِهِ ... اذا تصدى ، والواهُن القُعَدَهْ
جار مع الروح في مناقذها ... ما رده حارس ولا طردَهْ
وراكضٌ في مُناه يصرفُه ... عن أمره ناقضٌ لما عقَدَهْ
يبصره المرءُ في سلامته ... وفي دواء الطبيب إلى رصدَهْ
بينا الفتى والحياةُ نضرةٌ ... يمرح في الزراعين اذ حَصدَهْ[2]

وفي ذكرى وفاة البارودي يقول:

---

[1] الديوان ٢، ص٢٩.

[2] الديوان ٢ ، ص٤٤٧، مجلة ابولو: ديسمبر ١٩٣٤.

صـوغوا القواضـب وانظمـوا الأبطـالا ... وخـذوا متـون الصـافناتِ مجـالا
يـا قـوم شـاعركم حسـامٌ قـاطعُ ... يـدعو الحتـوفَ فيسـتجبنَ عجـالا
وافي السّـنا ، صـافي الفرنـد مُحكّـم ... يتخطـف الالبـابَ والآجـالا
زينـوا القـريضَ بمنطـقٍ مـن بأسـهِ ... البـأسُ اروعُ منطقـا ومقـالا
سـوقوا الكتائـب في البيـان مغـيرةً ... مـلءَ المالـكِ تركـبُ الأهـوالا
خـير المـداد دم الفـوارسِ فانبِـذوا ... اقلامكـم حتـى تكـونَ نِصـالا
يـا قـومْ شـاعركم أقـام لجـيلكُم ... مُلكـا عـلا شـرفاً ، وعـزّ منـالا
أنـا اغترفـا الشّـعرَ مـن جنباتـهِ ... عـذباً يشـوق الشـاربين زُلالا[1]

ويقول في ذكرى الإمام محمد عبده قصيدة نشرت في العدد الخاص من مجلة السياسة الأسبوعة ، فيذكر أثر الإمام وفضله على الإسلام ومعالجته للمعضلات الدينية ودفاعه عن مثله ومبادئه:

أرأيـت بالشـرق مـن ذكراكـا؟ ... وسمعـت ديـن الله حـين دعاكـا؟
ضجّ الزمـانُ حيـالَ قـبرك ، مـا درت ... أمـمُ الهـدى نجـواهُ أم نجواكـا؟
ذكـروك ذكـرى الـذاهبين ومـا خلـتْ ... منـك الـبلادُ ولا انقضـت دنياكـا
المـوت آيتْـه السـكون، ومـا تـزلْ ... مـلءَ المالِـك والشـعوبِ حراكـا
حيـاك روحُ القـدسِ في أرجائِهـا ... ومشـى (الـنبيُّ) بهـا يقبّـل فاكـا
تـأبى القـرارَ إذا رمـاه مضـلّلٌ ... فكأنمـا جمـع القُـوى فرماكـا[2]

وفي رثاء الأديبة اللبنانية "مي زيادة" يقول:

(مـي) اكـتبي وصـفي سـجايا النـاسِ ... مـن ذاكـرٍ يرعـى الـذمامَ ونـاسِ
ومهـذبٍ جـمّ الحنـانِ وجامـدٍ ... جـافٍ علـى زَجْـرِ المؤنّـبِ قـاسِ
وموفّـقٍ يُضـفي اللبـاس علـى تُقـى ... ومضـلّل يمضـي بغـير لبـاسِ

---

(1) الديوان ٢، ص٤٥٨-٤٥٩.

(2) الديون ٢، ص٤٦٨-٤٦٩.

يقضي الحياةَ ذميمةً فكأنه ... وكأنها رجسٌ من الأرجاسِ
كم فاضلٍ خافي المكانِ وصيتُه ... متجاوبٌ كالعارضِ الرجّاسِ[1]

وينتقل ليذكر فضائلها ، وما حباها الله من عبقرية وبيان فيقول:

(يا مي)إن طال السكوتُ فأنّها ... أوطانْ صمتٍ دائمٍ ونُعاسُ
صوني بيانكِ عند ربّكِ ، واهجعي ... ما ثمّ من قلمٍ ولا قرطاسِ
لكِ من ذخائركِ الغوالي هاهُنا ... كنزٌ يزيدُ على كنوزِ الماسِ
ما العبقريةُ غيرُ عرشٍ خالدٍ ... سامٍ على هامِ الكواكبِ راسِ
أوتيتِ سرَّ (يسوعَ)في القلمِ الذي ... آتاك في دنياكِ ربُّ الناسِ[2]

ويقول في ذكرى الصحفي البارز والسياسي الحكيم عبد القادر حمزة:

فيم السكوتُ ، وقد أهاب الداعي ... أفما رأيت توجعَ الملتاعِ
قلّ المتاعُ وكنت للقوم الألى ... هالوا التراب عليك خيرَ مَناعِ
ردّدْ بدارِ الحقّ صوتَك إنه ... شَغَفُ العقولِ ، وفتنةُ الأسماعِ
قل ما بدالك في الحياة وسّرها ... أكذاك يبقى السرُّ غيْرَ مُذاعِ؟
فقدوك مرجوا لكل عظيمة ... يشقى بها الراجي، ويعيا الساعي
في حكمةٍ تزن الأمورَ وفطنةٍ ... تغني عن الأنصارِ والأتباعِ
قم يا (ابنَ حمزةَ)للدفاع فمالنا ... من مأمنٍ يُرجى بغيرِ دفاعِ[3]

ويقول في ذكرى العلامة أحمد تيمور:

هو البعث ، فانظر كيف ترجى مواكبه؟ ... وكيف ترينا الحشر، شتى عجائبُهْ؟
إلا أنها الذكرى أعاد جديدها ... من الدهر ما أعيا على الدهر ذاهبُهْ
كفى المرء مجدا أن ت بيد حياته ... فيبلى، وتأبى أن تبيد مناقبُهْ
ذكرناه تطوى الدهر منصلت القوى ... فلا الدهر ناهيه ، ولا الموت غالبُهْ

---

[1] الديوان ٢، ص٤٩٠.

[2] الديوان ٢، ص٤٩١.

[3] الديوان ٢، ص ٤٨٢-١٨٣.

ولا هـو مصـروف عـن المجـد يبتغـي ... بـه بـدلاً إن ضـاق بالمجـد طالبُـهْ
وأنـا لنعطـي الخالـدين حقـوقهم ... ونعلـم أن الخلـد شـتى مراتبُـهْ
(لتيمـور) مـا تهـوى نـوازع نفسـه ... مـن الشـرف العـالي وترضـى مآربُـهْ[1]

في محراب الطبيعة

ومن روائع محرم في مجال الطبيعة قصيدة عنوانها "لغة الطبيعة يقف فيها مبهورا أمام لغة الطبيعة التي أعيت كل اللغات وأين للمعاني مهما أوتيت من أسباب القوة ، وللشاعر مهما وهب من قوة البيان واتساع الخيال أن ينقل للسامع ما يراه من فن وسحر في قطرة الطل ترضع زهرة تتفتح؟!"

يـا شـاعراً يصـف الطبيعـة هاهنـا ... تعيـا القـرائح والعقـول الـرجحُ
مـا أنـت في لغـة البيـان بمفصـح ... لغـة الطبيعـة مـن بيانـك أفصـحُ
تفنـى المعـاني كلـها في قطـره ... للطـل ترضـع زهـرة تتفـتحُ[2]

وحاجة نفسه وبغيتها أن يحيا بين الطبيعة انضر عيشاً وأنعم بالأمن رياحينها قد استقر هواه ، وأقامت أمانيه ، وأشرفت نفسه ، وصقلها ذلك المنظر المشرق:

أنـا بـين الريـاض أنضـر عيشـاً ... مـن رياضـيها وأنعـم بـالا
مسـتقر الهـوى مقـيم الأمـاني ... يتلقـى النعـيم حـالاً فحـالا
هـذه حـاجتي وبغيـة نفسـي ... جـاوزت بـين الظنـون والآمـالا[3]

وتلك الطبيعة الريفية الساحرة كم تركت في نفس الشاعر من انطباعات ، لم تستطع أحداث الزمن ولا تتابع السنين أن تمحو من إحساسه جمالها ، أو تنسي وجدانه سحرها ، وإن ينسى الشاعر فلن ينسى تلك الفتاة الريفية الوادعة

---

(1) المرجع السابق ، ص٥١٢.
(2) الديوان ج٥- ص٥٥.
(3) مجلة الثقافة ٢٣ يوليو سنة ١٩٤٠.

الساذجة ، وهي تصافح ضاحك النوار مع أولى قبلات الشمس ، وتتسلل إلى الحقول مع خيوط الفجر.

ويسوقه الوجدان في قصيدته " الطبيعة وفتاة الريف":

بكرت تصافح ضاحك النوار ... بين المروج الخضر والأنهارِ

عذراء تستجلي الطبيعة طفلة ... بلهاء ضاحكة إلى الأقدارِ

نفذت على الفجر الدجى وحبت على ... صدر الصباح وأمسكت بنهارِ[1]

وهذا الإحساس بقوة الطبيعة وعظمتها يدفع الشاعر إلى الفناء في مجاليها والإحساس العميق بالأسى كلما أبصر زهرة ذابلة.

وليس مصاب الطبيعة في جفاف زهرة بالخطب الهين، فدمع الغدير يجري والبلبل مرتاع يوالي أنينه ، وحزن الشمس حزن كبير على هذه الزهرة التي ماتت في صبا الحسن المثير، وهذا الإحساس الذي جسّده الشاعر في كل مظاهر الطبيعة بعدما أضفى عليها أحاسيس الأحياء تراه في هذه المقطوعة الرفيقة:

جفت الزهرة حزناً ... فجرى دمعُ الغديرِ

كيف لا يبكي لخطب ... حل بالروض النضير

هاجه البلبل لما ... ريع الخطب الكبيرِ[2]

ويخاطب زهرة الروض ، فيصف حسنها ، وجمالها ، ومرأى البلابل تغرد فوقها ، ولكنها بعد أن انقضى الربيع ، ذبلت وغاضت محاسنها وذوت الزروع في الروض ، كذلك الجداول قد غدت ناضبة والشاعر في هذه الصورة الآسرة يقارن بين حال وحال : حال المتعة والسرور ، وحال انقضاء المتعة وزوال الهناء والسعادة فما اشبه حال الإنسان بحال الزهرة:

---

[1] محمد إبراهيم الجيوشي، شاعر العروبة والإسلام ، احمد محرم ، ص١٠٣.

[2] الديوان ٥، ص٥٤.

يـا زهـرة الـروضِ ، مـالي صـرت أنسـاكِ ... وأيـن مـا كـان لـي مـن طيـب ريّـاكِ؟
أيـن الجمـالُ الـذي قـد كـان يجـذبني ... إليـك إن ظفـرتْ عـيني بمـرآكِ؟
ومـا لروضِـك قـد زالـت نضـارتُهُ ... فمـا تـرى العـينُ فيـه غـيرَ أشـواكِ؟
مـا للبلابـلِ حَيْـرى ي جوانبِـه ... تـأبى وتـذهب مـن شـاكِ ومـن بـاكِ؟
مـا للطبيعـة عـادت وهـي عابسـةٌ ... يـا زهـرةَ الـروضِ ، هـل ريعت لبلـواكِ؟
مـا للجـداولِ والأنهـارِ ناضـبةٌ ... فمـا بهـا قطـرةٌ تُرجـى لسـقياكِ؟
مـا للـزروعِ ذَوَتْ؟ مـا للربـوع خلـت؟ ... مـا للـدموعِ جـرت مـن هـولِ منعـاكِ؟
مـوتي كمـا مـات في دنيـا الهـوى أملـي ... في ذمـة الله مثـواه ومثـواكِ؟[1]

أما فصل الربيع فله في نفس الشاعر منزلة كبيرة ، وهو يستجلي أماسي الربيع وأطيافها ويصف أريج أزهاره ، وتفتق البراعم ، وخرير المياه ، وألوان الطيور وألحانها.

والربيع ليس مشهداً يتمتع به الناس فحسب ، وإنما هو حال تغمر النفس الحساسة ، لا تختلف في أبان الربيع عن أمثالها إلا كون الشعور بها يزداد أضعافاً؛ ولذلك تجد للربيع دائما معناه الشعري الجميل لدى محرم فيقول في وصفه:

دنيـاك تضـحك عـن وداد صـافي ... وتُريـك طيـبُ العـيشِ كيـف يـوافي
تزجـي مخارفَهـا إليـكَ تحيـةُ ... تَشـفيكَ مـن شـوقٍ بقلبـكَ هـافي
عجـلْ لنفسـك في الربيـعِ سَـراحها ... فلقـد كفـاك أذى السـجينةِ كـافي

ويأخذ في وصف الربيع بما يليق بحسنه الخلاب:

نـاجِ الحـدائقَ فهـي شـعرٌ ضـاحكٌ ... واستنشـد الازهـارَ فهـي قـوافي
صـورُ العواطـفِ والحيـاةِ تمـوجُ في ... دنيـا مـن الألـوانِ والأوصـاف
هـذا يناوئُـك الهمـومَ يُـديرها ... حـرّى ، وهـذا مـن همومِـكَ شـافي
يـا طـيرُ مـا ضـاق البيـانُ ، وإنمـا ... ضـاق الزمـان وضـنّ بالإسـعاف
غـردّ وإن هجـتَ الهمـومَ لطـائرٍ ... حمـل الهمـومَ كـثيرةَ الأصـناف

---

[1] الديوان ٥، ص٣٠١.

يـا طيـرُ إن كنـتَ اللبيـبَ فـلا تَبـتْ الا سـليبَ مـروءةٍ وعَفـافِ[1]

تجربته مع الحب والهوى:

أما شعره العاطفي عبر فيه عاطفة الحب، ومشاعر القلب نحو المرأة فيبدو أن تجاربه الغرامية بدأت متأخرة ، ولذلك تأخر ظهورها في شعره ، فلقد جاء شعره الغزلي في شبابه شعراً صناعياً أشبه بما يقدم به شعراء مصر الأقدمون قصائدهم من مقطوعات الغزل، فلقد جاء ديوان محرم الأول بسبع عشرة قصيدة أغلبها مقطوعات قصيرة كلها تدور حول البكاء والفراق وهياج الذكرى والحنين لرؤية البرق ، وهدير طير الأراك، ولا نستطيع أن نلمس فيه تميز شخصيته ، بل إن فيها الكثير من شخصيات الشعراء القدامى . لنتأمل مقطوعته : "البرق المستطير" :

أهـاج هـواك بـرق مسـتطير وطـير في الأراك لـه هـدير
لقـد بـدلت مـن سـلمى خيـالا يـذكرني المواثـق اذا يـزورُ
ألمّ بمضـجعي والليـل داج فـأرقني وقـد هجـع السـميرُ[2]

ونراه في مقطوعة أخرى يناجي حمامة سكتت عن الهديل وكفت عن البكاء ويسائلها هل عرضها الدهر بالظل والماء النمير، ويتابعها بالسؤال عن سر صمتها:

أبيـت البكـاء وتركـت العـويلا حمامَتنـا هـل نسـيت الهـديلا؟
أعوضـك الـدهر بعـد الهـديل مـاء نمـيراً وظـلاً ظليـلا؟
فجـف غـديرك هـذا الغزيـر فمـا تطفـنين بمـاء غليـلا؟
وصـوح دوحـك هـذا النضـير فمـا تجـدين بـإرض مقـيلا؟
وهـاض جناحيـك ذو نبلـة يغـادر كـل رمـي قتـيلا؟

---

[1] الديون ٣، ص٥٨-٦٢.

[2] الديوان ، ص ١٧٤.

أمـا (وي) يـا أحسـن الغانيـات وأطيـبَهن خـلالا وقـيلا؟
ذكرتـك اذ هـدأ الـذاكرون فهـاج لـي الـذكرُ داء دخـيلا[1]

وتقوم الحرب العالمية الثانية ، فينشر قصيدة يتضرع فيها إلى الله أن يرحم نفوس العاشقين ، ويكتب لهم النجاة:

يـا رب إن قـدرتها وحشـيةَ وبعثتهـا مشـبوبةً تتضـرمُ
فـارحم نفـوس العاشـقين ونجهـم منهـا ، فأنـت بهـم أبـرُّ وأرحـمُ
أومـا كفـاهم مـن تبـاريح الهـوى حـرب لهـا في كـلّ قلـبٍ مـا تمُ[2]

ويخاطب الليل بقوله:

ياليـلُ هـل لـي مـن نجومـك صـاحب إذ غـاب عـني صـاحبي وسـميري؟
أشكو الأسى وتطول ، مالي في الهوى يـا ظـالمي مـن منجـد ونصـيرِ
اجمـع همـوم العاشـقين وهاتهـا عنـدي ، فليسـت في الهـوى بكـثيرِ
أنـا أمـة ياليـل في دنيـا الهـوى أو عـالم مـن لوعـة وسـعيرِ[3]

ويدع محرم حديث الهوى وينصرف عن شعر الحب ، والقلب حيناً، لينـدفع في غمار الاصلاح الوطني والاجتماعي ، وكـان الظـن أن يكـون قـد ودع هـذا اللون من حديث القلوب إلى الأبد ، ولكن شاعرنا يخرج على هذه السنة المألوفة في مثل سنة ، ويفاجأ عشاق محرم ومحبوه الذين تعودوا أن يسمعوا من وتره نغماً إسلامياً ،كلما حلت مناسبة إسلامية ،أوبدت بادرة توحي بعودة المجد الضـائع ، يفاجأ جمهور الشاعر إذ يخـرج علـيهم بقصـيدة وجدانيـة عنوانهـا "لسـت ادري "فتحدث عن الحب والقلب حـديث الوامـق الجـريح الفـؤاد، يسـأل فيهـا الليـل والطير والنخيل والعشاق والنفس والقلب والهوى عـن حبـه ، ويتناقـل النـاس

---

[1] الديوان ١ ، ص ١٧٤.

[2] الديون ٥، ص ١٤٠.

[3] الديوان ٥، ص٢٣.

أبناء ذلك الحب الذي استولى على شاعرنا وسلبه عقله ولبه ، ويعجبون لذلك السيل الدافق من الأحاسيس والمشاعر الجياشة ، ومبعث هذا العجب ، هو جدة هذا الشعر على الناس وهو شيخ قد خطا خطوات في العقد السابع، ويواصل التعبير عما يحسه من حب وهوى غير عابئ بما يدور حوله من سخط ورضى[1]، يقول في القصيدة :

لست أدري أيّ حب كان حبي ... ولمن يا ويحَ قلبي كان قلبي

فتنةٌ رانت على عقلي ولبي ... حسبها ما أتلفت مني وحَسْبي

ليس لي من ظالم ، فالذنب ذنبي[2]

ثم يسأل الليل والطير:

اسألوا الليل ، وقولوا للصباحُ ... أيّ طيرٍ كان خفاقَ الجناحْ؟

ضاحكَ الآلامِ بسامَ الجراحْ ... يتغنى في غُدو ورواحْ

وهو من بلوه في هم وكرب:

أسألوا الطيرَ وقولوا للشجرْ ... هل مضى الظُّل، وهل جف الثَّمرْ؟

ليس يدري ، فهو عندي كالحجرْ ... مالهُ قلبٌ وما فيه نظَرْ

لو علمتم بعض ما بي هان خطبي[3]

ويمضي في تساؤلاته إلى أن يقول:

اسألوا العرافَ: هل لي من نصيبْ ... في التي ما لي سواها من حبيبْ؟

ما لدى العراف أو عند الطبيب ... أين من يبكي على النائي الغريبْ

سوف أقضي في هوى (نحبي)[4]

---

[1] الديوان ٥، مقدمة الديوان ص٢٤-٢٥.

[2] الدايون ٥ ، ص٢٤.

[3] الديوان ٥، ص٢٤.

[4] الديوان ٥، ص ٢٥.

وينقسم الأدباء قسمين : أحدهما يتمنى لو أن محرماً يكثر من نظم الشعر في مثل هذه الصور والمعاني ، والآخر يرى أن رسالته الشعرية أسمى مقصداً ، وأروع منزلة من هذه الأغراض ولكن شاعرنا لا يستجيب لهذا الرجاء ، وكيف يطاوعه قلبه لطمس هذا النبع الصافي[1].

ولكن ما بال الشاعر قد ترك فراغاً في الشطر الأخير من القصيدة ؟ لا بد أن في الأمر سراً يخشى أن يذاع، ويحرص على أن يظل مكتوماً، ولو كان من ذكريات الماضي لما وجد بأسا من إعلانه ، فذاك عهد تولى وانقضى ووجد المطلعون على شعره ، والدارسون أن اسم رفقه لو وضع في الفراغ الذي تركه محرم في الشطر الأخير من قصيدته لاستقام الوزن، وكان صبر محرم قد نفذ ، فبعث إلى رفقة يشكولها جواه[2]:

لم يبق لي يامن لا اعاتبها ... شيءٌ يقال له صبرٌ ولا جَلَدُ

هذا الذي كنت أخشاه فوا أسفي ... أصبحتُ في الناس ليس لي أحدُ

لا تعجبي يا حياةَ النفس إن ذهبت ... نفسي عليك وذاب القلبُ والجسدُ[3]

وبينما الشاعر يجلس إلى محبوبته ، ويساقيها كؤوس الهوى تطيش يده عفواً أو عمداً فتصيب وجهها ، بجرح يسيل منه دمها ، فترتاع نفسه ، ويتدفق الدم كالجدول ، وتنظر رفقة إلى محرم نظرة عاتبة ، ويصور لنا الشاعر هذا المجلس وما جرى فيه:

روعتني قطرة من دمها ... سال منها في فؤادي جدولُ[4]

---

[1] الديوان ٥، مقدمة الديون ص٢٥.

[2] محمد إبراهيم الجيوشي ، شاعر العروبة والإسلام ، إحمد محرم ، ص٩٣.

[3] المرجع السابق ص٩٣.

[4] المرجع السابق ، ص٩٣.

ويبدو أن الجرح قد ساء صاحبته فقاطعته، واحتجبت عنه فلم يستطع صبرا على هذه القطيعة وبعث يستعطفها ويترضاها ، ويسأئل نفسه عنها ، ومن تكون؟وكيف حباها القدر هذا الزمن المديد ، ثم يشكو الناس وسؤالهم عنه وعن شعره الجديد وسر هذا الاتجاه فيقول:

أنت يا من أنتِ في وا دي الغيوب ... بمكان السر في وادي القلوبِ

أو كمثوى الشمس في جوف الغروب ... أو كنفس في غيابات الخطوبِ

أنت من أنت ؟ ويالي من أنا؟[1]

وترحل رفقة من دمنهور إلى بلدها "ميت غمر" فيشتد الشوق بمحرم ويمض الفراق قلبه بأنيابه فيدميه ، ويبعث إليها برسالة يكتبها بدموعه، ويسطر فيها أشواقه وأشجانه ويستحثها الإسراع باللقيا فقد نفد صبره ، ويسألها أن تذكر شهيد هواها اذا ما توجهت لزيارة "ماري جرجس" بقرية "ميت دميس" بالقرب من "ميت غمر":

اليك دموعي في الصحيفة فاقرأي ... رسالة أشواقي إليك وأشجاني

فان تطلبي مني دليلاً على الهوى ... فهذا دليلي في هواك وبرهاني

فيا ..عذرا إن جزعت فإن لي ... تباريح من شوقي إليك وتحناني

ولا تنكري هذى الدموع فإنها ... عصارة قلبي في هواك ووجداني

ويا ..إن جئت الشهيد تذكري ... شهيد هوى ما دان يوماً بسلوانِ[2]

وقد كثر حديث الشاعر في هذه الحقبة من حياته عن الجمال والهوى والحب والزهر والندى وهو ما تناولنا جانباً فيما سبق من حديث الوجدان، وفيها يمتزج الحديث عن الطبيعة بحديث الهوى وصحبة الحبيبة فيقول:

---

[1] المرجع نفسه ، ص٩٣.

[2] المرجع السابق ص٩٤.

والنسيمُ الرطبُ أمسى ... دونه حرُّ الهجيرِ
طلع الفجرُ عليها ... في أنين وزفيرِ
وتولي الشمسَ حزنٌ ... ليس بالنزرِ اليسيرِ
زهرةٌ جفت فماتت ... في صبا الحسنِ المنيرِ
موتُ ذي التاج المحلى ... فوق عرشٍ أو سريرِ
دولةٌ دالت سراعاً ... حكمةُ الله القديرِ[1]

ويقع نظر شاعرنا على حبات الندى فوق زهرة فيحسبها أدمع البكاء هاجه فقد الأليف ، ثم يمزج حديث الطبيعة بحديث الحب، مزجاً يأخذ بمجامع القلوب، ويربط بين مظاهرها وبين أحاسيس الناس في عبقرية وفن لا تبدران إلا من شاعر حبته الطبيعة أسباب الخلود يقول في قصيدة الزهرة الباكية:

أهذي دموع الطلّ ، أم هاجك الهوى ... فأنت لفقد الألف تبكين عن وَجْدِ؟
فديتك، لولا الزهر ما اشتاق عاشق ... وما ذاق ما يدمي الجفون من السّهدِ
هو الحب في دنيا من الفن غضةٍ ... تهيم بما تُخفي من الحسِ أو تُبدي
تطير بها الأرواح فوضى وإنما ... تطير وراء الدهر في عالم الخُلدِ
سمعتك إذ مر النسيم مسلّما ... تقولين من أغراك بالهجر والصدّ؟
وأبصرت منك الدمع ينظمه الأسى ... فمسطٌ على سِمْطٍ وعقدٍ على عِقْدِ*
عذرتك ما بعد الأليفِ بهيّنٍ ... وإني رايت الموت معنىً من البُعدِ
خذي من دموعي ما استطعت فإن بي ... رسيسَ هوى يزداد وَقْدا على وقْدِ
كلانا مصاب غير أني إذا الهوى ... ألحّ على المخزون واسبته جَهْدي
سأجعل انفاس النسيم رسالة ... تزيدك يا ليلاي وداً على ودّ
إذا ما سرى يهدي إليك تحيتي ... فمن عبقِ الرَّيْحانِ أو نظْرةِ الورد

---

[1] الديوان ٥، ص٥٤.

* السمّط: الخيط ما دام الخرز أو اللؤلؤ فيه * رسيس الحب: أوله ، وهو بقية وأثره.

ويستمر في توجيه خطابه إلى الحبيبة فيقول:

اعندك يا (ليلاي) من لاعجِ الجَوى ومن لوعة الشوق المبرّح ما عندي؟
اتيكين مثلي ؟ لا -دعيني فإنني رضيت بأن القى صروفَ الهوى[1]

ويستمر شاعرنا في هذا اللون المحبب من المزج بين الحبيبة والطبيعة ، غير آبه أو مستجيب إلا لنداء القلب:

ويستقبل محرم الربيع بقوله:

عاد في بهجته عيد الربيع يزدهي في معرض الحسن البديع
هويا أهل الهوى عيد الجميع ليس للهاجر فيه شفيع

عيدكم عيد اجتماع وتلاق

يا شفاه الزهر ما ابهى الشفاهْ اضحكي بالله يا دنيا الحياةْ
وانظمي شعر الهوى ، إني أراه سلّوة الصب المعنى في هواهْ

اسكبيه سلسلا عذب المذاقْ

ثم يذكر الناس الجامدة التي لا تشعر بالحب ولا تحس بالشوق:

يا قلوب الناس ما هذا الجمود؟ أجنوب تلك منكم أو نجودْ؟
كل حب أو جمال يخلقُ فهو منه ، وعليه يُطلقْ

واليه في معاليه يساقْ[2]

ويخاطب الطير ، ويطلب منها أن تردد آيات الحنين، وتتغنى بحديث العاشقين ، وأن تنبه الأشواق في قلوب الراقدين ، فقد استيقظ الهوى في قلبه واستفاق الحب:

رددي يا طير آيات الحنينِ وتغني بحديث العاشقينْ
نبهي الأشواق في رفق ولينْ نبهيها في قلوب الراقدينْ

---

[1] الديوان ٥، ص٣٥٩-٣٦٠.

[2] الديوان٥، ص٣٤٦-٣٤٨.

الهوى استيقظ ، والحب استفاقْ

ثم يدّعى أن قلوب الناس لم تخلق سدى ، وإنما خلقت للحب:

يـــا رفيقـــي ، لـــيس للحـــبّ مَـــدى وقلـــوبُ النـــاس لم تخلـــقْ سُـــدى
أيـــن مـــن يعقـــل أو يبغـــي الهـــوى؟ لا أرى الا غوّيـــــا مفســـــدا

يتمادى في ادعاء واختلاقْ[1]

ويتخذ هذا اللون من الشعر الوجداني الممتزج بالطبيعة والحب، فيتراءى لشاعرنا أن سنى الحبيبة في هذا الجو السحري البهيج فيكثر الحديث عن الجمال والهوى والحب والزهور والندى ، وحسبنا أن نشير إلى قصيدة "بين النيل والخمائل" في ميت غمر وفيها يمزج بحديث الهوى وصحبة الحبيبة فيقول على لسانها:

شـــاعر زارنـــا يحيّـــي الجمـــالا ويناجيـــه ضـــاحكاً مختـــالاً
الجمـــال الـــذي يـــرى الله فيـــه فـــيرى المجـــد عاليـــا والجـــلالا
ويـــرى الصـــنع عبقريـــا بـــديعا يخلـــب اللـــب صـــورة ومثـــالا[2]

ويسعد الشاعر إن واصلته "رفقة" وجلست إليه ، أما يوم تفارقه وتودعه فهو يوم الذكريات المشجية ، ويوم الحزن والأسى ، وقد ظفر منه يوم الأحد بنفحة من هذه النفحات ، فبعد أن كان عيداً وبهجة ، أصبح جديراً بلعنته ، لأنه يوم يودع فيه نعيمه وسروره بمفارقة رفقه...

لا رعـــاك اللهُ يـــا يـــومَ الأحـــدْ أنـــت يـــوم الحـــزن عنـــدي والنَّكـــدْ
ودعـــتني فيـــك دنيـــاي الـــتي هـــي مرعـــى الـــروح مـــني والجســـدْ[3]

---

[1] الديوان ٥، ص٢٧-٢٨.

[2] محمد إبراهيم ، شاعر الغروبة والإسلام ص٩٤.

[3] محمد إبراهيم ، شاعر الغروبة والإسلام ص٩٥.

ونرى محرماً شانه شأن الشعراء الرومانسيين الذين يطيب لهم تعذيب النفس في سبيل الحبيبة ، عله يجد في هذا الإحساس متنفساً لما في وجدانه العميق من شاعر قلقة ، قاصداً رسم لحظات نفسية ، يعيش خلالها حياة داخلية لا تقل شأناً عن هذه الحياة التي نلمس آثارها في جانبه الحي ، أنها لحظات نفسية متداخلة متعاقبة ، وهو الذي يطيب له تعذيب نفسه بما يتلاءم مع تلك النفسية ، علّه يعوض ساعات الفراق ولوعتها الممضّة، فيقول في قصيدة "زيدي قتيلك".

لك من قتيلكِ ما أردت ومالـه ... غيرُ القلى وشمائلِ الاعداءِ
لا أنت منصفةٌ ولا أنا مُقصِرٌ ... ما الحبُّ إلا أن يطولَ بَلائي
أشكو اليكِ ، ولا أسومك رحمةً ... أنا من علمت ، وإن تفاقم دائي[1]

ثم يصف حالة من العذاب بلسان الغائب تارة وبلسان المتكلم تارة أخرى:

أخذ الأسى من عينه وفؤاده ... أخذ الفتى من بهجتي ورُوائي
إن تعجبني فمن النحول لذي الهوى ... عُنوانُ مكرمةٍ ووسمُ وفاءِ
(ليلى) وما بي في الهوى من ريبة ... أرأيت غيرَ بقيةٍ وذَماءِ
زيدي قتيلكِ ، إنه بك مدركٌ ... شرفَ الغزاةِ وسُؤدَدَ الشهداءِ
الحب للنفر الكرامِ أولي القُوى ... ما الحبّ للمرضى ولا الضعفاءِ[2]

ويبدو أن الشاعر يحاول أن يروض نفسه على تحمل المعاناة والصبر على فراق الحبيبة من خلال هذا التعويض، ولا أظننا بعد هذا التوضيح بحاجة إلى تفهم صدق عاطفة- الشاعر بما تعبره كلماته عن شعور صادق آنسه قلب حي عاش لخفقاته أمام سحر الجمال في الحل والترحال . وتعود تباريح الهوى تؤرق ليلة فيقول:

---

[1] الديوان ٥، ص ١٩٦-١٩٧.

[2] المرجع نفسه ص١٩٧.

إن تســـألنّي عـــن تبـــاريح الهـــوى فانـــــا الهـــــوى وأخـــــوهْ

فـــانظر إلى رجـــل أضـــر بـــه الأســـى لـــــولا تغلّـــب طرفـــه دفنـــوهُ[1]

وحسبنا هـذا القـدر مـن الحـديث عـن شـعر الحـب والجمـال والمشـاعر الوجدانية، فهو حديث على أي حال يعبر عن عاطفته المشبوبة التي لا تهدأ ولا تستقر ولا يستطيع شاعرنا أن يكبح جماحها ، ويكبت ثورتها وتفـرض وجودهـا على هذا الشاعر الفذ.

---

[1] الديوان ٥، ص١٨٣.

رفع
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس
www.moswarat.com

الباب الثالث

الخصائص الفنية في شعره

رفع
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس
www.moswarat.com

رفع
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس
www.moswarat.com

الفصل الأول

أسلوب الشاعر

رفع
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس
www.moswarat.com

رفع
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس
www.moswarat.com

الأسلوب

نعني بالأسلوب الطريقة التي يستعملها الكاتب أو الشاعر في التعبير عن موقفه ، والإبانة عن شخصية الأدبية المتميزة عن سواها[1] وتبعاً لذلك فإن الأسلوب يختلف في الفن الواحد باختلاف الأدباء ، إذ ترى لكل منهم طابعه الخاص في تفكيره وتعبيره ، وتصويره يمتاز به أحدهم عن الآخر، وقد يصح لنا بعد ذلك القول: إن الأسلوب هو الأديب أو الرجل[2]، ولتحديد شخصية الأديب لابد أن يتسم أسلوبه بسمة خاصة ، ولهذا فإن تمييز الأساليب يعد تحديداً للخصائص النفسية والاجتماعية والجمالية لكل كاتب ، فضلاً عن أسلوب التعبير اللغوي[3].

والحقيقة ، أن هناك بعض العناصر في الشخصية لها أثر كبير وواضح في أسلوب الأديب كالطبع وأثر البيئة والثقافة والتربية.[4]

وأسلوب الكاتب يمتزج عادة بين مادة الفكر ومادة الإحساس ؛ والكتابة الجيدة هي ما يمر فيها الفكر بالإحساس ، والإحساس بالفكر حتى ليصح أن يقال: إن الكاتب الجيد يفكر بقلبه وليس بعقله[5].

وفي دراسة أسلوب شاعرناً أحمد محرم يحسن بنا أن نتناول اللغة في شعره بالدراسة المناسبة نتقصّى مصادره الفنية ، ونضيء جذور شعره، ونكتنه تراكيبه اللغويةَ من خلال دواوينه الشعرية.

---

(١) د.جبور عبد النور، المعجم الادبي ، دار العلم للملايين ، ١٩٧٩، ص٢٠.

(٢) أحمد الشايب ، الأسلوب ، مكتبة دار النهضة المصرية ، ط٥، ١٩٥٦، ص١٤٨.

(٣) د.محمد مندور ، الأدب وفنونه ، دار النهضة مصر، ا لقاهرة ، ١٩٨٠.

(٤) د. أحمد الشايب، الأسلوب ، مصدر سابق- ص ١٣٠-١٣٣.

(٥) د.محمد مندور ، في الأدب والنقد، دار النهضة مصر ط٣، د. ت ص ٢٧.

واللغة التي عرفها ابن جني هي "أصوات يعبر بها كل قوم عن أغراضهم"[1] فأخرج الكتابة في قوله : "أصوات" للدلالة على أنها نظام من رموز صوتية ، وألمح إلى وظيفة اللغة حين أشار إلى انها "تعبير" عن الأفكار بإيصالها إلى السامع ؛ لأنها وظيفة اجتماعية في مجتمع بعينه ، ولذلك قيد تعريفه بقوله : "كل قوم" للدلالة على قانون أساسي من قوانين اللغة ، فلا تكون لغة مالم يحتوها مجتمع يتداولها ويتعامل بها. ونرى أن محرماً لا يلجأ في لغته إلى الإغراق في التعقيد اللفظي ولا ينعطف بها نحو الركاكة والضعف، بل هو يحسن إلى حد كبير بين تجربته الفنية والشعورية ، كما يحسن توظيف هذه اللغة بما يحقق الانسجام بين شكل القصيدة ومضمونها ، كما تتسم لغته فيما نرى بطابع الرقة في الألفاظ تارة والجزالة تارة أخرى ، ويتأثر في كل من هذين الطابعين بالموضوع الذي يعالجه ، كما قد يتأثران بطبيعة الشاعر ذاته التي قد تميل إلى الرقة حيناً وإلى الجزالة حيناً آخر.

نقرأ قصائده الوطنية فتطالعنا لغة ناهضة قادرة على تحقيق الفعل وتحريك القارئ ونقله إلى مناخات جديدة تسعى إلى تخطي الواقع لاستشراف المستقبل، وعندما تصبح اللغة ، أكثر من وسيلة نقل وتفاهم ، فإنها تغدو قادرة على الكشف والاستبطان، ولم يكن محرم في لغته الشعرية بعيداً عن الجماهير ، ولكنه كان ناقلاً لهمومها ومعبراً عن تطلعاتها ومشاعرها .

واللغة ليست وسيلة تعبير وحسب ، أوأداة جامدة ، وإنما هي كذلك رؤيا فنية للإنسان والتاريخ ، بحيث يصبح لكل وضع اجتماعي لغته ، وتصبح اللغة نفسها كائناً حياص له كيانه ، وله شخصيته[2].

---

[1] ابن جني ، ا لخصائص ، تحقيق د. محمد علي النجار ، دار الكتب المصرية ، ١٩٥٣، ص١٥٦.

[2] د. عز الدين إسماعيل ، الأسس الجمالية في النقد العربي ، دار الفكر العربي(ط٢)١٩٦٨، ص٢٧٢.

ولغة شاعرنا بما استخدم فيها من ألفاظ مأنوسة . أضفت على المضمون توجهاً وحيوية دافقة وجاءت شاهدة على شاعرية صادقة تخدم الموضوع وتعبر عنه ، فإذا بكلماته قد تساوقت وانتظمت وتعاقبت في انسجام من خلال تشابك فكري عاطفي، يقول في قصيدة "الحفاظ الوطني:

مصر الحياة، وحبُّها الشرف ... بطرازه العالي أدلُّ وأعجبُ[1]

نفسي وما ملكت يداي لأمتي ... وسراة آبائي، ومن أنا منجبُ

علمتهم حب البلاد أجنة ... وذوي تمائم ينصتون وأخطبُ

يقضي سليمان المبارك حقها ... وتصون حرمتها الرضية زينب[2]

فانظر كيف تحمل هذه الألفاظ معنى الحب والإرادة في كلمتي:"الحياة والشرف" وكلمتي أدل وأعجب و"اجنة وتمائم" ويقضي و"تصون" .

لقد جعلت هذه الألفاظ للمعاني قوتها ، فقد نقلتها من حالتها الذهنية إلى حالة تصويرية بحيث غدت في هذه الأبيات تخاطب الذهن والعقل والحسّ والوجدان، ليكون الذهن منفذاً واحداً من منافذها الكثيرة إلى النفس لا منفذها الوحيد.

إن هذه الألفاظ القليلة عمدت إلى الوفاء بحق المعنى فقد استمدت الألفاظ الواردة في العبارات دلالاتها اللغوية للألفاظ ، وجاءت الدلالات المعنوية الناشئة عن اجتماع الألفاظ وترتيبها في نسق متناغم متجانس لتعطي إيقاعاً موسيقياً ناشئاً من مجموع إيقاعات الألفاظ متناغماً بعضها مع بعض.

---

[1] ديوان محرم ١، ص٣٢٦-٣٢٧.

[2] سليمان محرم ابن الشاعر وزينب ابنته.

ثم لتتأمل هذه الأبيات التي انحى فيها باللوم والتقريع على دعاة الفرقة والإسلام ويهيب فيها بالوحدة والمؤاخاة ، ولم الشعث وجمع الصفوف ، كما يتحدث عن الانهيار الذي شقيت به البلاد ، وبأنه لن يزايلها التحزب والتفرق:

يا نيلُ والموفون فيك قلائلٌ ... ليس الذعافَ لمن يخونك مشربٌ

أيخون عهدك غادرٌ فيضمه ... ما بين جانحتيك وادٍ مخصبُ

فتل الوفاء! فما غضبت وإنما ... يحمي الحقيقة من يغار ويغضبُ[1]

لنتامل كلمة (الذعاف) ومعناها السم الذي يقتل لتوه وساعته ، وكيف أعطت المعنى الذي أراده الشاعر بحيث لا تؤديه أية لفظة أخرى لو استبدلت بها.

كذلك فقد جاءت لفظة (فيضمه) لتعطي معنى الانتماء للوطن حين ينفيه الجحود والغدر، كذلك من هلال الثنائيات الضدية في (الموفون ومن يخونك) والخيانة والوفاء وحسن التقسيم في البيت الثالث، فقد تمكن محرم بمزاوجته بين الداخل والخارج : (قتل الوفاء فما غضبت- يحمي الحقيقة من يغار ويغضب)من تحقيق (الإرادة والفعل) بجمل شعرية بعيدة عن الافتعال داخاله في البساطة العميقة والصدق الفني المقنع.

وحين ينحى باللوم العتب على المتمادين في بث روح الفرقة والخلاف بين عنصري الوطن: المسلمين والاقباط فيقول:

يا أمة القبط والأجيالُ شاهدة ... بما لنا ولكم من صادق الذممِ

هذي مواقفنا في الدهر ناطقة ... فاستنبئوها تريحونا من التهمِ

إن يختلف في الأمر مختلف ... فما لنا اليوم غير الله من حكمٍ

لا تظلموا الدين أن الدين يأمرنا ... بما علمتهم من الأخلاق والشيمِ

---

[1] ديوان محرم ١ ، ص ٣٢٨.

منـــا ومـــنكم رجـــال لا حلـــوم لهـــم ولا يفينـــــون للأديـــــان والحـــــرمِ[1]

فنراه يستخدم المؤتلفات والمختلفات المتمثلة في هذا الجناس (لنـا -لكـم) (يختلف-نختلف)(مالنا-غير الله) (ناطقة-فاستنبئوها) (علمتم من الاخلاق-رجال لا حلوم لهم)..وإذا عرفنا أن لغة شاعرنا تحمل هماً جماعياً، فإن هذه اللغة في هذه الأبيات التي جمعت هذه الألفاظ تصبح صوتاً قوياً مباشراً من أصوات الإقناع على توخي المنطق والتزام العقلانية ، وإذا أدركنا انه لا انفصال بين اللغة والحياة يتضح لنا أن دور الشاعر لا يقتصر على إثارة اللغة وحسب، ولكنه يتجاوز ذلك في محاولة صادقة لتنقية الفكر، وبالتالي الإنسان والمجتمع..فتراه يوالي في القصيدة نفسها التعبير عن إشفاقه على سلامة الوطن جراء تلك المهاترات التي تقوض دعائم الوحدة ، وتعصف بالآمال المنشودة في خدمة الوطن ، والحفاظ على أمجاده ، معبراً عن هذه المعاني الواضحة بألفاظ دقيقة واضحة وكاشفة فيقول:

يـــا ويـــح مصـــر لخلـــف لا ركـــود لـــه إلا ليعصـــــف بالأقطـــــارِ والأمـــــمِ
مثـــل البـــراكين في الحـــالين مـــا هـــدأت إلا لتقـــــذف بـــــالنيران والحمـــــمِ
ولـــــو تـــــألف أهلوهـــــا لمـــــا بقيـــــت من حاجة في ضمير النيل والهـرمِ[2]

إن اللغة في شعر محرم كائن موجود وحاضر، وهو الوجود الذي يتم من خلال تجسد اللغة وتقمصها لملامح الشيء الذي يحسّ به ويفكر بـه ، ومـن هنـا يمكن القول إن الشاعر يتعامل بالأجساد الكاملة للألفاظ لا برموزها ، أو بمعنى أخرى ، ليست لغة التجربة هي اللغة المتوارثة المنحدرة من كتب البلاغة والمعاجم ، ولكنها اللغة المتجددة من خلال عملية الخلق الشعري ، وبذا فإن لغة

---

[1] ديوان محرم ١ ، ص ١٦٨.

[2] ديوان محرم ١، (مرجع سابق) ص١٦٨-١٦٩.

التجربة ، والتجربة تتملكها ، أي تصبح أنا أنت وأنت أنا وبذلك يختفي التجريد، دعنا نتأمل ما توحيه الفاظ مثل: خلف- لعيصب، (لا ركود له- البراكين) و(تآلف أهلوها-لما بقيت من حاجة).

إن هذا التآلف في جرس الألفاظ وبنيتها ، أي ما نسميه عادة (الشكل) مع عدم التفريق بينه وبين المحتوى يلعب في التأثير دوراً كبيراً ؛ ذلك إن عملية التأثير هذه تلعب بدورها بطريق غير مباشر في المعاني التي تفهم من الألفاظ : بل إن لغة التجربة لدى محرم يتحد فيها الإحساس بالوعي وبالفكر فتصبح لهذه العناصر الثلاثة ، عنصراً واحداً جديداً ،وفي شعر محرم نلاحظ أن كل لفظة من ألفاظه التي أشرنا اليها مشحونة بالمعنى المطلوب ولكن كيف تشحن هذه الألفاظ بهذا الشكل؟ وكيف اتحد الإحساس بالوعي وبالفكر في لغة محرم الشعرية؟ أو كيف أصبحت هذه العناصر الثلاثة عنصراً واحداً جديداً في شعر محرم؟ ذلك إذن السؤال الذي يحاول أن يقتحم الأبواب الحقيقية في عملية الإبداع ..وسنكتفي بقراءة لقصيدته (بين المأربين) وفيها القول:

كذب الوشاة وأخطأ اللوام ... أنتم أولو عهد ونحن كرامُ

حب تجدّ الحادثات عهوده ... وتزيد في حرماته الأيامُ

وصل المقوقس بالنبي حباله ... فإذا الحبال كأنها أرحامُ

وجرى عليه خليفة فخليفة ... وأمام عدل بعده فإمامُ

لا تنشد العهد المؤكد بيننا ... النيل عهد دائم وذمامُ

مدوا القلوب مصافحين بموقف ... عكف الصليب عليه والإسلامُ[1]

ونلاحظ أن محرماً في هذه الابيات يختلف عن شعره في قصيدته السابقة فقد رأيناه في الأولى ثائراً على التمادي في الخصام، فهو يبدو هنا هادئ البال،

---

[1] ديوان محرم ١، (مرجع سابق) ص١٧٠-١٧١.

راضي النفس، ولعل السر في ذلك إحساسه بقرب نزول القوم على حكم الفعل، وإعمال الروية والإحساس بمغبة ما كانوا عليه من الخلف واللجاج ، ولذا ، نراه يختار لألفاظه النغمات والألوان ، وينتقي الألفاظ والتراكيب المستوحاة من إحساسه بما هو منشود ومطلوب ومن هنا ، فإن استخدام الشاعر للغة التجربة منحه طاقة وقدرة على تجديد نفسه لتصبح الحياة في خدمة الكلمة ، أو بمعنى آخر ليكون الاتحاد بين الحياة والكلمة متبادلاً ، بحيث يمنح كل منها الآخر وجوداً جديداً متجدداً .

لنتأمل هذا التآلف بين (أنتم أولو عهد – ونحن كرام و(كذب الوشاة – وأخطا اللوام) و(حب تجد الحادثات عهوده) و(تزيد في حرماته الأيام) وبين (لا تنشد العهد المؤكد بيننا) و(النيل عهد دائم وذمام) و(مدوا القلوب مصافحين)، (عكف الصليب عليه والإسلام).

ولكن انتقاء الألفاظ والتراكيب الذي أشرنا إليه لا يعد بدعاً لدى محرم ؛ فكما قال الدكتور مصطفى سويف (في الأسس الفنية للإبداع الفني): "فإن الشاعر لا يبدع القصيدة بيتاً بيتاً ، بل يبدعها قسماً قسماً،فهو يمضي في شكل وثبات ، في كل وثبة تشرق عليه مجموعة من الأبيات دفعة ، أو تنساب هذه المجموعة ، دون أن يوقف الشاعر قليلاً أو كثيراً"[1]. ومن هنا فقد جاءت المواد الشعرية في لغة محرم مستقاة من حياته ، واستخدم في الفاظه لغة التجربة الشعرية.

وفي دراسة تطبيقية للجمل والتراكيب في شعر محرم، لابد من الإشارة إلى ناحية مهمة في أسلوب الأديب، وهي علاقة اختيار الجمل والتراكيب وترتيبها

---

[1] د. مصطفى سويف، الأسس النفسية للإبداع الفني في الشعر خاصة ، دار المعارف ، القاهرة ، ط١٩٦٩ ,٣، ص٢٥٨.

وفقاً للواقع النفسي لهذا الأديب ، وقد تناول العلاقة الأستاذ أمين الخولي، وهو يتحدث عن فن القول وأثره في العبارات والجمل، فيقول: " هذا الاستعمال وأثره لا يصح شيء في تقديره وتبينه إلا على هدى نفسي دقيق ، وكذلك الحال في الصور البيانية وعمل المتفنن فيها ، وأثر هذا العمل على الإبانة والإفهام ، كل أولئك وما إليه لا يرجع في تفهمه ، ولا في تبينه ، إلا في الأثر النفسي والواقع النفسي "[1].

واللغة إيحاء قيمتها بما توحى به ، وبما يشيع فيها من إحساسات ومشاعر وعواطف ، تختلف من شخص لآخر ومن موقف لآخر، ولا يخفي ما تمنح العبارة والجملة والتركيب من بعد إيحابي ، اذا ما استعان الإنسان بها لتفصح عن ذات نفسه ، وتظهرها ، وتظهر لها حقائق الناس والأشياء[2]. وقد كان محرم يصوغ عباراته وجمله في أبيات شعره بروحه وذاته ، فتتحول إلى جزء من نفسه، سواء أكانت هذه العبارات والجمل في شعره الوطني ، أم الإسلامي أم الاجتماعي، أم الوجداني.

ونرى في شعر محرم السلاسة والوضوح مع القوة والبعد عن التعقيد والتكلف والتصنع ، فشعره صدى لصوت جماعي ، بل هو نشيد جماهيري، وهذا ينطبق على شعره الوطني والاجتماعي بخاصة ، ورسالته تكمن في مخاطبة هذه الجماهير بلغة سلسة مألوفة بعيدة عن الغموض ،والإغراق في متاهات الرموز المغلقة .

ونرى الانسجام إلى حد كبير بين أشكال قصائده ومضامينها، وبذلك يكون قد حقق جانباً من الوحدة الوطنية الموضوعية والعضوية . كما جاءت لغته

---

[1] امين الخولي ، مجلة علم النفس ، يونيو، ١٩٤٥، ص٤٢.

[2] د. فيكتور الكيك ود. أسعد علي ،صناعة الكتابة ، بيروت ط٣، ١٩٧٧، الكتاب ص٦٣.

عفوية ، صافية ، لم يجهد نفسه في البحث عنها ، لذا وقفت معبرة عن فكرته ، مجسدة هموم الجماهير وسعيها للحرية والحياة الفضلى.

وليس من شك في أن حفاظ الشاعر على لغته الفصيحة دليل على وعي مزج الشاعر من خلاله بين المحافظة على التراث وتحقيقه ، وبين اتخاذ هذه اللغة علامة إيجابية للرفض والتحدي والمواجهة أمام المحاولات الساعية لتغيير ملامح الإنسان العربي ، سواء بالانتقاص من قدرة لغته على احتواء الحضارة الحديثة ، أم بالدعوات المشبوهة للإصلاح[1].

وقد كان محرم يصوغ كلماته وعباراته بروحه وذاته فتتحول هذه إلى جزء من نفسه ، سواء أكانت هادرة ، أم هادئة حانية ، ولنستمع إليه في قصيدة (النيل):

أخا الدهر ، ما الدهر إذ ينتسب؟ وأين هي الأمم الغيِّب؟
شربت العصور فأفنيتها وما زلتَ من دمها تشربُ
تميت وتحيي على شرعة يدور من الزمن القُلبُ
تثور وتسكن تقضي الأمور فتطفو الحوادثُ أو ترسبُ[2]

وفي الأبيات السابقة ثورة عنيفة ، وتحريض للنيل شديد ، وفيها قسوة بالغة من الشاعر ، ولكن كل هذا يذوب أمام قلبه الرحيم ،ووطنيته الخالصة فيختم قصيدته بقوله:

أمانا فما بيننا ثائر وعفوا فما بيننا مذنبُ
عسى عقب منهم صالح يعظم أقدار من تنجبُ[3]

---

[1] محمد إبراهيم الجيوشي، شاعر العروبة والإسلام ، مرجع سابق ، ص٦٧.

[2] ديوان محرم ١ ص ١٩.

[3] المرجع السابق ، ص٢١.

ويقدم الشاعر الجزء الأول من ديوانه بهذه القصيدة(إلى النيل) فيقضي بهذه السنة الوطنية على ذلك التقليد الأدبي العتيق الذي جرى عليه فريق من الكتّاب والشعراء فقدموا مؤلفاتهم إلى رجال من ذوي الجاه ، وأصحاب المال طمعاً في معونتهم ، وفي البيتين اللذين اختتم الشاعر بهما قصيدته هذه ، صورة رائعة من صور الوفاء الوطني ، فهو يذهب في غضبته وحماسته إلى أبعد حد حين يصف تقصير القادرين من أمته في القيام بواجباتهم الوطنية ،من تمويل الأعمال النافعة ، وتنمية المواهب الممتازة ، والملكات الصالحة ، ثم يعود بعد ذلك فيرق ويعطف ، ويلين ويتلطف ، ويقول(أماناً فما بيننا ثائر).

إنه في هذه الأبيات يختزل دلالات الزمن بأقل الالفاظ (عسى عقب منهم صالح) ومعنى هذا أن الرسالة التي يحملها أحمد محرم ليست رسالة زمن أوجيل ، ولكنها رسالة مصر في حياتها الطويلة ، واجيالها المتعاقبة ، فهو وإن أنكر من قومه المعاصرين ، فإنه لا ييأس من أن يأتي بعدهم قوم آخرون يعرفون لمصر حقها ويعملون لمجدها وإذن فليبق هؤلاء ، ولتنتظر مصر ذلك ، ومن هذه المنطلقات يمكن القول : إن استخدام الشاعر للغة التجربة الموحية منحه طاقة هائلة ، وقدرة كبيرة على تجاوز نفسه وتخطيها دائماً وأبداً وهكذا يمكن القول إن لغة التجربة لدى محرم جعلت من الشعر رسالة ومعنى .

ونتأمل هذه الأبيات يصف فيها محرم غزوة بني النضير فيقول:

ما الكيد ، ما الغدر ما هذي الأباطيلْ؟ ... الجيش محتشد والسيفُ مسلولُ

بني النضير ، وما تغني معاقلكم ... كفوا الأذى ودعوا العدوان أو زولوا

إن القتيل لمن غرته صخرته ... فظن أن رسول الله مقتولُ

مراكب العار لا وسم الهوان بها ... خاف ولا أثر الخذلان مجهولُ

ما في الهوادج والديباج يملؤها ... للخزي ملء وجوه القوم تبديلُ

وما الأساور والأقراط نافعة ولا العقود الغوالي والخلاخيلُ[1]

لقد جاءت عبارات هذه الأبيات وجملها خالية من أي تعقيد في اللفظ أو المعنى ، بل نجد فيها من اجتماع الألفاظ وترتيبها ما يعين المضامين على إضفاء الدلالة المناسبة لتعيها الآذان وتتفهمها العقول ،وتتفاعل معها العواطف فيكون هذا الشعر عبرة في نفوس الناس يجدون منه عوناً على ما هم فيه ، فقد تشابهت الحال مع بعد الشقة واختلاف المعدن ، فما أشبه اليوم بالبارحة . ونلاحظ في ديوان مجد الإسلام لمحرم أن لجمله وعباراته دوراً بلاغياً تمثلت فيما يلي:

١.الإيجاز:

وهو أن يكون اللفظ أقل من المعنى مع الوفاء بألا يكون إخلال يفسد الكلام ، ومن أنواع الإيجاز الذي ورد في شعر محرم الإسلامي(الإلياذة الإسلامية):

أ.**إيجاز القصر:** وهو تقليل الألفاظ وتكثير المعاني ، وهذا النوع كما يقول ابن الأثير أعلى طبقات الإيجاز مكاناً وأعوزها إمكاناً[2].

ومن شعره في هذا النوع من الإيجاز قوله في قصيدة (المؤمنات في جيش الرسول)

أتين بهن من شوق غليل وعدت لهن منقلب جليلُ
خرجن من الخدور مهاجرات فلا دعة ، ولا ظل ظليلُ
يسرن مع النبي على سواء ولا هاد سواه ولا دليلُ
يردن الله ، لا يبغين دنيا كثير متاعها نزر قليلُ

إلى أن يقول:

---

[1] ديوان مجد الإسلام ، مكتبة الفلاح ، الكويت ، ١٩٨٢، ص ١٦٤-١٦٥.

[2] د. عبد العزيز عتيق، علم المعاني ، دار النهضة العربية ، بيروت ، ١٩٨٥، ص١٩٢.

نســـاء الصـــدق مـــا فـــيهن عيـــب ولـــيس لهـــن في الـــدنيا مثيـــلُ
أخـــذن عطـــاءهن علـــى حيـــاء يزيـــد جمالـــه ا لخلـــق النبيـــلُ
لـــئن قـــل الـــذي أوتـــين منـــه فـــأجر الله موفـــور جزيـــلُ[1]

وهذا النوع من الإيجاز (إيجاز القصر) نلاحظ فيه أنه يجمع جملتين متنافرتين في جملة واحدة فمثلاً قوله (أتين بهن-وعدن لهن) (ما فيهن عيب) (ليس لهن في الدنيا مثيل).(لئن قل الذي أوتين منه) و(فأجر الله موفور جليل) كذلك فمن هذا النوع من الإيجاز ما يأتي الموصوف مقصوراً عليه صفة والعكس صحيح ، ومثاله في الأبيات السابقة (نساء صدق) (صادقات) (ما فيهن عيب) (اقتصار صفة الصدق والخلو من العيب على النساء المؤمنات).

ب.إيجاز الحذف: ويعرفه البلاغيون بقولهم : "هو ما يحذف منه كلمة أو جملة مع قرينة تعين المحذوف ، ولا يكون إلا فيما زاد معناه عن لفظه[2] ومن شعر محرم في هذا النوع قوله في قصيدة غزوة بني المصطلق"

إذا يقـــــول الله في عليائـــــه لرســـول الله –ســـدد وارشـــقِ
قـــادة مـــا صـــادفوا أكفـــاءهم وجنـــود مثلـــها لم يخلـــقِ
ذعـــر الجمـــع فلـــو أن القطـــا طـــار في آثـــاره لم يلحـــقِ[2]

من هذه الأبيات نلاحظ حذف كلمات مثل: (سدد وارشق) أي سدد السهم وارشقه فحذف المفعول به في كل من الكلمتين : سدد السهم-وارشقه – كذلك في (ما صادفوا أكفاءهم) فحذف الموصوف جنوداً وابقى الصفة

---

[1] ديوان مجد الإسلام ، مرجع سابق ، ص٣٢٩.

[2] د. عبد العزيز عتيق، عالم المعاني ، مرجع سابق ، ص ١٩٠.

[2] ديوان مجد الإسلام ، مرجع سابق ، ص١٨٦.

(أكفاءهم) وكذلك حذف الموصوف وأبقى الصفة في (كل صب في المواضي، الأصل كل إنسان صب ، كذلك في الأبيات التالية من القصيدة ذاتها).

نعمت برة ماذا تشتكي	من أسى بَرحٍ وهمٍّ مغلقِ
يا ابنة الحارث طيبي وانعمي	أي رزق صالح لم ترزقي؟
ذاك جو المجد وضاح السنا	حلّقي ما شئت فيه ، حلقي
اصطفاك الله فيمن يصطفي	وانتقى بيتك فيما ينتقي[1]

فقد حذف المفعول به وهو الضمير من (ماذا تشتكي) ، وحذف التمييز من (طيبي وانعمي) (طيبي وانعمي شيئاً) ، و حذف المفعول به من (لم ترزقي) (لم ترزقيه) وكذلك حذف (فيه) من قوله (حلقي) وحذف المعفول به من (يصطفي) الاصل يصطفيه وكذلك حذف المفعول به من (ينتقي) الاصل (ينتقيه).

٣.الإطناب:

والإطناب غير التطويل، فالإطناب تفصيل في أجزاء المعنى ، والتطويل خروج عن دائرة المعنى ذاته وقد عرّف الرماني الإطناب بأنه يكون في تفصيل المعنى ، وما يتعلق به في المواضيع التي يحسن فيها ذكر التفصيل، فاذا كان المعنى يمكن أن يعبر عنه بألفاظ كثيرة ويمكن أن يعبر عنه بألفاظ قليلة فالألفاظ القليلة إيجاز ، والألفاظ الكثيرة إطناب[2] وأقسامه : ذكر الخاص بعد العام ، الإيضاح بعد الإبهام.

---

[1] المرجع السابق، ص١٨٦.

[2] د. منير سلطان ، بلاغة الكلمة والجمل ، منشأة المعارف ،الإسكندرية ، د. ت ص٢٣٣.

٤. التكرير:

ومن الإطناب الذي استخدمه محرم من نوع الإيضاح بعد الإبهام : قوله في قصيدة (أهل تيماء)

أبى أن يظلوا آخر الدهر فوقها ... يسيرون في الأكفان وهي لهم قبرُ
حياة الدنى في سيفه وكتابه ... وما منهما إلا لها عنده سرُّ

وقوله:

هو النصر يا تيماء يتبعه النصر ... فإن كنت في ريب فقد وَضح الأمرُ
إذا ا مسك الصبر البلاد وأهلها ... فليس على هذا قرار ولا صبرُ[1]

ومن هذا النوع من الإطناب ما يعرف بـ "التوشيح" وهو أن يؤتي في عجز الكلام غالباً بمثنى مفسر باسمين أحدهما معطوف على الآخر[2] ويستخدم محرم هذا النوع من الإطناب كثيراً ومثاله:

ما ورد في قصيدته (ابكي على الوطن اللهيف)يقول محرم:

رزءان ما بلغت بعيد مداهما ... همم الخطوب ولا قوى الأرزاءِ
صدعا جبال المشرقين وزلزلا ... أمم الزمان ، وساكني الغبراءِ[3]

وقوله:

ذهب اللذان تساقيا صفو الهوى ... عف الكؤوس ، مهذب الندماءِ
لم يبق بعدهما لمضمرِ لوعةٍ ... من حبك المُضني سوى الأقذاءِ
عرف الصبابة نجده ومروءة ... والحب محمية وصدق بلاءِ[4]
فتدفعّا يتسهلكان على الصّبا ... نفسين تزدادان طولَ بقاءِ
جوْ كجودِ الأنبياءِ ولن ترى ... في العاشقينَ خلائقَ البُخلاءِ[5]

---

(١) ديوان مجد الإسلام ، مرجع سابق ، ص٣٣٣.
(٢) د عبد العزيز عتيق مرجع سابق ، ص٢٠٦.
(٣) ديوان محرم ٢، ص٦٧٣.
(٤) المرجع السابق ، ص ٦٧٤.
(٥) ديوان محرم ٢، ص٦٧٤.

ومن الإطناب ما يدعى الإطناب بالتذييل، وهوأن تعقب الجملة بجملة أخرى تشتمل على معناها للتوكيد ،والإطناب بالتذييل قسمان:

١ .تذييل جاز مجرى المثل ، وذلك إن استقل معناه ،واستغنى عما قبله[١]وهذا النوع يستخدمه محرم في كثير من شعره ومثاله : ما ورد في قصيدة أهل تيماء:

دعي الرسل تمضي ما عليك ملامة وكيف يعاف الأمن من غاله الذعر؟[٢]

وقوله في قصيدة ، قدوم هوازن ورد سبيها عليها:

فاقبل مسلما ومضى بخيرٍ جميل الذكر محمود المكانِ[٣]

وقوله في قصيدة . تحية ووصاة:

ابك المولهة الثكول وقل لها قعد الرجال وقامت النكراتُ[٤]

وقوله : في قصيدة (نكبة فلسطين):

اذكري يومك في أفيائهم ودعي الامس فما يغني الندم[٥]

نبئيها أننا من وجدها نجد العلقم في العذب الشيم[٦]

وقوله في قصيدة (في تحية العام الهجري ١٣٥٦)

إنا جهلناها ، وعندك علمها والجهل داء للشعوب عُقامُ[٧]

وقوله في قصيدة الحب والحياة:

---

[١] د.عبد العزيز عتيق، علم المعاني ، مرجع سابق ، ص٢١٦.

[٢] مجد الإسلام ، مرجع سابق ، ص٣٣٣.

[٣] المرجع السابق ص٣٩٥.

[٤] ديوان محرم ٢، ص٧٢٩.

[٥] المرجع السابق، ص٧٤١.

[٦] المرجع السابق، ص٧٤٤.

[٧] المرجع السابق ، ص ٨٢١.

ويهـــز أســـتار البنيـــة داعيـــاً والنـــاس مـــنهم طـــائفون وعُكّـــفُ[1]

وقوله في قصيدة (محمد رسول الله):

تنـــوء بهـــا آمالهـــا ويؤودهـــا مـــن الهـــمّ عـــبء مـــا يطـــاقُ فيحمـــلُ[2]

وفي قصيدة (ياربة البيت) يقول:

لا أســـتمد عطـــاءَ مـــن أخـــي ســـعة الله أكـــرم مـــن أعطـــى ومـــن وهبـــا[3]

وقوله في قصيدة (الله والوطن) يقول:

تنكـب النـاس سـبل الحـق مـن سـفه ومـّا أرى الحـق إلا واضـحَ السَّـننْ[4]

التكرار:

التكرار يدخل في باب الإطناب ، إذا كان مما يأتي بفائدة أما ما لا يأتي بفائدة فهو في باب التطويل ، والتكرار المفيد يأتي في الكلام تأكيداً له وتشديداً من أمره[5] .

وتبرز ظاهرة التكرار اللفظي في عدد غير قليل من قصائد أحمد محرم كعلامة بارزة لتأكيد المعنى ، وإيضاحه وتقريره في نفس السامع ، من غير أن تسيء إلى الشعر أو تذكر دون الفائدة ، ومن ذلك ما ورد في قصيدته(حرب طرابلس) فهو يردد أسم الاستفهام(أين) ست مرات، وقد جاء ترديد الكلمة مقصوداً به التكرار المعنوي على ما تستهدف القصيدة مشيراً بذلك إلى انتصارات

---

[1] ديوان محرم ٥، ص ٣٢١.

[2] المرجع السابق ، ص٢٦٨.

[3] ديوان محرم ٣، ص ٣١١.

[4] المرجع السابق ، ص٣٦٥.

[5] د. عبد العزيز عتيق ، علم المعاني ، دار النهضة العربية ، بيروت ، ١٩٨٥، ص٢٠٨.

المسلمين العديدة في تاريخهم المجيد وانتكاستهم في حرب طرابلس غير المتكافئة مع الطليان ، عام ١٩١١، يقول الشاعر:

أيـن (ابـن عـم رسـول الله) يطفئهـا ... حربـاً علـى كبـدي مـن نارهـا شَـرَرُ؟
أيـن (اللـواء)و(خيـل الله)يبعثهـا ... (عمـرو) ويصـرخ في آثارهـا (عُمَـرْ)؟
أيـن المقـاديم مـن فهـر ومـن مضـر؟ ... ومـن قـريش؟ وايـن السـادة الغُـرَرُ؟
أيـن الوقـائع تهتـز العـروش لهـا ... رعبـاً ، وتنـتفض التيجـان والسُّـرُرُ؟
أيـن القياصـر مقهـورين لا صـلف ... ينـأى بجـانبهم عنـا ولا صُـغُرُ؟
أيـن الحمـاة وقـد ضـاعت محارمنـا؟ ... أيـن الكمـاة؟ وأيـن الـذادةُ الغُيُـرُ؟[1]

إلى أن يعود مرة أخرى ليردد في مقطع آخر اسم الاستفهام(أين):

أيـن الألى زعمـوا الانصـاف شـرعـتهم ... وقـام قـائمهم بـالعـدل يفتخـرُ؟[2]

وفي قصيدة (جهاد شعب فلسطين) يقول محرم:

صـوني (فلسـطين) الـذمار وجاهـدي ... مـا للحيـاة سـوى الجهـادِ عمـادُ
صـوني ذمـارك إنـه لـك موقـف ... فصـل ويـوم منـك لـيس يُعـادُ[3]

ويكرر حرف الاستفهام (أم) في قصيدة (سراقة بن مالك)فيقول:

أم تظـن الجـواد تمسـكه الار ... ض وتلـوي عنانـه مَسْـحورا؟
أم هـو الله ذو الجـلال رمـاه ... يمسـك الشـر راكضـاً مُسْـتطيرا[4]

والتكرار ها يؤدي وظيفة افتتاح المقطوعة ، ويدق الجرس مؤذناً بتفريع جديد للمعنى الأساسي الذي تقوم عليه القصيدة.

---

(١) ديوان مجد الإسلام ، مرجع سابق ، ص١٨.
(٢) المرجع السابق ص١٨.
(٣) المرجع السابق، ص٢١.
(٤) المرجع السابق ، ص٥٥.

وأكثر ما تنجح هذه القصائد في الموضوعات التي تقدم فكرة أساسية يمكن تقسيمها إلى فقرات ، يتناول كل منها حلقة صغيرة جديدة في المعنى.

وفي قصيدة عنوانها (قباء) يقول محرم:

أرأيت ابن ياسر كيف يبني؟ أرأيت المشيع الشمّيرا؟
أرأيت البناء يستبق القو م صعودا ويدهيهم سُؤورا[1]
أرأيت الفحل الأبي جنينا في يد الله والهزبر الهصورا؟

وهو يردد الاستفهام ثلاث مرات ليدلل على ما بذله عمار بن ياسر – رضي الله عنه – في سبيل الإسلام ، وكان الرسول-صلى الله عليه وسلم- قد أسس المسجد وأتمه عمار بن ياسر وهو في البيت الأول يصفه بالماضي في الأمور والمجرب وفي البيت الثاني يصف المسجد المقام بالوثوب والارتفاع ، ويصف عماراً في البيت الثالث بالأسد في جرأته وشجاعته ، وللتكرار هنا فائدة ايجابية حيث جاء التكرار للتعبير عن الحركة والاستمرار في التميز عن غيره من الناس بما حقق من فضائل:

وفي قصيدة (ذكرى هذه الغزوة المباركة) فقد كرر محرم في هذه القصيدة مرتين:

تعلموا كيف تبني مجدها الأمم وكيف تمضي إلى غايتها الهمم
تعلموا وخذوا الأنباء صادقة عن كل ذي أدب بالصدق يتسم

ثم عاد فكرر مرة أخرى:

تعلموا يا بني الإسلام سيرته وجددوا ما محا من رسمها القدمُ[2]

---

[1] مجد الإسلام ، مرجع سابق ص ٧٥.

[2] مجد الإسلام ، مرجع سابق ، ص١٠٥.

فالشاعر في هذا التكرار يجعلنا نسأل في شوق كيف تبني مجدها الامم وكيف تمضي إلى غاياتها الهمم.

كما عبر الشاعر عن حالة نفسية داخلية فيها إكبار وإعجاب بهذه الشخصية الفذة ثم فلنتأمل هذا التكرار في أداة التخضيض (الا)حيث يقول:

ألا أمة تنهى النفوس عن الهوى وتصغي إلى القول الذي أنا قائلُهُ؟

ألا دولة للحق تسلك نهجه وتمشي على آثاره ما تزايلُهُ؟

ألا همة بدرية تكشف الأذى وتشفي من الهم الذي اهتاج داخلهْ؟[1]

ثم يعود مرة أخرى فيكرر في القصيدة نفسها استخدام (الا) ويقول:

الا بطل يذب عن الحريم؟ ويضرب بالمهند في الصميم؟[2]

وفي قصيدة بني لحيان "يردد نداءه" (بني لحيان) وهو في هذا التكرار يؤكد على هزيمة بني لحيان دون قتال ، قد لا ذوا بالجبال بعد أن غدروا بالقراء السبيعن وفتكوا بهم فيقول:

بني لحيان لوذوا بالجبال وقوا مهجاتكم حرّ القتالِ

أمن غدر إلى حين ؟ لعمري لقد ضقتم بأخلاقِ الرجالِ

بني لحيان ما صنع ابن عمرو وماذا بالأسود من النبالِ؟

بني لحيان واعجبي لبأس خبت جمراته بعد اشتعالِ[3]

فقد استخدم التكرار هنا للتعجب من جبن بني لحيان بعد أن تجرأوا وقتلوا القراء، ولكنهم جبنوا من المواجهة . وتراه في قصيدة بعنوان(غزوة الطائف)يردد نداءه لبني ثقيف فيقول:

---

(1) المرجع السابق ، ص١١١.

(2) المرجع السابق ، ص١٣٢.

(3) مجد الإسلام ، مرجع سابق ، ص٢١٥-٢٦١

ثقيف انظري: أين قصد الطريق؟ وكيف يلقى النجاة الغريقُ؟
ثقيف ادخلي الحصن ، لا تهلكي ويا عبد ليل لماذا النعيق؟[1]

فلنتأمل هذا التوازن الهندسي في استخدام النداء في هذين البيتين إن الشاعر يؤدي بهذا النداء معاني اكثر التصاقاً بخلجات النفس والحواس فأية حركة ملموسة استطاع هذا التكرار أن يؤديها ؟ إنه يضيع أمامنا شريطاً يتحرك ببطء ليبين انتصار الحق على الباطل ، إنه مثال جيد لتكرار ناجح ..وبذا يكون محرم قد حقق تساوقاً جميلاً بين وضع الألفاظ ووقعها من جهة ، ومعناها وتأثيرها على المتلقي من جهة اخرى.

ولم تقتصر ظاهرة التكرار اللفظي هذه على شعره الإسلامي وحسب ، ولكنها انسحبت على بعض أشعاره الأخرى لتحتل مواقعها اللائقة والطبيعية في شعره الاجتماعي والوصفي نقرأ لشاعرنا في عدد سبتمبر ١٩٣٣ من مجلة أبولو قصيدة بعنوان (ليتني) يتحدث فيها إلى الطير ويتمنى أن يكونها ليقضي حياته بين الظلال والورود والأزهار فيقول:

ليتني كنتك يا طير الربى أرتعي اللهو، وأجني الطّربا
ليتني كنتك يا جد القرى وأباها الأريحي الحَدَبا
ليتني كنتك يا دنيا المنى أطمع الراغب فيما طلبا
ليتني الدهر الذي جربته فعذرت الناس ممن جرّبا[2]

فهو هنا يستعين بالتكرار ليحقق التوازن المنشود ويرصد لنا حالتي الوصل والقطيعة اللتين يعيشهما في حياته وما فيها من معاناة وما يتمناه من استقرار وطموح ذاتي وهموم عامة..

---

[1] المرجع السابق، ص٤٠٢-٤٠٣.

[2] ديوان م حرم ٣، مكتبة الفلاح ، الكويت ، ١٩٨٨، ص١٣-١٥.

٣. المقابلة :

المقابلة:مواجهة اللفظ بما يستحقه في الحكم ، وجعلها في أنواع كثيرة ، وأصلها ترتيب الكلام على ما يجب فيطعي أول الكلام ما يليق به أولاً وآخره ما يليق به آخراً[١].والمقابلة تكون بالجمع بين أربعة أضداد في صدر الكلام وضدان في عجزه ، وقد تصل المقابلة إلى الجمع بين عشرة أضداد : خمسة في الصدر وخمسة في العجز، وتكون المقابلة في الأضداد وغير الأضداد[٢].

ومن مقابلات شاعرنا التي حفل بها شعره الوطني : يقول في قصيدة الحفاظ الوطني:

يا نيل والموفون فيك قلائل ليت الذعاف لمن يخونك مشرب[٣]

فالموفون قلائل، ولذا ، فهو يتمنى السم القاتل لمن يخون النيل، فنرى طرفي مقابلة بين الأوفياء والغادرين وقوله:

أيخون عهدك غادر فيضمه ما بين جانحتيك واد مخصبُ[٤]

ففي هذا البيت مقابلة بين خيانة العهد وبين الحنو والوفاء وقوله:

شرف الحياة وعزها المغامر يمضي فلا يلوي ولا يتنكب

في هذا البيت مقابلة بين جملتي : يمضي ، ويلوي ، ويتنكب[٥].وفي قوله:

فلا الدم ممنوع ، ولا العرض سالم ولا العسف محظور، ولا الرفق واجب

وهنا المقابلة كانت في الجمع بين أربعة أضداد وقوله:

---

(١) القزويني ، كتاب التلخيص، طبع يحيى البابي الحلبي، القاهرة ١٩٣٥، ص ٣٥٢.

(٢) د. عبد العزيز عتيق، علم البديع ، ، دار النهضة العربية ، بيروت ، ١٩٨٥، ص٨٦.

(٣) ديوان محرم ١، مرجع سابق ص٣٢٨.

(٤) المرجع السابق ، ص٣٢٨.

(٥) المرجع السابق ، ص٣٢٨.

اخـذنا علـى القـوم العهـود فمـا وفـوا ولا صـدقت اخلاقهـم والضـرائبُ[1]

والمقابلة بين العهد والوفاء، والصدق والكذب وقوله:

الهـادمون كـثير بـين أظهـركم شدوا البنـاء، وصونوا حرمةً البـاني[2]

المطابقة*:

وقوله:

إمـا الحيـاة يصـون العـز جانبهـا عـن الهـوان وامـا الحتـف والعطـب

فهنا مطابقة بين الحياة المصونة والهون والحتف والعطب والعطب. ففي قوله:

دعـاة الخـير والإصـلاح إنـا لنغفـر للمسـيء إذا أنابـا[3]

فهنا مطابقة بين الغفران والإساءة وقوله:

كفـى يـا قـوم بهتانـاً وزورا فقولـوا الحـق واجتنبـوا السّـبابا[4]

وهنا مطابقة بين قول البهتان والزور والسباب وقول الحق والصدق.

ويقول في الوفاق والخلاف:

إذا اختلفـوا أو اتفقـوا فإنـا سـوى اسـتقلالِ مصـرٍ لا نريـدُ[5]

وهنا مطابقة بين الاختلاف والاتفاق.

وقوله:

شـقينا بالحيـاة ، وأي شـعب تطيـب لـه حيـاة المسـلمينا[6]

---

[1] المرجع السابق ، ص٣٤٤.

[2] المرجع السابق، ص٣٥٠.

* المطابقة أو الطباق في اصطلاح رجال البديع هي: الجمع بين الضدين أو بين الشيء وضده.

[3] ديوان محرم ١، ص٤٢٥.

[4] المرجع السابق، ص٤٢٥.

[5] المرجع السابق، ٤٢٤.

[6] المرجع السابق، ص٤٢٩.

وهنا مطابقة بين شقي وطاب بما فيهما من صور متقابلة وقوله:

والنـــاس شـــتى ، فمـــن بـــان لأمتـــه وهـــادم مـــا بنيـت في عصـرها الخـالي[1]

مطابقة بين البناء والهدم وقوله:

وأقمارهـــا حـــين يمضـــي الظـــلامْ ضـــياء النجـــوم ونـــور القمـــرْ[2]

مطابقة بين الضياء ونور القمر وقوله:

فـــلا الأمـــر للقـــادر المســـتبدّ ولا الحـــق للغالـــبِ المنتصـــرْ[3]

مطابقة بين القادر المستبد والغالب المنتصر وبين الاستبداد والحق وقوله:

أيطـــرب البيـــت أم تبكـــي جوانبـــه حزنـــاً ويعـــول فيـــه الـــركن والحجـــرُ؟[4]

مطابقة بين البكاء والعويل، والسرور والحزن وقوله:

إذا ضـــا قـــت فجـــاج الأرض عنهـــا سمـــت في الجـــو فـــانفرج المضـــيقْ[5]

مطابقة بين ضيق فجاج الأرض وسمو الجو وانفراج المضيق.

التقديم والتأخير:

أسلوب لغوي ارتبط بالشعر منذ نشأته ، اهتم بتتبعه النقاد ، فعبد القاهر الجرجاني يرى : " انه باب كثير الفوائد ، جم المحاسن ، واسع التصرف ، بعيد الغاية ، لا يزال يفترلك بديعة ، ويفضي بك إلى لطيفة، ولا ترى شعراً يروقك مسمعه، ويلطف لديك موقعه.."[5]

---

[6] المرجع السابق، ص٤٤٤.

[1] المرجع السابق ، ص٤١٢.

[2] المرجع السابق ، ص٤١٣.

[3] المرجع السابق، ص١٧٩.

[4] المرجع السابق ، ص٢٩٢.

[5] عبد القاهر الجرجاني، دلائل الإعجاز ، وتحقيق السيد محمد رشيد رضا ، دار المعرفة للطباعة والنشر، ١٩٨٨، ص٨٣.

ويحظى شعرمحرم بكثير من هذا الطراز الأسلوبي مما يعد خصيصة أساسية في بنية عالمه الشعري ، حيث نلاحظ أنه يتقدم باستمرار بشبه الجملة المكونة من الجار والمجرور ومن ذلك قوله في قصيدة عنوانها " شكوى الاحتلال":

فنرى الشاعر قدم شبه الجملة (له)المتعلقة بالمسند(الخبر) على المسند إليه (المبتدأ) فلو قال(هيبة له) لتوهم القارئ انها جاءت نعتاً وأن الخبر سيذكر فيما بعد؛ لأن حاجة النكرة إلى النعت أشد من حاجتها إلى الخبر ، وهذا التوهم يعطي الإحساس بنقص الدلالة المفادة من البيت [1].

وينطبق هذا الحال على قوله:

لـه عزمـات ماضـيات : متـى تـرم ... مرامـاً تحاماهـا القضـاء المحـتمُ [2]

وفي قوله:

في كـل يـوم للتعصـب غـارة ... يـدعو بهـا داعـي الصليب ويهتـفُ [3]

وقوله:

علـى أجسـامهم أثـر مـبين ... تريـك سـطوره الظلـم المبينـا [4]

وقوله:

وللظلـم آيـات إذا هـي صـافحت ... يـدي ظلـت علـى العـدل تضـربُ [5]

وقوله:

في كـل حـرف مسـجد أو ملجـأ ... يعيـي الـدهاة ويعجـز الحـذّاقا [6]

وقوله:

لـك في قضـيتها مواقـف باسـل ... لا الخصـم يخدعـه ولا هـو يغلـبُ [7]

---

(١) د. محمد عبد المطلب ، البلاغة والأسلوبية ، الهيئة المصرية للكتاب ، ١٩٨٤، ص٢٥٥.

(٢) ديوان محرم ١، ص٥٠.

(٣) ديوان محرم ١، ص٥٣.

(٤) ديوان محرم ١، ص٩٨.

(٥) ديوان محرم ١، ص٥٣.

(٦) ديوان محرم ١، ص١٤٨.

(٧) ديوان محرم ١، ص١٥٠.

وقوله:

وللإخـــلاق بـــالامم انتقـــال ... تـــدانى الحـــين منهـــا أو تمـــادى[1]

وقوله:

لـــك الـــويلات إن العـــيش فـــانٍ ... وإن الحـــي يـــؤذن بـارتحـــالِ[2]

وقوله:

وفي الأخـــلاق إن عظمـــت دليـــل ... علـــى عظـــم المكانـــة والجـــلالِ[3]

لـــذا ذمـــة فـــيكم ولله ذمـــة ... فسيروا ، وإن أدمى جوانحنا الوجْدُ[4]

وقوله:

لـــه الويـــل مـــاذا هـــاج مـــن نزواتـــه ... فثـــار يرامـــي ربـــه ويـــراجمُ[5]

وقوله:

لهم من فنون الحرب ما تجهل العدى ... وتعـــرفهم أســـلابهم والغنـــائمُ[6]

وقوله:

وللصـــمة الكـــبرى قريـــب، وإنهـــا ... لتلـــك الـــتي يـــزور عنهـــا المصـــادمُ[7]

وقوله:

لـــك مـــن مصـــر وإن غـــيظ العـــدى ... مـــا أقلـــت مـــن نفـــوس وثـــراءْ[8]

---

(1) ديوان محرم ١، ص١٥٤.

(2) ديوان محرم ١، ص١٧٦.

(3) ديوان محرم ١، ص١٧٥.

(4) ديوان محرم١، ص١٩٠.

(5) ديوان محرم ١، ص٢٠١.

(6) ديوان محرم ١، ص٢٠٣.

(7) ديوان محرم ١، ص٢٠٣.

(8) ديوان محرم ١، ص٢٠٩.

وقوله:

عند الشعوب مآتم ما تنقضي ... طول الحياة وعندها أفراحُ[1]

وقوله:

لنا وجهة الخير في العاملين ... وللنفس وجهتها في الحياةِ[2]

وقوله:

له كاتب عبقري اليراع ... سري الصيحفة حرُّ الدواءِ[3]

وقوله:

له الآلاء سابقة ومنه ... خفي اللطف ، والصنع الرقيقُ[4]

وقوله:

في الدردنيل وفي الجزيرة بعده ... رعب المياه وروعة النيرانِ[5]

وقوله:

في كل مطلع شارق ومغيبه ... قمر يزول وفرقد يتغيبُ[6]

وفي قوله:

من أنعم التاريخ أن حسابه ... حق ، وأن قضاءه لا يشجبُ[7]

وفي قوله:

في كل أفق إن نظرت وكوكب ... نور يضيء من الرجاء ويسطعُ[8]

---

(1) ديوان محرم ١، ص٢٧٧.

(2) ديوان محرم ١، ص٢٣٨.

(3) ديوان محرم١، ص٢٣٨.

(4) ديوان محرم ١، ص٢٩٣.

(5) ديوان محرم١، ص٣٠٦.

(6) ديوان محرم ١، ص٣٢٥.

(7) ديوان محرم ١، ص٣٢٨.

(8) ديوان محرم١، ص٣٢٨.

وفي قوله:

فيه روح اليقين لابن هموم ... يستزيد الزمان من نكباته

فيه عز الذليل يلقي عليه ... عظة الدهر من أجل ثقاته

فيه ما ينفع المالك من ما ... ثور آياته ، ومن بيّناته

فيه ما يدفع المهدد عنها ... ويرد المسيء عن سيآته[1]

وقوله:

ومن نكد الدهر أن يستعين ... بكيد العظات ، وظلم العِبَرْ[2]

وقوله :

له دعوة الخير تجلو العمى ... وتهدي السبيل وتنفي الغَرَرْ[3]

وقوله:

فيه الحياة لمن يريد سبيلها ... بيضاء تصدع كل داج أسفعِ[4]

وقوله:

في كل يوم شرعة ونظام ... ما هكذا الأحكامُ والحكامُ[5]

وقوله:

فيه المزايا الغرُّ من حريةٍ ... تشفي غليل (النيلِ) واستقلالِ[6]

وقوله:

في ذمة (الترك) دنيا لا تضيق بها ... سيوفُهم، وزمانٌ غيرٌ معسورِ[7]

---

(1) ديوان محرم ١، ص٤٠٤.

(2) ديوان محرم ١، ص٤١١.

(3) ديوان محرم ١، ص٤١٢.

(4) ديوان محرم ١، ص٤٣٩.

(5) ديوان محرم ١، ص٤٥٤.

(6) ديوان محرم ٢، ص٥٢٠.

(7) ديوان محرم ٢، ص٤٥٤.

وقوله :

مـن همـةِ الرسـلِ مـا يفتالـه خـورٌ ولا يطـيش بهـا مـالٌ ولا جـاهُ[1]

وقوله:

في سـبيل السـؤدد الصـافي دم لا يضـاي الـدم إن لم يهـرقِ[2]

وقوله:

في فـؤادي جرحـك الـدامي وفي كبـدي مـا فيـك مـن حـزن وهـمْ[3]

والتقديم يستلزم تاخيراً ، فكل تقديم تـأخير بالضـرورة ، فالمبتـدأ الـذي يترك مكان المقدمة للخير، يحدث بينهما التقـديم والتـاخير بالضـرورة ؛ لأننـا لا نسمي تقديم ما حقه التقديم تقديماً ،وكذا التأخير إنما حين نقدم ما لا حق لـه في التقديم ، نكون قد أحدثنا تغييراً في المواقع، وفي الأثر النفسي، لأن المقـدم يحتـل مركزاً ممتازاً فهو أول ما تقع عليه العين ، وأول ما نتأثر به.[4]

ويأتي التقديم عند محرم أحياناً دالاً على المكان كما في قوله:

مـوارد أمـر إن كـرهتم ذميمهـا فعمـا قليـل تحمـدون المصـادرا[5]

وفي قوله : ارض مطهـرة، وجـو مشـرق صـاف، ومـاء سـائغ وظـلالُ

وطـن الألى وردا الحيـاة شـهية والأرض عطشـى والشـعوب نهـالُ[6]

وقولـه : وطـن يطـيح بـه الكـلام ، وأمـه تهـوي ممزقـة بغـير جـلادِ[7]

---

[1] ديوان محرم ٢، ص٦٣٠.

[2] ديوان محرم ٢، ص٦٤٩.

[3] ديوان محرم ٢، ص٧٤٢.

[4] انظر تفصيل ذلك في دلائل الإعجاز ،١٠٦ وما بعدها ، تحقيق السيد محمد رشيد رضا .

[5] ديوان محرم ٢، ص٧٥٨.

[6] ديوان محرم ٢،ص٧٦٠.

[7] ديوان محرم ٢، ص٧٦٦.

وقولـــه : أعلـى المـآتم تخفـق الأعـلام؟ أم مجـد مصـر علـى الـدماء يقـامُ؟[1]

وقولـــه : أمصـارع الشـهداء : أيـن دمـاؤهم وهـل اشـتفى منهـا ومنـك أوامُ؟[2]

وقولـــه : إرث الخلائـق، لـن يجـدنس أرضـها رجـس لهـا بظـبي السـيوف موسـمُ[3]

وقولـــه : وطـن يعـذب في الجحـيم وأمـة أعـزز علينـا أن تصـاب وتنكبـا[4]

وقولـــه : البيـت يطـرب مـن أنـين جـريحهم أرأيـت في الـدنيا أنينـاً مطربـا؟[5]

وقولـــه : أفي المسجد الأقصى يعيث الألى أبوْا سوى المـال طـول الـدهر ربـاً ومسجداً[6]

وقولـــه : بـلادك يـا (علـي) فأنـت أولى بـأن ترعـى لهـا الـذمم الكبـارا[7]

المعاني:

استخدم محرم معانيه من نبعين هما: نبع الإسلام ونبع الوطنية ، ومن هنا جاءت معانيه مستمدة كثيراً من الإسلام، ومـن القضـايا الوطنيـة الاجتماعيـة ، ونلاحظ أن أثر الإسلام ممتد في كل ركن وناحية ومن أركان شعره ونواحيـه، لا تكاد تخلو من قصيدة من قصائد، وترى هذا واضحاً في قصـيدة الـتي أنشـدها في الحـرب العالميـة الأولى، ينتصـر فيهـا للـترك ، ويتغنـى بانتصـاراتهم وكيـف لا ينصرون وهم بنو القرآن والدين الذي صدع الشكوك ورد الحقوق إلى أصـحابها بعد ضياعها:

---

(١) ديوان محرم ص، ص٧٧٨.

(٢) ديوان محرم ٢، ص ٧٧٩.

(٣) ديوان محرم ٢، ص٨٥٠.

(٤) ديوان محرم ٢، ص٨٥٤.

(٥) ديوان محرم ٢، ص٨٥٥.

(٦) ديوان محرم ٢، ص٨٧٢.

(٧) ديوان محرم ٢، ص٨٨٢.

إنـا بنـو القـرآن والـدين الـذي ... صـدع الشـكوك وجـاء بالتبيـانِ[1]

وقولـه : الـدين الهـدى تبـدو شـرائعه ... بيضـا ، تكشـف عـن انوارهـا الظلـمُ

مـا فيـه عنـد ذوي الالبـاب منقصـة ... ولا بـه مـن سـجايا السـوء مايصـمُ

يحيـي النفـوس اذا ماتـت ، ويرفعهـا ... اذا تـردت بهـا الاخـلاق والشـيمُ[2]

أما الوطنية ، فقد كانت بعيدة الأثر في معانية ، ومثال ذلك قصائده الوطنية التي لا حصر لها ، والتي يرسلها في أحداث العصر ، وأيامه ، ومثال ذلك قصائده الوطنية التي لاحصر لها ، والتي يرسلها في أحداث العصر، وأيامـه ، وحسـبنا أن نشير إلى قوله في قصيدة بعنوان : " أبشري مصر" يتحدث فيها عن عزم مصر على طلب حقها ، والدفاع عنها وتصميها على التضحية في سبيل الله ويعرض لآمال بلاده يبذل الشباب دماءهم في سبيلها:

قـل (للكنانـة) جـد القـوم فـانتظري ... عقبى الـوغى وانظري مـا تصنع الهممُ

مـن كـان يجعـل في البـاقين مـوقفهم ... فالصـاعدون بأمـال الـبلاد همـو

لـولا يـذودون قومـاً عـن جوانبهـا ... طاحـت قواعـدها اوطـارت القمَـمُ

ليـت المـدمر تنهـاه قواعـدُه ... إذ ينثـنين، وأمضـاهُنّ منـثلمُ

أشـقى الرجـال بمـا تمشـي وساوسـه ... مـن ظـن ان بنـاء الله ينهـدمُ

وأكثـر النـاس في أحلامـه شـططاً ... مـن كـان يطمـع ان تسـتعبد الأمـمُ

هـو الجـلاء وإن ريعـت لـه فنـة ... يـود سـاداتهم لـو أنهـم خـدمُ[3]

وقد كانت الحياة الاجتماعية وما فيها من اضطراب وفوضى ميداناً فسيحاً لمحرم يستمد منه معانيه ، وأبرز مثال لذلك تصويره للفلاح ومـا كـان يلقـاه مـن عنت وبؤس ، وما يتعرض له من إرهاق جامعي الضرائب، يعـرض محـرم تلـك

---

(١) ديوان محرم ١، ص٣٠٣.

(٢) ديوان محرم ٢، ص٨٨٥.

(٣) محمد إبراهيم الجيوشي، احمد محرم شاعر العروبة والإسلام ، مرجع سابق ، ص٢٤٧.

في قصيدة نشرها في جريدة الأهرام في الخامس عشر من اغسطس(آب)سنة ١٣٢ أيام اشتداد الأزمة الاقتصادية ، واخذها بخناق الناس جمعيا حتى عز القوت إلى حد اقتتل على اللقمة الوالد والولد ، وأريقت الدماء في سبيل الظفر برغيف الخبز[١].

يقول في هذه القصيدة:

القوت أعوز حتى خان كل أخ ... فيه أخاه وعادي الوالد الولدا

إذا سمعت ضجيجاً أو رأيت دماً ... علمت أن رغيفاً طاح أو فقدا[٢]

هذه الحال التي يصورها محرم كانت أقسى ما تكون على الفلاح إذ ابتلى بجماعة لاهم لهم إلا الحصول على المال بأي طريق حتى لم يبق له من زرع ولا حصيد.

هلا سألت عن الفلاح ما صنعت ... به الخطوب وهل أبقت له جَلدا

جفت موارده القصوى وطاح به ... ماذاق من عنَتِ الأيامِ أو وَرْدا

إن يطلب المال تعجزه وسائله ... وإن يصبه يجده صاحباً نَكِدا[٣]

والنفس الإنسانية عند محرم ، عالم ثرى بوهج العواطف، ودروب شتى من الانفعالات والمعرفة ، لذا فقد كان معنيا بالغوص فيها ، ومحاولة فض أسرارها والبحث في طيبعتها لمعرفة كنهها ، فهو حيران مضطرب ، يبغي الهدى ويضله الفكر، وصدره يحترق ويجيش من الحزن ، وقد جفاه النوم ، ومع ذلك فهو لا ييأس من وصل يتاح له مهما تمادى الصد والهجر، فالضيق يأتي بعده الفرح ، و العسر يبدو أثره اليسر، والدهر له كأسان : حلو ومر، فتراه يقول:

---

[١] المرجع السابق، ص٤٤٧.

[٢] محمد إبراهيم الجيوشي، شاعر العروبة والإسلام ، أحمد محرم ، مرجع سابق، ص٢٤٨.

[٣] المرجع السابق، ص٢٤٨.

هـــل الحقيقـــة مطلـــب لفتـــى؟ أم هـــل لـــه مـــن دونهـــا فخـــرُ؟
لـــولا اقتحـــامُ البحـــر خائضـــه لبـــث الزمـــان بقاعـــهِ الـــدُّرُ[1]

والنفس عند محرم معقدة يكتنفها الغموض، ولقد دفع الغموض الذي يغلف شاعرنا للرحلة المستمرة داخل اقاليهما، ولشغفه المستمر للولوج داخل هذه العوالم الغنية بالأسرار فينظم قصيدته الشفافة (وجودي) التي تعبر عن حيرته من النظم الاجتماعية الفاسدة إلى تسود مجتمعه فيزهق الحق ويعلو الباطل، فيقول:

وجـــودي لســـت لـــي فلمـــن تكـــون؟ اســـرّ أنـــت عـــن نفســـي مصـــونْ؟
يصـــيب حقـــائق الأشـــياء علمـــي وتعصـــف بـــي حواليـــك الظنـــونْ
أمـــن نفســـي علـــى نفســـي غطـــاء؟ فكيـــف أنـــا ؟ أشـــك أم يقـــينْ؟[2]

وبعد هذا التساؤل يكشف عن إحباطاته التي يعيشها في ظلمات الحياة حتى ليظن نفسه سجيناً:

وجـــودي مـــا عرفتـــك غـــير معنـــى تغلغـــل في الخفـــاء فمـــا يـــبينْ
غريـــق في الظـــلام ، ولا منـــاص ولا جســـر يـــلاذ بـــه أمـــينْ
أقـــيم عليـــه ســـور مـــن عبـــاب تضـــل علـــى جوانبـــه الســـفينْ[3]

أما أغلب القيم التي تعلق بها الشاعر ، وتأمل فيها ، فكانت صادرة عن النفس يتقمصها الشاعر ويتقمصه ، ويعبر عنها وتعبر عنها ، ولأنها ليست موضوعاً منفصلاً عن ذاته - عنده- فيمكن إدراجها تحت فكرة الاتحاد بموضوع التأمل ، ويحفل الجزء الثالث من ديوانه بالتأملات حتى أنه أطلق على هذا

---

(1) ديون محرم ، الخواطر والتاملات ٣ ، مكتبة الفلاح ، ا لكويت ١٩٨٨، ص٦.
(2) المرجع السابق ، ص ٩.
(3) المرجع السابق ، ص٩.

الديوان عنوان(الخواطر والتأملات) ومن تأملاته قصيدة كتبها بعنوان(نجوى ضمير)فيقول فيها:

خل البكاء على زمان خال ... وسؤال ربع ما يجيبك خالِ

لا تذهبن دموع عينك باطلاً ... كدموع (عروة) غدوة الأطلال*

يبكي ويسأل دارسات عراصها ... بعد الأنيس، ولات حين سؤالِ

أمسى غدي عن ذكر امسي شاغلي ... فلقد أبيت وما يمر ببالي

بيني وبينك غد حجابِ ليته ... عما يحجبه انجلى فبدالي

هذا الذي ترك الفؤاد لذكره ... قلق الهواجس طائر البلبالِ[1]

وفي قصيدة بعنوان(من أنا) يعبر الشاعر فيها عن تأملاته ببساطة وعفوية ولكنها تجمع في مضمونها تطلعات يتمنى تحقيقها لوطنه وشعبه فيقول:

من أنا ؟ ، أديب المشرق ... عرفتني ، ليتني لم أخلق

كيف أستخفي ، وذكري فاضحي؟ ... أين أستشفي ، ودائي موبقي؟

مرهق الجسم ، وما من مسعف ... موثق الروح وما من مطلقِ

إلى أن يقول:

أيه يا دنيا أحقا ما أرى ؟ ... أم هو الوهم نفسي يرتقي؟

جمع الناس على دين الهوى ... شطط الظن وزيغ المنطقِ

وأرى العالم في آثامه ... نظرة الأعمى وراء الاحمقِ[2]

اتعب الساعين في الدنيا امرؤ ... يطلب الحق و إن لم يخفقِ

هو تحت النقع في مبثوثة ... تاكل الفيلق إثر الفيلقِ

---

* عروة بن حزام بن مهاجر من بني عذرة شاعر من ميتمي العرب كان يحب ابنة عم له اسمها عفراء تزوجت بأموي من أهل البلقاء بالشام ففني حباً ومات.

[1] ديوان محرم ٣، ص ٥٦.

[2] المرجع السابق ص٣٩٢-٣٩٢.

يركب الهول إلى الهول بها ... ويرى المأزق بعد المأزقِ

إن يفز يرجع، وإن يذهب على ... سنن الماضين فيها يحلقِ[1]

فهو حينما يتأمل في القيم المتعلقة بالنفس والاشياء يدرك انها احدى وسائل إدراك الحقيقة ، وهو في هذه الافكار التي يطرحها يهدف إلى الوصول إلى الحقيقة فربما كانت معينة على فك رموز الحياة وكشف أسرارها الغامضة.وهو في قصائده الاجتماعية والإنسانية ، يعبر عنها بلغة غنية بإيحاءاتها الاجتماعية بحيث يحقق بنسيج لغوي الانسجام بين الفكر والعاطفة والموضوع.

---

[1] المرجع السابق ص٣٩٢-٣٩٣.

رفع
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس
www.moswarat.com

الفصل الثاني

بناء القصيدة عند محرم

رفع
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس
www.moswarat.com

رفع
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس
www.moswarat.com

بناء القصيدة

قصائد محرم التي بين أيدينا تقوم على أساس الوحدة الموضوعية ، إلا أننا نقف للشاعر على قصائد استطاع أن يحقق فيها جواً نفسياً وفنياً ، منحت الصور جمالاً واتساقاً وترابطاً ، وتدرجت في أفكارها ، واتصل الجو الموسيقي فيها بكل من المشاعر والأفكار والصور مما يدعونا إلى أن نعدها ذات وحدة عضوية ، ظهر تلك في قصائد:"المجاهدون في سبيل الله" وفيها يقول:

جنات عدن في ظلال سيوفهم ... يرضونها نزلاً لهم ومُقاما
يتسابقون إلى منازلها العلى ... يتفيأون الخير والانعاما
تتأجج النيران خلف صفوفهم ... ويرون جنات النعيم إماما
لا يملكون إذا الكماة تدافعت ... في غمرة خوراً ولا استسلاما
يرجون رضوان الإله لأنفسٍ ... يحملن أعباءَ الجهادِ جِساما[1]

وفي قصيدة (أبطال طرابلس) حين يشتد فزع شاعرنا لتواتر الأنباء، بقسوة المعارك فيجرد قلمه لاستنهاض الهمم ، وبعث العزائم ، فيقول:

كيف القرار ونار الحرب تستعر؟ ... والهول مضطرم البركان منفجرُ؟
ويح العيون أيغشاها النعاس وقد ... شف (الهلال) عليها الحزن والسهرُ؟
يبيت يخفق من خوف ومن حذر ... حران يرقب ما يأتي به القدرُ
ربع (الحطيم) فامسى وهو منتقض ... وأقلقت (يثرب) الأحزان والذكرُ
ويح الحجيج إذا حانت مناسكم ... ماذا يرى طائف منهم ومعتمرُ
أيطرب (البيت) أم تبكي جوانبه ... حزنا ويعول فيه الركن والحجرُ[2]

---

[1] ديوان محرم ٢، ص٤٨٧.

[2] ديوان محرم١، ص١٧٩.

وفي قصيدة (دنشواي) حيث يواجه الانجليز بتصميم الأمة على النضال والكفاح، فيقول:

أتلك مصارع المستضعفينا؟ فما بال الهداة المصلحينا؟
أجيبي (دانشواي) فإن تكوني عييت عن الجواب، فما عيينا
ملئت أسى، فلن تجدي عزاء ولن تدعي التوجع والأنينا
همو أخذوك بالنكبات حرّى وبالأهوال شتى يرتمينا

ثم يواجه الانجليز بتصميم الأمة على النضال والكفاح ويذكر عهدهم البغيض فيقول:

بني التاميز، كونوا كيف شئتم فلن ندع الكفاح، ولن نلينا
خذوا أنصاركم إنا نراهم لنا ولقومنا الأداء الدفينا
هم الأعداء، لسنا من ذويهم وليسوا في الشدائد من ذوينا[1]

وفي قصيدة (الحفاظ الوطني) وفيها يقول:

مصر الحياة وحبها الشرف الذي بطرازه العالي أدل وأعجبُ
نفسي ملكت يداي لأمتي وسراة آبائي ومن أنا منجبُ
علمتهم حب البلاد أجنّة وذوي تمائم ينصتون وأخطبُ[2]

وفي قصيدته (مصر في تاجها الجديد).

وهبت الصبا والشيب والشوق والهوى لمصر وإن لم أقض حق الهوى مصرا
بلاد حبتني أرضها وسماؤها حياتي وأجرى نيلها في فمي الدرّا
وما حادث يوماً وإن راع وقعه بماج هواها أو يطاول لها ذكرا[3]

وفي قصيدته (مصر الحياة):

---

[1] ديوان محرم ١، ص٩٧-٩٩.
[2] ديوان محرم ١، ص٣٢٦-٣٢٧.
[3] ديوان محرم ١، ص١٣٨.

مصر أنت الحياة والموت طرأ ... لشهيد رميته بسهامكْ

ذهبت نفسه لنفسك زلفى ... وتقضّى مرامه في مرامك

أي حق من قبل حقك يقضي؟ ... وذمام يصان قبل ذمامكْ[1]

وفي قصيدة له بعنوان (قلب شاعر):

أقول له أفق ويزيد حباً ... عدمتك يا أخا النشوات قلبا

رويدك صاحبي، أعصيت أمري ... وطارعت التي تركتك نهبا

فواكبدي ويالك من مصاب ... أريد له السلامة وهو يأبى[2]

وفي قصيدته (الشرف والملوك) يهاجم محرم الحكم الاستبدادي بهذه الأبيات:

رتب وألقاب تغر وما بها ... فخر لمحرزها ولا استعلاءُ

أنا تباع وتارة هي خدعة ... تمنى بشر سعاتها الأمراءُ

كم رتبة نعم الغني بنيلها ... من حيث جللها أسى وشقاءُ

لو كان يعلم ذلها وهوانها ... ما المال منه الزهو والخيلاءُ[3]

ثم يصور لنا الطرق الدينية التي يحصل بها ذوو الرتب والجاه على المال:

يا رب مثرلو أطاع إلهه ... وأبى الديانا فاته الإثراءُ

بزّ الضعيف ، فمن نسائل طمره ... حيكت عليه البزة الحسناءُ[4]

وفي قصيدته في حرم الله:

مرحبا بالإخاء في حرم الله ... وأهلا بقومنا الصالحينا

حيّ آل المسيح يا بيت واقض الحق ... عن آل أحمد أجمعينا

---

(1) ديوان محرم ١، ص٢٧٢.

(2) محمد إبراهيم الجيوشي أحمد محرم ، شاعر العروبة والإسلام ص٢٨٢.

(3) المرجع السابق، ديوان محرم ١، ص٢٤.

(4) ديوان محرم ١،ص١٤.

أكتب العهد واجعل المصـ ... ـحف خير الشهود فيهم وفينا
حسبنا الله لا نريد سواه ... من كفيل ولا نريد ضمينا[1]

وما أكثر القصائد التي أرسلها محرم ، وأكد فيها ولاءه لمصر وحبه لها ، ودفاعه عن وحدة البلاد ونبذ التعصب وهذه القصائد تتميز بوحدتها العضوية.

وكما أسلفنا فان محرم يمتاز بالوحدة الموضوعية في معظم شعره، وعدم مجاوزة الأغراض التي يعالجها ، وقل أن تجد له قصيدة حشد لها الأغراض المتعددة ، أو عني فيها بالمقدمات التمهيدية كما كان يصطنع كثير من الشعراء المعاصرين ؛ ولكنه في مواضع قليلة يحاول أن يتألق ، فيجنح حينئذ إلى التقليد ، وإلى تأليف المقدمات التي يحاكي بها كبار الشعراء المتقدمين ، كما نجد ذلك في قصيدته (أين المسامع والعقول)؟التي يبدؤها بهذا المطلع:

لمن الرواسم يرتمين صواديا ... ويجزن بالعذب الروي أوابيا
الطالعات على الصباح حنادسا ... السابريات مع الظلام دراريا
الداميات مناسماً وغواربا ... المدميات جوانحاً ومآقيا
الحائمات مع النسور جوارحاً ... العاديات على الأسود ضواريا
مرت بمهتزم الرعود قواصفا ... وجرت بمخترق الغمام هواميا
حاولن عند الشعريين مآربا ... وحملن ملء الخافقين أمانيا
عفن البقاع حصيبها وجديبها ... وبني الزمان رشيدهم والغاويا[2]

نراه قد حشد المطالع بهذه الأوصاف المتتابعة ، وملأه بهذه الصور المتحركة التي ألفها خياله من حياة البادية التي لم يخالطها ، ولم يعش فيها ، وإنما بناها من بقايا ما أستقر في حافظته من آثار الأسلاف.

---

[1] الديوان ١ ، ص٣٧٦.

[2] د.بدوي طبانة ، خمسة من شعراء الوطنية ، ص٢٩.

أما الأغراض التي عني بها محرم ، فإن في مقدمتها شعر الوطنية التي تحدث فيه كثيراً عن عاطفته الوطنية التي تشبعت بها نفسه ، وكانت له جولات في عالم السياسة وفي الحياة الحزينة التي خالطها بمقدار ، ولكنه كان في مقدمة شعراء الوطنية الأوفياء الذين ثبتوا على رأيهم في الإيمان بحق الوطن ، وكذلك أبدع محرم في شعره الإسلامي ، وكان فيه إماماً لمعاصريه فيما بثه من آيات الإيمان ، والحث على الاعتصام بحباله ، والتأدب بآدابه وكان هذا الغرضان – أعني الشعر الوطني والشعر الإسلامي – في طليعة ما برز فيه محرم من أغراض الشعر[1].

وقد استطاع محرم في ديوانه(مجد الإسلام) والذي أطلق عليه كثير من الكتاب اسم الإلياذة الإسلامية، استطاع أن يسجل أمجاد العروبة والإسلام في لوحات فينة رائعة تكون نماذج ومثلاً للشباب، يعرف عن طريقها مجد آبائه ، وبطولات أجداده، وإن كان محرم قد اعتمد في هذا الديوان على البطولة ، فقد التزم صدق التاريخ وتقيد بحقائقه ، وكان حريصاً على أن يعرض أبطاله في إطار مضيء من صدق الأحداث، وحقائق التاريخ.[2]

مع هذا ، فإن د. شوقي ضيف يصف هذا العمل العظيم الذي قام به محرم بأنه قصائد لا رابط بينها[3]، ونحن نخالفه في ذلك؛ لأن ما جاء فيه من نقد يخالف الواقع ، إذ أن الديوان يتحدث عن سيرة مترابطة ، وقد سلسل الشاعر حديثة تسلسلاً زمنياً، وإذا كان الشاعر يسرد تاريخاً معيناً تسلسلت أحداثه فأين هو عدم الترابط؟

---

[1] المرجع السابق ، ص٣١.

[2] محمد إبراهيم الجيوشي، ديوان مجد الإسلام (المقدمة) ص١٩.

[3] د. شوقي ضيف ، دراسات في الشعر العربي المعاصر دار المعارف ص٥٥.

وقد التزم محرم الصدق التاريخي وسار في طريق الحقائق الصحيحة، ونجد عند محرم الأسلوب الخطابي وأسلوب الحوار الهادئ والبناء في طريقة نظم الشعر، وذلك من خلال السؤال والجواب، والأخذ والرد والقول والتوضيح والتفصيل بلغة عربية فصيحة[1].

ولو نظرنا إلى شعر محرم في ضوء التفسير الحضاري لما وجدناه بعيداً عن الأسس التي تبنى عليها الحضارة العربية الإسلامية ، والمتتبع لشعر محرم يلاحظ نظرات نقدية ، ومن هذه النظرات :

١.شيوع التيار الإسلامي والالحاح عليه.

٢.الممدوح عند محرم من كان في خدمة الإسلام والمسلمين.

٣.الوطنية لدى ، ثم القومية في إطار الإسلام بخلاف أغلب شعراء عصره.

٤.لا يمدح الممدوح إلا بقدر ما يقدم للوطن في محيط الإسلام.

٥.لا يهادن الممدوح ولو كان مسؤولاً إذا كان فاسداً.

٦.لا يهادن من يتبع مسؤوله في الفساد.

والحق أن محرماً كان يجد من الذكريات الدينية ظلاً وارفاً يتفيؤه في حرّ الحياة فهي تتيح له الموازنة بين الحاضر والماضي، كما تمكنه من إسداء النصائح الصادقة لأبناء الدعوة المحمدية في مختلف البقاع ، وتلك كانت رسالته الشعرية التي آمن بها طوال حياته والتزم بها في بناء قصائده، وقد فرض هذا المنهج على محرم أن يقف من الأحداث مواقف محددة وأن يشارك فيها مشاركة صاحب الرسالة أو الرأي ، ولا يتركها تمر دون القيام بمسؤولياتها نحوها..

وعندما يبني محرم قصيدته ، فإنه يبنيها على فكرة يهدف إليها ، ويستغل كل إمكاناته ليحيط الهدف بهالات وصور تجعل القصيدة ذات وحدة موضوعية ،

---

[1] د.محمد بركات أبو علي ، بحوث ومقالات في البيان والنقد ، دار البشير عمان ، ص١٠٦.

وفي كثير من الحالات ذات وحدة فنية ، وكما أسلفنا القول فقد وفق محرم في تطبيق مبدأ الوحدة العضوية في كثير من قصائده ، ولعل أبرزها يظهر في شعره الوطني والاجتماعي، ومحرم في كل ما يدعو إليه لا يعرف اليأس ، وإنما يلجأ إلى الله مستمداً منه العون على تحقيق كل الأماني، ومن أجل ذلك كان يحب أن ينشر الثقة في النفوس عن طريق إحياء أمجاد الماضي ، وإلى جانب الرغبة في العلم والخلق الأدبي ، باعتبارهما وسيلتين من وسائل النهوض من العثرة التي أصابت الوطن ؛ وهناك روابط عامة وأخرى خاصة ، أما الروابط العامة فهي رابطة الإسلام وآصرة العروبة والكفاح المشترك ، وأما الرابطة الخاصة التي تربط بوطنه، فهي نهر النيل الخالد الذي يهب الحياة لشقّي الوادي ، وأما ثورة محرم في سبيل الحرية كانت عارمة وقد عبر منها في كثير من قصائده من ذلك قصيدة دنيا الشعوب، والأحكام ، وعصر الجهاد ، والحكام ، وكذب الملوك ، وحادثة دنشواي ،عصر الجهاد ، والشورى الضائعة ، والخلف واللجاج ، والحرب في طرابلس ، ودعاة الحماية ، والغاصبون ، والشعب الجريح ، وأعباء الوطنية ، وحكام السوء وداعي الشر وغيرها.

أثر الإيقاع في بناء القصيدة

الإيقاع في الشعر هو ذلك الجرس الذي يصاحب رصف الكلمات وتآلفها وتجاورها مما يشكل ايقاعاً ذا طبقات مختلفة نابعاً من ظاهرة الكلمات وباطنها.

إن هذا الجرس إنما يتأتى من البناء المعماري للنص الشعري، لذا ، فهناك علاقات داخلية ذات صبغة انضباطية تحكم هذا البناء ، وبعبارة أخرى فالإيقاع ظاهرة صوتية تتردد على مسافات زمنية متساوية أو متجاوبة[1].

---

[1] د. علي عشري زايد، عن بناء القصيدة العربية الحديثة ، دار مرجان للطباعة ، القاهرة ١٩٧٨، ٢٣٤.

والإيقاع يأتي داخل النص الشعري من مصدرين هما: موسيقى خارجية صادرة عن ذلك الضبط والإحكام الخارجي لهيكل النص الشعري الموسوم بدقة حسب قواعد علمي: العروض والقوافي ، وموسيقى داخلية صادرة عن تآلف الكلمات داخل البيت الواحد أو الشطر الواحد ، وليس هناك من تناقض بين الموسيقى الداخلية والخارجية ، بل إنهما يلتحمان معاً مع الأذن مكونتان كماً موسيقياً جميلاً ممتعاً[1].

هناك دلالة نفسية وروحية للإيقاع داخل النص الشعري ، وقيل قديماً إن الشاعر أقدر على الوصول إلى قلب الحكمة قبل غيره وفي شعر محرم هناك قدرة عالية على استشفاف المستقبل أو ما يسمى بالنبوءة[2].

الموسيقى والشكل في شعر محرم

بادئ ذي بدء إن شاعرنا شاعر موسيقى من الدرجة الأولى ، إنه يحتفل بالموسيقى احتفالاً أكثر من هذا ، إنه يتقصد الجملة الموسيقية ويختار الأنواع الشعرية والأوزان والقوافي التي يتحقق له أكبر قدر من الكم الموسيقي ؛ ولهذا فقد تخير الأشكال الفنية المناسبة لهذا الغرض ، إذ أن شكل القصيدة لدى شاعرنا يخدم موسيقاه بدرجة كبيرة وعلى سبيل المثال فالحركة الدرامية في قصائده كانت أشكالاً مناسبة لإفراغ تلك الطاقة الموسيقية الكامنة لديه.

إن الحركة الدرامية في قصائده وفرت له مجالاً عظيماً لتنويع الإيقاع والارتفاع والانخفاض به كما منحته قدرة هائلة على خلق إيقاعات داخلية مدهشة حيث الف بين الكلمات ومزجها بشكل فني راق انظر إلى هذه القصيدة التي يصف فيها مجلة زهرة الشرق:

---

[1] عبد العزيز محمد مصطفى ، تيسير الأدب والنصوص ، مكتبة الشرق بالفجالة ، القاهرة ، د. ت ، ص٢٣٠.

[2] المرجع السابق، تيسير الأدب والنصوص ، ص٢٣٤.

زهـــرة الشـــرق عرفـــت الســـببا ... أنـــت ، لا الـــروض ولا ريـــح الصـــبّا
شـــاع في الجـــو أريـــج عـــاطر ... ســـكرت منـــه ريـــاحين الرّبـــى
يتنـــاجى فوقهـــا دمـــع النـــدى ... وهـــي منـــه ريـــاحين الرّبـــى[1]
يتنـــاجى فوقهـــا دمـــع النـــدى ... وهـــي نشـــوى تتغنـــى طربـــاً
قلـــت : يـــا قـــوم أفـــيكم كـــاهنٌ؟ ... إن في الشـــرق لأمـــراً أعجبـــا
قالـــت (الزهـــرة) :هـــذا مـــوكبي ... جئـــت أزجيـــه ، فقلنـــا ، مرحبـــا

***

(زهـــرة الشـــرق) املأي الـــدنيا شـــذا ... وابعثـــي في كـــل قطـــر موكبـــا
أنـــت مـــن واد عرفنـــا فضـــله ... يلـــهم العلـــم ، ويـــوحي الأدبـــا
عمرتـــه العبقريـــات العـــلا ... ومضـــت في كـــل افـــق جوّبـــا
شـــهب(الضـــاد)ترامـــى نورهـــا ... وتســـامى فتخطـــى الشـــهبا
في ســـماء منـــذ قامـــت لم يـــزل ... يتبـــع الكوكـــب فيهـــا الكوكبـــا

***

(زهـــرة الشـــرق) اشـــربي مـــن ســـحره ... وخفايـــا ســـره مـــا شـــربا
واســـكبي مـــن ســـحره ... وخفايـــا ســـره مـــا شـــربا
وخـــذي الحـــق رفيقـــاً أو أخـــا ... إنـــه نعـــم الرفيـــق المجتبـــى
أشـــجع الابطـــال جـــر يرتضـــي ... مـــا ارتضـــى الحـــق ويـــأبى مـــا أبـــى

***

احـــذري يـــا (زهـــرة الشـــرق) احـــذري ... واســـتفيدي النصـــح ممـــن جربـــا
احـــذري الشـــوك ، فكـــم مـــن زهـــرة ... جلـــب الشـــوك عليهـــا العطبـــا[2]

---

[1] ديوان محرم ٤، ١٩٦.

[2] الديون ٤، ص١٩٦-١٩٧.

هذه الأبيات من القصيدة راقصة متحركة تمور بالاهتزاز والطرب ،وذلك نابع من انسياب لذيذ مفعم بالحيوية ، ويؤكده هذا التمازج بين (أريج، الشذا، رياحين) وتلك القافية التي التزم الشاعر بها قبل ألف الوصل، الإيقاع هنا ايقاع ذو طبقتين ، واضحتين ، إحداهما: من رصف الكلمات الجيد والأخر من الايقاع الظاهري للوزن.

انظر ، كذلك إلى هذه الصورة التي رسمها الإيقاع بطريقة مذهلة من قصيدة "إلى الأغنياء":

هـزرت اليراع، فثار الأدب ... ورمت القريض، فشب اللهبْ
حفلت بشعث خماص البطون ... عداها من القوت ما ترتقبْ
تريد الكلام ، فتعيا الشفاه ... وتبغي القتام فتهوي الركبْ
رأى الله آلامها فاستحى ... ومر النبي بها فانتحبْ
لاستجلفن بني المشرقين ... بصاعقة من رجوم الأدبْ[1]
ألم تر للدهر في حكمة ... وكيف استحال بنا وانقلبْ
الحت علينا تصاريفه ... فما تستفيق وما تستنبْ
تصدت لنا في معين الحياة ... فما برح العيش حتى نضبْ
واهلكني ورق يابس ... أقامته فينا مقام الذهبْ
يطيح بآلافه والمئين ... مراح الصبي اذ ما لعبْ
وتغشى الفتى قطرات المياه ... فتتلف من ماله ما كتسبْ
قليل الغناء على أنه ... يفوت الرجاء ويعدو الطلبْ[2]

نلاحظ أن الإيقاع هنا يولد من تردد حرف الباء الساكن ، ومن ذلك التنافر بين حرفي السين والجيم (لاستجفلن)والغين والشين (وتغشى) والصاد

---

[1] ديوان محرم ٢، ص١٥١.

[2] ديوان محرم ٢، ص١٥١.

والفاء(تصاريفه)وهذا الأيقاع الخفي يؤدي إلى تعميق صورة الأغنياء وحالة التضخم التي أصابت البلاد فأدت إلى إثقال كاهل مصر بسبب إسراف الخديوي إسماعيل في الانفاق على حفل تدشين قناة السويس ١٨٦٩ وعلى بعض المشروعات العمرانية مما أدى إلى عجز مصر عجزاً تاماً عن سدادها فترتب على هذا تدخل الدول في شؤون مصر وما أعقب هذا من ثورة عرابي وعزل إسماعيل ١٨٧٩ وفي هذه الأبيات وما يليها تتضح لنا صورة موحية داخل إيقاع ، ونحن هنا لا نبحث عن المعنى وإنما عن (صورة المعنى) أو معنى المعنى.

وبما أن شاعرنا شاعر موسيقى فهو يستخدم التصريع وهو أن يجانس بين شطري البيت الواحد في مطلع القصيدة حيث يجعل العروض مشبها للضرب وزناً وقافية كما في مطلع القصيدة:

هززت اليراع فتار الأدبْ ورمت القريض فشب اللهبْ

ونرى هذه الظاهرة تتكرر في كثير من قصائده مثل: قصيدة يا ضحى الشرق والتي مطلعها :

قامت الدنيا له لما جلسْ وانحنى الدهر فحيّا وهمسْ[1]

وفي قصيدة إلى (نقولا رزق)ومطلعها:

أعرت لساني هذا القلمْ يترجم عما بقلبي ألمْ[2]

وكذلك في قصيدته إلى مصطفى صادق الرافعي ومطلعها:

وثبت من الشرق مجدا ذهبْ وعزا غدا نهب أيدي النوبْ[3]

---

[1] ديوان محرم ٢، ص٣٢٢.

[2] ديوان محرم ٢ص، ٤٢٣.

[3] الديوان ٢، ص٤٣٠.

ونلاحظ أن تنسيق الألفاظ والعبارات قد هيأ لهذه القصائد ملاءمة الجو النفسي الموقف ، والانسجام مع الجو العام للقصيدة ، وبعث في العبارة الحياة وساعد على إحداث الانفعالات ، فألفاظ (يطيح) و(أهلكني) و(يابس) و(تغشى) في القصيدة الاولى توحي بالضيق والانقباض، وتساعد على ابراز عاطفة الشاعر الحانقة على موقفه من الإسراف وما آل إليه.

الإيقاع المرتبط بالتنويع الصوتي:

ثمة نمط ايقاعي عند محرم يرتبط بالتنويع الصوتي في التعجب والاثبات والنفي والطلب(الأمر-النهي -الاستفهام -التمني- النداء) نبينها فيما يلي على سبيل المثال لا الحصر:

١.التعجب، كما في قوله :

بلاد يغيض الخير فيها وتشتكي ... وشعب يفوز الأجنبي ويحرمُ
وكيف يرى سبل الهداية مبغض ... لها ، مستهام بالغواية مغرمُ؟[١]

وفي قوله:

عجباً لهذا النيل ، كيف نعقه ... ويدوم منه البر والإكرامْ[٢]

وفي قوله:

في كل يوم شرعه ونظام ... ما هكذا الأحكام والحكامُ[٣]

وفي قوله:

كيف الشفاء لمصر من أدوائها ... ام كيف يرجى عزها ويرامُ؟
والمصلحون كما علمت وأهلها ... عنها على زجر المهيب نيامُ؟[٤]

---

[١] ديوان محرم ١،ص١٢.
[٢] الديوان ١، ص١٨.
[٣] الديوان ١، ص٢٦.
[٤] الديون ١، ص٢٦.

مـــا للجمـــوع تمـــوج كالـــدماء ... مـــاذا ألمّ بهـــذه الغـــبراء؟

أهـــي القيامـــة حـــان فينـــا حينهـــا ... فالويـــل للأمـــوات والأحيـــاءِ؟

مـــا أكثـــر الجهـــلاء في أوطاننـــا ... بـــل مـــا اشـــد جنايـــة (العقـــلاءِ)[1]

وقوله:

إلا تجـــن الحادثـــات وتظلـــم؟ ... وحتـــى متـــى تبغـــي العـــداة وتظلـــمُ؟

حملنـــا مـــن الأيـــام مـــالا يطيقـــه ... (أبـــان) ولا يقـــوى عليـــه (يلملـــمُ)*

نوائـــب تتلوهـــا الينـــا نوائـــب ... صـــعاب تهـــد الراســـيات وتهـــدمُ[2]

وقوله:

فيـــا عجبـــا للـــدهر، كيـــف يضـــمنا ... وإخواننـــا الأدنـــين في الحـــرب مـــأزِمُ[3]

وقوله:

فيـــا عجبـــاً :كيـــف القـــرار بمعطـــب؟ ... وكيـــف الكـــرى مـــا بـــين نـــابٍ ومخلـــبِ؟[4]

وقوله:

ألم تركيـــف صـــار البغـــي دينـــاً ... لكـــل حكومـــة، وبكـــل مصـــرِ؟[5]

وقوله:

مـــا للفيـــالق كالـــدأماء لا غـــرق ... يغشـــى قطيـــع العـــدى منهـــا ولا بلـــلُ[6]

وقوله:

---

[1] الديوان ١، ص٢٧.

* أبان ويلملم : جبلان عظيمان.

[2] الديوان ١، ص٤٤.

[3] الديوان ١، ص٤٩.

[4] الديون ١، ص٧٠.

[5] الديوان ١، ص٩٣.

[6] الديوان١، ص١٠٧.

صـــدقوا العـــدو ولاءهـــم وتمزّقـــوا ... خصـــماء فيمـــا بيـــنهم وأعاديـــا[1]

وقوله:

انظريـــه قهّـــاراً ، ونؤذيـــه مرهقـــاً ... كفـــى الليـــث شـــراً أن تقـــل مخالبـــهُ[2]

وقوله:

أهـــي الشـــعوب تســـوس الأرض أم نعـــم ... يسوسها النحـر ، لا يرجولها عقباً؟[3]

وقوله:

أفانـــت تـــدفع بطـــش ربـــك إن أتـــى؟ ... أم أنـــت تملـــك دونـــه الأقـــدارا؟[4]

وقوله:

أتتركهـــم يهـــب الســـرُّ فـــيهم ... ونـــار الخطـــب تتقـــد أتقـــادا؟[5]

وقوله:

وأعجـــب مـــا أرى شـــعب نحيـــف ... يســـوس قطيعَـــه راعٍ بـــدينُ

أضـــاع الشـــرق أهلـــوه وأودى ... بـــه مـــن جهلـــهم داء دفـــينُ[6]

وقوله:

في كـــل يـــوم يخلقـــون لأهلـــها ... ملكـــاً يـــذل رقـــابهم جبـــارا[7]

وقوله:

حـــرب بـــلا ســـبب ماجـــت فيالقهـــا ... فـــالبر يرجـــف والـــدماء تســـتعرُ

---

(1) الديوان ١، ص١٣٦.

(2) الديون١، ص١٤١.

(3) الديوان ١، ص١٤٤.

(4) الديوان١، ص١٥١.

(5) الديوان ١، ص١٥٣.

(6) الديوان ١، ص١٥٦.

(7) الديوان ١، ص١٥٨.

وقوله :

أيــن الفــوارس يمنعــون بقــيتي؟ مــالي جفيت؟ وكيـف لـي بـالعوَّدِ؟[1]

وقوله :

وأضــيع مــافوق البســيطة امــة يمزقهــا جهــل ويأكلــها حِقْــدُ[2]

وقوله :

يــا للأرامــل والأيتــام باكيــة تشكو الطوى وتقوم الليل تبتهلُ[3]

وقوله :

رأيــت (كنانــة)الله اســتبيحت وكانــت معقــل البيــت الحــرامِ

فــأين الحــافظون لهــا حماهــا؟ وأيــن القــائمون علــى الــذمامِ؟[4]

وقوله :

مــا للحلــوم ذهــبن أبعــد مــذهب أعلقــن مــا عنقــاء مغــرب مخلبــا؟

وقوله :

أيــن الملــوك المرتجــون لغمــرة تجلــى ، وخطــب يُعتلــى فيــزاحُ؟[5]

وقوله :

أرأيــت مــن ذهــب الــردى بعتادهــا فــاذا العتــاد تفجــع ونــواحُ؟[6]

وقوله :

أيــن الحمــاة ؟ أفي المضــاجع نــوم؟ أم هــم هنالــك في المقــابر همــدُ؟

أعلــى (الحمايــة) يحرصــون ، وغيرهــا أســمى لأحــرار الرجــال وأمجــدُ[7]

---

(1) الديوان ١، ص١٨٠.

(2) الديون١، ص١٩١.

(3) الديون١، ص١٩.

(4) الديون١، ص٢٢٠.

(5) الديون١، ص٢٢٥.

(6) الديوان ١، ص٢٢٨.

(7) الديون١،ص٢٣١.

وقوله:

ما أظلم القوم يجزون البلاد أذى ... وهي الحياة وما تسدي جوازيها[1]

وقوله:

زعمتم أن خطتكم صلاح ... وأنا لا نريد سوى الفسادِ

وجئتم (بالحماية) وهي أدهى ... وأشأم ما تخالف من العوادي[2]

وقوله:

لعمري لقد جلّت مصيبةُ أمةٍ ... يخون بنوها عهدَها حين تُنكبُ[3]

وقوله:

أين (الصنائعُ)؟ هل جاءوا بواحدة ... تغني البلاد، وتعلى شانَ أهليها؟[4]

وقوله:

أتحاربون الله في جبروته؟ ... أم تمكرون بامةٍ ما تُخدَعُ؟[5]

وقوله:

ولقد عجبت من الغُزاةِ وقولهم ... جدّ البلاءُ فما لنا لا تلعبُ[6]

وقوله:

ما للسحاب تدفقت أخلافُهُ ... حتى ظننا أنه لا يمسكُ[7]

---

(1) الديون١، ص٢٣٥.

(2) الديوان ١ ص٢٤٤.

(3) الديوان ١، ص٢٥٦.

(4) الديوان١، ص٢٦١

(5) الديوان١،ص٢٦٦.

(6) الديوان١،ص٢٨٥.

(7) الديوان١،ص٢٨٢.

التعريف والتنكير في الجمل المثبتة عند محرم:

يمكن توزيع الجمل الشعرية المثبتة عند محرم ، بترتيبها ضمن محورين ، هما محور التعريف والتنكير، ويحظى التعريف باسم الإشارة والضمير باهتمام شاعرنا وبخاصة حينما يستدعي الأمر تعظيم إليه واسناد الأدوار الجليلة إليه كما في الأبيات التالية:

هي لولاك لارتمت تقذف الصخـ ... وتزجي هباءَها المنثورا[1]

وقوله:

ذلكم بيتكم ، فصلّوا وطوفوا ... لا تخافنَّ مشركاً أو كفوراً[2]

وقوله:

أنت واليته وعاديتَ فيه ... من توخّى الأذى ، وأبدى النفورا[3]

وقوله:

هي في ركابك، ما بها من حاجةٍ ... إلا إليكَ، ومالها مُتحوّلُ[4]

وقوله:

هن العذارى المؤمنات أقمنه ... عيداً تحييّه الملائكُ من عَلُ[5]

وقوله:

هي كيمياءُ الحق لولا انها ... تهدي العقولَ لخلتها لا تعقلُ[6]

---

[1] ديوان مجد الإسلام ،ص٥١.

[2] ديوان مجد الإسلام ،ص٥٠.

[3] ديوان مجد الإسلام ص٥٤.

[4] ديوان مجد الإسلام ،ص٥٩.

[5] ديوان مجد الإسلام، ٦٠.

[6] ديوان مجد الإسلام ،ص٦١.

هـي إن عيبت بوصفها ما يُجتنى ... من نعمةِ الإسلام، لا ما يُؤكلُ[1]

وقوله:

هذا النذير، فإن أبيت سوى الأذى ... فالأرض بالدم لا محالة تغسلُ[2]

وقوله:

هذا رسول الله في أصحابه ... لا يشتكي نَصَباً ولا يتمهّلُ[3]

وقوله:

هو ربنا ، إن نالنا رضوانه ... قلنا المثوبة والجزاء الأكملُ[4]

وقوله:

هي الأواصر أدناها الدّم الجاري ... فلا محالة من حبّ وإيثارِ[5]

وقوله:

هذا هو الدين ، لا ما هاج من فتن ... بين القبائل دين الجهل والعار[6]

وقوله:

هذا الفتى الفهري أقبل جامحاً ... يغزو المدينة والمُضلّل يجمعُ[7]

وقوله:

هذا عليّ في اللواء ومصعبٌ ... والنضرّ في عِطفيهما يترنّحُ[8]

---

[1] ديوان مجد الإسلام،ص٦٢.

[2] ديوان مجد الإسلام، ص٦٤.

[3] ديوان مجد الإسلام ،ص٦٤.

[4] ديوان مجد الإسلام ، ص٦٦.

[5] ديوان مجد الإسلام ،ص٦٩.

[6] ديوان مجد الإسلام ،ص٧٠.

[7] ديوان مجد الإسلام،ص٨١.

[8] ديوان مجد الإسلام ،ص٨٤.

وقوله:

هـي دعـوة الهـادي الأمـين ونفحـة ... ممـن يسـوق الغيـث فيمـا يـنفح[1]

وقوله:

تلـك العصـابة مَـنْ لـدينك غيرهـا ... إن شـد عـاد أو أغـار مجلـحُ[2]

وقوله:

تلـك السـطور السـوء ضـم كتابهـا ... أبهـى وأجمـل مـا يـرى المتصـفّح[3]

وقوله:

هـو السيف فيما اخترت من عاجل القتل ... سـقيت ذعـاف المـوت فاشـرب أبـا جهـلِ[4]

اما التنكير فقد وجد- هو الآخر- وعياً من شاعرناً بمفهومه وطبيعة ادائه في جو النص باعتباره عنصراً ضرورياً كما في الأبيات التالية:

كما في قوله:

يـا أمـة خـاط الكـرى أجفانهـا ... هـبيّ فقـد أودت بـكِ الأحـلامُ[5]

وقوله:

كريمـان لـما يجثمـا عـن عظمـةٍ ... ولا بهمـا إذ يـدعوان لهـا وقـرُ[6]

وقوله:

في كـل يـوم شـرعةٌ ونظـام ... مـا هكـذا الأحكـامُ والحكّـامُ[7]

---

(1) ديوان مجد الإسلام ص٨٥.

(2) ديوان م جد الإسلام ص٨٧.

(3) ديوان مجد الإسلام ، ص٩٠.

(4) ديوان مجد الإسلام، ص٩٢.

(5) الديون١،ص١٨.

(6) الديوان،ص٢٣.

(7) الديون ١،ص٢٨.

وقوله :

ملـك يقـوم الليـل ينظـر في غـد ... مـاذا يسـدّد والملـوك نيـامُ[1]

وقوله :

نوائـب تتلوهـا إلينـا نوائـب ... صـعاب تهـدّ الراسـياتِ وتهـدمُ[2]

وقوله :

لـه صـبيةٌ خُمـص البطـون كـأنهم ... جـواذل وكـرٍ مـا لهـا فيـه مُطعـمُ[3]

وقوله :

شـتيم تحـامى الضـارياتُ عرينُـه ... يُكشّـر عـن أنيابـه ويُصـلقِمُ[4]

وقوله :

لـه عزمـات ماضـيات متـى تـرم ... مراماً تحاماهـا القضـاءُ المحـتّمُ[5]

وقوله :

في كـل يـوم للتعصـب غـارة ... يـدعو بهـا راعـي الصليب ويهتـفُ[6]

وقوله :

لـك كـل عـام رحلـة تبغـي بهـا ... مـا عـز آمالنـا فيهـونُ[7]

وقوله :

ملئـتِ أسـى فلـن تَجـدي عـزاء ... ولـن تـدعى التوجّـعَ والأنينـا[8]

---

(1) الديوان ١، ص٤١.

(2) الديون١،ص٤٤.

(3) الديوان ، ص٤٦.

(4) الديوان ١،ص٥٠.

(5) الديوان ،ص٥٠.

(6) الديوان١،ص٤٧.

(7) الديوان١،ص٨١.

(8) الديوان ١،ص٩٧.

وقوله :

قضـــاء طـــاش مـــن فـــزع خـــوف ويحســـبه الألى فزعـــوا رزينـــا[1]

وقوله :

فـــلا كبـــد بطـــول الشـــوق ولهـــى ولا قلـــبٌ بنـــار الوجْـــد صـــالِ[2]

وقوله :

مناســـكُ قـــام الـــدين في جبناتهـــا يحيـــى فريـــق الله مـــن كـــلّ قـــائمِ[3]

وقوله :

مُعَمَّـــوْنَ فيهـــا مُخْوِلـــون إذا اعتـــزَوْا نمـتهم (قـريشٌ) في الحفـاظِ وهاشمُ[4]

وقوله :

في كـــل يـــوم لقـــومي مـــأتم جلـــل يـــودي بمجهـــودِ بكّـــاءٍ ونـــوّاح[5]

وقوله :

دمـــع يـــراق مـــن الســـماء غزيـــرة لـــدم علـــى وجـــه البســـيطة يُســـفكُ[6]

وقوله :

ســفن هــوت (بــالحوت)حــين تباعــدت تنســاب بــين الحــوت والســرطانِ[7]

---

(١) الديوان ١ ص،٩٨.

(٢) الديوان ١،ص١٧٧.

(٣) الديوان ١،ص١٩٣.

(٤) الديوان١،ص١٩٨.

(٥) الديوان١،ص٢٢٢.

(٦) الديوان١،ص٢٨٢.

(٧) الديوان١،ص٣٠٨.

ظاهرة الجملة المنفية

في شعر محرم ما في شعر غيره من الشعراء المعاصرين ظاهرة استعمال الجمل المنفية وإنك واجد من أدواته المستعملة في مجموعاته الشعرية ليس ولا ، ولم ، وما ولن ، ومن امثلة ذلك :

قوله :

ليس الكريم بمن يرى أوطانه ... نهب العوادي، ثم لا يحميها[1]

وقوله :

وليس بناء المجد فيكم بقائم ... مدى الدهر والأخلاق تهوي وتنهدُّ[2]

وقوله :

وما هو إلا أن يثور غيابها ... فلا أفق إلا وهو اقتمُ مسودُّ[3]

وقوله :

ولم يك ذاك من شيم الغواني ... إذا ما أزمعت صرمُ الجبالِ[4]

وقوله :

ولن تقيم يد الباني وإن جهدت ... دنيا الشعوب وركن الدين مهدودُ[5]

وقوله :

وليس لها وإن جهلت علينا ... بما لا تبتغي منها يدان[6]

---

[1] الديوان ١،ص٣٠.

[2] الديوان١،ص٥٦.

[3] الديوان ١،ص٥٧.

[4] الديوان١،ص٧٢.

[5] الديوان ١،ص٧٣.

[6] الديوان ١،ص٨٨.

ولن تحظى بعيش منه حلو ... إذا ما كان طعمُك غيرَ مرّ[1]

وقوله:

لست أدري إن همو في موطنٍ ... يجمع الأحياءَ أم في مدفنِ[2]

وقوله:

وما حادث يوماً وإن راع وقعه ... بماح هواها أو يطاولها ذكرا[3]

وقوله:

ليسو كمن ملك النفوس فسامها ... سوءَ العذابِ وغالها استرقاقُها[4]

وقوله:

لا يستطيع سوى المقال ولا يرى ... أحد بما يهذي به مصداقا

لي الألى حملوا النفوس كريمة ... مثل الألى حملوا الوجوه صفاقا[5]

وقوله:

فلا هو يرتجى يوماً لنفع ... يعزّ به الرعية والبلادا[6]

وقوله:

ولا هو مالك كشفاً لضرّ ... إذا ما كائد الحدثان كادا[7]

وقوله:

وما المرء إلا قومه وبلاده ... فإن يذهبا يلق الأذى حيث يمّما[8]

---

(1) الديوان ١، ص٩٤.

(2) الديوان١، ص١٣٠.

(3) الديوان١، ص١٣٨.

(4) الديوان١، ص١٤٨.

(5) الديوان ١، ص١٤٨.

(6) الديوان ١، ص١٥٢-١٥٣.

(7) الديوان١، ص١٦٢.

(8) الديوان١، ص١٦٢.

وقوله :

وما خفي الصواب على عليم ... ولا احتاج الضياء إلى مثال[1]

وقوله :

فما أنا إن صحا كلف بصاح ... ولا أنا إن سلا دَنِفٌ بسال[2]

وقوله :

لا يرهب الموت الوحيّ إذا دنا ... ويخاف قول اللائمين ألا أبعدِ[3]

وقوله :

ليس الثناء لخامل أو جاهل ... يمسي على جد الحوادث لاعبا[4]

وقوله :

فما تغر أخاها إذ تحدثه ... ولا تفارق يوماً موطن الريب[5]

وقوله :

وما تغني نبات الشعر شيئاً ... إذا ما الشر بالأقوام حاقا[6]

وقوله :

وما تدري السقاة بأي كأس ... تطوف ، وأي ذي طربٍ تشوقُ[7]

---

(1) الديوان ١، ص ١٧٦.

(2) الديوان ١، ص ١٧٨.

(3) الديوان ١، ص ١٨٢.

(4) الديوان ١، ص ١٩٣.

(5) الديوان ١، ص ٢١٠.

(6) الديوان ١، ص ٢١٦.

(7) الديوان ١، ص ٢٩٠.

استخدام الأمر في الإنشاء الطلبي

يشيع في قصائد الشاعر محرم استخدام الأمر وهو نوع من الإنشاء الطلبي، ويستخدم في ذلك : ثلاث صيغ تنوب كل منها مناب الأخرى وهي فعل الأمر ، واسم الأمر، والمصدر النائب عن فعل الأمر ، ومن الأمثلة في شعره على استخدام فعل الأمر:

قوله :

فهون عليك الخطب لا تبتئس به ... فمالك أمر الجاهلين ولاليا[1]

وقوله :

طهرِ الأوطان من أرجاسها ... وادخرها لبنيك الطاهرينْ[2]

وقوله :

مر بما شئت تجدنا فاعلين ... إنما أنت أجل الآمرين[3]

وقوله :

وخذوا نصيباً من ثناء عاجل ... وتقوا بآخر من ثوابٍ آجلِ[4]

وقوله :

ومرّ علينا كل يوم مسلّما ... سلام حثيث السير لا يتمهّلُ[5]

وقوله :

قل للفجائع شتى لاعداد لها ... كفي أذاك عن الباكين أو زيدي[6]

---

(1) الديوان١، ص٢٥.

(2) الديوان١، ص٢٨.

(3) الديوان١، ص٢٨.

(5) الديوان١، ص٣٤.

(6) الديوان١، ص٦٠

وقوله :

وتـــذكر العهـــد القـــديم وجـــددا ... عهـــدا عـــن الـــود المـــتين يـــبين[1]

وقوله :

وقـــف بـــي في طلـــول الشـــرق واذكـــر ... هدى (الفاروق) واندب عهد(عمرو)[2]

وقوله :

أقيمـــــوا صـــــلبه وتـــــداركوه ... ولا تـــدنوه مـــن كفـــن وقـــبرِ[3]

وقوله :

خـــذوا أنصـــاركم إنـــا نـــراهم ... لنثـا ولقومنـــا الـــداء الـــدفينا[4]

وقوله :

حـــي الغطارفـــة الأبـــرار محـــتفلاً ... وردد الحمـــد مختـــاراً ومنتخبـــا[5]

وقوله :

شـدوا العبـاب علـى هنـات لـو بـدت ... مـلأت منـاديح الفضـاء مسـاويا[6]

وقوله :

خـــذوها كالصـــواعق أنـــذرتكم ... برعـــد مـــن زواجرهـــا وبـــرقِ[7]

وقوله :

أتبعـــوا الجـــد اعصـــبوها برأســـي ... حسبكم مـا مضـى مـن الـدهر هـزلاً[8]

---

(١) الديوان١ ص٨١.
(٢) الديوان١،ص٩٤.
(٣) الديوان١،ص٩٤.
(٤) الديوان١، ص٩٨.
(٥) الديوان١،ص١٢٥.
(٦) الديوان١،ص١٣٤.
(٧) الديوان ١،ص١٤٥.
(٨) الديوان ١،ص١٥٩.

وقوله :

ذراني اقيم للشعر في مصر مأتماً ... إلى أن يفيض النيل في ارضها دماً[1]

وقوله :

شدوا القلوب على الإخاء فإنها ... مصرٌ ، وإنّ بلاءها لشديدُ[2]

وقوله :

فسيروا على نور(الهلال) يحوطكم ... من الله جند ما يغالبه جندُ

وعودوا إلى أوطانكم في غضارة ... من العيش مقرون بها العزُّ والمجدُ[3]

وقوله :

وجدّوا فإن الهول أشأمُ صاحب ... وإن العلا للكادح المتجشّمِ[4]

وقوله :

صونوا الذمام فإن الحر من صانا ... وجددوا العهد من قديم العهد ما كانا[5]

استخدام فعل الأمر

وهو يستخدم اسم فعل الأمر أكثر من مرة في قصيدة كرومر والإسلام ، فنراه يردد (رويدك) أربع مرات ليؤكد على دحض مزاعم كرومر، ونفي تخرصاته حول الإسلام ، فيقول:

رويدك أيها الجبار فينا ... فإن الرأي ألا تزدرينا

رويدك أيها القاضي علينا ... قضاء الظالمين الناقمينا

رويدك أيها الجبار فينا ... فبئس الحكم حكم القاسطينا

---

(1) الديوان ١،ص١٦١.

(2) الديوان١،ص١٧٤.

(3) الديوان١،ص١٩١.

(4) الديوان١،ص٢١٣.

(5) الديوان١،ص٢١٧.

رويـــدك أيهـــا الجبـــار فينـــا فمـــا أنصـــفتنا دنيـــا ودينـــا[1]

ويقول في قصيدة أخرى:

رويـــدك إن أشـــقى الحـــب حـــب تمشـــت في جوانبـــه الظنـــونُ[2]

ويقول في قصيدة اخرى:

إيـــه بـــني مصـــر أمـــا وعظتكمـــو مـــا تصـــنع الأحـــداث والأيـــامُ

إيـــه فقـــد طمـــت الخطـــوب وهالنـــا منهـــا ركـــام يعتليـــه ركـــامُ

إيـــه فقـــد أشـــقى النفـــوس جماحهـــا وأضـــلها التمويـــهُ والإبهـــامُ[3]

فهو يردد اسم الفعل "إيه" بمعنى استزيدوا وغرضه من هذا الاستخدام هـو التأكيد من خلال التكرار واستخدام صفة الطلب:

ويقول في قصيدة أخرى:

إيـــه بـــني مصـــر إن الله ينـــدبكم فســـارعوا قبـــل أن تـــؤدي بنـــا الغيرُ[4]

وقوله:

رويـــداً بـــني التـــاميز أن وراءكـــم مـن الهـول يومـاً يقـذف النـار والـدّما[5]

وقوله:

هلمـــوا يـــا بـــني مصـــر هلمـــوا فمـــا يجـــدي الوقـــوف ولا يفيـــدُ[6]

وقوله:

رويـــدَ الحـــوادثَ إنـــي امـــرؤ رأيـــت الاعاجيـــب شـــتى الصـــورْ[7]

---

(1) الديوان١، ص١٢٦-١٢٨.
(2) الديوان١، ص١٥٥.
(3) الديوان١، ص١٦٦.
(4) الديوان١، ص١٨٠.
(5) الديوان١، ص٢٥٢.
(6) الديوان١، ص٣٣١.
(7) الديوان٢، ص٤١١.

وقوله :

رويد العدى لا (آل عثمان) إذ أبوا (تجار) ولا ملك الهلال بضائعِ[1]

وقوله :

رويدك سوف تنبئك الليالي فتعلم ما تكنّ من البلايا[2]

وقوله :

هلموا إلينا أن فيه بقية لمن كان من إرث النبين مُعدما[3]

وقوله :

هلموا إلى البيضاء إن راب مذهب وأموا سواء الأمر إن مال انكبُ

هلموا فصونوا (للكنانة) مجدها وكونوا لها الجند الذي ليس يرهبُ[4]

استخدام المصدر النائب عن فعل الأمر

ويستخدم الشاعر المصدر النائب عن فعل الأمر كما في الأبيات التالية:

وقوله :

مهلابني الغبراء قد وضح الهدى فخذوا الحقائق وانبذوا الأوهاما[5]

وقوله :

أماناً ، فما بيننا ثائرٌ وعفوا فما بيننا مذنبُ[6]

وقوله :

رويدا معشر العادين إنا نطقنا بالنصيحة خيرَ نُطْقِ[7]

---

(١) الديوان١، ص٥٣٧.

(٢) الديوان٢، ص٦١٤.

(٣) الديوان٢، ص٦٨٩.

(٤) الديوان٢، ص١٠٢.

(٥) الديوان١، ص١٠٢.

(٦) الديوان١، ص١١٨.

(٧) الديوان١، ص١٤٥.

وقولَه :

مهلاً (دعاة العدل) في الأمم التي ... صاح الغزاةُ بشلْوها المتقسَّمِ[1]

وقوله :

مهلاً موالينا ألسنا أخوة ... يعنيكم الأمر الذي يُعنينا[2]

وقوله :

مهلاً ، لك الويل، إن الناس قد جزعوا ... فلن ترى اليوم ممن تبتغي أحدا[3]

وقوله :

صبراً بنيّ على ما اشتد من عوز ... عسى يفيد الغنى أو يعقب الرغدا[4]

وقوله :

مهلاً شرحبيل لا حييت من رجل ... إن هم بالشر لم يحفل ولم يبلِ[5]

وقوله :

هنيئاً أبا سفيان لا الذخر هين ... ولا الأجر ممنون ولا أنت مغبونْ[6]

وقوله :

رويداً فقد أدركت ما فيه مقنع ... أكل حرام عازب أنت مزمعُ[7]

وقوله :

هنيئاً لكم (آل الوكيل) مناقبْ ... سوائر في الآفاق ليس لها عدُّ[8]

---

(1) الديوان١ ،ص٣٩٢.

(2) الديوان٢ ،ص١٧١ .

(3) الديوان٢ ،ص٢٣٩.

(4) الديوان٢ ،ص٢١٤.

(5) ديوان مجد الإسلام ،ص٢٤٦.

(6) ديوان مجد الإسلام ، ص٤٠٥.

(7) الديوان٤ ،ص١٨٨.

(8) الديوان٤ ،ص١٩٢.

وقوله :

مهلاً، فإني لقومي إن هم التمسوا ... مستودع الود من نفسي لذوحدبِ[1]

وقوله :

مهلاً، فإن من العناية قوة ... تدع القوي مغلباً مقهوراً[2]

وقوله :

رويداً أن للمكروه حدا ... وإن لكل ذي ضرم خُمودا[3]

ونلاحظ أن استخدام الشاعر للأمر في صيغه الثلاث كان يختلف باختلاف المواقف النفسية التي يجري فيها هذا الاستخدام ومضمون هذه المواقف وموقعها الدقيق في وجدان الشاعر وما يتطلبه النمط الإيقاعي الذي يرتبط بالتنويع الصوتي.

استخدام النهي

وهو طلب الكف عن الفعل أو الامتناع عنه على وجه الإلزام وله صيغة واحدة ، وهو المضارع المقترن بـ ،(لا) الناهية الجازمة ، وصورة ليست مطردة في مجموعاته الشعرية ، ومثاله:

لا تبخلوا يا قومُ كنتم ذوي ... كرم، فما الدنيا سوى كرمائها[5]

وقوله :

لا تظنّوا المجد شيئاً هيّنا ... إنه في لهوات الضيغمِ[6]

---

[1] الديوان٤،ص٢٧٤.

[2] الديوان٤،ص٢٥٠.

[3] الديوان٣،ص٣٣٤.

[5] الديوان١،ص٦٨.

[6] الديوان١،ص٧٤.

وقوله :

ولا تتعـــادوا فـــإن الشـــعوب تمـوت انقسـاماً ، وتحيـا اتحـاداً[1]

وقوله :

لا تكتمـوا الحـق ، وارضـوا عـن خليفـتكم وافضـوا لـه مـن حقـوق البر مـا وجبـا[2]

وقوله :

لا تظلمـوا الـدين ، إن الـدين يأمرنـا بمـا علمـتهم مـن الأخـلاق والشـيم[3]

وقوله :

لا تجعلّنـــا في المهانـــة آيـــة تخـزي الوجـوه ، وفي الجمـود مثـالا[4]

وقوله :

لا تنكبوهـــا (بالحمايـــة)أمـــةً يقضـي علـى أعقـابكم ان تنكّبـا[5]

وقوله :

لا تمـــنعنَّ مـــن العـــدوّ ذِمارهـــا إن الـــذّمار بغـير بأسـكِ يُمنـعُ[6]

وقوله :

لا تمـــتري في الحـــق تطلبـــه ، ولا تلـــوي العنـــان لباطـــل لا ينفـعُ[7]

وقوله :

لا تفـــزعنّ إذا تطلـــع حـــادث همـمُ الرجـال على الحـوادث طلـعُ[8]

---

(1) الديوان١ ،ص١٢٣.

(2) الديوان١ ،ص١٢٣.

(3) الديوان١ ،ص١٦٨

(4) الديوان١ ،ص١٦٨.

(5) الديوان١ ،ص٢٢٥.

(6) الديوان١ ،ص٢٤٠.

(7) الديوان١ ،ص٢٤٥.

(8) الديوان١ ،ص٢٦٦.

وقوله :

لا يخـــدعنّك ظـــاهرٌ مـــن محنـــقٍ ... خـــاف الشـــكاةُ ، فـــلاذ بالكتمـــانِ[1]

وقوله :

لا تنكـــري عظـــة يريـــك ســـطورها ... زاهـــي النقـــوش ، وشـــامخ البينـــانِ[2]

وقوله :

فـــلا تكفروهـــا يـــا بـــني مصـــر نعمـــة ... ولا يجلـــبنّ الشـــر في مصـــر جالـــبُ[3]

وقوله :

لا تعبـــدوا (الهبـــل الأعلـــى) وشـــيعته ... شـــر البليـــة كفـــر بعـــد إيمـــانِ[4]

وقوله :

لا تريقـــوا دم الضـــعيف عليـــه ... وانظـــروه مـــن فوقـــه كيـــف ســـالا[5]

لا تظلمـــوا الأقـــلام ، إن ســـبيلها ... عـــون الضـــعيف ونصـــرة المخـــذولِ

وقوله :

لا تـــأخـــذوا بيـــد السياســـة إنهـــا ... ترمـــي المالـــك عـــن يـــدي عزريـــلِ[6]

وقوله :

لا تجحديـــه علـــى التغـــرب حقـــه ... فـــاذا جهلـــت مكانـــة ، فتعلّمـــى[7]

وقوله :

لا تقـــولي إن دعـــا الله الـــداعي غـــدا ... اخلعيـــه ، وارفعـــي عنـــك الغُمَـــمْ[8]

---

(1) الديوان١ ،ص٣٠٥.

(2) الديوان١ ،ص٣١١.

(3) الديوان١ ،ص٣٤٥.

(4) الديوان١ ،ص٣٤٧.

(5) الديوان١ ،ص٣٤٥.

(6) الديوان١ ،ص٣٨٨.

(7) الديوان١ ،ص٣٩٥.

(8) الديوان١ ،ص٤٠٧.

وقوله :

لا تظلمـــوا مصـــر أن البرآيتـــه ... الآيروّعهـــا ظلـــم و لا رهـــقُ[1]

وقوله :

لا تراعـــي ، إن مـــن آياتـــه ... مـا يراعـي فيـك مـن دنيـا وديـنْ[2]

وقوله :

لا تخـــذلوهم والملائـــك ســـهّد ... بالمسـجدين، كفـى بـذلك مأثمـا[3]

استخدام الاستفهام

إن مهمة الاستفهام هي طلب الفهم لشيء مجهول ، فإن كان المجهول صاحب ، الحدث ، كان الاستفهام متعلقاً به ، ومن أدوات الاستفهام التي استخدمها الشاعر فهي: الهمزة: وهل وكيف ، وأين ، وما ، ومن ، وكم ، وأي/ ومتى وإن كان الاستفهام في الأصل هو طلب العلم بشيء لم يكن معلوماً من قبل ،إلا أن الاستفهام قد يخرج عن معانيه الأصلية إلى معان اخرى على سبيل المجاز تفهم من سياق الكلام وقرائن الأحوال.

ومن هذه الاستخدامات على سبيل المثال فهي كالتالي:

قوله:

أفي معقـــل الإســـلام تطمـــع أمـــة ... تبيـت منـاياهـا حيـارى تراقبُـهْ؟[4]

وقوله :

أجارتنـا مـا أكـرم الجيـش لـو وقـى ... ومـا أحسـن الأسطول لوجـدّ لاعبـهْ[5]

---

(1) الديوان١ ،ص٤١٤.

(2) الديوان١ ،ص٤١٩.

(3) الديوان١ ،ص٥٠٠.

(4) الديوان١ ،ص٣٨.

(5) الديوان١ ،ص٣٩.

وقوله:

إلا تجـــن الحادثـــات وتظلـــم؟ وحتـى متـى تبغـي العـداة وتظلـمُ؟[1]

وقوله:

أهـــذا جـــزاء المحســـنين وفـــوّا بـــه؟ فيـــا بئســـما يجـــزي اللئـــيم المـــذَّممُ[2]

وقوله:

وكيـــف يـــرى ســـبل الهدايـــة مـــبغض لهـــا ، مســـتهام بـالغوايـــة مغـــرمُ؟[3]

وقوله:

أقاســـم لا تقـــذف بجيشـــك تبتغـــي بقومـــك والإســـلامُ مـــا الله عـــالمْ؟[4]

وقوله:

متـــى يـــنهض الشـــرق مـــن كبوتـــهِ وحتـــى متـــى هـــو في غفوتـــهِ؟[5]

وقوله:

فهـــل يســـمع القـــول أهـــل القبـــور خطيـــب ، فيســـهب في خطبتـــهِ؟[6]

وقوله:

أهـــذي ديـــار القـــوم غيّرهـــا الـــدهر؟ فعوجـــوا عليهـــا نبكهـــا أيهـــا السّـــفْرُ[7]

وقوله:

أمـــا فـــيكم حـــر إذا قـــام راعيـــا إلى صـــالح أوفـــى فجاوبـــه حـــرُّ؟[8]

---

(١) الديوان١، ص٤٤.

(٢) الديوان١، ص٤٥.

(٣) الديوان١، ص٥٠.

(٤) الديوان١، ص٦١.

(٥) الديوان١، ص٦٣.

(٦) الديوان١، ص٦٤

(٧) الديوان ١، ص٦٦.

(٨) الديوان١، ص٦٦.

وقوله :

أمـــن صـــلف صـــدودك أم دلال ؟ فقـــد أحـــدثت حـــالا بعـــد حـــالِ[1]

وقوله :

كيـــف الشـــفاء لمصـــر مـــن أدوائهـــا؟ أم كيـــف يرجـــى عزّهـــا ويـــرامْ[2]

وقوله :

أيـــن المواثيـــق رفعـــت علـــى اوطاننـــا علمـــا تـــنكّس تحتـــه الأعـــلامْ[3]

وقوله :

أتـــدري مـــا تجشـــمنا الليـــالي وتركبنـــا حوادثهـــا الجســـامْ[4]

وقوله :

أمـــا يرضـــيك عمّـــن عـــقّ منـــا رجـــال بالوفـــاء لهـــا ابشـــامُ؟[5]

وقوله :

كـــم أنـــة تحـــت الظـــلام تـــرددت فاســـتوقفت أصـــداؤها الأقـــدار[6]

وقوله :

كـــم نكبـــة فـــدحت وكـــم مـــن غمـــرة خضـــنا بهـــا الأهـــوال والأخطـــارا[7]

وقوله :

أنمســـي عبيـــداً يملكونـــا نفوســـنا وأموالنـــا مـــن دوننـــا والـــذراريا؟[8]

---

(1) الديوان١، ص٧١.

(2) الديوان١، ص٧٧.

(3) الديوان١، ص٧٧.

(4) الديوان١، ص٩٧.

(5) الديوان ١، ص٨٠.

(6) الديوان ١، ص٧٩.

(7) الديوان١، ص٨٩.

(8) الديوان١، ص١٠٩.

وقوله :

أهـذا هـو العـدل الـذي فيـه أطنبـوا وراح بـه مـنهم فخـور ومعجـبُ؟[1]

استخدام اسلوب التمني :

ويأتي التمني إما لكونه طلباً لأمر لا يرجى حصوله ؛ لكونه مستحيلاً ، أو لكونه ممكنا غير مطموح.

في قوله:

ليـت السـماوات والأرضـين زلـن معـاً لمـا رمـتكم بنـا أيـدي المقـادير

زولـوا فقـد ضـاقت الـدنيا باجمعهـا عمـا تسـوقون مـن تلـك المعـاذيرِ[2]

فالشـاعر هنـا يتمنـى زوال السـماوات والأرضـين للخـلاص مـن وطـأة الاحتلال وما عاناه الشعب المصري ، فـزوال السـماوات والأرض ومـن عليهـا غاية ووسيلة لديه فهو أهون على مصر من وجهة نظر الشـاعر مـن الاسـتعمار وشروره، وفي هذا النسق والمضمون ، يقول ايضاً:

رب حتـف في حيـاة تشـتهي وحيـاةٍ في كـف حَتْـفٍ وحَيْـفِ[3]

فتمني الحتف يعني عنده الخلاص، أوضحه استخدام إطناب التـذييل الـذي يجري مجرى المثل في الشطر الثاني من البيت ، إذ أن الحياة الـتي لا خـلاص فيهـا من سجن الجسد هي عنده شر من الموت الذي ربما كان فيه الخلاص والانعتـاق من العبودية . وهذا النوع من التمني الذي استخدمه الشـاعر مسـتحيل حدوثـه لكونه كائناً فيما لا يود كونه فيه ، ولا يخفي ان التمني يفترض تحققاً خيالياً ، أو على الاقل يطمح في التحقيق الخيالي، وهـذا يعـني أن ثمـة مسـافة واسـعة بـين

---

[1] الديوان١ ،ص٢٧٩.

[2] الديوان ١ ،ص٢٧٩.

[3] الديوان٢ ص٧٤٨.

الشاعر وبين ما يتمناه ، وإذا كان الواقع يتسم بالقصور عنده فإن إسلوب التمني نتيجة منطقة لهذا القصور، فالتمني محاول منه إذن لإظهار القوة الخيالية في مقابل العجز والضعف الواقعي أما التمني الممكن فهو كقوله:

مصـــر العتـــاد والســـند ... لوالـــدٍ ومـــا ولـــد
فيهـــا حيينـــا مكـــرمين ... وهـــي الحيـــاةُ للبـــنينْ

هي الوجود ولعدمْ[1]

فهو يقرر أمنيّة بصيغة الخبر بأن تكون مصر عتاداً وسنداً لأبنائها ، ليعيشوا بكرامة تحت ظلها الوراف الآمن حياة استقرار وسعادة فهي الحياة بوجودها وهي بدونها تعني الفناء والموت.

ويقول متمنياً أن يكون الناس هوية واحدة ، وطبيعة غير مزدوجة يقولون غير ما في نفوسهم :

يـا ليت أنّـا علـى مـا كـان مـن حسـنٍ ... وســـيء في حياتنـــا عقيـــدانِ*
إن كـــان شـــر ، فـــإني غـــير منقلـــب* ... أو كـــان خـــير ، فـــإني غـــير منّـــان[2]

استخدام النداء:

وهو من استخدامات الشاعر في الإنشاء الطلبي : النداء ، وأبرز أدواته : يا – أيا ، أي والهمزة وقد يحذف أداة النداء ، وقد يخرج النداء إلى معان أخرى تستفاد من سيقا الكلام وقرائن الأحوال:

يـا منـزل الـنفس ترضـاه إلى أجـل ... مـــن الحيـــاة وتجفـــوه إلى حـــين
لا تجـزعنَّ لطـول البيـت إن جزعـت ... أطـلال كـل شـجيّ الرسـم محـزونِ[3]

---

(1) الديوان ٢،ص٧٨٦.

* المنقلب : الذي رجع عن الأمر وتحول عنه.

* العقيد: المعاقد والمعاهد

(2) الديوان ٢، ص١٣٣.

(3) الديوان محرم ١،ص٣٣.

وقوله:

بـــني وطـــني لا تســـخطوه عليكمـــو ... فلـــيس ســـواء ســـخطه ورضـــاؤهْ

بـــني وطـــني خلـــوا التخـــاذل إنـــه ... بلاؤكمـــو يجتـــاحكم وبـــلاؤهُ[1]

وقوله:

أجارتنـــا مـــا أكـــرم الجـــيش لـــو وفـــى ... ومـــا أحســـن الأســـطول لوجـــدَّ لاعبُـــهْ[2]

وقوله:

أغـــرك يـــا أســـماه مـــا ظـــن (قـــاســـم) ... اقيمـــي وراء الخـــدر فـــالمرء واهـــمُ[3]

وقوله:

فيـــا لهـــف قلـــبي لمجـــد مضـــى ... ويـــا شـــوق نفســـي إلى عودتـــهِ

وقوله:

ويـــا لهف آبائنـــا الأولـــين ... علـــى الشـــرق أن ظـــل في نكبتـــهِ[4]

وقوله:

يـــا آل مصـــر ، وانـــتم أبناؤهـــا ... ولكـــم جوانـــب أرضـــها وسمائهـــا[5]

وقوله:

يـــا واهـــب الأمـــن النفـــوس ولم تكـــن ... لتصـــيب أمنـــا أو نطيـــق قـــرارا[6]

وقوله:

يـــا آل مصـــر ومـــا يـــؤدي حقهـــا ... إلا فتـــى يكفـــي الـــذي يعنيهـــا[7]

---

(1) المرجع نفسه ، ص٣٦.

(2) المرجع نفسه ، ص٣٩.

(3) المرجع نفسه ص٦١.

(4) المرجع نفسه ص٦٤.

(5) المرجع نفسه ص٦٧.

(6) المرجع نفسه ،ص٨٩.

(7) المرجع نفسه ، ص٩٠.

وقوله :

أفـــاطم إن للضـــعفاء ربـــا ... يـــديلُ لهـــم مـــن المتجبرينـــا[1]

وقوله :

حمـــاة النيـــل ، كـــم بالنيـــل طـــاو ... يريـــد علالـــة مـــا يحتويهـــا؟[2]

وقوله :

يـــا تـــاج (عثمـــان) إن اليـــوم موعـــدنا ... فجـــدد العهـــد والـــق الحـــب والرغبـــا[3]

وقوله :

يـــا مصـــر ، مـــاذا تطلـــبين؟ أمـــا كفـــى ... أن تصـــبحي للعاديـــات طعامـــا؟[4]

وقوله :

عزيـــز النيـــل أنـــت لـــه حيـــاة ... وأنـــت لملكـــه الـــركن الـــركينْ[5]

وقوله :

بـــني الشـــرق لا يصـــرعكم الـــدين إنـــني ... أرى الغرب لولا الجد والعلم ما سما[6]

وقوله :

يـــا أمـــة القـــبط والأجيـــال شـــاهدة ... بمالنـــا ولكـــم مـــن صـــادق الـــذممِ[7]

وقوله :

يـــا قـــوم لا تغفلـــوا إن العـــدو لـــه ... عـــين تراقـــب مـــنكم زلـــة القـــدمِ[8]

---

(1) المرجع نفسه ،ص٩٨.

(2) المرجع نفسه ،ص١٢١.

(3) المرجع نفسه ،ص١٢٤.

(4) المرجع نفسه ،ص١٣٤.

(5) المرجع نفسه ،ص١٥٥.

(6) المرجع نفسه ،ص١٦٤.

(7) المرجع نفسه ،ص١٦٨.

(8) المرجع نفسه ، ص١٦٩.

وقوله :

يـا مصـر هبّـي في المالـكِ واعملـي ذهـب الكـرى وتولـت الأحـلامُ[1]

وقوله :

ياعيـد أي شـجى بعثـتَ ولَوْعَـةٍ لعيوننـا وقلوبنـا والأكبُـدِ[2]

وقوله :

يـا نيـل والموفـون فيـك قلائـل ليـت الـذعاف لـمن يخونـك مشـربا[3]

الاوزان والقوافي التي استخدمها :

أ. الأوزان :

قبل الحديث عن الأوزان عند شاعرنا ، لا بد من القول أن الوزن هو العنصر الرئيس من عناصر الشعر أو العمود الفقري له ، وهو أعظم أركان حد الشعر وأولاها به خصوصية كما يقول ابن رشيق[4]، وقد نبه العروضيون والنقاد العرب قديماً وحديثاً ،إلى الوزن وأثره في الشعر وتأثيره ف المتلقي ، فقالوا: إن هناك شعراً جيد الوزن وآخر مضطربه ،وعانوا بعض الشعر لاضطراب وزنه[5] ونبه كذلك النقاد الأوروبيون إلى أثر الوزن، فهذا أحد النقاد الأمريكين (جون كرورانسوم) يقول:"الوزن طريقة لغرض الصور صوتياً على الانتباه الذي قد ينهمك دون الوزن في معاني الألفاظ نفسها ، وهذا يخلق تشتيتاً للانتباه."[6]

---

(1) المرجع نفسه ،ص١٧١.

(2) المرجع نفسه ، ص١٨٧.

(3) المرجع نفسه ،ص٣٢٨.

(4) ابن رشيق، العمده ، جـ١،ص١٣٣.

(5) ابن رشيق، العمدة ،جـ١،ص١١٨.

(6) كرورانسوم، ترجمة جبرا ابراهيم جبرا، الأديب وصناعة بيروت ، ص١٠٩،١٠٨.

ويقول (كولردج) الشاعر الإنجليزي :إن الوزن ينزع إلى زيادة الحيوية التقنية والحساسية في المشاعر العامة وفي الانتباه[1] "ويضيف "ييتس" وهو شاعر انجليزي قائلاً "إن وظيفة الوزن من أنه يخلق في الذهن حالة من الغيبوبة اليقظة[2].

من كل ما تقدم تبين لنا اهتمام النقاد بالوزن ، والأثر الكبير الذي يسبغه على الشعر والوزن في الشعر العربي ، هو مجموع التفعيلات التي يتألف منها البيت ، وقد كان البيت هو الوحدة الموسيقية للقصيدة والحقيقة ان للوزن أو الموسيقى في الشعر العربي أثراً أكبر منه أي شعر آخر، ولا شك أن هذه الموسيقة التي كان لها النصيب الأوفر من عناية الشعراء العرب في العصور القديمة ، ظلت نهجاً يحتذى وطريقاً يسير عليه الشعراء المتأخرون بحكم الأحتذاء والتقليد، وبالإضافة إلى اهتمام الشعراء بهذه الموسيقية نجد النقاد أيضاً قد أعاروها جانباً كبيراً من اهتمامهم ، ومن هنا نستطيع القول إن للوزن والموسيقى أثراً كبيراً في بناء القصيدة وقوتها ، ومدى تأثيرها في المتلقي.

ومن الإحصاء الذي قمت به على شعر محرم ، نستطيع أن نقول :" إنه قد استعمل أحد عشر بحراً أحتل فيها الوافر المركز الأول والبسيط المركز الثاني والطويل المركز الثالث والرمل المركز الرابع والكامل المركز الخامس والرجز ومجزوء الرمل المركز السادس والخفيف المركز السابع ومجزوء الوافر ومجزوء الكامل المركز الثامن والهزج والمضارع والمتقارب ومجزوء الرجز المركز التاسع.

ولا شك أن من الظواهر الفنية في شعر محرم ، تلك الموسيقى التي تنساب في ثنايا شعره ، وينبض بها كل لفظ من ألفاظه، وليس مبعث هذه الموسيقى

---

[1] أرمسترونج ريتشاردز، ترجمة لويس عوض،مبادئ النقد الأدبي ، مكتبة الأنجلو المصرية، ١٩٦٣، ص١٩٨.

[2] المرجع نفسه ص١٩٨-١٩٩.

صناعة لفظية أو تفنن في رصف ألفاظ براقة ، بل مرد ذلك إلى الروح السارية في أجزاء القصيدة كلها وانطلاقها معا في جو معبر تعبيراً صادقاً تحسّ أثره وتلمسه لمساً قوياً متجاوباً مع المعنى الذي يريده ، وهذه الحالة النفسية السارية في ثنايا القصيدة كلها هي التي يسميها النقاد الموسيقى الخفية ، وهذه هي التي تدفع الشاعر إلى أن يختار من الألفاظ ما يوحي إيحاء صادقاً بما يريد التعبير عنه في صدق وقوة ، حتى لتجس وأنت تستمع إلى القصيدة ، أو تقرؤها انك أمام بناء متكامل قد وضع فيه كل شيء في موضعه في دقة وإحكام على يد فنان ماهر يدرك أسرار الجمال ويعرف مواطنه ، فتشعر كأنك أمام لحن موسيقي متناسق النغم ينساب إلى النفس، فيأخذ بمجامعها.

وهذا التناسق الفني متنوع بحسب المعنى الذي يريد الشاعر أن يعبر عنه ، فهو نغم عميق متأمل فيه اصطراع العاطفة ، وبوادر الثورة ، وحيرة الشك حينما يريد أن يعطيك هذا المعنى في قصيدته (وجودي) التي يستهلها بهذا المقطع:

وجودي لست لي ، فلمن تكون؟ أسرّ أنت عن نفسي مصونُ؟
يصيب حقائق الأشياء علمي وتعصف بي حواليك الظنونُ
أمن نفسي على نفسي غطاء؟ فكيف أنا ؟ أشك أم يقينْ؟[1]

ونلمح من خلال ألفاظه ووجدانه أن الشاعر يعاني أزمة حادة ، ويكبح جماح ثورة تريد أن تنطلق فيجتاح هذه القيم التي عاش لها وآمن بها ، وكافح في سبيلها ولكن الناس يعمون عنها ، وينكرونها ، فنراه يبدأ متسائلاً عن سر وجوده هذا الذي لا يعرف أن كان له أو لغيره.

وأنت ترى بعد قراءة القصيدة أن الشاعر نجح كل النجاح في المواءمة بين اللفظ والمعنى والانفعال ، وان الروح السارية في القصيدة ، أو الحالة النفسية

---

[1] ديوان محرم٣، ص٣٩٥.

التي انتظمها قد وجهت الشاعر إلى اختيار نوع من الألفاظ كما أن استخدامه للبحر الوافر ينسجم تمام الانسجام مع حالته النفسية ، وتجربته الفنية ، وكان لاستعمال الشاعر لأسلوب الاستفهام الذي يوحي بالحيرة التي عاش الشاعر في ظلها ، و عانى منها ، وأكثر من ترداد الفاظ تعبر عن ثورة نفسه ، ومن ذلك قوله : (تعصف بي ، حواليك ، الظنون) ، وقوله:

(وتثور حولي هموم ما لعاصفة سكون) وقوله(وتسلبني خطوب الدخر لنفسي) وقوله (أريد الصمت استبقيك جهدي) وكان لاستخدام أساليب الاستفهام ما صور الحيرة في نفسه ومن ذلك قوله : (فكيف أنا؟) وقوله : (أشك أم يقين؟) وقوله : (ألاسبيل) ، وقوله : (وما أنا في بني الدنيا ؟) وقوله : (أحي أم دفين؟) وبهذا استطاع الشاعر أنْ يعطينا نغماً موسيقياً ناجحاً في الإيحاء بالمعاني التي أراد أن يبلغها في روعنا حينما نجح في المواءمة بين الفاظه وانفعاله ومعانيه ، فلنستمع إليه في الأبيات:

اتلومها في الدهر كيف أصابها ... حد ثانه ، ورمى بها المقدور

والنفس تقتلها الهموم ، فمالها ... بعد الحياة بشاشة وسرورُ

أطلق لدمعك في المصاب عنانه ... إن المجال أمامه لقصيرْ

دعه فإن بلغ المدى وتقطعت ... أسبابه القصوى فانت صبورْ[1]

فنحن نرى الشاعر قد تأرجحت عواطفه ، والتهبت مشاعره، ثم نقلها إلينا في قصيدته نقلاً صادقاً في نغم حزين ، منفعل ، فياض بالمشاعر ، مشاعر الحزن والأسى ، في كل لفظة من الفاظ القصيدة من مثل قوله: (يصدع جمعهم) ، واننا لنلمح آثار هذه الموسيقى الهادرة في كل ما قاله محرم يستنهض به الإسلام والعروبة ، ويدعو إلى الخلاص من براثن الغاصب العادي.

---

[1] ديوان محرم ٣،ص٢٥٥.

ولعلنا لمسنا في قصيدته (نكبة فلسطين والتي يقول فيها:

همـــم الأحـــرار تحمـــي وطنـــا عربيـــاً ســـيم خســـفاً وظلـــم[1]

فقد أكد على العزم والتصميم والثورة الجامحة والاجتياح إلى بيان ، فنحن نرى أن الحالة النفسية للشاعر قد نفي عنها في الموقف السابق وهو بهذا يعطيك نغماً خاصاً يؤلف في مجموعة إيقاعاً شجياً ،يهتزله القلب الغروب.

ب.القوافي :

لقد اختلف العروضيون والنقاد في تحديد القافية ، وذهبوا في ذلك مذاهب شتى ، فبعضهم يعد القافية هي حروف الروي ، كالفراء والكوفيين ، وبعضهم يعد البيت كله قافية ،ومنهم من يعرفها بانها المقاطع الصوتية التي يلزم تكرارها في كل بيت [2].

أما الروي فهو الحرف الذي تبنى عليه القصيدة وتنسب إليه وهو أقل ما يمكن مراعاة تكراره في القصيدة.

ولا يكون الشعر مقفىّ إلا به ..وإذا كان الروي ساكناً سميت القصيدة مقيدة ، وإذا كان متحركاً مطلقة ، وإذا استعرضنا الشعر العربي لوجدنا أن معظم حروف الهجاء قد أتت رويا فيه ، ولكنها اختلفت في نسبة شيوعها ، فمثلاً حروف الذال والزاي والشين والضاد والضاد والطاء والظاء والغين.. قد أتت بنسب قليلة . على حين تجد حروفاً كالباء والدال والراء واللام والميم والنون ، فقد جاءت بشكل كبير.

---

[1] الديوان ٢،ص٧٤٢.

[2] عبد العزيز عتيق ، علم العروض والقافية ، بيروت ، ١٩٦٤، ص١١٧-١١٨.

والحقيقة أن قضية (القافية والروي) قد نالت اهتماماً لا بأس بـه مـن قبـل المحدثين واول من تنبه إليها – هو سليمان في مقدمته لإلياذة هوميروس[1].

والقاف تجود في الشـدة والحـرب ، والـدال في الفخـر والحماسـة ، والمـيم واللام في الوصف والخير ، والباء والراء في الغزل والنسب.

وقد نوع شاعرنا في عدد التفعيلات في بعض القصائد ، كما نـوع في قـوافي وحروف الروي واستخدم الأرجوزة في بعض قصـائده ، كمـا نظـم عـدداً مـن الاناشيد ذات الإيقاعات اللطيفة ، كما في نشـيد المعلـم ، ونشـيد طلبـة مدرسـة الفنون ، ونشيد العمال، ونشيد جامعة القاهرة ، ونشيد دار اليتيم.

ويبدو أن شاعرنا قد اهتم بقافيته اهتماماً ملحوظـاً في عـدد مـن قصـائده ، ذلك أن كمال الموسيقى في القافية يعود إلى الأصوات المكررة ، أو آواخر الأبيات كما يقول إبراهيم أنيس في حديثه عن القافية : (إن الشعراء يلتزمون الـروي في كل الأبيات دائماً ثم يلتزمون معه قدراً من الأصوات يزيد أو ينقص حسـب مـا في القافية من موسيقى ، وعلى قدر عـد الأصـوات المكـررة في أواخـر الأبيـات يكون كمال الموسيقى في القافية[2].

ونلمح في بعض قصائده اختيار لقافية الميم الساكنة ، وفيها من الدلالة على العزم المصمم والثورة الجائحة ما لا يحتاج إلى بيان الأمر فيها أوضح من أن تضع الأيدي على الألفاظ والتراكيب التي تنقل ما تضطرم به نفس الشـاعر مـن ثـورة كما في قصيدة نكبة فلسطين التي يقول فيها:

---

[1] سليمان البستاني ، إلياذة هوميروس ،ص٩٦.

[2] إبراهيم أنيس ، موسيقى الشعر ، مكتبـة الأنجلـو المصـرية ، مطبعـة لجنـة البيـان العربـي ، مصـر ١٩٥٢، ص٢٧٢.

همـــم الأحـــرار تحمـــي وطننـــا عربيـــاً ســـيم خســـفاً وُظلـــمْ
باعـــة ذئـــب لـــذئب غليـــة فهـــو للـــذئبين نهـــبٌ مقتَســـمُ[1]

وقد يتصل حرف الروي بهاء متحركة ، أو بهاء ساكنة ، ومن قصائده في الهاء المتحركة : قوله في قصيدة (شعب الكنانة):

نـادى الشـباب ، فهـب مـن إعفائـه بطـل يهـز الجيـل رَجْـعُ ندائـه
حـيّ علـى مـر الـدهور مـدجج تتسـاقط الاجيـال حـول لوائـه
تفنـى الوقـائع ، وهـو في مـرح الصبى جـذلان مغتـبط بطـول بقائـه
سـيف أضـاء الحـق مـلءَ فرنـده وتـألق الإيمـان مـلء مضـائه[2]

وقوله في قصيدة (النيل ترجمة الحياة):

عيـد تجلّـى الملـك في أعلامـه جـذلان يلقـى الشـعب عنـد مرامـهِ
أدب ا لحيـاة إلى السـعادة قائـد فاخضـع لمقـوده ولـذ بزمامـهِ
ودع الهـوى لـذوي الشـقاوة واجتنـب ديـن الالى عطفـوا علـى أصـنامِهِ[3]

أما الهاء الساكنة في قوله:

يـا قـوم مـاذا تحملـو ن مـن الدعابـة والزرايـةْ
ان تجهلـوا معنـى الحمـا يـة فاسـألوا أهـل الدرايـهْ
كـبرت اذا لم تحسـنوا في مصـر(تمثيـل الروايـهْ)
الله أكـبر أسـتعيذ بـه واسـأله الوقايـهْ
لا تظلمـوا اسـتقلاكم حسـبي أأنـتم والحمايَـهْ؟[4]

---

[1] أحمد محرم ، الأقصى الحزين ، مكتبة الفلاح ، الكويت ،١٩٨٤،ص٢٣.
[2] ديوان محرم ٢، ص٧٣٠-٧٣١.
[3] ديوان محرم ٤،ص٣١٣.
[4] الديوان ٢،ص٥٢٥.

وفي قوله:

متى ينهض الشرق من كبوته ... وحتى متى هو في غفوتِهْ؟
كبا، وكذلك يكبو الجواد ... براكبه وهو في حلبتِهْ
ونام كما نام ذو كربة ... تملكه اليأس في كربتِهْ
وهي عزمة ما يطيق الحراك ... وقد كان كالليث في وثبِهْ[1]

وفي قوله:

(مكسويني) كتبت للناس درساً ... عدة الدهر من كبار عظائِهْ
فيه سر للعالمين عجيب ... تستحي الكيمياء من معجزاتِهْ
يهب الروح كل شعب رميم ... لعب الدهر والبلى برفاتِهْ[2]

وتعرف هاتان الحالتان: (الهاء المحركة بعد حرف الروي والساكنة بالوصل)ويستخدمها محرم كثيراً في شعره، ومحرم يستخدم الهاء الساكنة احياناً في الطويل وهو استخدام حسن كما يقول د. عبد الله المجذوب، لأنها تقوم مقام الإطلاق، وفيها من الفخامة ما ليس في الأخلاق[3].

---

[1] ديوان محرم ١،ص٦٣.

[2] الديوان١،ص٤٠٣.

[3] د.عبدالله المجذوب ، المرشد إلى فهم أشعار العرب وصفاتها جـ١ ، مكتبة مصطفى البيابي الحلبي ، ص٦٦.

رفع
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس
www.moswarat.com

الفصل الثالث

المعجم الشعري

رفع
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس
www.moswarat.com

رفع
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس
www.moswarat.com

المجعم الشعـــري:

الشعر تعبير عن الحياة بخيرها وشرها، وتصوير للنفس الإنسانية بفضائلها ، ورذائلها وقدمها وجمالها ، فلا بد أن ينعكس كل ذلك على ألفاظه التي ليست إلا أدوات يبرز بها الشاعر عواطفه وخواطره ، ولكن اللغة كما يقول (ت.س. اليوت) تعبير دائم تنمو في مفرداتها ،وفي تراكيبها ، وفي نطقها وفي نغمتها الموسقية ، فموسيقى اللفظ لا تنشأ منه هو ، بل تنشأ من علاقته بالألفاظ التي تسبقه والتي تتلوه ، ومن خلال علاقته العامة بسائر السياق[1].

والمفردات اللغوية في الشعر لا تختلف من عصر إلى عصر فحسب ، بل هي كذلك تكاد تختلف من شاعر إلى شاعر من أبناء الجيل الواحد والشاعر المبدع هو الذي يصنع لغته بأن يخلق معجماً شعرياً يناسب تجارب العصر لتصبح الكلمة تجسيداً حياً للوجود[2].

وهذا الاختلاف في نظرنا تميز لا يعود إلى اللغة نفسها كما يمكن أن يفهم في كلمات (اليوت) السابقة بقدر ما يعود إلى الشاعر نفسه،أو الشعراء أنفسهم الذين يعرفون كيف يتعاملون مع هذه اللغة بإحساس أصيل نابع من روح العصر، ومن صميم إيقاعه المتجدد ؛ ذلك ؛ أن لكل عصر همومه ومشكلاته وقضاياه ؛ والإنسان مطالب أن يواجه الحياة بما يلائمها من سلوك ومن خلال هذه المواجهة تترسب قيم العصر وتتبلور مثله[3].

---

[1] د.محمد النويهي ، قضية الشعر الجديد، دار الفكر ، القاهرة (ط٢)،١٩٧١،ص٢٣.

[2] د.عزالدين اسماعيل، الشعر العربي المعاصر، قضاياه وظواهره الفنية والمعنوية، دار الفكر العربي ، ا لقاهرة ١٩٧٨،ص١٨٠.

[3] المرجع نفسه ، ص١٧٥.

والمعجم الشعري كما يتحدث عنه د. عبد القادر القط ، يعرض عناصر الشعر الأولى التي تنشأ بتطور شخصية الشاعر، فمنذ أن بدأ الشعراء يتجهون إلى التجربة الذاتية ، ويهتمون بتصوير المشاعر والانفعالات ، ويلتقون إلى مشاهدة الطبيعة ، ويربطون بينها وبين وجدانهم ، اخذت طائفة كبيرة من الألفاظ المحملة بالدلالات الشعرية والجملية تتردد في عباراتهم وصورهم ممتزجة احياناً بألفاظ تقليدية ، وخالصة أحياناً لطبيعة التجربة الوجدانية ، واللغة الشعرية وسيلة ناجحة للتعبير والخلق، وهي تحتوي كل مكونات العمل الشعري من ألفاظ وصور وخيال وعاطفة وموسيقا، فهي والحالة هذه هيكل التجربة الشعرية بما تنقله وتحمله لدى الشاعر من نزعات وإحساس[1].

وشعر محرم بما يحمله من استعمال واع للغة ، ودقة واضحة في اختيار الكلمة المناسبة للموقف المناسب ، كل هذا يساعد على إشاعة الأجواء التي أراد التعبير عنها بوضوح مناسب ودقة ملائمة.

وكما حاولنا في الفصلين السابقين أن نحدد المرتكزات الأساسية لأسلوب الشاعر وبنائه لقصائده ، فأننا سنلجأ في هذا الفصل إلى إبراز ملامحة الخاصة والمحددة من خلال معجمه الشعري الذي قسمناه إلى ثمانية جداول يمثل كل جدول منها جزءاً خاصاً بدواوين شعره ، وأن نحدد اهتماماته الثقافية والسياسية الدينية والقومية والاجتماعية والذاتية.

---

[1] د.عبدالقادر القط ، الاتجاه الوجداني في الشعر العربي المعاصر، مكتبة الشباب ، القاهرة ١٩٨٦ ص٣٩٧.

الجدول الأول: ديوان السياسيات جـ١

الكلمة	عدد مرات استعمال كلمة في الديوان
أين	٣٠
مصر	٢٦
الله	٢٤
بني مصر	٢٠
رويدك	١٩
رب	١٨
لا	١٨
الله أكبر	١٥
الحرية	١٥
العروبة	١٥
يا قوم	١٥
يا مصر	١٤
الإسلام	١٤
الكنانة	١٢
امة	١٢
بني النيل	١٢
بني الشرق	١٢
يا آل مصر	١٢
أخا الدهر	١٢
بني وطني	١٢
يا أمة النيل	١٠
غياثك يا رب	١٠
سلام	٨
أعوذ	٨
إيه	٨
أين	٦

الجدول الثاني: ديوان السياسيات جـ ٢

الكلمة	عدد مرات استعمال كلمة في الديوان
يا آل عثمان	٢٩
مصر	٢٨
الشرق	٢٦
الله	٢٢
حمى الإسلام	٢٢
حي العروبة	٢٠
الإسلام	٢٠
مسلمون	٢٠
فلسطين	١٨
أين	١٨
الحضارة	١٦
المجد	١٦
الحرية	١٦
الحق	١٥
رويدا	١٤
القرآن	١٣
كنانة الله	١٢
قومية	١١
بلاد النيل	١٠
بلفور	٩
يا شباب النيل	٩
الخلافة	٨
مهلاً	٧
لا	٧
إنا	٧
وطن	٧
هو	٧
إن	٧
قوة	٦

الجدول الثالث:ديوان محرم الجزء الثاني (ديوان عام)

الكلمة	عدد مرات استعمال كلمة في الديوان
الله	٢٤
مصر	٢٠
بني مصر	١٨
يا آل مصر	١٨
الكنانة	١٦
الشباب	١٥
رب	١٥
سلام	١٤
الهوى	١٢
العروبة	١٢
الناس	١٢
الأخلاق	١٠
الحق	٩
المسجد	٩
الدين	٨
اليوم	٧
دعوا	٧
العزائم	٧
النور	٦
الحياة	٦
هلموا	٦
أين	٦
خير	٥
فؤاد	٤

الجدول الرابع: ديون محرم الجزء الثاني (ديوان عام)

الكلمة	عدد مرات استعمال كلمة في الديوان
الله	٣٠
نفس	٣٠
الناس	٢٨
يا رب	٢٦
سبحانه	٢٥
وجود	٢٤
الحق	٢٢
الخير	٢٠
انا	١٨
رويدك	١٦
أحقاً	١٥
الصديق	١٥
الحقيقة	١٥
أني	١٣
الكون	١٣
الدهر	١٢
الحرية	١١
الشعب	١٠
الوطن	١٠
النيل	٩
الدمع	٩
الحياة	٩
المروءة	٩
الفضيلة	٨
تعصف	٧
الضمير	٧
شكوى	٦
أماني	٦
الحضارة	٥

الجدول الخامس:ديون محرم الجزء الرابع

الكلمة	عدد مرات استعمال كلمة في الديوان
الله	٣٠
مصر	٢٨
العروبة	٢٤
المجد	٢٠
القوم	١٨
الشرق	١٦
الدنيا	١٥
الوفاء	١٥
الأخلاق	١٤
القلوب	١٣
الفضل	١٢
السلام	١٢
الدهر	١١
رويدا	١٠
الحرية	١٠
النفس	٩
ديار	٩
العلا	٩
الحادثات	٨
الأذى	٨
كيف	٧

الجدول السادس:ديوان محرم الجزء الخامس

الكلمة	عدد مرات استعمال كل كلمة في الديوان	الكلمة	عدد مرات استعمال كل كلمة في الديوان
النيل	٦٥	الطبيعة	٢١
الله	٣٩	اللحن	٢٠
الهوى	٣٨	الخمائل	١٩
الجمال	٣٣	العواطف	١٩
الحرية	٣١	الشوق	١٨
الأرض	٣٠	الحمى	١٧
الصبا	٢٩	الشذى	١٧
الليل	٢٩	الحنين	١٦
الفؤاد	٢٩	اريج	١٤
الموج	٢٨	النجاح	١٢
الريف	٢٨	الضحى	١١
العاشقين	٢٨	النسيم	١١
الفؤاد	٢٧	الهوى	١٠
شاطئ	٢٧	الزهور	١٠
القلب	٢٦	الطيور	١٠
الحياة	٢٦	القمر	١٠
الشباب	٢٦	السنابل	١٠
زهرة الروض	٢٥	النور	١٠
الأفق	٢٤	المروج	٩
الحزن	٢٣		
النجوم	٢٢		
المساء	٢١		
	٢١		

الجدول السابع: ديوان مجد الإسلام (الإلياذة الإسلامية)

الكلمة	عدد مرات استعمال كل كلمة في الديوان	الكلمة	عدد مرات استعمال كل كلمة في الديوان
الله	١٦٨	لواء	١٢٢
محمد	١٥٦	أعناق	١٢٠
الدعوى الإسلامية	١٤٩	القدسي	١٢٠
الإسلام	١٣٩	الهويني	١١٨
دين الهدى	١٤٧	الليل	١١٧
الرسول	١٣٩	الصلاة	١١٧
التقوى	١٣٧	الدم الجاري	١١٦
الضلال	١٣٥	الرسول	١١٥
الكفر	١٣٥	الدين	١١٥
الشرك	١٣٢	العدل	١١٢
دم	١٣١	الفجر	١١٠
القوم	١٣١	الملة	١٠٩
الحق	١٣٠	مفتر	١٠٠
سيف	١٢٨	البر	٩٦
صلاة	١٢٨	المروءة	٩٠
عقد	١٢٨	الدجى	٨٦
الحسنى	١٢٨	السبيل	٨٠
المشركون	١٢٥	حرية	٧٢
المسلمون	١٢٥	الجهاد	٦٥
العشيرة	١٢٣		
الجاهلية	١٢٢		

الجدول الثامن: ديوان الأقصى (مجموعة شعرية خاصة بفلسطين)

الكلمة	عدد مرات استعمال كل كلمة في الديوان	الكلمة	عدد مرات استعمال كل كلمة في الديوان
فلسطين	٣٠	قوة	١١
المسجد الاقصى	٢٩	الله	١٠
شعوب	٢٧	محمد	٩
الحرية	٢٧	سيوف	٩
الجهاد	٢٧	الوغى	٩
العالم	٢٥		
فؤاد	٢٥		
بلفور	٢٤		
إسرائيل	٢٣		
الحق	٢٢		
رب	٢٠		
البغي	٢٠		
المجد	٢٠		
الشرق	٢٠		
قومي	١٩		
القدس	١٩		
مصرع	١٨		
الشهداء	١٨		
مطامع	١٧		
البلاء	١٥		
البراق	١٥		
الكرام	١٤		
الخطوب	١٣		
النفوس	١٢		
الحرية	١٢		

ملاحظات حول الجدول الأول:

نلاحظ في هذا الجدول انتماءه الإسلامي ووعيه القومي والوطني من خلال تكراره لكلمة الله التي بلغت ٢٤ كلمة ورب وبلغت ثماني عشرة كلمة والله أكبر وبلغت خمس عشرة مرة وغياثك يا رب بلغت عشر كلمات وأعوذ وبلغت ثماني كلمات ، وهو يردد كلمات كمصر وقد بلغت ستاً وعشرين مرة وبني مصر وبلغت عشرين مرة والكنانة وبلغت اثنتي عشرة مرة وبني وطني وبلغت اثنتي عشرة مرة ، ومن استخداماته القومية : كلمة العروبة وقد بلغت خمس عشرة مرة والحرية وقد بلغت خمس عشرة مرة وأمة وبلغت اثنتي عشرة مرة.

وقد أكد لنا المعجم أن محرماً كانت تتغلب عليه روح الإسلام والاعتماد على الله وحبه الشديد لبلاده ، وكذلك فقد كان الشاعر ملتزماً بقضايا أمته العربية المتمثلة بالحرية والاستقلال ، كما أثبت أنه كان ملتزماً التزاماً حقيقياً بالدعوة إلى النهوض بوطنه وأمته ، وهذا الاهتمام يبدو في عمومه هرماً تصاعدياً فيما يتعلق بالقضايا الوطنية والقومية.

ومن خلال متابعة متأنية لعناوين قصائده في الجزء الأول-ديوان "السياسات- "نجد ، أنها جاءت متفقه مع استخدامه لمعجمه الشعري في الجدول الأول حيث كان من بين عناوين هذه القصائد : صوت الوطنية ، الحرب التركية اليونانية ، ركن الخلافة ، شكوى الاحتلال، آمال مصر ، هانوتو والإسلام، في نكبة وطنية ، المرأة وأدب الإسلام ، متى ينهض الشرق؟ من أجل مصر، لواء الوطنية ثمن الحرية ، يا بني الشرق ، إلى مصر ، دنشواي ، حماة النيل، حكم الله ، حادثة دنشواي، عزاء مصر، عصر الجهاد، أغيثوا مصر، كرومر والإسلام ن أين ظل الله ؟ هي الشعوب ، أبطال طرابلس، الحرب في طرابلس ، يتامى الشهداء ،

بشرى الحجيج، شهيدان ، الحماية والاستقلال، ليل الاحتلال ، سياسة الحماية، مصر الحياة ، إيمان المخلصين، حماة الوغى ، الحفاظ الوطني ، الظلم مرتعه وخيم، دعوة الحق، الوحدة العربية ، فظائع الانجليز ، مصر في حرم الله ، الهلال وأمة النيل، المأثرة الوطنية ، حيتك مصر على البعاد، أقول لمصر، الوفد المصري، حرية الشعب، اشهدي يا مصر، قل للكنانة ، مهرجان الله ، عدل الفاروق.

وبما ان اللغة هي الظاهرة الأولى في كل عمل فني، فقد كان استخدم الشاعر لمعجمه الشعري في هذا الجدول مترادفاً مع عناوين قصائده ، الأمر الذي يجعلنا نتاكد من منهج الشاعر في التعامل مع اللغة التي تحمل نبض العصر وتجربة الشاعر الخاصة بكل ما تحمله كلماته من طوابع رمزية تركز فيها شحنتها العاطفية أو الفكرية الشعورية.

ملاحظات حول الجدول الثاني :

يمثل هذا الجدول الكلمات التي ترددت في الجزء الثاني من ديوان "السياسات" الذي صدر في الكويت عام ١٠٨٤ والذي تجول مضامنيه في الإسلام والعروبة والوطنية ، فهو لم يدع مناسبة تمر دون أن يعرض صوراً حية من مجد الإسلام وعظمته ، أما قصائده الوطنية والقومية فقد عبر بها عن الروح الوطنية وثورته العارمة على الظلم والاستبداد والدعوة إلى الحرية والتحرر، وحبه لمصر يفوق كل حب ، فقد ملك عليه كل حواسه واستأثر بعواطفه ، ونجد هذا واضحاً كله من خلال تكراره للكلمات التالية:

يا آل عثمان التي استخدمها تسعاً وعشرين مرة ، مصر وقد استخدمها ثماني وعشرين مرة ، حمى الإسلام وقد استخدمها تسعاً وعشرين مرة ، حي العروبة وقد استخدمها عشرين مرة ، الإسلام استخدمها ثلاث عشرة مرة ، كنانة الله استخدمها اثنتين وعشرين مرة ، بلاد النيل، استخدمها عشر مرات ،

الخلافة ، استخدمها ثماني مرات ، بلفور استخدمها تسع مرات ، وكما كان التطابق بين معجم الشاعر في الجدول الاول وعناوين قصائده فقد لاحظنا وجود تطابق واضح بينهما من خلال العناوين التالية لقصائده في الجزء الثاني من ديوان "السياسات" الله أكبر، وفود النيل، شريعة السيف، عزت دماء المسلمين ، في انتصار تركيا على اليونان ، عهد الله ، لواء الله ، نكبة الخلافة الإسلامية ، النيل.. سيرته ، عز العرين ، صوت النيل ، صوت مصر ، هوى الوطن الجريح ، أحييت سنة مصطفى ، عز الشهيد، شهيد الهوى ، إلينا شباب النيل، بني الإسلام إقداماً، عيد الفداء، العلم المفدى ، أمة الفرقان ، شعب الكنانة ، مأتم الإسلام ، نكبة فلسطين بيت النبوة، مصر الحزينة ، سيري على نور الكتاب ، بني يعرب، يا حارس الإسلام ، سيفنا الله اكبر ، على هدى القرآن ، مصر الأبية ، شهداء الحق، حماة الرافدين ، مصر انهضي ، قضية فلسطين ، يا فلسطين ، علم الجهاد، يا فتح ، يا شباب الله ، يا مولد المختار، ها هنا الأعلام، إلى المجد، شهيد الحق ، فلسطين الشهيدة، سائلوا الأبطال، عودة ظاهرة ، فلسطين في المؤتمر النسائي،الجيش المرابط ، ذكرى غزوة بدر، دار القرآن ، يا معشر الأحرار ، كتاب الله ، الوحدة العربية ، القرآن الكريم ، شباب محمد ، هو يا فلسطين النضال.

والملاحظ في هذا الجدول انه قريب من الجدول الأول فيما يخص القضايا الوطنية والعاطفتين الدينية والقومية.

ومن ثم والحالة هذه تصبح القضايا والمضامين الوطنية والإسلامية والقومية من المعالم البارزة ، وقد دل استخدامه للكلمات التي وردت في الجدول أن روح الشاعر الإسلامية والوطنية والقومية كانت مجالاً لإلهامه ، ومهبطاً لوحيه، هتف بها محرم استجابة لعاطفة ملحة وتعبيراً عن انفعال جاشت له نفسه ، وانطلق بها لسانه ، مما يثبت لنا أن محرما كان شاعراً صادق التجربة ،

عميق العاطفة ، واضح الصورة الشعرية ، وضوحاً ترى فيه ملامح نفسه صافية نقية بعيدة عن الانفعال الذي نلمحه في شعر المناسبات.

ملاحظات حول الجدول الثالث:

نلاحظ في هذا الجدول انه خاص بكلمات تتضمن ما حوى الجزء الثاني " العام " من ديوانه وهو خاص بشعر الاجتماعيات والمراثي، ونظراً لأن الشاعر كان يؤمن بدور الدين الإسلامي في دفع عجلة التقدم والازدهار مما جعل الشاعر يستخدم كلمات مثل: الله التي استخدمها اربعاً وعشرين مرة ، السلام وقد استخدمها خمس عشرة مرة ، ورب ، وقد استخدمها خمس عشرة مرة ، الأخلاق ، وقد استخدمها اثنتي عشرة مرة ، النور، استخدمها سبع مرات، الحق، استخدمها عشر مرات.

وكانت القضايا الوطنية والقومية تؤرق مضاجع الشاعر مما دفعه ان يصور مظاهر الفساد في المجتمع ، والحث على الوحدة ونبذ دواعي الفتنة ، نلاحظ ذلك من خلال استخدام الشاعر الكلمات التالية:

بني مصر، استخدمها ثماني عشرة مرة ، يا آل مصر، استخدمها ثماني عشرة مرة ، فعل الأمر "دعوا" استخدمه سبع مرات ، العزائم ، استخدمها سبع مرات ، الحياة استخدمها ست مرات ، اسم الاستفهام "أين" استخدمه ست مرات ، كلمة "خير" استخدمها خمس مرات، (فؤاد) استخدمها أربع مرات.

أما حول التطابق بين معجم الشاعر وعناوين قصائده في هذا الجزء فقد تطابقت كما لاحظنا في الجدولين السابقين ، فالعناوين التي وضعها لقصائده كانت كالتالي:

الوالدان ، حنو الجاهل، حق الفقير، القوي الجاهل، جناية الصديق، نصح الأمين، الفاقة المستوردة ، توبوا إلى الهدى ، الإكراه في الزواج ، شهيدة العفاف،

عبث الهداة ، اللقيط، إني إلى الله راغب، القانون العادل،رجال الغد، الأمهات ، يا داعي الله ، حقوق الفقراء، إلى الأغنياء، الغني والفقير، جزاء المصلحين، الحقوق الضائعة، داعي المروءة ، يد العلم ، الأمانة ، في افتتاح مدرسة ، شرعة الخير، في بناء مسجد ، دار اليتامى ، حمى الأخلاق ، في بناء مستشفى.

أما قسم المراثي، فقد تتضمن العناوين التالية: رثاء البارودي ، رثاء الإمام محمد عبده ، رثاء حفني ناصر، رثاء يعقوب صروف، رثاء أحمد شوقي، رثاء أحمد زكي ، ذكرى عبد القادر حمزة ، وجميعهم من رجالات العروبة والإسلام ومن زعماء مصر الوطنيين بخاصة.

ونلاحظ أن محرماً في استخدامه معجمه الشعري في هذا الجدول وما هو عليه من التطابق الجلي مع عناوين القصائد الواردة في الجزء الثاني قد استمد ألفاظه من نبعين غزيرين : أولهما نبع الإسلام ، وثانيهما نبع الوطنية وثالثهما من القضايا الاجتماعية التي وجد فيها الاضطراب والظلم مما جعله نحيل هذه المظاهر إلى معان يفيض بها خاطره من خلال ألفاظ تتناسق مع المعنى ومن هنا جاء معجمه الشعري يخضع للعواطف الإنسانية ، وقد جاءت كلماته المستخدمة في معجمه الشعري متناسبة تناسباً تاماً مع الموضوع مما يجعل للقصيدة عالمها الخاص المندغم مع عالم الشاعر وفكره.

ملاحظات حول الجدول الرابع

يمثل هذا خلاصة الكلمات التي ترددت في ديوان الشاعر"الجزء الثالث" الذي قامت بطباعته مكتبة الفلاح في الكويت عام ١٩٨٨ ، وهو يحتوي خواطر وتأملات الشاعر منذ بدأ حياته الأدبية ، ومن هذه الكلمات التي ترددت في هذا الجدول:

الله ، تكررت ثلاثين مرة ، نفس ، تكررت ثلاثين مرة، الناس ، تكررت ثماني وعشرين مرة ، يا رب ، تكررت ستاً وعشرين مرة، سبحانه ، تكررت خمساً وعشرين مرة ، وجميع هذه الكلمات لها اتصال وثيق بعاطفة الشاعر الدينية وإيمانه الذي لا يتزعزع بالله تعالى ، وهو ما لاحظنا في استخدام كلماته في الجداول الثلاثة التي أشرنا إليها آنفاً ،مما يؤكد صدق هذه العاطفة ، ووضوح الفكر الذي ينتمي إليه ، كذلك فقد وردت كلمات مثل: الحق تكررت اثنتين وعشرين مرة ، والخير ، تكررت عشرين مرة ، والحقيقة ، تكررت خمس عشرة مرة ، والحرية ، تكررت احدى عشرة مرة ، الوطن ، تكررت عشرة مرات ، والحياة تشير إلى عاطفة الشاعر الإنسانية ، وقد تكررت كلمة رويدك ست عشرة مرة ، وكلمة أنا تكررت ثماني عشرة مرة ، وإني تكررت ثلاث عشرة مرة ، ولهذا التكرار علاقة بظروف الشاعر النفسية ، وأسلوبه في التأكيد للفكرة وميله العاطفي والسياق النفسي والإيقاعي للقصيدة .

والشاعر في تكراره لكلمة " الحقيقة " خمس عشرة مرة يؤكد على الحيرة ونشدان الصواب وابتغاء الهدى ، وهذا ما يتبدى من خلال قصيدة " الحقيقة في خبائها " التي تقول فيها:

يا غادة من دونها الستْرُ ... ماذا هوى من حسنك الخدرْ؟

أخفاك عن عين المحب ولا ... صبر لديه فينفع الصّبرُ

هل كنت سراً فهو يكتمه ... كالحر يكتم عنده السّرُّ؟[1]

وكما يبدو في قصيدة أخرى فهو يناشد الحقيقة أن تتجلى له لتزول حيرته واضطرابه:

---

[1] ديوان محرم جـ٣ ، مكتبة الفلاح ، الكويت ، ص٤٥.

هـــل كالحقيقـــة مطلـــب لفتـــى؟ أم هـــل لـــه مـــن دونهـــا فخـــرُ؟
لـــولا اقتحـــام البحـــر فائضـــه لبـــث الزمـــان بقاعـــه الـــدرُّ[1]

ويقول في قصيدة "الحقيقة الفاتنة" مستلهماً الحقيقة للخروج من دهليز الحيرة:

رحمـــاك فاتنـــة العقـــول بمعشـــر تلفـوا وجهـد ذوي الهـوى أن يتلفـوا[2]

وهناك اتفاق بين استخدام الشاعر لكلماته واختياره لعناوين قصائده في الجزء الثالث من ديوانه كما نلاحظ في قصائده اصبري يا نفس، الحقيقة في خبائها ، نجوى الضمير، العصمة الكبرى ، والرجاء والخوف، إيمان لا يتزعزع ، الواعظ الجلل، عتاد الصالحين ، الرضى والغضب، الكرامة ، والنفس الكبيرة ، كتاب الله ، الفضيلة ، نفوس العالمين وغيرها.

ملاحظات حول الجدول الخامس :

نلاحظ أن الكلمات التي ترددت في ديوان محرم "الجزء الرابع" الصادرة عن مكتبة الفلاح في الكويت عام ١٩٨٨، وهو يحتوي شعره في الإخوانيات والتهاني والمساجلات ومن هذه الكلمات التي ترددت :

الله ، تكررت ثلاثين مرة ، مصر تكررت ثماني وعشرين مرة ، العروبة تكررت اربعاً وعشرين مرة ، المجد تكررت عشرين مرة ، القوم تكررت ثماني عشرة مرة، العروبة تكررت اربعاً وعشرين مرة ، الشرق تكررت ست عشرة مرة، الدنيا تكررت خمس عشرة مرة ، الوفاء تكررت خمس عشرة مرة ، الأخلاق تكررت أربع عشرة مرة ، والقلوب تكررت ثلاثة عشرة مرة ، الفضل تكررت اثنتي عشرة مرة ، السلام تكررت اثنتي عشرة مرة ، ونلاحظ أن هذه الكلمات لها

---

[1] ديوان محرم ، المرجع السابق ، ص٦.

[2] المرجع السابق، ص١٦٥.

ارتباط وثيق بالشعر الإخواني بما لـه مـن الدلالـة علـى العواطـف والنفـوس ، ولكن فمن الملاحظ أيضاً أن شاعرنا بحكم نشأته الإسلامية وعاطفته الدينية يكثر من استخدام كلمة " الله " وهذا لم يكـن بـدعاً ، ذلـك أن محـرم لم يكـن في شـعره الإخواني يجري على مألوف شعراء عصره في رفع التهاني تقربـاً وزلفـى ، وإنمـا كان يهدف إلى الحفاظ على الخلافة العثمانية ومناصرتها تدعيمها بوصفها مركـزاً للوحدة الإسلامية في وجه الاستعمار الصـليبي حينئـذ ، ومـن هنـا فقـد بـرزت عاطفته الدينية صادقة من خلال استخدام كلمـات مثـل الله ، العروبـة ، المجـد ، الشرق، ، الوفاء ، السلام ، الحرية ، فقد جاء بها ليعبر ، بها عن أفكار مسـتقرة في ذهنه ، ونلاحظ ارتباط الشاعر بقضايا عصره حتى وهو يتحدث عن المشـاعر الإخوانية ، ومن هنا فإن الهدف البعيد للشاعر هو تحقيق الانسجام بين ذاته وبين الحياة ، وهو بذلك يعبر عن الهدف الذي يسعى إليه دائماً وهـو نشـدان الحقيقـة وخدمة الإنسانية.

وكما هو الحال في الجداول السابقة ، نلاحظ أن هناك اتفاقاً بـين اسـتخدام الشاعر لكلماته وبين عناوين قصائده ، فإن من عنـاوين قصـائد محـرم في الجـزء الرابع من ديوانه:الصديق مسعود الحبشي" أسـرفت في العـرف" تحيـة ووصـاة إلى الصديق علي المغازي، أعاجيب الزمان الصديق إبراهيم أبو سيف راضـي، حـق القريض ، ديوان الكاشف، رسالة عزاء إلى الصديق ، مـاذا دهـى الشـرق، فـرح أنطون ، دم للمعالي ، محمود الحبشي، أين الحفـاوة بالأديـب ، شـاعر القطـرين خليل مردم ، جمعت فنون الخير،تحية الأمير عمر طوسون ، زهرة الشرق، في عيد ، سماء من العلياء، الناس بالأعمال، وداع وإكرام ، في ذكرى المتنبي مـن شـاعر إلى شاعر ، في تكريم رئيس الرابطة العربية ، في ذكرى أبـي العـلاء المعـري، مـا

أصدق البشرى في تهنئة الزعيمة هدى شعراوي، حديث الحج ، السلطان عبد الحميد في عيد جلوسه ، في الاحتفال بعيد جلوس السلطان عبد الحميد .

ونلاحظ أن محرماً كانت تغلب عليه القضايا الإسلامية والاجتماعية والقومية والوطنية التي كان يضمنها شعره الإخواني ، كما ضمنها شعره السياسي وشعره التأملي، وفي ظني ان الشاعر قد استخدم مفردات الحياة الواقعية ، النفس ، الدهر ، السلام ، الفضل، الأخلاق، الوفاء، القوم ، العروبة ، مصر ، الله .وبهذا نرى أن كلمات الشاعر المستخدمة كانت قادرة على ترجمة الاحتدام الداخلي مما يجعل الأفكار لديه واضحة ومحققة للأفكار.

ملاحظات حول الجدول السادس :

للطبيعة في شعر محرم منزلة خاصة ، فقد أمضى سنوات طفولته ، وصباه وشبابه في القرية بين مروجها الخضر، وسهولها المنبسطة ، وسمائها الصافية ، وتظهر هذه السمات واضحة في الجزء الخامس من ديوانه الذي احتوى الجدول السادس الكلمات التي اعتمد عليها الشاعر في تكوين معجمه الشعري ، ويلاحظ المتأمل لهذا الجدول أن الشاعر قد اعتمد على الكلمات الرومانسية ، حيث شاعت ألفاظ تدل على الأشواق، والحب والحزن والهوى وأريج الأزهار والعواطف ولحن الطيور وعبق الطبيعة ، وكلها ألفاظ رومانسية ، يظهر ذلك في استخدامه في كلمة النيل وترددت خمساً وستين مرة ، والهوى التي ترددت ثماني وثلاثين مرة ،الجمال وترددت ثلاثاً وثلاثين مرة ، الحرية وترددت إحدى وثلاثين مرة ، الأرض وترددت ثلاثين مرة ، وادي النيل وترددت إحدى وثلاثين مرة ، الصبا ترددت ثلاثين مرة ، الليل ترددت تسعاً وعشرين مرة ، الفؤاد ترددت تسعاً وعشرين مرة ، الموج ترددت سبعاً وعشرين مرة ، شاطيء ترددت ستاً وعشرين مرة ، القلب ترددت ستاً وعشرين مرة ، الحياة ترددت

أربعاً وعشرين مرة ، الأفق ترددت ثلاثاً وعشرين مرة ،الحزن ترددت اثنتين وعشرين مرة ،النجوم ترددت اثنتين وعشرين مرة ، المساء ، ترددت إحدى وعشرين مرة ، الطبيعة ترددت إحدى وعشرين مرة ، اللحن ، ترددت عشرين مرة ، الزهر ترددت عشرين مرة ، الخمائل ترددت تسع عشرة مرة ، العواطف ترددت تسع عشرة مرة ، الشعر ترددت ثماني عشرة مرة ، الشوق ترددت ثماني عشرة مرة ، الحمى ترددت سبع عشرة مرة ، الشذى ترددت سبع عشرة مرة ، الحنين ، ترددت ست عشرة مرة ، أريج ترددت سبع عشرة مرة ، القمر ترددت عشرة مرات ، النور ترددت عشرة مرات ، السنابل ، ترددت عشرة مرات ، المروج ترددت تسع مرات ، وهو يستخدم كلمة الله تسعاً وثلاثين مرة ، ليثبت بأن إيمانه بالله يظلل مشاعره ويحتوي تأملاته وتفكيره فنجده يكررها تسعاً وثلاثين مرة .

أما عناوين قصائده في هذا الديوان فهي على التوالي: نفس شجية ، صريع العشق، استعن بدموعي ، إلى قلبي ، على سوق ، حب ووفاء ، أنشودة الحب ، جنون الهوى ، الحب واليقين ، سكر الهوى ، بريد الشوق، تباريح الهوى، بقية من شوق ،زيدي قتيلك ، ضجيج الهوى ، ردي سهامك ، الهم العاصف، مضى زمان الهوى ، رسائل الحب ، المروءة والعفاف ، قلب شاعر ، حياتي الحب في مذهبه ، ولاية الهوى ، سأصبر للأيام ، ذكرى الهوى ، ملهمة نفسي ، زهرة الروض ، يا ليل ، لقلبي ما يشاء ، الزهرة الباكية في الخميلة ، وغيرها ...

ملاحظات حول الجدول السابع:

اتجه أحمد محرم في بدء حياته الأدبية إلى إيقاظ الشعور الديني في العالم الإسلامي، والتذكير بماضي الإسلام والعروبة مشيداً بمناقب السلف الصالح، وفضائل العهد الأول عهد النهضة الإسلامية الكبرى التي وضع أساسها رسول الله -صلى الله عليه وسلم- ويشتمل الجدول السابع على الكلمات التي ترددت في ديوانه "مجد الإسلام" أو ما يسمى بالإلياذة الإسلامية، وهي نماذج من شعره في هذا الإتجاه دالة على شعوره الروحي الذي أحتل من نفسه المحل الأرفع والمنزلة العليا. ومن هذه الكلمات التي ترددت في هذا الديوان التي يحظى بها الجدول السابع هي:

الله وتكررت مائة وثماني وستين مرة، ومحمد مائة وستاً وخمسين مرة، الدعوة الإسلامية مائة وتسعاً وأربعين مرة، الإسلام مائة وسبعاً واربعين مرة، دين الهدى مائة وتسعاً وثلاثين مرة، الرسول، مائة وتسعاً وثلاثين مرة، التقوى مائة وسبعاً وثلاثين مرة، الضلال، مائة وخمساً وثلاثين مرة، الكفر مائة وخمساً وثلاثين مرة، الشرك مائة واثنين وثلاثين مرة، دم مائة وإحدى وثلاثين مرة، القوم مائة وإحدى وثلاثين مرة، الحق مائة وثلاثين مرة، سيف مائة وثماني وعشرين مرة، صلاة مائة وثماني وعشرين مرة، عهد مائة وثماني وعشرين مرة، الحسنى مائة وثماني وعشرين مرة، المشركون مائة وخمساً وعشرين مرة، العشيرة مائة وثلاثاً وعشرين مرة، الجاهلية مائة واثنتين وعشرين مرة، لواء مائة واثنتين وعشرين مرة، أعناق مائة وعشرين مرة، القدسي مائة وعشرين مرة، الهويني مائة وثماني عشرة مرة، الليل مائة وسبع عشرة مرة، الصلاة مائة وسبع عشرة مرة، الدم الجاري مائة وست عشرة مرة، الرسول مائة وخمس عشرة مرة، الدين مائة وخمس عشرة مرة، العدل مائة واثنتي عشرة مرة،

الفجر مائة وعشر مرات ،الملة مائة وسبع مرات ، مفتر مائة مرة ، البر ستاً وتسعين مرة ، المروءة تسعين مرة ، الدجى وترددت ستاً وثمانين مرة ، السبيل ترددت ثمانين مرة ، حرية ترددت اثنتين وسبعين مرة ، الجهاد وترددت خمساً وستين مرة .

ومن هنا نلاحظ أن تردد هذه الكلمات على هذا النحو الكبير يدل على اهتمام من الشاعر بالدعوة الإسلامية التي تضمنتها الإلياذة الإسلامية للوقوف على أمجاد الإسلام ، وقد سار الشاعر أحمد محرم على نحو متدرج ومناسب للحوادث الإسلامية زمنياً لا يغفل عن صغيرة ولا كبيرة في شعره يعرفها ، إلا وأوردها في ديوانه هذا ، لذا فقد جاءت الكلمات الإسلامية التي استخدمها حافلة بعددها ومرات استخدامها ، ونلاحظ أن عناوين قصائده جاءت متفقة مع استخدامه للكلمات التي ذكرناها آنفاً وهي كالتالي: مطلع النور الأول ، المطعم بني عدي ، في غار حراء ، في دار الأرقم بن أبي الأرقم، في الغار الأكبر –غار ثور– في خيمة أم معبد ،في قباء ، من قباء إلى المدينة ، جفنة أم ز يد بن ثابت ، مسجد المدينة ، أبو بكر يؤدي ثمن الحائط الذي أدخل في المسجد ، بلال يؤذن للصلاة ، المؤاخاة بين المهاجرين والأنصار، اليهود والمنافقون ، غزوة بدر الكبرى، مصرع أبي جهل ، صدى الواقعة في مكة ، سواد بن عزية ، شهداء بدر الكبرى، مصرع أبي جهل ، صدى الواقعة في مكة ، سواد بن عزية ، شهداء بدر، غزوة بني القينقاع ، مقتل حمزة ، الرماة ، زياد بن عمارة ، المؤمنون والمنافقون، غزوة بني النضير، غزوة ذات الرقاع ، غزوة بدر الآخرة ، غزوة دومة الجندل ، غزوة ذات الرقاع ،غزوة بدر الآخرة ، غزوة دومة الجندل ، غزوة بني المصطلق، إسلام الحارث بن ضرار، بركة أم المؤمنين جويرية بين الخزرج والمهاجرين ، عبد الله بن أبي السلول ، قصة أم المؤمنين عائشة ، غزوة الخندق ،

بعد حفر الخندق ، نعيم بن مسعود الأشجعي وجنود الله ، غزوة بني قريظة ، ثابت بن قيس ، سعد بن معاذ في خيمة رفيدة الأسلمية، رفيدة الأسلمية، سعد بن عبادة ، غزوة بني حيان ، غزوة ذي قرد ، غزوة الحديبية ، خزاعة وبنو بكر، أم كلثوم ، أبو نصير وأصحابه غزوة خيبر ،كنز بني النضير ، المخلفون ، عبد الله بن أبي سلول، رجوع المهاجرين من الحبشة ، أم حبيبة ، أهل فدك ، بنو غطفان وسيدهم عيينة بن حصن ، أهل تيماء ، عمرة القضاء ، أم المؤمنين ميمونة بنت الحارث الهلالية، إسلام خالد بن الوليد وعثمان بن أبي طلحة ، الفتح الأعظم – فتح مكة – ، بنو بكر وخزاعه ، وقعة الفتح الأعظم ، العباس بن عبد المطلب ،إسلام هند بنت عتبة ، إسلام عثمان ، أبي قحافة والد أبي بكر الصديق ، كعب بن زهير وأخوه بجير، غزوة حنين ، الأنصار يبكون أم سليم زوج أبي طلحة بن سهل الأنصاري ، قدوم هوازن ورد سبيها عليها ، عجوز عيينة بن حصن ، قسمة الغنائم ، غزوة الطائف، عين أبي سفيان ، سرداقة بن مالك ، غزوة تبوك ، في دار سويلم اليهودي ، الجد بن قيس ، البكاؤون (هم سبعة من الفقهاء جاءوا إلى الرسول يسألونه أن يحملهم إلى تبوك أبو خيثمة ، أو ذر الغفاري ،خالد ابن الوليد والأكيدر ، في العقبة بين تبوك والمدينة ، مسجد الضرار، عام الوفود ، وفد نصارى نجران ، وفد الأشعريين ، وفد ثقيف ، وفد بني حنيفة ، عدي بن حاتم ، ضمام بن ثعلبه ، وفد بني عبد القيس من بلاد هجر بالبحرين ، وفد بني حنيفة ، عدي بن حاتم ، وفد بني زيد ، وفد كندة ، وفد أزد شنوءة ، رسول ملوك حمير وحامل كتابهم ، رسول فروة بن عمرو الجذامي، وفد بني الحارث بن كعب ، رفاعة بن زيد الخزاعي ، وفد همدان ، وفد تجيب ، بقية الوفود، كتب النبي –صلى الله عليه وسلم – إلى ملوك السرايا...

من هنا نلاحظ الارتباط بين ألفاظ محرم التي تكررت في هذا الديوان وبين موضوعات شعره ، من خلل عناوين قصائده ، فقد التزم الصدق التاريخي ، وسار على طريق الحقائق الصحيحة رغم هيامه ببطولة المسلمين ، فهو يستخدم ألفاظاً تدل على الحضارة العربية الإسلامية مثل : العدل ، الملة ، الفجر ، البر ، المروءة ، الحرية ، الجهاد ، الصلاة ، المسلمون ، التقوى ، الإسلام ، الله ، محمد، والشعر في هذا ، ليس ألفاظاً ترصف رصفاً لتؤلف قصيدة في موضوع تقليدي ، بل هي عمل أدبي جدير بالعناية والإهتمام ، لما يتضح من ذات الشاعر ، وذات أمته ، و في ديوانه عرض للمؤمنات في جيش الرسول-صلى الله عليه وسلم- فيه وصف للعفة والخيال السليم يدفع إلى التأمل في عدالة الإسلام والسر في كثرة استخدام محرم لهذه الكثرة من الكلمات في هذا الديوان ، اكثر مما سواها في أجزاء ديوانه الأخرى، أنه أفرد ديوانه هذه الدعوة الإسلامية ، و السيرة النبوية وأحداثها ، والقيم الإسلامية وتنوعها ، وهي في العموم من التاريخ الإسلامي والحضارة الإسلامية ، ومن الملاحظ أن محرماً قد استخدم بعض الألفاظ التي تدل على الحياة ، والكون والإنسان ، وهي ألفاظ لها ارتباط بالدعوة الإسلامية والسيرة النبوية الشريفة ، كالحق ، والحرية ، و المروءة ولا سبيل . وهذا يدل على أن محرماً كان يملك عدة الشاعر المثقف من دراسة للسيرة ومعرفة لمعالم الحضارة [1].

ملاحظات حول الجدول الثامن :

من خلال قراءة متأنية للجدول الثامن والأخير لمعجمه الشعري ، والذي يتضمن موضوعات ديوانه الخاص بالمأساة الفلسطينية تحت عنوان "الأقصى الحزين" الذي احتوى تسع قصائد على الترتيب : نكبة فلسطين ، قضية فلسطين

---

[1] د. محمد بركات أبو علي ، دار البشير ، عمان ، ١٩٨٨، ص١١١.

الشهيد ، سعيد بن العاص، ذكرى وعد بلفور ، شهيد الحق ، القائد محمد(فرحان السعدي)، فلسطين الشهيلة، فلسطين الجريحة ، فلسطين السليبة ، فلسطين المناضلة ، نلاحظ : أن الشاعر قد استخدم ألفاظاً محددة هي: فلسطين كررها ثلاثين مرة ، المسجد الأقصى كررها تسعاً وعشرين مرة ، شعوب كررها سبعاً وعشرين مرة ، العالم كررها خمساً وعشرين مرة ، فؤاد كررها خمساً وعشرين مرة، بلفور كررها أربعاً وعشرين مرة ، الحرية كررها سبعاً وعشرين مرة ، الجهاد كررها سبعاً وعشرين مرة ، العالم كررها ثلاثاً وعشرين مرة ، فؤاد كررها خمساً وعشرين مرة ، بلفور كررها أبعاً وعشرين مرة ، إسرائيل كررها ثلاثاً وعشرين مرة ، الحق كررها اثنتين وعشرين مرة ، رب كررها عشرين مرة ، الشرق كررها عشرين مرة ، قومي كررها تسع عشرة مرة ، القدس سبع عشرة مرة ، مصرع كررها ثماني عشرة مرة ، الشهداء كررها ثماني عشرة مرة ، مطامع كررها سبع عشرة مرة ، البلاء كررها خمس عشرة مرة ، البراق كررها خمس عشرة مرة ، الكرام كررها أربع عشرة مرة ،الخطوب كررها ثلاث عشرة مرة ، النفوس كررها اثنتي عشرة مرة ، قوة كررها إحدى عشرة مرة ، الله كررها عشر مرات ، محمد-صلى الله عليه وسلم- كررها تسع مرات ، سيوف كررها تسع مرات ، الوغى كررها تسع مرات.

ونلاحظ أنه لم يشر إلى الإنجليز بالاسم صراحة وإنما كنى عنهم بألفاظ هي: الظلم ، الظالمون ، قوم ، الدهاقين ، بلفور ، البغي ، البغاة ، مخالب الأسد ، الرقش ، ذئب ، السيل،العدو ، المفسدون ، واستخدم الضمائر التي تشير إليهم مثل : "بدأته بالدم والحديد ، ساسوا الممالك ، لا يهتفوا بالعدل ، باعوك ، كانوا أظلما.

اما اليهود فقد ذكرهم صراحة في المواضع التالية من قصائده في هذا الديوان مثل:

ظلم (اليهود) بنيك حين تحكموا ... وأرى الألى باعوك كانوا أظلما

يا ويحهم فما رأوا من حولهم ... شعباً أعز من اليهود وأكرما؟![1]

وفي قوله:

شعب (اسرائيل) ما بال الألى ... حفظوا العهود وبرّوا بالقسم[2]

ولكن الشاعر يرمز إليهم في كلمات مثل: عبيد العجل، تهويد، ذئب، بنو التيه، العدو، ناهب، شوك الشعوب، واستخدام ضمائر تدل عليهم في مثل قوله: يا ويحهم، يحيي مطامعهم، أفما كفاكم، يريدون ملكاً في فلسطين، يريدون في تهديدها، لهم من فلسطين القبور، قل لحماة الظلم من حلفائهم ومضى يقول مقالة الجهال..

ونلاحظ أن مأساة فلسطين قد هزت فؤاد شاعرنا أحمد محرم هزاً عنيفاً، فقد استولت على مشاعره ولا عجب في ذلك وهو الشاعر الذي نذر قلمه للدفاع عن العروبة والإسلام والتنبيه لمؤامرات الاستعمار والصهيونية التي تهدف إلى القضاء على الإسلام والمسلمين وتحقيق حلم اليهود في إقامة دولتهم من الفرات إلى النيل.

لقد كان الشاعر أحمد محرم يتخير الألفاظ ليظهر أفكاره، وهو في هذا يعي ما للغة من دور هام في النص الأدبي باعتبار أن الألفاظ ترتبط بالوزن والقافية والروي، ومن أجل هذا كان محرم على ما يبدو يعمد إلى تهذيب قصائده

---

[1] احمد محرم، الأقصى الحزين، مكتبة الفلاح، الكويت، ١٩٨٨، ص٤٥.

[2] المرجع السابق، ص٢٥.

وتنقيحها ، بمعنى أنه كان يستبدل لفظه موحية بأخرى لا توحي إيحاءها ، ولا تغني غناها.

وإذا عدنا إلى قصائده لنلقي نظرة على ألفاظه المكونة لها ، نجد أن الشاعر قد أرتكز في معجمه الشعري على الكلمات الأصلية واختار منها الألفاظ المأثورة التي تدل على أن الشاعر لم يكن يريد منها إظهار المقدرة اللغوية ، بل ما يناسب منها أفكاره ويؤدي معانيه بالسهولة واليسر المطلوبين ، مما يسر له سبيل امتياز شعره بالوحدة الموضوعية وعدم مجاوزة الأغراض التي يعالجها فقصيدته التي وضع لها عنوان " الحرب "تكشف بأسلوبها شخصية الشاعر الإنسان والتي يقول فيها:

طغت الدماء وفاضت الأرواح ... وطمت سهول بالردى وبطاحُ
أين الشرائع من شريعة الظالم ... يغني النفوس وما عليه جناحُ
مشت الجنود إلى الجنود وإنما ... مشت المنون حواصداً تجتاحُ
مهج تطير بها الحنوف فترتمي ... عن أنفس يودي بها ويطاحُ
رثت المذابحُ للدماء مراقةً ... ملء البطاحِ وما رثى الذبّاحُ[1]

ففي تأملنا لهذه الألفاظ التي صاغ منها الشاعر هذه الأبيات ، نجد أنه تخير من الألفاظ أبسطها وأرقها وعبر عن مشاعره بكلمات قليلة ، ولكنها سهلة موحية للمعنى المراد ،فجاءت غير متكلفة ولا غريبة.

فلكمات مثل : فاضت ، الأوراح ، طمت ، سهول ، الردى ، أين الشرائع، تغني ، النفوس، مشت الجنود ، مشت المنون، حواصد ، تجتاح، مهج تطير ، رثت المذابح وما رثى الذباح ،وغير ذلك من مما في بقية أبيات القصيدة ، تؤكد أن الشاعر كان يختار وينتقي منها ما يناسب وينسجم مع حالته النفسية ، فمصرح

---

[1] أحمد محرم ، السياسيات ، ج١، ص٢٢٦.

هذه الأرواح ، وهذه الدماء التي تملأ السهول والبطاح ، لم يثر غضبه فحسب ، بل أثار حزنه وأساه أيضاً ،فتحول إلى إنسان يزدري هذه الحضارة المدعاة ، التي تتسلى بعذاب الشعوب ،ولكنه لا يملك رداً على هؤلاء الغادرين بل يتأسى بماضي الأجداد الذين ذهبوا وولوا فيقول في قصيدة أين المسامع والعقول.

لمن الرواسم يرتمين صواديا ... ويجزن بالعذب الروي أوابيا
الطالعات على الصباح حناديساً ... السابرات مع الظلام دراريا
الداميات مناسماً وغواريا ... المدميات جوانحاً ومآقيا
الحائمات مع النسور جوارحا ... العاديات على الأسود ضواريا
مرت يمهتزم الرعود خواطفاً ... تفدي أهاضيب الغمام هواميا
حاولن عند الشعريين مآدبا ... وحملن ملء الخافقين أمانيا[1]

إن من يقرأ هذه القصيدة يجد نفسه أمام شاعر متمكن من اللغة ، فألفاظه متينة ، قوية ، متأصلة في البداوة ، ومن هنا يظهر لنا بوضوح أنه سلك منهج القدماء ، متوخياً التقسيم تارة ، والموسيقى الشعرية تارة أخرى ، ويخيل إليك وانت تقرأ قصائده ، كأنك تقرأ المتنبي في جزالة ألفاظه أو كأنك أمام سلاسة البحتري في انسياب موسيقاه ، فشعر المتنبي فيه حرارة ، وأحمد محرم في شعره حرارة.

ولنستمع إليه في هذه الأبيات من قصيدة "أتخون مصر؟"

صبوا المداد وحطموا الأقلاما ... واطووا الصحائف وانزعوا الأفهاما
وخذوا على الوجدان كل ثنية ... واقضوا الحياة مزملين نياما
غضوا العيون ، وطأطنوا هاماتكم ... وارضوا مقام المستميت مقاما
ودعوا الحفيظة ، واغدروا بعهوده ... شعباً يرى حفظ العهود حراما[2]

---

[1] المرجع السابق، ص١٣٣.

[2] الديوان ، "السياسيات" ج ١، ص١٣١.

هذه الأبيات تعكس قدرة محرم في اختيار ألفاظه بعناية ودقة فائقتين ، كما تدل وبوضوح على ثقة الشاعر بقدرته على اختيار اللفظة المناسبة للمكان المناسب ، دونما خلل بالمعنى أو ضعف في المبنى ، وهذا يؤكد وصول محرم الغاية في جزالة الألفاظ ، وفخامته التعبير ،لم يصل إليها إلا الكبار من الشعراء في العصر الحديث ، كالبارودي وشوقي وحافظ ، غير أن محرماً حوى معجمه الشعري طائفة من الألفاظ القديمة ، وألفاظ القرآن الكريم لتأثره بها كثيراً ، فمحرم قد عكف على دراسة القديم ، كما أنه نشأ نشأة إسلامية صادقة فكان طبيعياً أن نجد لديه هذا التأثر ومن ذلك قوله:

نعوذ بعد لكم أن تسلمونا إلى نار الخصاصة نصطليها[1]

والخصاصة هنا تعني : الفقر وضيق العيش وهي مستوحاة من القرآن الكريم في قوله تعالى : ((ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة))[2] وكذلك "تصطليها" من قوله تعالى :"((يصلي ناراً ذات لهب))[3].

وقوله:

رويدك أيها الجارفينا فبئس الحكم حكم القاسطينا[4]

فكلمة القاسطين تتكرر كثيراً في قوله تعالى : ((واما القاسطون فكانوا لجهنم حطبا))[5].

وفي قوله تعالى ((وأنا منا القاسطون))[6]

---

[1] الديوان "السياسيات" ج١،ص١٢٠.

[2] آية ٩من سورة الحشر.

[3] آية ٤من سورة المسد.

[4] المرجع السابق ، ص١٢٧.

[5] آية ١٥ من سورة الجن.

[6] آية ١٤ من سورة الجن.

وقوله:

رأيـــت خيانـــة الأوطـــان ذنبـــاً فلـــم يكـــن الجـــزاء ســـوى الزّيـــالِ

وأُقســـم لوحكتـــك نســـاء قـــومي لســـنت بيننـــا ســـبل المعـــالي[1]

والزيال في البيت الأول هو الفراق ، وهـذا يـذكرنا بقـول ابـن الدمينـة في قصيدته التي مطلعها :

قفـي يـا أميـم القلـب نقـض لبانـة ونشـك الهـوى ثـم افعلـي مـا بـدا لـكْ

ويقول فيها :

ليهنـك إمسـاكي بكفـي علـى الحشـا ورقـراق عـيني رهبـة مـن زيالِـكْ[2]

ومن خلال استعراضنا لألفاظ محرم نجد بعضها ينتمي إلى بعـض ، فبعضـها ينتمي إلى حب الوطن وبعضها إلى كره المستعمر ، وباسـتطاعتنا أن نضـم ألفـاظ حب الوطن إلى ألفاظ كره المستعمر ، لتقارب دلالتها ، ولتشكلا ثنائيات ضدية ، أو متناقضـة تحـدد وظيفـة الشـاعر ، وطبيعـة المسـتعمر ، والمتمثلـة في الاتصـال والانقطاع، وكذلك نرى ألفاظاً تدل علـى الحـزن وأخـرى علـى المـوت ، وهنـا نستطيع أن نضم ألفاظ المـوت إلى ألفـاظ الحـزن ؛ لمـا تحملـه ألفـاظ المجـالين مـن دلالات الحزن والأسى ؛ ليصبحا معاً مجالاً واحداً هو مجال الحزن .

كما أن ألفاظ اللون تحمل في طياتها معاني الحزن ايضاً مما يسمح لنا بضمها إلى ألفاظ الموت ، لما تحمله من معاني الظلام والسواد ، بسلسلة متصلة الحلقـات من الثنائيات الضدية التي تجسد التصورات الأساسية منهـا الاتصـال والانقطـاع والانفتاح والانغلاق والقرب والبعد.

---

[1] محمد إبراهيم الجيوشي ، أحمد محرم شاعر العروبة والإسلام، ص١٤١.

[2] المرزوقي ، شرح ديوان الحماسة ، ج٣، دار الجيل ٩١، ص١٣٠٨.

كما نجد تعدد وتنوع ألفاظه المعبرة والموحية بالأمل والتفاؤل ، وكذلك الفساد وما يتبعه من ألم أو ظلم ونفعال بالمرارة ، فيطلق العنان للتفكير والإبداع في تفرع هذه الألفاظ .

لهذا ، امتاز شعر محرم بالوحدة الموضوعية وعدم مجاوزة الأغراض التي يعالجها وهو في استخدامه للكلمة يخلق فيها قدرة روحية ، فالشعر طاقة يخلق فيها الشاعر ما يمكن أن يكون إعادة خلق جديد لنتأمل في هذه الأبيات لمحرم:

سلام على الأخلاق في الشرق كله ... إذا ما استبيحت في الخدور الكرائمُ

أقاسم لا تقذف بجيشك تبتغي ... بقومك والإسلام ما الله عالمُ

لنا من بناء الأولين بقية ... تلوذ بها أعراضنا والمحارمُ[1]

فهو يستخدم هذه الألفاظ (الأخلاق، والإسلام ، والله ، أعراض ، ومحارم) معاني دينية ، ويرى أن دعوة قاسم أمين لتحرير المرأة دعوة لاستباحة خدور النساء وهدم أركان الإسلام ، وأخلاق معتنقية ، ويداخل بين الماضي والحاضر فيتحدث عن بناء الأولين في الحفاظ على الأعراض والمحارم واستباحة خدور الكرائم بهذه التجديد والدعوة إلى السفور ، وتحرير المرأة ويرى فيها خروجاً على الفضيلة والأخلاق.

خلاصة القول : إن محرماً ، وكما تبين لنا من خلال دراسة إيحاءات ألفاظه ودلالاتها ضمن موضوعاته التي تضمنتها قصائده من أصفى الشعراء العصر الحديث ديباجة ، وأكثرهم إتقاناً لفنه ، ولغته ، ونرى في استخدامه الألفاظ الدينية أنها جاءت معبرة عن روح الإسلام وسماحته بروح جديدة وإيقاع جميل وحيوية واضحة ، وعاطفة ندية ، ومع ثورته التي تبدو في بعض قصائده القومية و الوطنية ، إلا أن محرماً لا يلبث أن ترق حواشيه ، وتميل عاطفته نحو الهدوء ،

---

[1] محمد إبراهيم ا لجيوشي ، أحمد محرم ، شاعر العروبة والإسلام ، ص٢٠١-٢٠٢.

فترى حالته النفسية قد تغيرت وآلت إلى الاعتدال، ولنتأمل هذه الأبيات التي يخاطب فيها فلسطين ، خطاب المصر على الكفاح ، المسترخص دمه في سبيلها:

لبيك يا وطن الجهاد ومرحباً ... لبيك من داعْ أهاب وثوبا

لبيك إذ بلغ البلاء وإذا أبى ... مجد الزمان وصرفه أن نلعبا

من ذا يرى دمه أعز مكانه ... من أن يخضب من فلسطين الرّبا[1]

ولكنه يتجه إلى فلسطين في نهاية القصيدة ، ويطلب إليها الصبر على الأحداث وإن لم تحصل على الفوز اليوم ، فإن غداً لناظره قريب.

فلسطين صبراً إن للفوز موعداً ... فإلا تفوزي اليوم فانتظري غدا

ضمان على الأقدار نصر مجاهد ... يرى الموت أن يحيا ذليلاً مُعَبّدا

إذا السيف لم يسعفه أسعف نفسه ... ببأس يراه السيف حتفاً مُجَرداً[2]

ونلاحظ أن معجمه الشعري احتوى ألفاظاً دينية ، كما احتوى ألفاظاً تدعو إلى الوحدة الوطنية والوحدة العربية ، ومناصرة القضية الفلسطينية ، وقضايا الحرية ، ومن قصائده الدينية التي يؤكد فيها على توحيد كلمة المسلمين واجتماع شملهم قوله:

هل الدين إلا معقل نهتدي به ... إذا دلف العادي إلينا فأسرعا؟

هل الدين إلا الروح يحيي نفوسنا ... حياة ترينا ما حل العيش ممرعا؟

هل الدين إن يذهب فلا عز بعده ... وإن جد ساعينا على إثر من سعى[3]

فنرى في هذا التكرار للفظة "الدين" وصيغة الاستفهام في البيتين وما اعقبها من تقرير يؤكد على أن ذهاب الدين وزواله لن يبقى عزاً للإسلام أو مجد للعرب ، فلا أمن إلا بالدين ، ولا تتحقق سيادة المسلمين إلا بالبعد عن مواطن

---

(1) محمد ابراهيم الجيوشي ، أحمد محرم ، شاعر العروبة والإسلام ، ص٢٠١.

(2) المرجع السابق ، ص٢٠٢.

(3) الديوان ج ١، ص١١-١١٢.

الغير ، وهذه الأبيات ما هي إلا نموذج لما تنطوي عليه نفس الشاعر من تمسك برسالة سامية نحو الإسلام الذي يقي البشرية وافدا الحياة .

وهو ما يؤكده في قصيدة أخرى :

هو الإسلام ما للناس واقِ ... سواه فأين يذهب من تعامى؟
يذود عن الضعيف فيتقيه ... من الأقوام أنفذهم سهاماً
يلوذ به إذا ما خاف ضيماً ... فينصره ويمنع أن يضاما
كفى بكتابكم يا قوم طباً ... لمن يشكو من الأمم السقاما
كتاب يملأ الدنيا حياة ... وينشر في جوانبها السّلاما[1]

ومحرم في دعوته لوحدة المسلمين ، لا ينسى أن يدعو للوحدة الوطنية في كثير من قصائده وكما أسلفنا ، فقد ترددت ألفاظه التي تلهج بحب مصر وبوحدتها الوطنية والتمسك بحبل الإخاء بين المسلمين والمسيحيين ومن ذلك قوله:

مرحباً بالإخاء في حرم الله ... وأهلاً بقومنا الصالحينا
حي آل المسيح يا بيت واقض ... الحق عن آل (أحمد) أجمعينا
اكتب العهد بيننا واجعل ... الصحف خير الشهود فيهم وفينا[2]

وتكثر في شعر محرم الألفاظ التي تعبر عن الوحدة العربية ، ومجد العروبة وآمال أمة العرب ، ومن شعره في هذا المعنى : يقول محرم عن نفسه في حفل تكريم محمود بسيوني (رئيس الرابطة العربية):

تلك العروبة قد حياك (شاعرها) ... عن كل من قال قول الصدق أو كتبا[3]

---

(1) محمد إبراهيم الجيوشي ، شاعر العروبة والإسلام ، ص١٢٣.

(2) أحمد محرم ، الديوان ، ج٢، ص١١٩-١٢٠.

(3) محمد إبراهيم الجيوشي ، شاعر العروبة والإسلام ،أحمد محرم ، ص١٩٤.

والمجد صرح لا يرفعه إلا فتى عربي:

وإنما المجد صرح ليس يرفعه ... إلا فتى عربياً يرفع الشهبا

إنا أقمناه من أشياخنا علماً ... يقيم للشرق منا دولة عجبا

إنا أقمناه من آمالنا جبلاً ... يعلو الجبال ويمضي يخرق السحبا

تلقى العروبة في أكنافه حرماً ... وتنزل الضاد فيه معقلاً أشبا[1]

فنراه يلح بقوة على نهضة العرب وإعادة مجدهم التليد قوياً شامخاً ،وهذا لن يكون إلا بوحدة العرب ونهوضهم من عثرلتهم.

ونلاحظ أن فلسطين قد ظفرت من شعر محرم بنصيب وافر يزجيه إحساس عميق بجرح العروبة الدامي ، وحمية دافقة على البلد العربي المهدد، وهو لهذا يتابع أحداثه بإحساس واع ويقظة شديدة ، ولا يفوتنا أن نشير أن محرماً مهماً أكثر من القول في فلسطين لا تشعر وأنت تقرؤه أنه كرر نفسه ، أو ضافت عليه مذاهب القول.

ويلاحظ من خلال دراسة المعجم الشعري في جداول محرم ، وفي أبيات الشعر التي أوردناها لتوضيح دلالات الألفاظ لديه ، وما تتسم به هذه الألفاظ من اتصال بمضامين قصائده وما يؤمن به من أفكار ،أن شعره قد خلا من الألفاظ المعجمية الصعبة فجميعها مستمدة من لغة الحياة وأنه على الرغم من رصانة لغته واقترابها من ألفاظ الشعراء المشهورين في العصر الحديث ، أمثال البارودي وحافظ شوقي ، فإن لغة محرم كانت أكثر قربا في شعره الوطني والقومي من وجدان الجماهير ، ومن خصائص لغة محرم ، أنها كانت ذات جرس موسيقي ، يعطي الكلمة مدلولها من خلال التكرار الذي يعتمده لحروف أو كلمات بعينها تساعد على توليد المعنى من خلال ما تحدثه من جرس موسيقي بتواليها وتتابعها...

---

[1] المرجع السابق ، ص١٩٤.

رفع
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس
www.moswarat.com

الفصل الرابع

الصورة الشعرية عند محرم

رفع
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس
www.moswarat.com

رفع
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس
www.moswarat.com

أهمية الصورة الفنية في الشعر:

لا غرو أن يهتم النقد الأدبي الحديث بالصورة الفنية ، وأن يعلي من قيمتها في العمل الشعري . ويجعل الوسائل الفنية الأخرى –وخاصة الموسيقى الشعرية مرتبطة بها ، متعاونة معها على تحقيق التكامل لهذا العمل حتى يكون في مقدور العمل الأدبي تأدية وظائفه الجمالية بشكل فني ناضج[1]

وبهذا فقد أصبحت الصورة داخل القصيدة لها حضورها الخاص بما يضفيه عليها الشاعر من ألوان وخطوط لنقل المشاعر والأحاسيس ، ولكن وبالرغم من هذا المفهوم الحديث للصورة الفنية الشعرية ، فإن الشعر في العصر الحديث لم يهجر الأدوات البلاغية القديمة–من استعارة وتشبيه ومجاز، ذلك أن سمات الشعر القديم ظلت تبدو فيه ، عند هذا الشاعر أو ذلك ، وفي قصيدة أو أخرى ، بصورة ملموسة حيناً أو خفية أحياناً أخرى ؛لأن الشعر العربي لم يمر بدورات متعاقبة من التطور كما حدث في الشعر الأوروبي ، بل ظل كأنه خيط متصل على مر العصور[2].

والصورة الشعرية في العصر الحديث أصبحت دلالات نفسية وإيماءات تعبيرية معتمدة على الأدوات البلاغية القديمة التي ما زالت تعطي الصورة خصوبة وامتلاء[3].ولكن الصورة في التصور الجديد ابنة للخيال الشعري عند الشعراء ، حيث يتألف هذا الخيال من قوى داخلية تفرق العناصر ، وتنشر

---

[1] د. عبدالقادر الرباعي ، الصورة الفنية في شعر ابي تمام ، جامعة اليرموك ، إربد ،الأردن، ١٩٨٠.ص١٤.

[2] د. جابر عصفور ، الصورة الشعرية في التراث النقدي والبلاغي عن العرب ، دارالتنوير للطباعة والنشر ، بيروت ، ط٣، ١٩٨٣، ص٣٠٩.

[3] د. عبد القادر القط ، الاتجاه الوجداني في الشعر العربي المعاصر، مكتبة الشباب ، القاهرة١٩٨٦، ص٤٣٥ومابعدها.

المواد، ثم تعيد ترتيبها وتركيبها لتصبها في قالب خاص حيث تريد خلق فن جديد متحد ومنسجم ، وبذلك تكون القيمة الكبرى للصورة الشعرية في أنها تعمل على تنظيم التجربة الإنسانية للكشف عن المعنى الأعمق للحياة والوجود المتمثل في الخير والجمال من حيث المضمون والمبني بطريقة إيحائية مخصبة من حيث الشكل[1].

وفي حين أن الخيال في الأدب القديم كان يهتم باقتناص الصورة البصرية الحسية في الطبيعة على أساس المحاكاة ، وكانت هذه الصورة الحسية لا تدع الخيال ينعتق من تأثيرها؛ فإن الخيال في الصورة الشعرية الحديثة قد جيء ، به ليعبر عن الدوافع والانفعالات ، وكما تقول (سوزان لاغبر) ليس سوى خلق للصور التي ترمز إلى المشاعر الإنسانية المتلاحمة[2].

من هنا ، فإن الصورة الشعرية مقوّم أساسي من مقومات الشعر ، بل هي التي تمنح الشعر كثيراً من خصائصه ، مثل التركيز والتكثيف ، كما تمنحه أسباب خصوصيته بوصفه نوعاً أدبياً عن سائر الفنون التي تتخذ من الكلمة أداة لها ؛ ذلك أن الشعر هو أقدر هذه الفنون على تفجير طاقات اللغة واستثمار إمكاناتها المختلفة ، والصورة الشعرية بتعبير آخر – هي الشكل الفني الذي تتخذه الألفاظ والعبارات بعد أن ينظمها الشاعر في سياق بياني خاص يعبر عن جانب من جوانب التجربة الشعرية الكاملة في القصيدة مستخدماً اللغة وإمكاناتها الفنية في التعبير ليصبح نهوض الشعر بالاعتماد على الصورة أمراً جوهرياً[3].

---

[1] د. عبد القادر الرباعي الصورة الفنية في شعر أبي تمام (مرجع سابق)ص١٤.

[2] د. عبد القادر الرباعي ، الصورة الفنية في شعر أبي تمام ، مرجع سابق ، ص١٤.

[3] د. عبد القادر القط ، الاتجاه الوجداني في الشعر العربي المعاصر، مرجع سابق ، ص٤٣٥.

ولقد مر أحمد محرم –وهو يصور أفكاره – بعدة مراحل ، وجرب أساليب متنوعة كانت تتغير ، وفي نفس الوقت تتطور حسب ما يطرأ على موقفه من تغيير ، وحسب ما يكتسبه من نضج فكري وشعري ، إذ ما دام الشاعر يفكر بالصورة ، يصبح طبيعيا أن تتغير طبيعة هذه الصورة بتغير المرحلة الفكرية التي يمر بها.

وقد تفنن محرم في رسم صورة قصائده التي استقاها من روافد متعددة فأحياناً كان يستمدها من الصور القديمة ، بحيث تبدو ممعنة في التقليدية ، تعتمد على أدوات الخيال التقليدية –التشبيه والاستعارة والمجاز والكناية –ومن هذه تجربة الشاعر الذاتية في الحب وعلاقته (برفقه) وهي تجربة جاءت في آخر حياته كما أسلفنا – ومن شعره في الحب والغزل.

لم يبق لي من لا أعاتبها ... شيء يقال له صبرٌ ولا جلَدُ

هذا الذي كنت أخشاه فوا أسفى ... أصبحت في الناس فرداً ليس لي أحد

لا تعجبني يا حياة النفس إن ذهبت ... نفسي عليك وذاب القلب والجسدُ[1]

الاستعارات المستخدمة في البيت الثالث تقليدية ، ولم يأت الشاعر فيها بجديد في عرض صورته ، ولكن الصورة الشعرية تقوى إذا ارتبطت بعاطفة الشاعر وشعوره الحاد بالألم حينما تطيش يده عفواً فتصيب وجه الحبيبة بجرح يسيل منه دمها فترناع نفسه ، ويتدفق الدم من قلبه هلعاً فيقول:

روعتني قطرة من دمها ... سال منها في فؤادي جدول[2]

وكذلك نلمح عاطفة الشاعر القلقة وخشيته الحزينة حين أحتجبت عنه، فلم يستطع صبراً على هذه القطيعة ، وبعث يستعطفها ويترضاها ، ويسائل نفسه

---

(1) محمد إبراهيم الجيوشي، شاعر العروبة والإسلام ، أحمد محرم ، مرجع سابق ، ص٩٣.

(2) المرجع السابق ، ص٩٣.

عنها ، من تكون ؟ وكيف خبأها القدر هذا الزمن المديد ، ثم يشكو الناس سؤالهم عنه وعن شعره فيقول:

أنتِ يا من أنت في وادي الغيوب بمكان السرّ من وادي القلوبِ
أوكمثوى الشمس في جوف الغروب أو كنفس في غيابات الخطوبِ
أنتِ من أنت؟ ويالي من أنا؟[1]

فهو هنا يرسم لنا صورة كلية موحية ومؤثرة ، ذات مكونات وإيحاءات رومانسية استمدها من الطبيعة ، وفي البيت صورتان جزئيتان ، فالحبيبة تشبه مثوى الشمس في جوف الغروب أو هي تشبّه النفس في غيابات الخطوب.

وفي البيت الثالث جاءت الصورة تشخيصية توحي بالحيرة وتجسد المعاناة وقد كثر حديث الشاعر في هذه المرحلة من حياته عن الجمال والهوى والحب والزهر والندى ، فنراه يمزج الحديث عن الطبيعة بحديث الهوى وصحبة الحبيبة فيقول على لسانها :

شاعرٌ زارنا يحيي الجمالا ويناجيه ضاحكاً مختالاً
الجمال الذي يرى الله فيه فيرى المجدّ عالياً والجلالا
ويرى الصنعَ عبقرياً بديعاً يخلب اللبّ صورةً ومثالاً[2]

وهكذا امتثل الجمال أمام الشاعر وكأنه غادة بوجهها المشرق فأخذ الشاعر يحييها ويناجيها ويحاورها ويرى فيها كل الفتنة فيصوغ تعبيرات رومانسية مستعملاً عنصر التشخيص للمعنويات ليجسد أفكاره ويرسم صورته.

---

[1] المرجع السابق ، ص٩٣.

[2] أحمد محرم (الديوان ، جـ ٥ ص٢٢).

ويلج الشوق بشاعرنا ، ويذهب إلى خميلة كان يلقاها فيها ، لعله يأنس بها أو يسكن إليها ، فيجد في ذلك راحة القلب، ولكنه لم يجد سوى أشجان الوحدة وآلام الذكرى:

يا زهرة الروض، مالي صرت أنساك؟ وأين ما كان لي من طيب ريّاكِ؟
أين الجمال الذي قد كان يجذبني إليك إن ظفرت عيني برؤياكِ؟
وما لروضك قد زالت نضارته فما ترى العين فيه غير أشواكِ؟
ما للبلابل حيرى في جوانبه تأتي وتذهب من شاك ومن باكِ؟
ما للطبيعة عادت وهي عابسة يا زهر الروض ، هل ريعت لبلواكِ؟
ما للجداول والأنهار ناضبة فما بها قطرة ترجى لسُقياكِ؟
موتي كما مات في دنيا الهوى املي في ذمة الله مثواه ومثواكِ؟[1]

ونلاحظ أن محرماً وهو يصور لنا الطبيعة ذلك التصوير الحسي ، ورغم أنه استخدم صوراً تقليدية واعتمد على عناصر تراثية ، ولكنه يحس بالطبيعة الحية من حوله ، ويبدع في وصفها ، ويشركها معه في عواطفه ، ويكسبها ذواتا حية باستعمال عنصر التشخيص لإبراز ظواهرها على شكل كائنات واعية ، وكأنه يرى فيها سلاماً لقلبه ، وملاذاً له من معاناته وعذابه، إلى زهرة الروض وقد وصفها محرم ذلك الوصف الذي يجردها فيه من كل ما كانت عليه من جمال وطيب رائحة ، فكأنه بهذا يرى فيها حالة وما آل إليه بعد أن خاب أمله وخاب رجاؤه ، فهو لا يستمد عناصره من المنظور فقط ، بل من المتصور والواقع المعاش وهو لا يقلد الطبيعة أو يحاكيها ، وإنما يبثها شكواه ، ويفلسفها حسب الصورة التي يجد فيها نفسه ، ويرى شاعرنا زهرة ذابلة على غصنها ، فيعبر عن أساه وحزنه ، ويقرن حالها بحاله ، فهو فعل الهوى بقلبه ما فعل ، وعانى ما عانى

---

[1] المرجع السابق (أحمد محرم شاعر العروبة والإسلام) ، ص٩٤.

إلا أنه ذاق طعم الهجران ، فأصبح يرى نفسه كمن فقد الحياة ، فراح يقارن بين ما حل به وما حل بهذه الزهرة من ذبول ويباب ، وحزن وعذاب بقوله:

جفت الزهرة حزناً ... فجرى دمعُ الغديرِ
كيف لا يبكي لخطبٍ ... حلّ بالروضِ النضيرِ
هاجه البلبل لما ... ريع للخطبِ الكبيرِ
باتَ محزوناً يوالي ... أنه القلبُ الكسيرِ
والنسيمُ الرطب امسى ... دونه حرُّ الهجيرِ
طلع الفجرُ عليها ... في أنينٍ وزفيرِ
وتولى الشمسَ حزنٌ ... ليس بالنزرِ اليسيرِ
زهرة جفت فماتت ... في صبا الحسنِ المنيرِ[1]

بمثل هذه المعاني يعبر محرم عن حرمانه وعذابه ، فيجد ضالته في هذه الزهرة التي ذبلت ، ويرى في أحزانها أحزانه ، إنه يشقى ويتعذب بعد أن قدر له الحرمان والفارق مع من أحب ، إن جميع مظاهر الطبيعة تصبغ عاطفة الحزن ، نرىذلك ماثلاً في جريان دمع الغدير بل نرى الشاعر يتساءل متعجباً ومنكراً عدم بكاء الغدير بعد أن حل بالروض ما حل من خطب وبلاء . كذلك يبدو هذا الحزن والألم واضحاً لدى البلبل الذي ريع لهذا الخطب فبات محزوناً ،بل إن النسيم الرطب قد أمسى في حالة من الاشتعال والاتقاد لا يدانيه فيها حرّ الهجير، وكذلك طلع عليها في أنين وزفير ، كما أن الشمس قد تولاها حزن ليس بالقليل ..ولهذا ، فإن الشاعر يرثى لحال هذه الزهرة التي ذبلت فماتت وهي في ميعة الصبا وبهجة الحسن ، ومن هنا ، فهو يعبر في هذه الصورة عن معنى كلي بنظرة رومانسية إلى الإنسانية المعذبة التي لا ذنب لها في هذا العذاب.

---

[1] أحمد محرم ، الديوان ج٥، مرجع سابق ، ص ٨.

ونراه في الحرب العالمية الثانية لا يهمه من أمرها إلا أن يرحم نفوس العاشقين وينجيهم ، فحسبهم حرب لها مأتم دائم في كل قلب ، وكلهم ما بين مروع وموجع ، وليست النار هي نار الحرب ، بل هي نار الهوى التي تأكل القلوب ، والقتل ليس في ساحة الحرب ، وإنما هو حرمان حبيب من حبيب وهو يشبه بواسطة المقارنة بين نار ونار ، معتبرا أن الحب أشد وأقسى لظى من نار الحرب التي تحصد النفوس فنراه يكثر من الصور الجزئية وليدة الخيال الطليق لتكون في النهاية صورة كلية لتأجج نار الحرمان ، التي يعبر فيها محرم عن معاناته هو بعد أن اكتوى قلبه بالحب..

لنستمع إليه يقول:

يا ربّ إن قدرتها وحشيةً ... وبعثتها مشبوبةً تضطرمُ
فارحم نفوس العاشقين ونجهم ... منها فأنت بهم أبر وأرحمُ
أو ما كفاهم من تباريح الهوى ... حرب لهم في كل قلب مأتمُ
هذا على قرب الحبيب مروع ... يشكو وهذا موجع يتألمُ
النار نار الحب لا نار الوغى ... لكنّ من جهل الهوى لا يعلمُ
كم من دم يجري بمعترك الهوى ... ما مثله في ساحة الهيجا دمُ
ما القتل عند ذوي المعارف والنهى ... إلا حبيب من حبيب يُحرمُ
يا رب كن لأحبتي ولرفقتي ... فالعيش إن وقع الفراق مُحرّمُ[1]

فانظر كيف فعل الهوى بقلب هذا الشيخ الفاني؟ومن الصور التي يمزج فيها (محرم) المحسوسات بالمعنويات:

عبس الأفقُ الذي كان ابتسم ... وخلا الجو الذي كان ازدحمُ
دولة الحسن التي كانت هنا ... كيف دالت وانطوى فيها العلمُ؟
نظر البحر إليها نظرة ... أغرقته في عباب من ألمْ

---

[1] محمد إبراهيم الجيوشي، أحمد محرم ، شاعر العروبة والإسلام ص٤٤-٤٥.

يرسل الموج هموماً كلما هاجها الذكر ترامت تلتطم[1]

إننا نجد الحركة في مواد الصور سواء أكانت حسية أم معنوية والمتدبر لهذا الصور الحسية المتمثلة في ابتسام الأفق ثم عبوسه ، وازدحام الجو وما أعقبه من خلو ، وصورة الحس البهي التي زالت واندثرت ، والتي هي أبة بدولة دالت وانطوى علمها.

إن المتدبر لهذه الصور الحسية لا يقرأ مظاهرها الخارجية وحسب ، وإنما يقرأ معها انفعال الشاعر ، وإيمانه بأن الخيبة في الحب تشبه هذه المفارقات في مظاهر الطبيعة ، إنها معادلات تسيطر على مشاعر الشاعر بما يتبع اللقاء من هجر وفراق ، ومن حياة إلى عدم وقد أدت هذه المعادلات إلى أن يفتش الشاعر عن مخرج أو معادل فني لهذه الحيرة ، فكان أن وجده في تلاطم الموج الذي يصور فيه جوهر الحب و جوهر ا لفراق ، ونلاحظ أن الأفكار لم تكن خاصة بعلاقة دون أخرى ، وإنما هي عامة تصدق على كل ارتباط عاطفي سلبا كان أم إيجاباً.

وينظر الشاعر في غروب الشمس ، فيرى فيه تعبيراً عن غضبتها لما يسود الأرض من طغيان وفساد ورغم أن هذه الصورة تقليدية إلا أنها تأتي مرتبطة بعاطفة الشاعر ومشاعره الإنسانية:

أيه يا شعرُ تخيل وابتدعْ إن سر الفن في هذا القلمْ
لا تضق بالشمس ذرعا إنها غضبة حرى وغيظ محتدمْ
شيمة الجبار جاشت نفسه فرص الدنيا بعينَيْ منتقمْ
يزمع البطش ويأبى أن يرى غضبةَ الأرضِ وطغيانَ الأمَمْ

ولنتأمل هذه اللوحة ، كيف تناولها أحمد محرم بريشة الفنان المبدع الذي يسيطر عليه الخيال الرومانسي لتصور فتاة ريفية يطلق عليها اسم (أمينة) رمزاً

---

[1] احمد محرم ، الديوان ج٥، ص١٠.

للطيبة والأمانة والعفة والطهر هي صفات تتحلى بها بنات الريف ،والقرية عند محرم أحب إليه من المدينة وحياتها الصاخبة بمجتمعها الفاسد وكأنه يقارن بين خصال هذه الفتاة ومظاهر الطبيعة الوادعة ، وهو يلجأ إلى الدمج بين الطبيعة وفتاة الريف حيث تجمع بينهما معاني الجمال والطهر فيمتزجان كما يمتزج الصبا بالطيب ، يقول محرم في وصف الطبيعة وفتاة الريف:

بكرت تصافح ضاحكَ النوارِ ... بين المروجِ الخُضرِ والأنهارِ
عذراء تستجلي الطبيعةً طفلةً ... بلهاءَ ضاحكةً إلى الأقدارِ
أهدي إليها الحسنَ كلّ فنونه ... إهداء سمحٍ غيرِ ذي استنثارِ
إلى أن يقول: يا أخت مشرقةِ النجوم ملاحةً ... وطهارةً في هيبةٍ ووقارِ
أهلاً بموكبك البهي يحفُّه ... ملأُ المحاسنِ منك والأنوارِ
شرفُ الطبيعةِ في يديك صحيفةٌ ... مزدانةٌ بنفائسِ الأشعارِ
هل تأذنين لذي ضميرٍ طاهرٍ ... فيطوفُ حَوْلَ ضميرك المتواري؟
نور اليقينِ، ونورُ ربّك والتّقى ... فيه ، ونورُ البيتِ ذي الأستارِ
للنفسِ عندك يا أمينةُ حاجةٌ ... تأبى القرارَ بموضعِ الأسرارِ
خلّي لنا رمزَ الحياةِ وبيّني ... ما بَعْدَها من جنةٍ أو نارِ
حبٌّ وآمالٌ يرودُ بها الفتى ... مَسْرى النجومِ ومطلعُ الأقمارِ
للحبّ في كلّ العوالمِ مظهرٌ ... وأجلّه في عالمِ الأزهارِ
فاستنبني الريحانَ عنه ، وفتشي ... عن سرّه جيبَ النسيمِ الساري
ياليت قلبك في يدي ، فيكون لي ... في ظلمةِ الأيامِ خيرَ منارِ
أصفى الهوى وألذّه في خاطرٍ ... ما أخلصته سرائرُ الأبكارِ
مات الهوى بين القصورِ وأقفرت ... منه المدائنُ إنما إقفارِ
الشعر يوحيه الجمالُ ومالُه ... غيرُ الهوى من صاحبٍ إو نار جارِ[1]

---

[1] أحمد محرم ، الديوان ، ج٥، ص٣٤-٣٧.

وهكذا ، يرى شاعرنا في هذه الصورة الريفية عوالم الطبيعة تتوحد مع فتاة الريف وعواطف الشاعر وتتماسك الكائنات ، وتتصل الأرواح موحدة الوجود، وهي بلا شك نظرة رومانسية ولدت هذه الصور الخيالية التي تجمع بين عالم الإنسان والكون .

ومن الخصائص الرومانسية أن يلجأ شاعرنا إلى الطبيعة ينشد السلوان فيها ويبثها آلامه وأحلامه وخوالج نفسه ، فيشاركها مشاركة وجدانية تستجيب له بمناظرها التي تلائم إحساساته وأحواله ، بل إن الشاعر يخلق في كائناتها أرواحاً يناجيها ويبادلها إحساساته وأحواله فيقول في قصيدة عنوانها : "على الشاطيء عند الغروب" :

عبس الأفق الذي كان ابتسمْ ... وخلا الجوُّ الذي كان ازدحمْ
دولةُ الحسِ التي كانت هنا ... كيف دالت وانطوى منها العلمْ
نظر البحرُ إليها نظرةً ... أغرقته في عُبابٍ من ألمْ
يرسلُ الموجَ هموماً كلّما ... هاجها الذكرُ ترامت تلتطمْ
ثورةُ العاشقِ أمسى واحداً ... بعدَ أحبابٍ وشمل ملتئمْ
جئته الشمسُ تهوي فَوْقَهُ ... نصفُها بادٍ ، ونصفٌ مكتتمْ
رفرف الشّعرُ عليها رحمةً ... وترامى ضَرماً فوقَ ضَرَمْ
روَّعَ البحرَ حريقٌ منهما ... نظرَ البرُّ إليه فوجَمْ
عالمٌ يهوي ، ودُنيا تنطوي ... ووجودٌ يتوارى في العدمْ
إيه يا شعرٌ تخيّلْ وابتدعْ ... إنّ سرّ الفنّ في هذا القلَمْ
لا تضِقْ بالشمسِ ذرعاً إنها ... غضبةُ حرّى وغيظٌ محتَدِمْ

ثم يصف غروب الشمس فيقول:

غرقت في اليم ما أدركها ... من بني الدنيا امروٌ سَمْحُ الشّيَمْ
ما رَعَيْنا وهي تهوى مالها ... من حقوقٍ واجباتٍ وذِمَمْ
لو وفينا لاستبقنا أمما ... تفتديها عن عبيدٍ وخَدَمْ

ولَعمـــري لـــو هَلكنـــا دونهَـــا ... مـــا قضَـيْنا حـقَّ هاتيـك الـنِّعَمْ[1]

ونلاحظ أن الشاعر في هذه الأبيات يسقط همومه ويلقي بها على الطبيعة من حوله ، وهو يختار الأجواء التي تستجيب لهمومه ، مطلقاً الأخيلة التي تناسب مع عواطفه ، مستغلاً وقوفه على شاطئ البحر وهو يتأمل منظر غروب الشمس وما سيضفيه هذا المشهد من عواطف ومشاعر وما يستلهمه من أفكار وتداعيات تنعكس على حالته النفسية والعاطفية . فنراه يصف لنا هذا الغروب وكأنه انطواء دنيا ، أو عالم يهوي ، أو وجود يتوارى تدريجياً في العدم . ثم نراه يطالب الشعر بأن يتخيل لهذا المشهد ما يشاء من صور ولوحات ، حيث أن سر الفن في هذا القلم ، إنها صورة بهية للشمس وهي تغيب ولكن الشاعر يحسن تصويرها حينما يشبهها بإنسان يغرق في البحر ولا يجد من يستطيع إنقاذه من بني البشر، ودون أن يستطيع أحد افتداءه أو يجد له سبيلاً للنجاة..

وفي قصيدته (موت الحدائق) يكرر محرم هذه الأخيلة الرومانسية التي يصور فيها الطبيعة فيصف لنا كيف تذوي الزهور على الغصون ،وكيف تبكي البلابل فوقهن وتعول.

إن مجرد النظر إلى هذه الزهور الذاوية يوحي إلى الشاعر بموت الحدائق ، ولكن شاعرنا يحاول أن يربط بين هذه المشهد ومظهر الوجود في الحياة حيث لا بد أن تؤول حياة الإنسان والكائنات الأخرى إلى زوال، كما هي الحال في مظاهر الطبيعة ، فهي إذن مقارنة ينساق فيها مع أخليته للبحث عن سر الحياة والموت يعبر عنها بالموسيقى الحزينة والألفاظ الملائمة للأنغام الحزينة ، وقد منحه تأمله في الكون قدرة على إبداء أفكاره في البحث عن الحقيقة يقدمها موقفاً فكرياً وفلسفياً آمن به وعاشه كفنان..

---

[1] أحمد محرم ، الديوان ج٥، ص١٢٦-١٢٧.

ويقول أحمد محرم:

غضبَ الغَمام فما يزورك ركبُهُ ... وازورّ عنك بجانبيه الجدولُ

وأبى عليك فما يصافِحُك النّدى ... مما يضَنّ على ثراك ويبخَلُ

ما كنت إلا كالأديبِ ، بدائعٌ ... خضراءُ مُمرِعَةٌ وجَدٌّ مُمجِلُ

تذوي الزهورُ على الغصونِ ذوابلاً ... تبكي البلابلُ فوقهنّ وتُعوِلُ

عللتِ نفسكِ بالرجاءِ هنيهةً ... والنفسُ عند رجائها تتعلّلُ

اليومَ يُسلِمُك الرجاءُ إلى الرَّدى ... فيموتُ كلُّ الزهْرِ فيك ويُقتَلُ

موتُ الحدائقِ شرُّ ما بعث الأسى ... وأضرُّ ما تجدُ النفوسُ وتحملُ

ما هال يوماً في الخليفةِ ما تمّ ... إلا وماتمُها أشدُّ وأهولُ

هي معْرِضُ الحسنِ البديعِ تألّفتْ ... أشتاتُه فيها لمن يتأملُ

الأرضُ فرحى، والسماء كريمةٌ ... تَهَبُ الجزيلَ من النوالِ وتَبْذُلُ

آثارُ ربّ بالمحاسنِ مولَعٍ ... لاصنعَ إلا صنعُهُ هو أفضلُ

ما من جمالٍ في العوالمِ كُلّها ... إلا وربُّك ذو الجلالةِ أجملُ

يوحي إلى الشعراءِ سرَّ صفاته ... والشعرُ إنجيلُ ووحيٌ مُنزَلُ[1]

إن هذه الصورة توحي بمعادلات يحاول الشاعر أن يؤكدها من خلال استخدام التشبيهات والاستعارات والكنايات والصور الجزئية وتكثيف الدلالات الرمزية ، فالغمام هنا هو رمز للخذلان ، والجدول والندى هما الحياة المنفتحة التي آلت إلى فناء بعد موت الزهور وذبولها على الأغصان والمعادلات الموضوعية التي يحاول الشاعر أن يبينها من خلال المقارنات العديدة هي النزوع إلى الفناء بعد الحياة ، وعدم بقاء حال على ما هو عليه ، ويكفي أن ننظر من العمق لنرى دقة المقارنة بين الكائنات الإنسانية وأشياء الطبيعة.

---

[1] أحمد محرم ، الديوان ٥، ص١٢٤-١٢٥.

يقول محرم:

عللت نفسك بالرجاء هنيهةً والنفسُ عند رجائها تتعللُ[1]

وفي قصيدة (عيد الربيع) يصور محرم جمال الربيع تصويراً خيالياً دقيقاً ،مع مراعاة الاستدلال بكل مظهر من مظاهر هذا الجمال على ناحية معنوية يجدها تدل على عاطفته ، وهو في هذا اللون يتميز بلون خاص بين الشعراء المعاصرين، وبخاصة من ذلك الجيل الذي عاصره ، يقول محرم:

هتف الداعي ، فلبوا يا رفاقْ واجمعوا شملَ الهوى بعد الفراقْ

مورِدُ العيشِ صفا، والجو راقْ فهو طَلْقُ الساحِ فضيُّ الرُّواقْ

ما لمَنْ يزهد فيه من تلاقْ

عاد في بهجتهِ عيدُ الربيعْ يزدهي في مَعْرِضِ الحسْنِ البديعْ

هل يا أهلَ الهوى عيدْ الجميعْ ليس للهاجرِ فيه من شفيعْ

عيدُكم عيدُ اجتماعٍ وتلاقْ

كان للهجرِ زمانٌ فانطوى وخَلَتْ من شرِّه دنيا الهوى

كم جريحٍ فيه بالشوقِ اكتوى كم حزينٍ فيه بالدمعِ ارتوى

كم مشوقٍ بات مشدودَ الوثاقْ

يا شِفاهَ الزهر ما أبهى الشفاهُ اضحكي بالله يا دنيا الحياهْ

وانظمي شِعْرَ الهوى إني أراهْ سلوةَ الصبِّ المعَنَّى في هواهْ

اسكيبه سلسلاً عذبَ المذاقْ

لكِ من شعري ربيعٌ دائمُ كلُّ بيتٍ فيه عيدٌ باسمُ

كلُّ معنى فيه حبٌّ هائمُ كلُّ حبٍّ فيه معنى حالمُ

كلُّ حُلُمٍ يملأ السبْعَ الطباقْ

---

[1] المرجع السابق ، ص١٢٤.

مرحبـــاً بالعيـــدِ عيـــدِ الشـــعراءْ قـــادةِ الحـــبّ وأبطـــالِ الوفـــاءْ
اعرفـــوهم إنهـــم حـــول اللـــواء صـــفوةُ القتلـــى وخـــيرُ الشـــهداءْ

إعرفوهم واستعدوا للحاقْ

يـــا قلـــوبَ النـــاسِ ، مـــا هـــذا الجمـــودْ؟ أجنـــوبٌ تلـــك مـــنكم أم لحـــودْ؟
أنـــتِ مـــوتي ، وبنـــو الحـــبِّ شـــهودْ لـــيس في الـــدنيا حيـــاةٌ أو وجـــودْ

حيث لا يوجد حبٌ واشتياقْ

لا يحـــبُّ اللهَ مـــن لا يعشـــقُ يشـــهد العقـــلُ ويقضـــي المنطـــقُ
كـــلُّ حســـنٍ أو جمـــالٍ يُخلـــقُ فهـــو منـــه وعليـــه يُطلـــقْ

وإليه في معاليه يُساقْ[1]

والطبيعة في شعر محرم هي التي خبرها جيداً ،الجو بشتائه وربيعه ، وخريفه وصيفه ، والأرض بنباتها وأشجارها ، وهو ينتقل في أماكن وأنحاء مختلفة الطبيعة والمناخ ، كل ذلك يتداخل مع ذات الشاعر ، واهتماماته ، في الانتخاب والتميز والموازنة...

روافد صوره الشعرية :

كان محرم يستمد صوره الشعرية من روافد متعددة ، فأحيانا كان يستمدها من الصورة القديمة ، ومما تناوله الشعراء العرب في عصورهم المختلفة ، ومن أمثلة ذلك قوله في قصيدة (لغة الطبيعة):

يـــا شـــاعراً يصـــف الطبيعـــة هاهنـــا تعيـــا القـــرائحْ والعقـــولُ الـــرُّجَّحُ
مـــا أنـــتَ في لغـــةِ البيـــانِ بمفصـــحِ لغـــةُ الطبيعـــةِ مـــن بيانِـــك أفصـــحُ
لغـــةُ الطبيعـــة أعجـــزت اســـرارها كـــلَّ اللغـــات ، فـــأين منـــك المطمـــحْ؟

---

[1] أحمد محرم ، الديوان ج٥ ، ص٣٤٦-٣٤٧.

أمسكْ عنانَكَ ، لستَ من شعرائها ... بل أنت تهذي ، أو لعلّك تمزحُ

أين المقالُ لمن يحاول وصفَها؟ ... أين المجالُ الرحبَ ؟ أين المَسْرَحُ؟

هي فتنة ، فاعرف لنفسك حقّها ... ودع المجالُ لجاهلٍ يتجَّحُ

تفنى المعاني كلُّها في قطرةٍ ... للطّلل ترضعُ زهرةً تتفتحُ

أسمعتَ شعرَها وأنتَ تراهما ... والروضُ يطربُ والرّبى تترنّحُ

أعرفتَ معنى الشعرِ أو سرَّ الهوى ... فشهدتَ أنك في ضلالكَ تجمَحُ؟

هل كنتِ تحسبُ أن رَقْراقَ الندى ... درر تساقطُ ، أو دموعٌ تُسفَحُ؟

هذا الذي زعم الرفاق ،ولو دروا ... لمضوا على السَّننِ الذي هو أوضحُ

لا تدرك الأيدي اللوامسُ ما طوت ... حجبُ الغيوبِ، ولا العيونُ اللمّحُ

أعلمتَ إذ تصفُ الخمائلَ صادحاً ... ماذا يقول الطيرُ ساعةَ يَصْدحُ؟

أكشفتَ أذيالَ النسيمِ بنظرةٍ ... تبدي الخفيَّ من الأمورِ وتفضحُ؟

أرأيت هل يأسى الغديرُ إذا جرى ... يسقي الحدائقَ ،أم يُسرّ ويفرحُ؟

أيطيب نفساً إن تحول يابساً ... وَرَقا يرقّ بها ، وزهراً يَنفَحُ؟

ويُراع إن أمسى هشيماً يابساً ... يُلقى بِمَدْرَجةِ الرياحِ ويُطرحُ؟[1]

فإن هذه الصورة مأخوذة من البحتري وأبي تمام في قصيدتيهما عن الربيع ، وصورة البحتري موجودة في بيته الذي يقول فيه :

يُفتّحها بردُ النّدى فكأنه ... بيتُ حديثاً كان قبلُ مكّتما[2]

أما صورة أبي تمام فهي في قوله:

من كل زهرةٍ ترقرق بالندى ... فكأنها عينٌ اليك تحدَّرُ[3]

---

[1] أحمد محرم ، ديوان ج٥ ،ص٥٥.

[2] ديوان البحتري ، منشورات دار القاموس الحديث ، بيروت ، ص١٤٨.

[3] ديوان أبي تمام ، مكتبة وشركة الكتاب اللبناني ،بيروت ، ص١٣٨.

وبقليل من الأمل نرى أن أحمد محرم قد جمع بين صورتي أبي تمام والبحتري في بيتيه هذين ، ولكنه في صورته التي رسمها لم ينحدر إلى المحاكاة الجافة ، بل إنه قد أضفى من ذاتيته ما حقق الانسجام بين ذاتيته وعناصر الطبيعة..

قوتي ضعفٌ وضعفي قوةٌ فاخشعي يا نفسُ أو طيري هباءْ
يسقط الصخرُ ويمضي صَعْدا ساقط التّرابِ فيحتلّ السماءْ[1]

فقد اعتمد في البيت الثاني على قول المتنبي:

ولو لم يعلُ إلا ذو محلٍ تعالى الجيشُ وانحطّ القتامُ[2]

كما كان محرم يستمد صوره من المعاني الإسلامية التي ملأت عليه حسه ونفسه وكونها تنثال عليه حينما يتحدث عن الإسلام ، أو الوطنية أو المجتمع ، أمر مألوف منتظر وقوعه ،ولكنها تعدت ذلك إلى قصائده الفنية الأخرى فتراه في قصيدته :" الطبيعة وفتاة الريف التي أشرنا إليها آنفاً بالتحليل والتفسير يقول:

أين القلوبُ المظلماتُ كأنها بين الجنوب صحائفُ الكفارِ[3]

فهذه الصورة وردت إليه من المعاني الدينية التي تحدث عنها القرآن الكريم وأفاض في كثير من الآيات والسور. ويتضح هذا أيضاً في قصيدته " الإذاعة الاثيرية " فهو يستمد من القرآن الكريم بعض الصور التي ارتبطت بالمضامين التي جاءت في هذه القصيدة يقول فيها محرم:

تكاد تكون معجزةً ترينا (السادةَ الرسلا)
(رسولُ العلمِ)أبرزَها فآمن كلُّ من جَهِلا

---

[1] محمد إبراهيم الجيوشي، أحمد محرم شاعر العروبة والإسلام ، ص٢٥١.

[2] ديوان أبي الطيب المتنبي ، دار المعرفة ، بيروت ، ج٤، ص٧٢.

[3] أحمد محرم ، ديون محرم ج٥، مرجع سابق ، ص٣٦.

ومن سوّى الألى ابتدعوا (بما ركوني) فما عدلا
إمامُ لا أرى لهمو وإن برَعوا به قبَلا
تعالى الله الهمَهُ من الإبداع ما فَعَلاَ
أعدّ الآيةَ الكبرى له ، و قضى لها أجَلا
فلما حان موعدُها دعاه ، فجاء ممتثلا
وأطلعها مباركةً يجاوزُ نفعُها الأمَلا
يهزُّ العالمين بها ويطوي الأرضَ مرتجِلا
ويقطع في دقائقها من الأيامِ ما اتّصلا

إلى أن يقول:

يد للعلم أزْلَفَها فنادى الجيلُ حَييهَلا
مواهبُ ربّنا إطّردت تبارك ربُّنا وعلا[1]

ويستمد معانيه الإسلامية في تأملاته الفلسفية لتكون ملاذاً آمناً لمضامينه وأفكاره وصوره فتراه في قصيدته " أنشودة الفن الصريع" لا ينسى أن يضمن صوره هذه المعاني فيقول:

هاتها من فيكَ واشربْ من فمي إن أردتَ الزّي للقلبِ الظّمي
مُغْرَمٌ يشربها من مُغْرَمٍ ضرما يسقي جوىً كالضّرَمِ
هيجَتْ وَجْدي وزدات سقمي وأجدّتْ لي هوىً كاللّمَمِ
حكمةٌ أعملت فيها هِمَمي فتعلمتُ جنونَ الحكَمِ
كلُّ هذا الحسنِ من بعض الجنونْ فقلِ الحقَّ لقومٍ يعقلونْ
جهل الناس مضامين الشؤونْ وتردّوْا في غيابات الظنونْ
ارجفوا بالأدب العالي المصونْ ما الأديبُ الفردْ ممن يدعونْ
بل يقول الله استاذ الفنونْ كل اديباً عبقرياً فيكونْ

---

[1] أحمد محرم ، ديوان محرم ، ج٥، ص١١٢-١١٥.

يتجلـــى اللهُ في الفـــن البـــديعْ والمُقامـــاتُ العلـــى للمســـتطيعْ[1]

ونلاحظ هنا ، أنه استمد مادة صوره من المعاني الإسلامية ، فقد وجد فيها ملاذاً وملجاً لصوره الجزئية تتنم عن مدى ما يصطرع في داخله مـن فكـر حـول الفن مما جعل القصيدة تتسم بمضامين جديدة تعبر عـن الواقـع الفـني كمـا يـراه الشاعر.

وكان محرم يستمد صوره أيضاً من الطبيعة ومظاهرها ، وذلك مثل قوله من قصيدة تحت عنوان(أمة تنهض ثم تهوي) نشرها في مجلة الثقافة المصرية:

والشـــبابُ الغـــضّ في رَيْعانـــه والهـــوى النـــاعمُ في الخفـــضِ العَمِـــمْ
أتلـــهّى بالـــذي نـــوّلني مـــن نـــوالِ كالزمـــانِ الطلْـــقِ جَـــمْ
ينفـــثُ الرونـــقُ في وجـــهِ الضُّـــحى ويمـــجُ النـــورَ في جيـــبِ الظَّلَـــمْ[2]

فهذا النوال الذي ينفث الرونق في وجـه الضـحى ، ويمـج النـور في جيـب الظلم صورة بديعة حقاً انتزعها محرم من الطبيعة ومظاهرها في الضياء والظلمة ، وفوق هذا كان محرم يوشّي صوره بألوان من الرمزية بالإضافة إلى ما انتزعه مـن بساتين الطبيعة ورياضها العابقة بالأزهار والرياحين مـن مثـل قولـه في قصـيدة الشاعر:

باســـلُ الأوطـــارِ مقـــدامُ المنـــى مـــا يبـــالي أيّ صـــعبٍ يقـــتحمْ[3]

فهذه الأوطار الباسلة والمنى المقدام من صورة رمزية طريفة تضـفي إيقاعـاً جميلاً على وحدة الصورة وترابطها وتناسـقها . وكـذلك قولـه في قصـيدة (عيـد الربيع).

مـــوردُ العـــيش صـــفاً ، والجـــوُّ راقْ فهـــو طَلْـــقُ الســـاحِ ، فضّـــيُّ الـــرُّواقْ

---

(1) أحمد محرم ، ديوان محرم ، ج٥، ص٢٩٥-١٩٦.

(2) مجلة الثقافة المصرية ،العدد٦٥ بتاريخ ٢٦مارس (آذار) ١٩٤٠.

(3) المرجع السابق.

ما لِمَنْ يزهد فيه من خَلاقْ

عـــاد في بهجتـــهِ عيـــدُ الربيـــعُ يزدهـــي في مَعْـــرِض الحُـــسِ البـــديعْ

هـــويـــا أهـــل الهـــوى عيـــدُ الجميـــعْ لـــيس للـــهاجرِ فيـــه مـــن شـــفيعْ

عيدُكم عيدُ اجتماعٍ وتلاقْ[1]

فالرواق الفضي والساح الطلق من الرمزية التي نرى لها ظلاً في قصيدة الجندول لعلي محمود طه الذي يقول في قصيدته الخالدة:

أيـــن مـــن عـــينيّ هاتيـــك المجـــالي يـــا عـــروسَ البحـــرِ ، يـــا حُلْـــمَ الخيـــالِ

أيـــن عشـــاقكِ سُـــمّارُ الليـــالي أيـــن مـــن واديـــك يـــا مهـــدَ الجمـــالِ

موكـــبُ الغيـــدِ وعيـــدُ الكَرْنَفـــالِ وســـرى الجنـــدول في عَـــرْضِ القنـــالِ[2]

ومن هنا ، نلاحظ أن كلا من الشاعرين ، محرم وعلي محمود طه ، قد وسع من آفاق صوره ، فنسج منها لغة شعرية ممتدة المعاني والظلال ،عميقة في دلالاتها الرمزية كذلك ، فقد جاءت تعابير الشاعرين ذات جرس موسيقي أنيق، وصور ذات ألوان حالمة ، وظلال جميلة.

ومن الرمزية ايضاً : قول أحمد محرم عن البحر في قصيدته (أدب البحر):

ذابـــت قـــواي وأنـــت وثـــابُ المنـــى مَـــرِحُ المطالـــبِ مـــا تـــذوب قواكـــا[3]

والصورة الرمزية في قوله(وثاب المنى، ومرح المطالب) وهذه صورة له في قصيدة "لست أدري"

أســـألوا الليـــلَ وقولـــوا اللصـــباحِ أيُّ طـــيرٍ كـــان خفـــاقُ الجنـــاحِ؟

ضـــاحكَ الآلامِ بســـامَ الجـــراحِ يتغنـــــى في غُـــــدوّ ورواحِ[4]

---

(1) أحمد محرم ، ديوان محرم ، ج٥، ص٣٤٦.

(2) علي محمود طه ، ديوان علي محمود طه ، دار العودة ، بيروت ، ١٩٧٣، ص٢٢٥.

(3) محمد إبراهيم الجيوشي ،أحمد محرم ، شاعر العروبة والإسلام ، ص٢٥٣.

(4) المرجع السابق ، ص٢٥٤.

فهذه الآلام الضاحكة والجراح البسّامة من الصور الرمزية التي تناثرت في شعر محرم ،ومن عجب أننا رأينا محرماً يعيب على الدكتور أحمد زكي أبو شادي احتفاله بالرمزية والإكثار من تناولها في شعره ، ومما لا شك فيه أن هذه الصور الرمزية التي تناثرت في شعر محرم ، إنما تسربت إليه على ما يبدو من خلال قراءته لما ترجم من الأدب العربي دون وعي منه ، ويؤكد ذلك أن هذه الصور الرمزية لا تكاد توجد في الشعر الذي قاله في النصف الأول من حياته ، وجانب كبير من النصف الثاني منها ، وإنما بدأت الرمزية تغزو شعره في الفترة الأخيرة من حياته حينما انطلق مع شعر الطبيعة والوجدان[1].

ومن الروافد التي كان محرم يستمد منها صوره للمجتمع ، وما يرسمه من مظاهر البؤس والشقاء ، صورة رسمها لامرأة عضها الفقر بنابه ، وكاد يفقدها الجوع عاطفتها الإنسانية العليا – عاطفة الأمومة – حتى لتوشك أن تميل على بنيها ، فيقول:

رأيت البؤسَ يركض في جلودٍ ... يجانبها النعيمُ ويحتويها
رأيت نيوبَ ساغبةٍ تلوّى ... كأمثالِ الأراقمِ ملءَ فيها
تريد طعامَها والبيتُ مُقْوٍ ... فتوشك أن تميلَ على بنيها[2]

ثم نجد له في القصيدة ذاتها صورة لإنسان قد اشتد به العطش حتى لو أن الموت ماء لأقبل يحتسيه:

وصادي النفسِ لو أن المنايا ... جرت ماءً لأقبل يحتسيها[3]

ومن هذا النوع من مظاهر البؤس هذه الصورة في قصيدة (الأذى والقذى)

يا لوعة الهمّ هل للهمّ من أمدٍ ... فقد تطاول حتى ليس لي جَلَدُ

---

[1] المرجع السابق ، ص٢٥٤.

[2] أحمد محرم ، الديوان ج٢، ص٦٢.

[3] المرجع نفسه ، ص ٦٢.

إنـي وجـدت مـن الـدنيا ومـا جمعـت ... مـن الأذى والقـذى مـا لم يجـدْ أحَـدُ[1]

ومن صوره التي تصف حال المحزونين والبائسين قصيدة لـه تحـت عنـوان: (تأوه المحزون) يقول محرم واصفاً حال هذا المحزون البائس:

إن الـــذي يشـــكو الخطـــوبَ لَعـــالِمٌ ... أن الشّـكاةَ تُعيـد منهـا مـا انتهـى
غَفَـــلَ الفـــؤادُ فحرّكَتْـــه روايـــةٌ ... هاجـــت لـــه أحزانـــهُ فتنبّهـــا
اللـــهمُّ بركـــان يهـــيج ضـــرامُهُ ... أن ينفـــثَ المحـــزونُ أو يتأوّهـــا
اصـبِرْ لريـبِ الـدهرِ نفسَـكَ وابتـدِرْ ... بعـوارفِ الصّـبرِ النفـوسَ الولّهـا[2]

وهذه صورة أخرى يصف فيها محرم الغني الحريص على الدنيا بماله الموفور والبخيل على الفقراء فتراه يحذره من نظرة الفقير المحروم فهي كالسهم الحاد المسموم تصيب من هذا الغني مقتلاً فيقول:

أيهـا الموسـرُ الحـريصُ علـى الـدنيا ... المعنّـــى بمـــا لـــه الموفـــورِ
تقـرن الألـفَ في الخـزائنِ بـالألفِ ... وذو العقـــلِ قـــانعٌ باليســـيرِ
لا يغرنّـك في حيـا تـكِ شـيءٌ كـلُّ شـيءٍ ... إلى بلـــــى ودثـــــورِ
لا تخـــافنَّ رميـــةً مـــن كَمـــيٍّ ... إنّمـا السـهمُ نظـرةً مـن فقـيرِ[3]

وقد امتد نظم محرم في تصوير البؤس والشقاء والمعاناة الإنسانية حتى شمل المجتمع الإسلامي كله فاتخذ منه مجالاً لإلهامه ، ومهبطاً لوحيه ، وتـراه يعطينـا صورة للجريح في قصيدة قالها في الحرب الطرابلسية الإيطالية فيقول:

فَـــزِعَ الـــدجى لأنينـــهِ المـــتردّدِ ... وبـــدا الصـــباحُ لـــه يوجـــهِ أربـــدِ
ملقـــى علـــى عـــاري الصـــعيدِ ملحـــب ... في الحـرب يلتحـف النجيـع ويرتـدي

---

[1] أحمد محرم ، ا لديوان ،ج٣، ص١٤٨.

[2] المرجع السابق ،١٧٥.

[3] أحمد محرم ، الديون ج٢، ص٣٦.

نفـذت عليـه الفـيلقين قذيفـةٌ ... مالـت بمنكبـه وطـارت باليـدِ
عكفـت عليـه الطـيرُ تحسـب أنمـا ... طاحـت بـه أيـدي الـرّدى وكـأن قـدِ
باتـت مناسـرُها تمـزق لحمـهُ ... حيـاً وبـات يقـول هـل مـن مُنْجِـدِ؟[1]

وهذا صورة أخرى لنفسية الغني الذي يحرم الفقير المسكين فلا يقدم صدقة ولا يمنح زكاة ويصور حال الفقير وقد أكل الجوع جسمه والغني غير آبه أو مكترث بحاله فيقول:

ربّ ذي عُسـرةٍ يصـومْ بمصـرٍ ... وسـواءٌ صـباحُه والغـروبُ
يعـدَمُ القـوتَ والبطـونُ مِـلاءٌ ... وفُضـولُ الطعـامِ فيهـا ضُـروبُ
غالـهُ معشـرٌ لهـم في المخـازي ... والـدناءاتِ جَيْنَـةٌ وذُهـوبُ
يبتغـي درهمـاً وذو الألـفِ مـنهم ... جَشـعُ الـنفسِ للمزيـدِ طلـوبُ
أكـل الجـوعُ جسـمَه وأخـو المـا ... لِ أكـولٌ لمـا يشـاء شـروبُ
تلـك مـن شـيمةِ الوحـوشِ وقـد يَـرْ ... فُـقُ بالـذيب في الفـلاةِ الـديبُ
أيـن حـقُّ الفقـيرِ فيمـا ملكـتمْ؟ ... أيـنَ منـه نصـيبُه المكتـوبُ؟
إن نسـيتم كتـابكم فـاذكروه ... أو عصـيتمُ إلهكـم فـأنيبوا

إن هذا الذي افتريتم على الله لدين لو تعلمون عجيبُ

إفمـا آن أن يـرد إليـه ... يـا بـني مصـر حقُّـه المسـلوبُ؟
فحيـاةٌ مـآثرُ ومعـالٍ ... وحيـاةٌ مسـاوئ ، وعيـوبُ
ربّ إدرك بمصْـرَ شـعباً شـقيّاً ... علّـم النائبـاتِ كيـف تنـوبُ
يشـتكي الـداءَ وهـو داءُ الليـالي ... ويريـد الطبيـبَ وهـو الطبيـبُ
ركَـدَتْ ريحُـه وإنـي لـراجٍ ... أن يَهُـزّ الشـعوبَ منهـا هبـوبُ[2]

وهذه القصيدة تحتوي قدراً من الصور ذات الحس الاجتماعي المقترنة بين الحسية والتأملية..

---

[1] احمد محرم ، الديوان ج٢، ص٢٠-٢١.

[2] أحمد محرم ، الديوان ج٢، ص ٥٠-٥١.

وهناك رافد لا يقل أهمية عن الروافد التي أشرنا اليها في صوره السابقة ، وهي شعره الوجداني ، وصور أحمد محرم في قصائده الوجدانية تتأثر بعاملين ، أما العامل الأول فهو نشأته الدينية ، وأما العامل الثاني فهو نظرته المتوازنة بين العاطفة والعقل ،وحين نستعرض صور محرم الوجدانية نجد أثر هذين العاملين واضحاً في كثير من صوره الشعرية ، يقول أحمد محرم:

من همومي فيكِ ما جزّعني ... وجعَ المرضى وذلّ البائسينْ..!
رحتُ استشفي فما الفيتُ لي ... من دواءٍ ، غيرَ ترداد الأنينْ..!
آه لولا الحبُّ يا قاتلتي ... عشت في الأحياءِ عيشَ الناعمينْ
إن عندي من أحاديثِ الهوى ... روعةَ الدنيا، وشجوَ العالمينْ
بين عينيّ وما حولهما ... صحُفُ منشورةٌ للقارئينْ
يعطفُ السّطرُ على السّطْرِ كما ... يعطِفُ الباكي على الباكي الحزينْ
يا فتيل الغيدِ لا تُخفِ الهوى ... واحتسب نفسك بينَ الهالكينْ
هاتِ عينيكَ وخضها لُجّةً ... غَرِقت فيها دموعُ العاشقينْ
هي كالكوثر في حُرمتهِ ... موردُ الرُّسلِ ، وحوضُ المتقينْ
رفرفَ (الرّوحُ) عليها ومشى ... في نواحيها (إمامُ المُرسلينْ)
حرم العفة ، أو قدس التقى ... لم تدنسه ذنوب الخاطئينْ
ذابت الأنفسُ فيها وجرتْ ... في عُبابٍ من هُيامٍ وحنينْ
يا كتاب الدهرِ ، حسبي ماوعت ... صفحاتُ الحبّ، من دنيا ودينْ
هي للزهادِ وردٌ سائغٌ ... وهي جدّ بالغ للعالمينْ[1]

فأول أثر للتربية الدينية في هذا النص اتجاهه إلى الطابع العذري العفيف ، وقد يحاول (محرم) في هذا الإطار العذري أن يغلف معانيه بغلاف فلسفي ،

---

[1] أحمد محرم ، ديوان أحمد محرم ، ج٥، ص٣١٠، ٣١١.

ولكنه بطبيعته الصافية الرقيقة لا يتكلف المعنى ، وإنما ياتي به واضحاً ، وعميقا في نفس الوقت.

وهو في النص التالي يوضح أن التوسل باللفظ الحنون اقرب وسيلة إلى قلب المحبوب وربما تجدي دموع العاشق، أكثر مما يجدي ساعداه المفتولان ، وعضلاته البارزة ، وهكذا طبيعة الحياة ، فالصخر يتساقط لثقله إلى الأرض إذا ألقي بينما تتصاعد ذرات التراب الخفيفة إلى السماء : يقول محرم:

قلت أطويه بما في قوتي ... من أعاصير تهدّ الأقوياءْ
فطواني في ثنايا ضعفهِ ... فإذا بي أترامى كيف شاءْ
فتماسكت وعدت القهقري ... فأصبت الطب منه والدواءْ
لان من أحببت فازددنا هوى ... وتمادى الحبُّ فازددنا وفاءُ
سلك الدمع إلى آفاقه ... سبلا كانت من الدمع خَلاءْ
وانثنى يسألني : ماذا أرى؟ ... وهو يُغضي مثلما أغضي حياءْ
أنا يا مولاي مُضناك الذي ... يشتهي القربَ ، ويشتاقُ اللقاءْ
لا أرى الدنيا التي جئت بها ... أم الأرض لمولاي الفداءْ
قوتي ضعف وضعفي قوة ... فاخشعي يا نفس، أو طيري هباءْ
يسقط الصخرُ ويمضي صُعدا ... ساقطَ الترب فيحتلّ السماءْ[1]

ومحرم في مجاله العاطفي يؤثر الصدق مع النفس والفن على تملق الجماهير ، ولذا تراه في هذه الصورة يواجه المتسائلين المتقولين بهذه الصراحة والصدق:

من حاجة المشتاقِ أن يتعللا ... والحبُّ يقلق مؤنساً ومُؤمّلا
يا من يحاول محوآيات الهوى ... امحُ الرواسيَ والكتابَ المنزّلا
كن في السلامة مُسرفاً أو مُجملاً ... كَبر الهوى عن أن يلامَ ويُعذلا[2]

---

[1] مجلة أبولو ، السنة الأولى –عدد أكتوبر تشرين الأول ، سنة ١٩٣٢ وعنوان القصيدة قوة وضعف.

[2] أحمد محرم، الديوان ، ج٥، ص٢٢٢.

وفي تأملنا للبيت ا لأول نلاحظ أن الشاعر قد ربط صورة الحب الرمزية بعاطفته وشعوره الحاد بالتمسك بالهوى ، فهو يتمزج بموضوعه امتزاجاً حقيقياً لا يدع مجالاً للشك في قدرة الشاعر على الارتباط الوثيق بما آمن به واعتقد أنه صواب ، ولكن هذا التأكيد جاء عفوياً ويجعل الصورة الشعرية صورة انفعالية نفسية.

ومن صوره الوجدانية التي لا تخلو من المزج بين العاطفة الوجدانية وفنه في الوصف والتصوير قصيدة تحت عنوان (رسائلنا) جاء فيه :

رسالة روحي إلى روحها ... شعاعٌ من الحبّ يُلقى شُعاعا
لنا لغةٌ غيرُ هذي اللغاتِ ... تضنُّ بأسرارِها أن تذاعا
نبثّ رسائلَ أشواقنا ... فنأتي تباعاً ، وتمضي تباعاً[1]

وقصيدة اخرى تحت عنوان (ملهمة) جاء فيها:

حديثكِ أحلى يا حياتي من ألُمنى ... تجيءُ على يأسٍ من الواحدِ العاني
وفيك معانٍ ليس في الشعرِ مثلُها ... تفيض على روحي وتغمرُ وجداني
بدائعُ فنّ الشعرِ إنْ هي أعوزت ... (فليلاي) توحيها إلى كلّ فنّانِ[2]

ومقطوعة له تحت عنوان (نفسي) تحمل هذين البيتين يعكسان حالته مما جعل الأسلوب القديم في هذه الصورة جديدا، بحيث يمزج في ذلك مزجاً تغيب فيه الحدود وتنكر هذه الثنائيات المتباعدة فقد عاود حرث القديم وغرسه غرساً جديداً:

مغرمٌ حائرُ الهوى والأماني ... دائم الوجدِ في اجتماعٍ وفرقهْ
حملتني العذابَ في الحبِّ نفسٌ ... صاغها اللهُ من حنانٍ ورقهْ

---

[1] المرجع السابق، ص٢٨٨.

[2] المرجع السابق ، ص٢٨٨.

تقوم الصورة الشعرية في شعر محرم بمهمتين ، أو بوظيفتين هما: التأثير والإيحاء.

١. التأثير

ترتبط هذه الوظيفة بطبيعة التعبير ، فهو في صوره الشعرية قد تخلص على نحو كبير من طبيعة الشعر التقريرية الخطابية ، أو لنقل طبيعته التوصيلية ، إذ جعل المهمة الأولى لديه أن يؤثر لا أن يوصل ، وهو في هذا يسلك مسلك الرومانسيين الذين يعتمدون الشعر التعبيري الذي يتكئ على الرمز وعلى تفجير الشعور[1]

وإذا قابلنا بين شوقي ومحرم في قصائدهما العاطفية والوجدانية ، فسنجد عند الأول لغة تقريرية توسلت بالصورة لتوضح المعنى ، بعيدة عن العاطفة ، أما الثاني ، فإن شعره يعتمد أساساً الصورة وسيلة جوهيرة يبني بها عمله ، ويستخدمها رؤية لفكره ، أو وسيلة للتأثير في غيره ،وذلك كقول محرم:

لكِ من معاني الحسنِ ما لا ينتهي ... والحسن عند سواك معنى واحدُ
فإذا نظرتِ فكلّ سالٍ عاشقٌ ... وإذا نطقتِ ، فكلّ خالٍ واحدُ
روح ، صفا منها الشُّعاعَ ، وصوره ... شغف التقيُّ بها وجنّ العابدُ
السحرُ في عينيكِ أصدقُ شاهدٍ ... فعلامَ يُنكرهُ الغبي الجاحدُ؟
والشّعرُ في شفتيكِ وحيٌ ناطقٌ ... لي من فرائده الحسانِ قلائدُ
علمتني الفنَّ البديعِ فذقتُهُ ... وعلمتُ أني العبقريُ الخالدُ
للنفسِ فيكِ خمائلٌ مطلولةٌ ... ومناهلُ معسولةٌ وموارِدُ
لا تذكري قلبي الرقيقَ وحدثي ... كم ذاب بين يديك قلبٌ جامدُ؟
جاهدتُ للحب الوفيّ أصونه ... بدمي المطهرِ والمحبُّ مجاهدُ

---

[1] د. نعيم اليافي تطور الصورة الفنية في الشعر العربي الحديث، منشورات اتحاد الكتاب العرب، دمشق ، ص١٠٢-١٠٣.

وحفظتُ عهدكِ لا أديـنُ بغيره ... والعهدُ يحظفه الكريمُ الماجدُ
أنا رائدُ الشهداءِ في وادي الهوى ... فتبارك الوادي ونعم الرائدُ
لك في الجوانحِ والفؤادِ محلّةٌ ... ما حلّها أحدٌ وربّكِ شاهدُ
بي في الهوى ما بي وأنتِ رحيمةً ... فلئن وجدتك مننتِ فإنني لك حامدُ
نشدتكِ آمالي بكلّ مظنّةٍ ... حتى وجدتك واستراح الناشدُ
وطويت صحراءَ الحياةِ وليس لي ... إلا مثالك سائقٌ أو قائدُ
سبحان ربي ، هل تعبد ناسكٌ ... بسوى الجمالِ ، وهل تورّع زاهدُ؟
لولا جمالُ الله في ملكوته ... ما كان يُعرفُ راكعٌ أو ساجدُ[1]

لنقارن هذه الأبيات مع قول شوقي في شعره العاطفي:

وطر تعلقه الفؤاد وينقضي ... والنفسُ ماضيةٌ مع الأوطارِ
يا قلبُ شأنكَ لا أمدّك في الهوى ... أبدا ولا أدعوك للإقصارِ[2]
جارِ الشبيبةَ وانتفعْ بجوارها ... قبلَ المشيبِ فما له من جارِ
مَثلُ الحياةِ تحب في عهدِ الصّبا ... مثلُ الرياضِ تحبّ في آذارِ[3]

فحبه إذن ، نزوة عابرة أو رغبة طارئة ، وشعره تقليدي خال من العاطفة .

ولكن إذا نظرنا إلى قصيدة محرم السابقة نجد أن الشاعر يطغى عليه الانفعال فيعبر عن حبه تعبيراً صريحاً قوياً ، ويكشف عن صفحة وجدانية صافية صادقة ، بل يرى أنه حفظ العهد وتفانى من أجل ذلك الحب.

ولنتأمل هذا العذاب الذي يلاقيه في سبيل الحب كما تصوره لنا الأبيات :

أعطيت نفسك من هواي نصيبها ... وأخذتُ من أسفٍ عليك نصيبي
لا اشتكيكَ ولا أقولُ ظلمتني ... ظلمُ الحسانِ الغيدِ غيرُ عجيبِ
للحبّ في مُلكِ الحسانِ وزارةٌ ... هي للمُحبّ وزارةُ التعذيبِ

---

[1] أحمد محرم ، الديوان ، ج٥ ص٢٤٧-٢٤٨.

[2] الشوقيات ج٢ ص١٢٥.

[3] المرجع السابق ، ص٥٦ من الجزء الثاني.

قـل للجـريحِ المسـتجيرِ مـن الهـوى أبشـرْ بيـومِ للقصـاصِ قريـبِ[1]

والشاعر في هذه القصيدة يحاول أن يستعطف صاحبته ، بما يعبر به عن فلسفة الحب ومبدأ التوحيد فيه والعذاب في سبيله ، والأبيات واضحة التأير.

٣.الإيحاء

يقابل الإيحاء المباشرة ومن أمثلة استخدام الصورة للإيحاء عند محرم قوله:

أحب بما يروي غليلَ الصدّ في الهوى ولا ترتضي في ودّها شيمةَ البُخْلِ
تجود بما يروي غليلَ جَوانحي وتُكرم نفسي عن طلابٍ وعن سُؤْلِ
وتعرف معنى الحب صفوا من القذى وتأخذ بالإنصاف فيه وبالعدلِ
وتعلم أني لا أملُّ عطاءها وإن جاوزت بي غايةَ الجودِ والبذْلِ
وإني على عهدي مقيمٌ أزيدّها على الدهر حبا كلما وصلت حَبْلي
محبّبةُ الأخلاقِ ليس لمثلِها إذا ذكرَ العشاقُ إلا فتى مثلي[2]

إن أول ما يجب ملاحظته في هذه الأبيات هو طبيعة الشعر التعبيري الذي يبتعد عن تقديم المعنى من خلال الإيحاء ، وبعبارة أخرى نقل الصورة من المنظور المادي الشكلي إلى جوهر الرؤية الانفعالية للحياة.

ونرى في هذه الأبيات نموذجاً صادقاً لفن محرم الذي يبرز فيه عنصر الفكر إلى جانب الجمع بين العاطفة والخيال في إطار واحد، فالعاطفة هي التي دفعت محرماً إلى تمثل حالة محبوبته بأنها لا تعرف الصد في الحب ، ولا تبخل في منح ودها ، ثم يأتي دور الخيال في ربط الإحساس الداخلي للشاعر بالطبيعة الخارجية ، وجذبها إلى ذاته وعرضها في قالب وجداني جميل حتى يتم التعاطف بين حالته النفسية ، يحدث التوازن بين ما يبتغيه من الحب.

---

[1] أحمد محرم ، ديوان محرم ، ج٥، ص٢٤٩.

[2] المرجع السابق ، ص٢٥٠.

فصاحبته تعرف معنى الحب صفواً وخالصاً من الأذى والقذى ، ونعمل على إنصاف الحب الذي بينهما ولكنه يطمح إلى المزيد من هذا الحب ويلعب الخيال دوره في استثارة العاطفة مرة أخرى لدى الشاعر فيعلن أنه مقيم على عهده ،وأنه يبادلها حباً بحب وغراماً بغرام.

ونحن نرى في هذه القصيدة نوعاً من الفن الشعري الإيحائي ومن هنا فإن هذا النوع من الصور الإيحائية يثير لدى المتلقي أجواء متعددة مفعمة بالمثيرات،[1] وهذا هو عينه موطن البراعة وسر الجودة في صور محرم الشعرية الفنية ذات الملامح الرومانسية .

ويبرز في إطار ما تقدم من حديث عن صور محرم الفنية الشعرية ، عدة قضايا بيانية نقدية تؤيد تفوقه الشعري على معاصريه ، وتعلن عن فهمه للخيال في العلاقات بين المفردات والتراكيب في الصور الشعرية، ومن ذلك السهولة التي لا تهبط إلى مستوى المرذول من المعاني والألفاظ والتراكيب ، بل لا يحتاج معها الدار أو الناظر أو المتذوق إلى القول: إنه إعراب ، أو تفاصح[2]أو غموض يقول محرم في فصل من ملحمته (الإلياذة الإسلامية):

يقول أبو سفيان أودى سائلاً ... قتيلاً ، ويأبى الشيخ إلا تماديا

فلما أراد الحق أقبل سائلاً ... فأبدى له الفاروق ما كان خافيا

وقال له : لا يَعْلُ صوتُك إنه ... ليسمعهُ من جاء بالحقّ هادياً

كذلك ظن القومُ إذ طاح مُصعبٌ ... فراحوا سكارى يكثرون الدعاويا

وريعت قلوبٌ المؤمنين فأجفلوا ... يخافون من بعد النبيّ الدواهيا

---

[1] د.نعيم يافي ، تطور الصورة الفنية في الشعر العربي الحديث ، منشورات اتحاد الكتاب العرب ، دمشق ، ص١٠٥.

[2] د. محمد بركات أبو علي ،بحوث ومقالات في البيان والنقد الأدبي ، دارالبشير، عمان ١٩٨٨، ص١٠٩.

وزلـــزل قـــوم آخـــرون فـــأدبروا ... ســـراعاً يجـــرون الظـــبي والعواليـــا
يقولـــون مـــا نبغـــي وهـــذا نبينـــا ... تـــردّى قتـــيلاً؟ ليتـــه كـــان بقايـــا[1]

وتؤول الحقيقة التاريخية لـدى الشـاعر المقتـدر إلى انفعـال صـريح يـؤثر في المتلقي بعد أن أثر في المتفنن ، ومن هذا نقل هذا من غـير جفـاف ،أو عـزوف ، ولكنه الفن الشعري هو الذي يبيح للشاعر أن يعرضها باسم الشـعر، إضـافة إلى أنها حقيقة شعرية.

ومن ذلك مقطوعة بعنوان (البكاؤون)وهم سبعة من الفقهـاء ، جـاءوا إلى النبي -صلى الله عليه وسلم- يسألونه أن يحملهم إلى تبوك ، فقال لهم : لا أجـد ما أحملكم عليه فتولوا ، وأعينهم تفيض من الدمع حزناً...ورق لهم قوم من كبار الصحابة ؛ فحملوهم:

أبـــوا أن يقعـــدوا والجـــيش يزجـــي ... فيوشـــك أن يكـــون لـــه انطـــلاقُ
ولـــيس لهـــم ســـوى القـــرآن يُتلـــى ... فـــلا خيـــلٌ ولا إبـــلٌ تســـاقُ
فـــلاذوا بـــالنبي وناشـــدوه ... ليحملـــهم ، فضـــاق بهـــم وضـــاقوا
تولـــوا تســـتهل علـــى لحـــاهم ... دمـــوعٌ مـــلءَ أعيـــنهم تـــراقُ
أتعـــوزهم لـــدى الزحـــفِ المطايـــا ... ويســـــبقهم إلى اللهِ الرفـــــاقُ؟
فـــرق لهـــم مـــن الغـــازين قـــومٌ ... رمـــوا مـــنهم بخطـــب لا يطـــاقُ
وجـــاءوا بالرواحـــلِ فاســـتراحوا ... مـــن الهـــمّ المـــبرّح واســـتفاقوا
أمـــن يهديـــه أيمـــانٌ وتقـــوى ... كمـــن يرديـــه غـــشٌ أو نفـــاقُ[2]

---

[1] ديوان مجد الإسلام ، ص١٤٥-١٤٦.

[2] المرجع السابق ، ص٣٢٣.

ولنتأمل كيف يصور محرم المعركة التي درات بين خالد بن الوليد والمشركين من بني بكر وبني الحارث بن عبد مناف وهذيل، وكان هؤلاء قد تصدوا لخالد ومنعوه من الدخول حيث امره الرسول(ص) وقاتلوه فما وجد بدأ من قتالهم ، فهزمهم وأجلاهم عن مواقعهم ودخلوا مكة فارين ، وقد قتل من المشركين ما يقرب من ثلاثة عشر رجلاً ، ويصور لنا محرم كل هذه المشاهد تصوير فنان مبدع، فينقل إلينا صوراً من الأمجاد والمفاخر وصور لنا محرم كل هذه المشاهد تصوير فنان مبدع ، فينقل إلينا صوراً من الأمجاد والمفاخر ومن تصويرات الشاعر لهذه الأحداث قوله الذي يصف فيه بعض الأحلاف لا سيما حلف خزاعة مع النبي(ص) ، وحلف بني بكر مع قريش، ثم ما كان من إسلام أبي سفيان وحكيم بن حزام وبديل بن ورقاء ، وهم من أشد الناس حرباً على الإسلام والمسلمين ، ومن أعلى الناس كعباً في أقوامهم:

بني بكر وما يغني الملامُ ... تلظى البأسُ وانتفض الحسامُ
ذمام صادقٌ ودمٌ حرام ... وعزٌ من خزاعةَ لا يُرامُ
يقوم عليه حامٍ لا ينامُ
فتلتم من خزاعةَ بالوتيرِ ... رجالاً ما أتاهم من نذيرِ
لبئس القدر من خلق نكير ... ويا للناس للحدث الكبير
أكان محمد ممن يضامُ؟[1]

ويصور محرم بعض ما وصل إليه الحال من رواج كلام نفر يدعون الشباب واهمين إلى الخير بتصوير المدينة الزائفة لهم تصويراً حسناً، اغراء لهم ، وهؤلاء الدعاة أبعد ما يكونون عن الدين والخلق القويم ،وهم من الفئة التي وصفها الله بقوله: (أتامرون الناس بالبر وتنسون أنفسكم)[2].

---

[1] ديوان مجد الإسلام ، ص٢٧٣ وما بعدها .

[2] آية ٤٤ من سورة البقرة.

أو ممن عناهم الشاعر بقوله:

لا تنه عن خلق وتأتي مثله ... عار عليكَ إذا فعلت عظيمُ[1]

أما أحمد محرم فيصور ذلك بقوله:

أيأمرهم بتقوى الله قومٌ ... وما عرفوا الاله فيتقوهُ

شبابُ العار ما تركوا رجاءَ ... لنا في مصرَ الأخيبَوهُ

فيا أسفى لعهدِ الله فيهم ... وعهدِ محمدٍ إذ ضيعوهْ

عسى أن تذهب الغمراتُ عنها ... فيصلحُ قومنا ما أفسدوهُ[2]

كما يصوره بقوله في قصيدته النونية التي ألقاها في الاحتفال الذي أقيم في جمعية الشبان المسلمين عام ستة وخمسين وثلاثمائة والف من الهجرة بمناسبة الاحتفال بذكرى المولد النبوي الشريف[3].

ذهب العصر الذي شيبنا ... وأتى عصرُ الشبابِ الملحدينْ

عيرونا أن عبدنا ربنا ... وحفظنا عهدَه في الحافظينْ

وأعدوها لنا رجعيةً ... جعلوها سبةً للمؤمنينْ

إن تقل دينٌ يقولوا فتنةٌ ... هاجها في مصرَ بعضُ المفسدينْ

فسد الأمرُ فهل من مصلحٍ؟ ... أصلحوا يا شبابَ المسلمينْ[4]

وهو في الأبيات التالية يصور الشباب ويشبهه بالدرع الحصينة التي تصون أمور البلاد ، والعباد، فيهيب أحمد محرم بأبناء ، الشعب أن يكونوا عند حسن الظن بهم:

---

[1] الشاعر المتوكل الليثي.

[2] د. محمد محمود قاسم نوفل، بطولات الشباب وامجاد الشيوخ ، دار الفرقان ، عمان ١٩٨٣، ص٢٠.

[3] المرجع السابق ، ص٢٠.

[4] المرجع السباق ، ص٢٠.

والشعب إن جمع الصفوفَ مجاهدا ... غلب الصعاب وأدرك الأخطارا

الحقُّ أسطولُ الضعيفِ وجيشُهُ ... إن شن حرباً أو أراد مغارا

كم دولة للظلمِ عاتيةٍ رمى ... نفسُ اللهيب كيانَها فانهارا[1]

وأمجاد الآباء والأجداد ، أمانة في أعناق الأبناء ، فقد شادوا وبنوا فخلفوا لنا تراثاً تحسدنا عليه الأمم الأخرى ،ويلزمنا المحافظة عليه بالنفس والنفيس، وإلا كان مضرب الأمثال بالهوان والتقصير ، وللشباب دور بارز في ذلك كله ، وعليه المعول ، ويصور لنا أحمد محرم ذلك بقوله:

وإنما المجدُ صَرْحٌ ليس يرفعه ... إلا فتى عربياً يرفع الشُّهبا

إنا أقمناه من أسيافنا عَلَما ... يقيم للشرق منا دولة عَجَبا

تلقى العروبةُ في اكنافِه حرماً ... وتنزل الضاد فيه مَعْقِلاً أشِبا[1]

ولا يفوتنا ونحن نتحدث عن صور محرم الإسلامية أن نشير إلى أن محرماً قد كتب في الحرب التركية قصيدة مطولة بلغت مائة بيت صور فيها وقائع الحرب التركية في الأناضول، وقد طبعها في كتب مستقل سنة ١٩٢٣ وسماها "النصر المبين في الأناضول" وقد بدأها بقوله:

ردوا غمراتِها في الواردينا ... وسيروا في الممالك فاتحينا

لكم ما استعمر الأعداءُ منها ... وما استلبت اكفُّ الغاصبينا

وما مُلكُ (الهلال) بمستباحٍ ... وإن غفت القواضبُ عنه حينا[2]

ومضى يستعرض الحرب التركية اليونانية ، ويقف بالمواقع يسجل بطولة الأبطال ، وتهاويل الحروب ويعرض لمؤامرات الدول ومحاولتهم النيل من

---

[1] المرجع السابق، ص٢٤.

[1] المرجع السابق ص٢٥.

[2] محمد إبراهيم الجيوشي، احمد محرم ، شاعر العروبة والإسلام ، ص٢٧٨.

صفوف المحاربين ، واستمالتهم لبعض العملاء ، وغير ذلك من الأحداث التي ثارت حينذاك في هذه المنطقة من العالم ومما قاله في هزائم اليونان:

تولّوا كالرياحِ تهب نكبا ... وطاروا كالنعام مشرَّدينا
تكاد الأرضُ تنكرهم إذا ما ... تولَّوا في الأباطحِ مُدبرينا
تكاد بلادُها ترتاب فيهم ... إذا مروا بهنَّ مدَّمرينا
فذلك بأسُهم والناسُ عجز ... إذا رحم الضعافُ العاجزينا
وتلك سبيلهم لا عيبَ فيها ... وإن زهقت نفوس اللائمينا[1]

ويصور محرم أهوال حرب طرابلس، حين هاجم الجيش الإيطالي طرابلس الغرب في ٦/ ١/ ١٩١١ وانتهت باحتلال ايطاليا لها عام ١٩١٢ فيقول في قصيدة تحت عنوان(اين الجريح في حرب طرابلس):

فزع الدجى لأنينه المتردد ... وبدأ الصباحُ له بوجهٍ أربدِ
ملقى على عادي الصعيدِ ملحبٌّ ... في الحرب يلتحف النجيعَ ويردتي
هاجته يومَ الرّوْعِ حميةُ باسلِ ... خوّاضِ أهوالِ الكريهة أنجدِ
يحمي الحقيقةَ يومَ تلمحُ في الطُّلى ... بيضُ الظُّبى تحت العَجاجِ الأسودِ
شقّ الصفوفَ إلى الحتوف مغامراً ... في الحربِ يوقدها ولما تَخْمدِ
لا يرهبُ الموتَ الوحيّ إذا دنا ... ويخاف قول اللائمين الا ابْعدِ
مَسْتبسلٌ تحت العجاجِ كأنه ... صادٍ تعللُه السيوفُ بمورِدِ
نصبت له الجنات تحت ظلالها ... فهفا إليها كرّةَ المستشهدِ
ودنا فحياه (النبيُّ) وكبرتْ ... (شهداءُ بدرٍ) حول ذلك المشهدِ
نفذت عليه الفيلقين قذيفةٌ ... مالت بمَنكبه وطارت باليدِ
فهوى يهزُّ العرشَ رجعُ أنينهِ ... ويشير من حَردِ (المسيح وأحمدِ)[2]

---

[1] المرجع السابق ، ص٢٧٨.

[2] أحمد محرم ، الديوان ، ج ١ ، ص١٨٢-١٨٣.

إن دواوين محرم تزخر بمثل هذه الصور الحية ، نلمح فيها تصوير معارك الإسلام مع خصومه وفضلاً عن غنى هذه الصورة وثرائها ، فإنها تعكس تشبيهات الشاعر الحسية التي لا تلبث بعد ذلك – لتصطبغ بالصبغة المعنوية وتمثل خصوصية التجربة وتفردها، فهي تعبر عن براعة الشاعر في الجمع بين الخيال المواكب للفكرة والإحساس بما يتواءم مع التعبير والحالة التي يشعر بها ، وبعبارة أخرى فإنه يطوع الواقع ليصبح فنا ، بنفس القدر الذي فيه الفن ليصبح واقعاً ، وعلى هذا النحو يتبين لنا كيف استطاع الشاعر أن يوظف الصورة لتكشف عن رؤية الحياة والكون في جميع روافده التي رفد بها صوره والتي سبق لنا الإشارة إليها في هذا الفصل.

إن أهمية الصورة في شعر محرم تكمن في تكثيفها للدلالات ونشرها مجالاً رحباً للخيال ، والمتدبر لصورة محرم لايقرأ أفكار محرم فقط . وإنما انفعاله ايضاً ، إنه يؤمن بأن الاثنين جسم واحد لا يحتمل أن يتفرق أجزاؤه . ولنقف مع محرم في إحدى قصائده التي أنشدها في ذكرى مصطفى كامل سنة ١٩٢٦ إنه يتوجه إليه فيها يشكو له ضيعة النيل بعدما يئس من العثور على طبيب يشفي داءه حتى هوى الوطن جريحاً على أيدي أساته الذين ضلوا الطريق فيقول في تصوير هذه الحالة:

طبيب النيلِ ، هل للنيلِ شافٍ؟ وهل للداءِ بعدك من طبيبِ؟
ألم تركيف أخطأ كلُّ آسٍ ومن لك بالنطاسيِّ المُذيبِ
هوى الوطنُ الجريحُ وكنت قِدما تضُمُّ جوانبَ الجُرحِ الرغيبِ
على الدُّنيا العفاءُ إذا تولَى أطباءُ المالكِ و الشُّعوبِ[1]

---

[1] أحمد محرم ، الديوان ج١، ص٦٥٣.

وهذا الزلزال الذي يلم بجوانب مصر انما من خفقان قلبه ، وما لهيب الرياح بها إلا من حرارة وجده الذي اذاب فؤاده ، كأن حبه لمصر مازال يعتلج به فؤاده رغم ثوائه في قبره:

إذا ما مصرُ زُلزل جانباها ... فمن خفقانِ قلبكِ والوجيبِ
وإن جرتِ الرياحُ بها لهيبا ... فتلكَ حرارةُ الوَجْدِ المُذيبِ
كفاكَ ، أما تزالُ أخا همومٍ ... كعهدِك قبل عاديةِ المغيبِ؟
حملتَ جَوى المشوقِ ، وأنتَ ثاوٍ ... بوادي الموت للوادي الخصيبِ
مضى الشهداءُ ليس لهم نقيبٌ ... فكنْتَ لهم بمنزلةِ النقيبِ[1]

ومن هنا ، كان امتلاك الشاعر لأدواته ، وتطور الصورة لديه ما بدأ معه محرم مستقلاً بصوره وتراكيبها عن معاصرته من الشعراء ، وإن كان واقعاً تحت تأثير الصورة القديمة . المعتمدة على العناصر التراثية ، ولكنه كان الأقدر من غيره من شعراء عصره على تفجير طاقات اللغة واستثمار إمكاناتها مما أكسب صوره هذه الأشكال الفنية التي المحنا إليها بما يؤكد وجود موازارة رمزية أو معادل موضوعي لكل ما ينفعل به الفنان ، وهكذا كان شأن محرم في صوره الفنية كفنان وإنسان.

---

[1] المرجع السابق ، ص٣٥٦.

الخاتمـــــة

حاول الباحث تقديم دراسة جادة حول أحمد محرم في (حياته وشعره)، من خلال اشعاره المطبوعة ، ومن خلال الملاحظات المنبثة في بعض المراجع والصحف والدوريات وقد خرج بعد هذه الرحلة أنه كان من أقران شوقي وحافظ ومطران ، إذا نظرنا إلى الموضوع من حيث الزمن ، وهو أيضاً م أقرانهم وأندادهم ، إذا نظرنا إلى الموضوع من حيث الموهبة الشعرية ، وعلى الرغم من ذلك كله ، بقيت شهرة محرم محدودة (محصورة ، في حين طبّقت شهرة شوقي وزميله ، حافظ ومطران الآفاق وتجاوزت العالم العربي، إلى بقية العالم الشرقية والغربية ، فانتشروا بشعرهم ، ودخلوا مقررات الدراسة على جميع مستوياتها الإلزامية (الإبتدائية والإعدادية) والثانوية والجامعية ، بخلاف محرم الذي شاءت الظروف أن ينكفئ على نفسه داخل مصر،وضمن بيئة ضيقة لم تتح له الانطلاق إلى آفاق الله الواسعة وبقي الأمر كذلك بعد وفاته ، فلم تتحسن الحال إلى يومنا هذا . إلا تحسنا قليلا.

كان محرم يعيش بعيدا عن مراكز صنع القرار في مصر. ومراكز صنع القرار في مصر في القاهرة فقد مضى عمره في دمنهور ، ولهذا الحال أثرها في عدم تمكنه من مزاحمة الشعراء الذين كانوا يقطنون القاهرة على الشهرة والظهور ، ونيل المناصب الرفيعة هذا فضلا عن أنه لم يكن يساير رجال الدولة ، بل كان يناصبهم العداء فيقسو عليهم في شعره ، ولا يتردد في أن يوجه إليهم النقد الحاد والتقريع اللاذع ، ولم يكن من شأن هذا كله أن يدفع به إلى المقدمة ، ولا أن يمنح شعره السيرورة والانتشار ، فإذا أضفنا إلى ذلك كله تأخر صدور ديوانه بصورة كاملة ووافية ، إذ لم يتم ذلك إلا سنة ١٩٨٤م حيث تولت مكتبة الفلاح في الكويت إصدار ذلك / الديوان في خمسة أجزاء جيدة الطباعة بإشراف ابنه محمود.

ويبدو مما سبق ، أن كتابة هذه الدراسة، كانت تحيط بها الصعوبات وتكتنفها العقبات ، فما الذي حققته من كتابتها ؟ وما الذي أبرزته من نتائج؟ الواقع ، أنه ليس من السهل أن يحدد الباحث ما حققه في دراسته ، بل ليس من السهل أن يحدد عمله في نقاط معينة ، فلا شك أن الدراسة كلها هي إنجاز في حد ذاته ، وإن اختلفت وجهات النظر في تقوم هذا الإنجاز ، وتحديد قيمته الأدبية والفنية .

وعلى الرغم من ذلك ، فلا بأس أن نشير إلى بعض الملامح المهمة التي أرى أن الدراسة قد حققتها وهي:

١. إنها سلطت الضوء على عصر محرم وبيئته ، وبينت شيئا من صلات التأثر والتأثير بينه وبينها.
٢. لقد توسعت في وصف حياة محرم ، حيث أمكن إبراز جوانب مهمة من حياته ، ومدى انعكاساتها على شخصيته وشعره.
٣. إنها جلت صورة واضحة عن شعر محرم ، وعن خصائصه ، ومواطن القوة والإبداع فيه.
٤. بينت مكانة محرم من شعراء عصره، وسلطت الأضواء على هذه المكانة بما يجعلها بارزة وواضحة.
٥. لفتت الانتباه إلى مشاركة محرم في جميع الأحداث العربية والإسلامية ، وأكثر من ذلك ، فقد أكدت أن الشاعر هو الوحيد بين أقرانه من الشعراء المصريين الذي أفرد ديوانا خاصاً في القضية الفلسطينية.
٦. قدمت الدراسة موضوعات تجديدية تشمل شعره الإسلامي والوطني والاجتماعي والوجداني وكشفت هذه الأغراض عن تجربة إنسانية صادقة ، يتجاوز فيها محرم مرحلة المحاكاة إلى مرحلة المعاناة الصادقة ، والإبداع الخلاق ، الذي يبلغ غايته من الإصابة

النفسية والخلقية وكشف عند الحديث عن شعره الإسلامي ، قوة العاطفة الدينية لديه ، حتى لقد كتب في تاريخ الرسول-صلى الله عليه وسلم- وغزواته (ديوان مجد الإسلام) واستحق لهذا ، أن يلقب بشاعر الإسلام ، كما أثبتت الدراسة في الفصل الخاص بشعره الوطني ، أنه كان بحق شاعر الوطنية الصادق ، الذي لم يداور، ولم يناور ، أو يخفت له صوت ، وبينت رأي محرم في القضايا الاجتماعية التي ثارت في عصره.

٧. كشفت الدراسة الاتجاه الغزلي في شعره الوجداني ، ومدى ما يمتاز به من صدق حيث تبدو فيه حرارة العاطفة ، وصدق الإنفعال.

٨. تعرضت الدراسة للظواهر اللغوية في أسلوبه ، حيث أمكن إبراز أهم تلك الظواهر التي تمثلته في قوة الألفاظ والتراكيب، ودقة دلالتها في التعبير والتصوير.

٩. توصلت الدراسة إلى تقرير جملة ملاحظات عن بناء القصيدة عند محرم ، ومدى ما حققه الشاعر في عدد من قصائده من الوحدة الموضوعية والوحدة العضوية.

كذلك قد قدمت الدراسة التطبيقية لمعجمه الشعري وللصور الشعرية ، ما يعكس تجاربه الشعورية المجسدة للمعاناة.

والله ولي التوفيق

رفع
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس
www.moswarat.com

رفع
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس
www.moswarat.com

فهرس الأشعار الواردة في البحث*

الرقم	البيت الذي تصدر النص		عدد الابيات	البحر
	حرف الهمزة			
١	قلت أطوية بما في قوتي	من أعاصير تهز الاقوياء	٢٠	الرمل
٢	قوتي ضعف وضعفي قوة	من أعاصير تهز الأقوياء	٢	الرمل
٣	لك من مصر وإن غيظ العدى	ما أقلت من نفوس حر الدواة	١	الرمل
٤	له كاتب عبقري البراع	سريّ الصحيفة حر الدواة	١	متقارب
٥	ولولا أولوا الاصلاح من كل أمة	لأصبحت حياة العالمين بلاءْ	٤	الطويل
٦	بنيّ وإخواتي وأبي وأمي	أيسمع في قبوركم النداءْ؟	٤	الوافر
٧	دعا فأثار الساكنين دعاؤه	ونادى فراع الأمنين نداؤه	٧	الطويل
٨	رتب والقاب تغر وما بها	فخر لمحرزها ولا استعلاءْ	١٩	الكامل
٩	ولو أنا تخذنا الحق دينا	جعلنا للمعلم ما يشاءُ	٩	الوافر
١٠	ينازعنا حمى عثمان قوم	هم المكروه والداء العياءْ	٥	الوافر
١١	أخذ الاسى من عينه وفؤاده	اخذ الفتى من بهجتي وروائي	٩	الكامل
١٢	رزءان ما بلغت بعيد مداهما	هم الخطوب ولاقوى الارزاءِ	٧	الكامل
١٣	لا تبخلوا يا قوم إنْ كنتم ذوي	كرم فما الدنيا سوى كرمائِها	١	الكامل
١٤	ما للجموع تموج كالدأماء	ماذا تم بهذه الغبراءِ	٣	الكامل
١٥	من لا يرى أن الجهاد مروءة	حتى يكون المرء من شهدائِه	٣	الكامل
١٦	ولقد علمت وإنْ رضيت ودادهم	إنّ القلوب مريضة الأهواءِ	٧	الكامل
١٧	يا آل مصر أنتمُ أبناؤها	ولكم جوانب أرضها وسمائِها	٤	الكامل
١٨	كذبت مودتهم ولست بصادق	حتى أصون مودتي وإخائي	٦	الكامل
١٩	لك من قتيلك ما أردت وماله	غير القلي وشماتة الأعداءِ	٨	الكامل
	حرف الباء			
٢٠	أرى الناس في مصر شتى القلوب	وإن جمعتهم عوادي النوبْ	٨	المتقارب
٢١	أنت يا من أنت في وادي الغيوب	بمكان السر في وادي القلوبْ	٣	الرمل
٢٢	تمايل ذا الدهر حتى أضطرب	وقد ينثني العطف لامن طربْ	١	متقارب
٢٣	هززت اليراع فثار الأدب	ورمت القريض فشب اللهبْ	١٢	متقارب
٢٣	وإن قال يا رب أين القلوب	اجاب الوعيد وهاج الغضبْ	١	متقارب
٢٥	أقول له افق ويزيد حبا	عدمتك يا أخا النشوات قلبا	٣	الوافر
٢٦	باستيل والموفون فيك قلائل	ليت الذعاف لمن يخونك مشربا	١	الكامل
٢٧	خلق العروبة أن يجد وتدأبا	وسجية الإسلام أن يتغلبا	١	الكامل
٢٨	دعاة الخير والإصلاح انا	لنغفر للمسي إذا أنابا	٢	الوافر
٢٩	لا أستمد عطاء من أخي سعة	الله أكرم من أعطى ومن وهبا	١	بسيط
٣٠	لا تنكبوها بالحماية أمة	يقضي على أعقابه أن تنكبا	١	الكامل

* رتبت الأبيات التي تصدرت النصوص المستشهد بها في البحث ترتيباً هجائياً مع ذكر عددها ورقم الصفحة والبحر ، مع مراعاة ترتيب حركات حروف القافية من الاخف فالاثقل.

الرقم	البيت الذي تصدر النص	عدد الابيات	البحر
	الباء		
٣١	ليتني يا طير الرّبى ... ارتعي اللهو واجني الطّربا	٤	الرمل
٣٢	من ذا يرى دمه أعزّ مكانةً ... من أن يخضّب من فلسطينُ الرّبى	٦	الكامل
٣٣	وطن يعذّب في الجحيم وأمه ... أعزز علينا أن تصاب وتنكبّا	٢	الكامل
٣٤	ياآل عثمان من ترك ومن عرب ... وأي شعب يساوي الترك والعّربا	٢	البسيط
٣٥	يتناجى فوقها دمع النّدى ... وهي نشوى تتغنى طربا	١٤	الرمل
٣٦	أبني ما في الشعر نفع يطلب ... فارفق بنفسك كم تكد وتدأبُ	١	الكامل
٣٧	أخا الدهر ما الدهر إذ ينسبُ؟ ... وأين هي الأمم الغُيّبُ؟	٦	متقارب
٣٨	أخي و المنايا لا يغادرن من أخٍ ... ولا من خليل يأمن النّكلُ صاحُبهُ	٢	متقارب
٣٩	أفي معقل الإسلام تطمع أمةٌ ... تبيت منا ياها حيارى تراقُبهُ	٢	الطويل
٤٠	أمانا فما بيننا ثائر ... وعفوا فما بيننا مذنبُ	١	الطويل
٤١	أنظريه قهّاراً ونؤذيه مرهقا ... كفى الليث شراً أن تُفلّ مخالبُهُ	١	متقارب
٤٢	أهذا هو العدل الذي فيه أطنبوا ... وراح به منهم فخورٌ ومعجبُ	١	طويل
٤٣	ثوى عاثر الآمال يؤنسه الأسى ... وتوحشه أوطاره ومآربُهُ	٥	طويل
٤٤	رُبّ ذي عسرةٍ يصوم بمصرٍ ... وسواء صباحُهُ والغروبُ	١٤	طويل
٤٥	فلا تكفروها يا بني مصرُ نعمةً ... ولا يجلبنّ الشرّ في مصرَ جالبُ	١	الخفيف
٤٦	في مطلع شارق ومغيبهِ ... قمرٌ يزولُ وفرقدٌ يتغيّبُ	١	الخفيف
٤٧	لك في قضيتها مواقفُ باسلٍ ... لا الخصمُ يخدعه ولا هو يغلبُ	١	الطويل
٤٨	ليس التعصب للرجال معرةً ... إن الكريم لقومه يتعصّبُ	٢	الكامل
٤٩	المسجد الأقصى لسان صارخ ... يهدي تحيته القلبَ واجبُ	٢	الكامل
٥٠	مصر الحياة وحبها الشرف ... بطرازه العالي أدل وأعجبُ	١٦	الكامل
٥١	مصيبة أمة وأنا المصاب ... شهدت لقد مضى الأدب اللّبابُ	٨	الوافر
٥٢	ها هنا الأعلام كانت تنصبُ ... هاهنا بالأمس كان الملعبُ	١	الرمل
٥٣	هلموا شباب النيل فالبر أوجب ... أمن حقه أن تنعموا وهو مُتعبُ	٣	طويل
٥٤	هو البعث فانظر كي تزهى مواكبهُ ... وكيف ترينا الحشر شتى عجائبهُ	٧	طويل
٥٥	وللظلم آيات إذا هي صافحت ... يديْ قادرٍ ظلت على العدل تضربُ	٢	طويل
٥٦	يا امة في ربوع الشام يوحشها ... عيشٌ جديبٌ وريع للمنى خَربُ	٦	البسيط
٥٧	يا غاديا بريد الشام ينتحبُ ... مذا دهاك؟ وماذا أنت محتفِبُ	٣	بسيط
٥٨	أرى شعباً وأحزانا غضابا ... لغير الله والوطن الغضوبِ	٤	الوافر
٥٩	طبيبَ النيل هل للنيل شافٍ ... وهل للداء بعدك من طبيبِ	٨	الوافر
٦٠	عبدَ الحميد سلكت خطةَ حازمٍ ... عرف الحياةُ فجاءها من بابها	٤	الكامل
٦١	فما تغرّ أخاها إذا تحدثه ... ولا تقارب وما موطنَ الرّيبِ	١	بسيط
٦٢	فيا عجبا كيف القرار بمعطب ... وكيف الكرى ما بين نابٍ ومِخلبِ	١	طويل
٦٣	ليست أدري أيّ حب كان حبيّ ... ولمن ياويحَ قلبي كان قلبي	١٢	رمل
٦٤	مهلا فإني لقومي إن هم التمسوا ... مستودعَ الودّ من نفسي لذو حدبِ	١	بسيط
٦٥	ولم أرَ كالشعوب تساسُ فوضى ... وتؤخذ بالمخالبِ ولنيوبِ	٩	الوافر

الرقم	البيت الذي تصدر النص	عدد الابيات	البحر
	حرف التاء		
٦٦	ايك المولّهة الثكول وقل لها ... قعد الرجال وقامت النكراتُ	١	الكامل
٦٧	رأيت الأمهات لكل شيء ... يكون لدى الممالكِ محدثاتِ	٥	وافر
٦٨	فيا لهف قلبي لمجد مضى ... ويا شوق نفسي إلى عودتهِ	٢	متقارب
٦٩	فيه روح اليقين لابن هموم ... يستزيد الزمان من نكباتهِ	٤	خفيف
٧٠	لنا وجهة الخير في العاملين ... وللنفس وجهتها في الحياةِ	١	متقارب
٧١	متى ينهض الشرق من كبوته ... وحتى متى هو في غفوتهِ	٨	متقارب
	حرف الحاء		
٧٢	ذهب أبن حرب في تجارة قومه ... ولسوف يعلم من يفوز ويربحُ	١٧	كامل
٧٣	ساتبع يوم السبت ما عشت لعنه ... يظل بها عاد من الدهر ضابحُ	٢	طويل
٧٤	طغت الدماء وفاضت الارواح ... وطمت سهول بالردى وبطاحُ	١	كامل
٧٨	عند الشعوب مآتم ما تنقضي ... طول الحياة وعندها أفراحُ	٤	كامل
٧٩	قل ما اردت فما عليك جناحِ ... أسدى كذلك تذهب الأرواحُ	٥	كامل
٨٠	هذا الفتى الفهري اقبل جامحاً ... يغزو المدينة والمظلل يجمحُ	١٧	كامل
٨١	ياشاعراً يصف الطبيعة ها هنا ... تعيا القرائح والعقول الرجّحُ	١	كامل
٨٢	في كل يوم لقومي مأتم جلل ... يودي بمجهود بكاءٍ ونوّاحِ	١	بسيط
٨٣	فيه الحياة لمن يريد سبيلها ... بيضاء تصدع كل راح أسفحِ		كامل
	حرف الدال		
٨٤	لا رعاك الله يا يوم الأحد ... أنت يوم الحزن عندي والنكدْ	٢	رمل
٨٥	أحب المالكين إلى الرعايا ... مليك ليس يألوها افتقادا	٩	وافر
٨٦	أضرا الناس ذو تاج تولى ... فما نفع البلاد ولا أفادا	٩	وافر
٨٧	أفي المسجد الأقصى يعيث الألى ابوا ... سوى المال طول الدهر ربّا ومسجدا	١	طويل
٨٨	أيها القائمون بالأمر فينا ... هل نسيتم ولاءنا والودادا	٢	خفيف
٨٩	بربك ماذا اصاب البلادا ... فلا تنظر العين إلا مدادا	٤	المتقارب
٩٠	رويدا إن للمكروه حدّا ... وإن لكل ذي ضرم خمودا	١	وافر
٩١	طمّ البلاد وأمسى الصبر قد نفدا ... واستفحل الخطب حتى جاوز الأمدا	٥	بسيط
٩٢	فلسطين صبرا إنّ للفوز موعدا ... فإلا توزي اليوم فانتظري غدا	٧	طويل
٩٣	القوت أعوز حتى خان كلّ أخ ... فيه أخاه وعادى الوالدُ الولدا	٥	بسيط
٩٤	لا تيأسوا وأعدوا الأم صالحة ... فهي السبيل إلى إصلاح ما فسدا	٨	بسيط
٩٥	لا الريث من شأنه والتؤده ... رام من الحتف آخذ عُددّة	٨	المنسرح
٩٦	مهلا لك الويل ان الناس قد جزعوا ... فلن نرى اليوم من تبتغي أحدا	٢	بسيط
٩٧	هلا سألت عن الفلاح ما صنعت ... به الخطوب وهل أبقت له جَلَدا	٣	بسيط
٩٨	ولا تتعادوا فإن الشعوب ... تموت انقساماً وتحيا اتّحادا	١	متقارب
٩٩	وللإخلاق بالأمم انتقال ... تداني الحين فيها أو تمادى	١	وافر

الرقم	البيت الذي تصدر النص		عدد الابيات	البحر
١٠٠	اذا اختلفوا أو ا تفقوا فانا	سوى استقلال مصر لانريدُ	١	وافر
١٠١	أين الحماة؟أفي المضاجع نومٌ	أم هي هنالك في المقابر هُمّدُ	١	كامل
١٠٢	دع الزعماء إنّ لهم لدينا	يدين بغيره الشعب الرشيدُ	٢	وافر
١٠٣	رمي الحجاب، فلولا لاله يمسكه	لانشق أوطار أو خرّب به العُمُدْ	٣	بسيط
١٠٤	شدوا القلوب على الإخاء فإنها	مصر وإن بلاءها لشديدُ	١	كامل
١٠٥	صوني فلسطين الزمان وجاهدي	ما للحياة سوى الجهادِ عمادُ	٢	كامل
١٠٦	عميد الغاصبين نزلت أرضا	يبيد الغاصبون ولا تبيدُ	٢	وافر
١٠٧	لك من معاني الحسن مالا ينتهي	والحسن عند سواك معنى واحدُ	١٧	كامل
١٠٨	لم يبق لي يامن لاأعاتبها	شيء يقال له صبرٌ ولا جلدُ	٣	بسيط
١٠٩	لنا ذمة فيكم ولله ذمة	فسيروا وإن أدمى جوائحنا الوَجْدُ	١	طويل
١١٠	وأضيع ما فوق البسيطة أمةٌ	يمزّقها جهل ويأكلها حقدُ	١	طويل
١١١	وعودوا إلى أوطانكم في غضارةٍ	من العيش مقرونٌ بها العزّ والمجدُ	٢	طويل
١١٢	وليس بناءُ المجد فيكم بقائم	مدى الدهر والأخلاق تهوي وتنهدُ	١	طويل
١١٣	أرى كل ميراث جليل محببا	ولا مثل ميراثِ النبيّ محمدِ	٦	طويل
١١٤	اهذي دموع الطل، أم هاجك الهوى	فانت لفقد الألف تبكين عن وَجْدِ	١١	طويل
١١٥	أين الفوارس؟ يمنعون بقيتي	مالي جُفيت؟ وكيف لي بالعوّدِ	١	كامل
١١٦	فزع الدجى لأنينه المتردّدُ	وبدا الصباح له بوجهٍ اربدِ	٥	كامل
١١٧	قل للفجائع شتى لا عدادلها	كفيّ أذاك عن الباكين أو زيدي	١	بسيط
١١٨	لا يرهب الموت الوحي اذا دنا	ويخاف قول اللائمين الا ابعدِ	١	كامل
١١٩	وجئتم بالحماية وهي أدهى	وأشأم ما تخاف من العوادي	٢	الوافر
١٢٠	وطن يضج به الكلام وأمه	تهوي ممزقة بغير جلادِ	١	كامل
	حرف الراء			
١٢١	فلسطين خطبك غول الخطوب	وذعر الزمان ورعب القدرْ	١٠	متقارب
١٢٢	واقمار حين يخفي الظلامُ	ضياءَ النجوم ونورَ القمرْ	٢	متقارب
١٢٣	ومن نكد الدهر ا ن يستعين	بكيد العظات وظلم العِبَرْ	٢	متقارب
١٢٤	أفأنت تدفع بطش ربك إن اتى	أم أنت تملك دونه الأقدارا	٤	كامل
١٢٥	املأ الأرض يا محمد نورا	وأغمر الناس حكمةً والدهورا	٥	خفيف
١٢٦	أمن الحق أن تصد قريش	عن فتاها وأن تطيل النكيرا؟	٩	خفيف
١٢٧	أم تظن الجواد تمسكه الأر	ضُ وتلوي عنانة مسحورا	١	خفيف
١٢٨	بلادك يا علي فأنت أولى	بأن ترعى لها الذمم الكبارا	١	وافر
١٢٩	كم أنهٍ تحت الظلام ترددت	فاستوقفت اصداؤها الاقدرا	٢	كامل
١٣٠	مهلا فإن من العناية قوة	تدع القوي مغلبا مقهورا	٢	كامل
١٣١	هي لولاك لا رتمت تقذف الصخر	وتزجى هباءها المنثورا	٣	الخفيف
١٣٢	والشعب إن جمع الصفوف مجاهدا	غلب الصعاب وادرك الأظفارا	٩	كامل
١٣٣	يا واهب الأمن النفوس ولم تكن	لتصب أمنا أو تطيق قرارا	٦	كامل
١٢٤	يايوم جدد للكنانة عهدهم	بوركت يوما صالحا ونهارا	٥	كامل

الرقم	البيت الذي تصدر النص		عدد الابيات	البحر
١٣٥	أبى أن يظلوا آخر الدهر فوقها	يسيرون في الاكفان وهي لهم قبرٌ	٤	طويل
١٣٦	انلومها في الدهر كيف اصابها	حدثانه ورمى بها المقدورُ	٤	كامل
١٣٧	أهاج هواك برقٌ مستطير	وطيرٌ في الأراك له هديرٌ	٣	وافر
١٣٨	أهذي ديار القوم غيرها الدهر	فعوجوا عليها نبكها ايها السَّفْيرُ	٢	طويل
١٣٩	أيطرب البيت أم تبكي جوانبه	حزنا ويُعْولُ فيه الركنُ والحَجَرُ	١	بسيط
١٤٠	أين ابن عم رسول الله يطفئها	حربا على كَبدي من نارها شررُ؟	٧	بسيط
١٤١	دعي الرسل تمضي ما عليك ملامة	وكيف يعاف الأمن من غاله الذعرُ	١	الطويل
١٤٢	ركب عليه من الجلالة مظهرٌ	نعم القدومُ قدومُه والمحضَرُ	٧	الكامل
١٤٣	فإن يسألوا ما حبُّ مصر؟ فإنه	دمي وفؤادي والجوانحُ والصدرُ	٥	طويل
١٤٤	كيف القرار ونار الحرب تستعر	والهول مضطرمُ البركان منفجرُ	٧	بسيط
١٤٥	ننسي ويعطينا الإخاء فنذكر	والحبّ قد يطوي القلوبَ وينشرُ	٥	كامل
١٤٦	إيها الموسر الحريص على الدنيا	المعنّى بماله الموفورِ	٤	خفيف
١٤٧	جفّت الزهرة حزنا	فجرى دمع الغديرِ	١٠	مجزوء الرمل
١٤٨	في ذمة الترك دنيا لا تضيق بها	سيوفهم وزمان غير معسورِ	١	بسيط
١٤٩	قتلتم من خزاعة بالوترِ	رجالا ما أتاهم من نذيرِ	٥	وافر
١٥٠	ليست السماوات والأرضين زلن معاً	لما رمتكم بنا أيدي المقاديرِ	٢	بسيط
١٥١	هي الأواصر أدناها الدم الجاري	فلا محالة من حب وايثارِ	٦	بسيط
١٥٢	وقف بي في طلوع الشرق ونكُرْ	هوى الفاروق واندب عهدَ عمرو	٢	الوافر
١٥٣	والنسيم الرطب أمسى	دونه حر الهجيرِ	٦	مجزوء الرمل
١٥٤	وهبت الصبا الشيب والشوق والهوى	شقيت فيه بكّل خلقٍ مُنْكَرِ	٥	طويل
	حرف السين			
١٥٥	قامت الدنيا له لما جلس	وانحنى الدهرُ فحيا وهمسُ	٣	الرمل
١٥٦	أمل يُزفّ مع السنين عروسا	فيشوقهن أهلةً وشموسا	١٥	كامل
١٥٧	يد فقدت طهارتها ونفسٌ	أبت إلا الخبائث فهي رجسُ	٩	وافر
١٥٨	أدب إذا ما العيش اظلم جوه	أغنى تبلّجه عن النبراسِ	٥	كامل
١٥٩	(مي)اكتبي وصفي سجايا الناسِ	من ذاكر يرعى الذمام وناسِ	١٠	كامل
	حرف العين			
١٦٠	تذكر ماضي دينه فتوجعا	وأحزانه ما نابه فتفجعا	٤	الطويل
١٦١	رسالة روحي إلى روحها	شعاعٌ من الحب يلقى شُعاعا	٣	متقارب
١٦٢	هل للدين الا معقل تهتدي به	اذا دلف العادي الينا فأسرعا	١	طويل
١٦٣	يا سوء ما حمل البريد ويالها	من نكبة تدع النفوس شعاعا	٧	كامل
١٦٤	اتحاربون الله في جبروته؟	أم تمكرون بأمة ما تخدعُ؟	١	كامل
١٦٥	في كل افق أن نظرت وكوكب	نورٌ يضيء من الرجاء ويسطعُ	١	كامل
١٦٦	لا تمنعنّ من العدو ذمارها	إن الذمار بغير بابك يمنع	٣	كامل
١٦٧	رويد العدى لا (آل عثمان)إذا أبوا	(تجار)ولا ملك الهلال بضائعِ	١	طويل

الرقم	البيت الذي تصدر النص		عدد الابيات	البحر
١٦٨	عـاد في بهجتـه عيـدُ الربيـعِ	يزدهى في معرض الحسن البديعِ	٢	الرمل
١٦٩	فيكم السكوت وقد أهاب الداعمي	أفمـا رأيـت توجّـعَ الملتـاعِ	٧	كامل
	حرف الفاء			
١٧٠	غضب الحماة لدين أحمد غضبةً	نصر الإلـهُ بها وعـزّ المصحفُ	٧	كامل
١٧١	ويهـزُ استار البنيـة داعيـا	والناس منهم طائفون وعُكّفُ	١	كامل
١٧٢	دنياك تضحك عن وداد صاف	وتريك طيب العيش كيف يوافي	٩	كامل
١٧٣	رب حتـف في حيـاة تشـتهي	وحيـاة هـي في حَتْـفٍ وحيْـفِ	١	الرمل
	حرف القاف			
١٧٤	أبوّا أن يقعدوا والجيش يرُجى	فيوشك أن يكون لـه الطلاقُ	٨	وافر
١٧٥	بلوت المدّعين بلاء صدق	فلا أدبا وجدت ولا خلاقا	٨	وافر
١٧٦	رضيت الندى فاخترته لك صاحبا	وأتيته عهدا كريما ومؤثقا	٧	طويل
١٧٧	في كلّ حرف مسجدٌ أو ملجأ	يعيي الدهاة ويعجز الحذّاقا	١	الكامل
١٧٨	لا يستطيع سوى المقال ولا يرى	أحد بما يهذي به مِصداقا	٢	الكامل
١٧٩	لسوا كمن ملك النفوس فسامها	سوء العذاب وغالها استرقاقا	٣	الكامل
١٨٠	وما تغني نبات الشعر شيئاً	إذا ما الشر بالإقدام حاقا	١	الوافر
١٨١	إذا ضاقت فجاج الأرض عنها	سمت في الجو فانفرج المضيق	٢	وافر
١٨٢	أرى فسادا وشرا ضاع بينهما	أمر العباد فلا دين ولا خُلُقُ	١	بسيط
١٨٣	خذوها كالصواعق أنذرتكم	برعد من زواجرها وبرقُ	١	وافر
١٨٤	راحوا بطانا وباتت مصر خاوية	غرثى تشد على أحشائها النِّطقُ	٤	بسيط
١٨٥	صبوح دم يساجله غبوق	وليل ردى يواصله شروقُ	٢	وافر
١٨٦	إذ يقول الله في عليائه	لرسول الله سنّد و ارشقِ	٧	الرمل
١٨٧	رويدا معشر العادين إنا	نطقنا بالنصيحة خيرَ نُطقِ	١	وافر
١٨٨	في سبيل السؤدد الصافي دم	لا يضاهي الدم إنْ لم يُهرَقِ	٢	الرمل
١٨٩	قل للجداول والزروع تحدثي	في غيرما وجل ولا أشفاقِ	٤	الكامل
١٩٠	له الآلاء سابغة ومنه	خفيّ اللطف والصنع الرقيقِ	١	الوافر
١٩١	من أنا؟ قالت أديب المشرق	عرفتني ليتني لم أخلقِ	١٠	الرمل
١٩٢	مورد العيش صفا والجو راق	فهو طلقُ الساح فضّيُّ الرواقِ	٥	الرمل
١٩٣	هتف الراعي فلبوا يا رفاقُ	واجمعوا شملَ الهوى بعد الفراقِ	٣	الرمل
	حرف الكاف			
١٩٤	مصر أنت الحياة والموتُ طُرّا	لشهيد رميته بسهامكْ	١٠	خفيف
١٩٥	هدايتك اللهم إلى ارى الألى	هم القادة الهادون شتى المسالكْ	٥	طويل
١٩٦	أرايت ما بالشرق من ذكراكا	وسمعت دين الله حين دعاكا	٦	الكامل
١٩٧	ما للسحابِ تدفقت أخلاقهْ	حتى ظننا انه لا يمسكُ	١	الكامل

الرقم	البيت الذي تصدر النص		عدد الابيات	البحر
٢٣٠	يـا أمـين الله في الـنفس الـتي	شـفها اليـتم فـذابت ألمـا	٢	الرمل
٢٣١	إرث الخلائـق لـن يـدنس أرضـنا	رجس لها بظبى السيوفِ موسمُ	١	الكامل
٢٣٢	أعلـى المـآتم تخفـق الأعـلامُ؟	أم مجـدُ مصـر علـى الـدماءِ يقـامُ	٢	الكامل
٢٣٣	أغـرك يـا أسمـاء مـا ظـن قاسـمُ	أقيمـي وراء الخـدر فـالمرءُ واهـمُ	٢	الطويل
٢٣٤	أقاسـم لا تقـذف بجيشـك تبتغـي	بقومـك والإسـلام مـا الله عـالمُ	٥	الطويل
٢٣٥	ألا إن مـن شـق العصـا لـمذمم	وإن الـذي يبغـي الفسـاد لآثـمُ	٣	الطويل
٢٣٦	إلام تجـنّ الحادثـاتُ وتظلـمُ	وحتى متى تبغي العداةُ وتظلمُ	٤	الطويل
٢٣٧	أمـا يرضـيك عمـن عـقّ منّـا	رجـالٌ بالوفـاءِ لهـا ابتسـامُ	١	الوافر
٢٣٨	إنّـا بـني عثمـان أعـلامُ الـورى	والأرض تشـرق فوقهـا الأعـلامُ	٦	الكامل
٢٣٩	إنّـا جهلناهـا وعنـدك علمهـا	والجهـل داءٌ للشـعوب عُقـامُ	٤	الكامل
٢٤٠	أودى بأهـل التيـه مـن أوهامِـه	تيـه عواقبـه أضـرّ وأشـأمُ	٤	الرجز
٢٤١	أيـة بـني مصـر أمـا وعظتكـو	مـا تصـنع الأحـداث والأيّـامُ	٩	الكامل
٢٤٢	بـلاد يفـيض الخـير فيهـا وتشتكي	وشـعب يفـوز الأجـنبيّ ويُحـرمُ	٦	كامل
٢٤٣	تعلّمـوا كيـف تـبني مجـدها الأمـمُ	وكيـف تمضـي إلى غاياتهـا الهِمَـمُ	٣	بسيط
٢٤٤	حمى بيضة الإسلام عـن يـد لامـسٍ	فأصبح من كيد العدى وهـو سالمُ	٣	الطويل
٢٤٥	الـدين ديـن الهـوى تبـدو شـرائعهُ	بيضاء تكشف مـن أنوارهـا الظّلـمُ	٣	البسيط
٢٤٦	عجبـاً لهـذا الليـل كيـف نعفّـه	ويـدوم منـه الـبرُ والإكـرامُ	٤	الكامل
٢٤٧	كـذب الوشـاة وأخطـأ اللـوّامُ	أنـتم أولـو عهـد ونحـن كـرامُ	١٥	الكامل
٢٤٨	كفى حزنا أنّا نرى مصر أصبحت	يضـيق بنيهـا وهـي نهـب مقسّـمُ	٤	الطويل
٢٤٩	لـه الويـل مـاذا هـاج مـن نزواتـه	فثـار يرامـي ربّـه ويـراجمُ	٤	الطويل
٢٥٠	لـولا بنـو عثمـان والسّـنن الـذي	شرعوا لمـا وضـح السـبيلُ الأقـومُ	٣	الكامل
٢٥١	منـازل سـلمي لاعـدتك، الغمـائمُ	وإن درست بـالجزع منـك المعـالمُ	١	الطويل
٢٥٢	هـل الحـر إلاّ أن تطـير الجمـاجمُ	أم البـأس إلامـا تجـيء الضـراغمُ	٤	الطويل
٢٥٣	وفـلاح مصـركم توالـت مصـائبُ	عليـه تلقـي شـرها وهـو مـرغَمُ	٦	الطويل
٢٥٤	ولـو أر كـالمعروف تُـدعى حقوقـه	مغـارم في الأقـوام وهـي مغـانم	٣	الطويل
٢٥٥	يـا أمـة خـاط الكـرى أجفانهـا	هـبيّ فقـد أودت بـك الأحـلامُ	١٩	الكامل
٢٥٦	يـا دنشـواي علـى ربـاك سـلامُ	ذهبـت بـأنس ربوعـك الأيـامُ	١	الكامل
٢٥٧	يـارب إنْ قـدرتها وحشـيـة	وبعثتهـا مشـبوبة تتضـرّمُ	٣	الكامل
٢٥٨	إذا حكـم الـورى جَنفـا علينـا	فأعـدل مـنهمُ حكـمُ الحسـامِ	١١	الوافر
٢٥٩	ألا بطـلُ يـذبُّ عـن الحـريمِ	ويضـرب بالمهنّـدِ في الصـميمِ	١	الوافر
٢٦٠	أمَم العروبـةِ جـاء يومُـك فـاعلمي	وإلى مكانـك فانهضـي وتقـدمي	٢٠	الكامل
٢٦١	نـبني وتهـدم أيـي الجهـل دائبـة	فمـن لنـا ببنـاءِ غـير مُنهـدِم	٧	البسيط
٢٦٢	عنـاني علـى مصـر المحبّـب نيلـها	إلى عنـاء الحـائن العـرض والـدم	٤	الطويل
٢٦٣	عمـت غوائلـها فهـل مـن عاصـم	وعلـت معاقلـها فهـل مـن هـادم	٧	الكامل
٢٦٤	فهل جـاء (اللبـوير)حـديثٌ قـومي	ومـا قـومي بشـيءٍ في الخصـامِ	١١	الوافر
٢٦٥	لا تجحديـه علـى التقـرّب حقّـه	فـإذا جهلـت مكانـة فتلّعمـي	١	الكامـل

الرقم	البيت الذي تصدر النص		عدد الابيات	البحر
٢٦٦	لعمر الالى انتم بنوهم ومابنوا	من المجد في ظل الوشيج المقوم	٢	الطويل
٢٦٧	مهلا دعاة العدل في الأمم التي	صاح الغزاة بشلوها المتقشم	١	كامل
٢٦٨	هاتها من فيك واشرب من فمي	إن اردت الري للقلب الظمي	١٣	الرمل
٢٦٩	هيهات لا كتبي ولا أقلامي	تغني بني إذا ألم حِمامي	٧	الكامل
٢٧٠	يا أمة القبط والأجيال شاهدة	بمالنا ولكم من صادق الذمم	٢	البسيط
٢٧١	يا بني الشرق لمجد ضائع	من بكى ضيعته لم يُلَمِ	٤	الرمل
	حرف النون			
٢٧٢	ذهب العصر الذي شيبنا	وأتى عصر الشباب الملحدينْ	٥	الرمل
٢٧٣	ظهر الاوطان من ارجاسها	وأدخرها لبنيك الطاهرينْ	٢	الرمل
٢٧٤	فيها حيينا مكرمينْ	وهي الحياة للبنينْ	٤	الرمل مجزوء
٢٧٥	من همومي فيك يا جرعني	وجَعَ المرضى وذلّ البائسينْ	١٤	الرمل
٢٧٦	نحن حزب الله صناحفه	وحفظنا عهده في الناكثينْ	٩	الرمل
٢٧٧	هاهنا رمز الخنان	يتجلّى كلّ آنْ	٨	الرمل مجزوء
٢٧٨	وليس لها وإن جهلت علينا	بما لا تبتغي منها يدانْ	١	الوافر
٢٧٩	ويحَ نفسي ويحَ مصرٍ كلّما	ذكرت مصرُ بنيها الهالكينْ	٢	الرمل
٢٨٠	أتلك مصارع المستضعفينا	فما بال الهداة المصلحينا	١٦	الوافر
٢٨١	أفاطم ، إن للضعفاء ربّا	بديل لهم من المتجبّرينا	١	الوافر
٢٨٢	إني أرى خلل الحوادث موقفاً	جللا يقيم قيامة المشربنا	١	الكامل
٢٨٣	خذوا أنصاركم إنا نراهم	لنا ولقومنا الداءَ الدفينا	٨	الوافر
٢٨٤	ردوا غمراتها في الوارثينا	وسيروا في الممالك فاتحينا	١	الوافر
٢٨٥	رويدك أيها الجبار فينا	فإن الرأي ألا تزدرينا	٨	الوافر
٢٨٦	زعمت الدين والقرآن جاءا	بما يشقي حياة المسلمينا	٤	الوافر
٢٨٧	شقينا بالحياة وأي شعب	تطيب له حياة المسلمينا	٣	الوافر
٢٨٨	صونو الذمام فإن الحر من صانا	وجدوا العهد من قديم العهد ما كانا	١	الوافر
٢٨٩	على أجسادهم أثر مبين	تريك سطوره الظلم المبينا	١	البسيط
٢٩٠	قضاء طاش من فزع وخوف	وحيسبه الألى فزعوا رزينا	١	الوافر
٢٩١	كونوا الجدار الذي يقوي الجدار به	فالله قد جعل الإسلام بنيانا	١	الوافر
٢٩٢	مرحبا بالإخاء في حرم الله	وأهلا بقومنا الصالحينا	٢	البسيط
٢٩٣	ولم أرَ كالسياسة في أذاها	وفي أعذارها تُزجي مئينا	٤	الخفيف
٢٩٤	سل التاريخ وانظر ما اعدت	لك الأمم الخوالي والقرونُ	٤	الوافر
٢٩٥	وتذكر العهد القديم وجددا	عهدا من الودا القديم يبينُ	٨	الوافر
٢٩٦	وجودي لست لي فلمن تكون؟	أسر انت عن نفسي مصونُ؟	١	الكامل
٢٩٧	يابعثة الأمل المخضر جانبه	يحيا به الراجيان : الشعبُ و الوطنُ	٦	الوافر
٢٩٨	اليك دموعي في الصحيفة فاقرأي	رسالة أشواقي إليك وأشجاني	٣	البسيط
٢٩٩	أنا بنوا القرآن والدين الذي	صدع الشكوك وجاء بالتبيانِ	٥	الطويل
٣٠٠	تنكب الناس سبل الحق من سفه	ما أرى الحق إلا واضح السّننِ	١	الكامل
			١	البسيط

الرقم	البيت الذي تصدر النص		عدد الابيات	البحر
٣٠١	حديثك أهلي يا حياتي من المنى	تجيء على يأس من الواجد العاني	٣	الطويل
٣٠٢	ذعر الخطيم وراع يثرب عاصفٌ	للموت صحّ لهوله الحرمان	٤	الكامل
٣٠٣	في الدردينل وفي الجزيرة بعده	على المبيح وعافت خطة الهون	٥	البسيط
٣٠٤	لست أدري أهمو في موطن	رعبُ المياه وروعة النيران	٤	الكامل
٣٠٥	وقد الكنانة هل حملت رجاءها	يجمع الأحياء أم في مدفنَ	١	الرمل
٣٠٦	وقد الكنانة هل حملت رجاءها	أم قد حملت أمانة الازمان؟	٢	الكامل
٣٠٧	يا منزل النفس ترضاه إلى أجل	من الحياة وتجفوه إلى حينَ	٢	البسيط
	حرف الهاء			
٣٠٨	حقا لقد بلغ الفراق مداه	فعلمت أن هواك طوع هواهْ	١٥	الكامل
٣٠٩	يا شفاه الزهر ما أبهى الشفاهْ	اضحكي بالله يا دنيا الحياةْ	٣	الرمل
٣١٠	أن تسأليني عن تباريح الهوى	فأنا الهوى وآخرة	٣	الكامل
٣١١	أيأمرهم بتقوى الله قوم	وما عرفوا الآله فيتقّوهُ	٤	الوافر
	حرف الواو			
٣١٢	أسيت لمسرفين أعان كلا	على ادمان لذته أبوهُ	٤	الوافر
	حرف الياء			
٣١٣	أيعجب قوما من ولى العلم انهم	يسيرون بين الناس في نوره عميا	٣	الطويل
٣١٤	شدوا العباب على هنات لوبدت	ملأت مناديح الفضاء مَساويا	١	الكامل
٣١٥	صدقوا العدو ولاءهم وتمزقوا	نعماء فيما بينهم وأعادِيهَا	١	الكامل
٣١٦	فهو عليك الخطب لا تبتّس به	فمالك أمرُ الجاهلين ولا ليا	١	الطويل
٣١٧	لمن الرواسم يرتمين صواديا	ويحزن بالعذب الرويّ أوابيا	٦	الكامل
٣١٨	ولقد بلوت الكاتبين جميعهم	فوجدت أكثر ما يقال دعاويا	٢	الكامل
٣١٩	يقول أبو سفيان اودى محمد	قتيلا ويأبى الشيخ إلا تماديا	٧	طويل
٣٢٠	اغثيوا مصر واستبقوا بينها	فقد ضاقت وجوهُ العيش فيها	١٢	الوافر
٣٢١	أين الصنائع هل جاءوا بواحدة	تغني البلاد وتعلي شأن أهليها	١	البسيط
٣٢٢	رأيت البؤس يركض في جلود	يجانبها النعيم ويحتويها	٣	الوافر
٣٢٣	ليس الكريم بمن يرى اوطانه	نهب العوادي ثم لا يحميها	١	الكامل
٣٢٤	ما أظلم القوم يجزون البلاد اذى	وهي الحياة وما تسدي جوازيها	١	البسيط
٣٢٥	نعوذ بعدلكم أنْ تسلمونا	إلى نار الخصاصة نصطليها	١	الوافر

رفع
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس
www.moswarat.com

رفع
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس
www.moswarat.com

فهرس المصادر والمراجع

١. إبراهيم، حافظ ، الديوان ، ج١، ٢ ضبطه وشرحه ورتبه احمد أمين واحمد الزين وإبراهيم الانباري، بيروت ، دار الجيل ، ١٤٠٨/١٩٨٨.

٢. أبن جني ، ابو الفتح عثمان ، الخصائص ، القاهرة ، دار الكتب ، ١٩٥٢.

٣. ابن رشيق ، ابو علي الحسن ، العمدة ، تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد ، ط٤، بيروت ، دار الجيل ١٩٧٢.

٤. أبو تمام ، حبيب بن اوس، الديوان ، بيروت ، مكتبة وشركة الكتاب اللبناني ، ١٩٣٨.

٥. أبو حاقة ، احمد ، فن الشعر الملحمي ، بيروت ، دار الشرق الجديد ، ١٩٦١.

٦. أبو شادي، احمد زكي ، شعراء العرب المعاصرون ، ط١ القاهرة ، دار الطباعة الحديثة ،١٩٥٨.

٧. أبو صالح عبد القدوس وزميله ، شعر الجهاد في العصر الحديث، الرياض ، جامعة الامام محمد بن سعود ، ١٤٠٥/ ١٩٨٥.

٨. أبو علي، محمد بركات ، بحوث ومقالات في البيان والنقد الأدبي ، عمان ، دار البشير، ١٩٨٨.

٩. آرمسترونج ، هس ، مصطفى كمال اتاتورك ، ترجمة حلمي مراد ، سلسلة اقرأ، عدد٤٠٧، القاهرة ، دار المعارف ، ١٣٩٥/ ١٩٧٦.

١٠. إسماعيل ، عز الدين ، الشعر العربي المعاصر:قضاياه وظواهره الفنية والمعنوية ، ط٣، القاهرة ، دار الفكر العربي ، ص١٩٧٨.

١١. أمين ، أحمد ، زعماء الاصلاح في العصر الحديث ، ط٤، القاهرة : مكتبة النهضة المصرية ،١٩٧٩.

١٢. أمين ، قاسم ، المرأة الجديدة ، القاهرة مطبعة الشعب ، ١٣٢٩/ ١٩١١.

١٣. أمين ، قاسم ، تحرير المرأة ، ط٣ القاهرة ، مطبعة عين شمس، (د.ت).

١٤. أنيس، إبراهيم ، دلالة الألفاظ ، ط٢ القاهرة ، مكتبة الأنجلو المصرية ،١٩٦٢.

١٥. أنيس، إبراهيم ، موسيقى الشعر ط٤ القاهرة ، مكتبة الأنجلو المصرية ١٩٧٢.

١٦. البحتري، الوليد بن عبيد الطائي، الديوان بيروت ، منشورات دار القاموس الحديث ١٩٤٨.

١٧. بدر ، عبد المحسن ، محاضرات في الدراسات العربية الحديثة ، بيروت ، مكتبة كريدية ، ١٩٦٩.

١٨. بروكلمان ، كارل ، تاريخ الشعوب الإسلامية ،ترجمة نبيه امين فارس ومفيد البعلبكي ط٤، بيروت ، دار الجليل للملايين / ١٩٦٥.

١٩. البعيني ، نجيب ،شعراء عرب معاصرون ، بيروت دار المناهل ، ٩٤١٠/ ١٩٩١.

٢٠. البيومي ، محمد رجب ، النهضة الإسلامية في سير اعلامها المعاصرون ، جـ٢، دمشق دار القلم ، ١٩٤٦.

٢١. الجارم ، علي وزميله ، البلاغة الواضحة ، القاهرة ، دار المعارف ، ١٤٠٣/ ١٩٨٤.

٢٢. الجدع ، أحمد عبد اللطيف ، وزميله ،شعراء الدعوة الإسلامية في العصر الحديث ، طب ١بيروت مؤسسة الرسالة ، ١٣٩٨/ ١٩٧٥.

٢٣. الجرجاني، عبد القاهرة ، أسرار البلاغة ، بتعليق أحمد مصطفى المراغي ، القاهرة ، مطبعة الاستقامة ، ٤٧٧/ ١٠٥٨،

٢٤. الجندي، انور ، الشعر العربي المعاصر، تطوره واعلامه ، القاهرة (لا .ن).

٢٥. الجيوشي ، محمد إبراهيم ، شاعر العروبة والإسلام، احمد محرم ،طب١، القاهرة مكتبة دار العروبة، ١٣٨٠/ ١٩٦٠.

٢٦. حسين ، محمد محمد ، الاتجاهات الوطنية في الأدب المعاصر، ج١ و٢ / طب ٢ القاهرة ، المطبعة النموذجية ، ١٣٨٢/ ١٩٦٠.

٢٧. الحصري، ساطع ، محاضرات في نشوء القومية ، ط٢، القاهرة ، ١٩٥٥.

٢٨. الحصري، ساطع، آراء واحاديث في القومية العربية ، ط٢،بيروت ،١٩٥٦.

٢٩. حوراني، البرت ، الفكر العربي في عصر النهضة بين ١٧٩٨-١٩٣٩، ط٣ بيروت ، دار النهار للنشر ،١٣٩٦/ ١٩٧٧.

٣٠. خوري ، رئيف ، عصر الإحياء والنهضة ، ١٨٥٠-١٩٥٠، ط١، بيروت ، ١٣٠٤٠-١٩٥٧.

٣١. الخولي، أمين ، فن القول، ط١ القاهرة ، جار الفكر العربي ، ١٩٤٧م.

٣٢. داغر، يوسف أسعد : مصادر الدراسات الأدبية ، ط٣، بيروت ، ١٣٩١-١٩٧٢.

٣٣. الدسوقي ، عمر ، في الأدب الحديث ، ج٢، ط٢، القاهرة مطبعة الرسالة ، ١٩٥٤.

٣٤. الدقاق، عمر ، الاتجاه القومي في الشعر العربي الحديث ، ط٢، حلب ، دار الشرق، ١٩٦٣.

٣٥. الرافعي، عبد الرحمن ، ثورة ١٩١٩، تاريخ مصر القومي، ج١و٢ ، القاهرة ، دار المعارف،١٤٠٦ / ١٩٨٧.

٣٦. الرافعي، عبد الرحمن ، شعراء الوطنية ، تراجمهم وشعرهم الوطني ، ط١، القاهرة مكتبة النهضة المصرية ، ١٣٧٣/ ١٩٥٤.

٣٧. الرافعي، عبد الرحمن ، الشهيد محمد فريد بطل الكفاح ، العدد٧، القاهرة سلسلة دار الهلال ، ١٩٥٧.

٣٨. الرافعي ، عبد الرحمن ، مصطفى كامل ، ط٢ ، القاهرة ، مطبعة لجنةالتأليف والترجمة النشر، ١٣٧١/ ١٩٥٢.

٣٩. الرباعي، عبد القادر ، الصورة الفنية في شعر أبي تمام ، ط١، اربد ، جامعة اليرموك ١٩٨٠م.

٤٠. الرمادي، جمال الدين ، خليل مطران ، شاعر الاقطار العربية ، القاهرة ، دار المعارف ١٩٥٩م.

٤١. الزركلي ، خير الدين ، الأعلام ، ج١، ط٥ ، بيروت ، ١٤٠٠/ ١٩٨٠.

٤٢. زيدان ، جورجي ، تاريخ الأدب العربية ، القاهرة ، دار الهلال، ١٩٤١.

٤٣. زيدان ، جورجي ، تاريخ مصر الحديث ، القاهرة مطبعة الهلال ، ١٩٢٥.

٤٤. سالم ، عبد الرشيد عبد العزيز ، دولة الخلافة وشعر الوطنية سنة ١٩٨٢-١٩٣٦ ط٣، بيروت ، دار الفكر، ١٣٩١-١٩٧١.

٤٥. ستودارد، لوثروب ، حاضر العالم الإسلامي ، ترجمة عجاج نويهض ، وتعليق شكيب ارسلان ، ط٣ ، بيروت دار الفكر ، ١٣٩١-١٩٧١.

٤٦. السحرتي، مصطفى عبد اللطيف، الشعر المصري في ضوء النقد الحديث ، القاهرة ، مطبعة المقطم ، ١٩٧٩-١٩٦٠.

٤٧. السحرتي ، مصطفى عبد اللطيف، أدب الطبيعة، القاهرة ، مطبعة المقطم ، ١٣٥٦/ ١٩٣٧.

٤٨. سركيس، يوسف إلبان ، معجم المطبوعات العربية والمعربة ، القاهرة ، مكتبة يوسف إليان سركيس وأولاده ، ١٣٤٦/ ١٩٢٨.

٤٩. سعيد ، أمين ، تاريخ مصر السياسي والحملة الفرنسية إلى انهيار الملكية ، القاهرة إحياء الكتب العربية ، عيسى البابي الحلبي وشركاه ، ١٣٧٨/ ١٩٥٩.
٥٠. سويف ، مصطفى ، الأسس النفسية للإبداع الأدبي في الشعر خاصة ، ط٣، القاهرة دار المعارف ، ١٩٥٩.
٥١. الشايب، أحمد ، تاريخ الشعر السياسي، ط٢، القاهرة ، مكتبة النهضة المصرية ، ١٣٨١/ ١٩٤٦.
٥٢. الشايب، أحمد ، أصول النقد الأدبي ، ط٧، القاهرة ، مكتبة النهضة المصرية ، ١٩٦٤.
٥٣. الشايب، أحمد ، الأسلوب ، ط٧، القاهرة ، مكتبة النهضة المصرية ، ١٩٦٤.
٥٤. شكري، غالي ، شعرنا الحديث إلى أين ، ط١، القاهرة ، دار المعارف ، ١٩٦٨.
٥٥. شوقي، أحمد ، الشوقيات ١-٤، بيروت دار العودة ١٤٠٨/ ١٩٨٨.
٥٦. صوايا ، ميخائيل ، المعلم بطرس البستاني، بيروت ، مكتبة البستاني ، ١٣٨٢/ ١٩٦٣.
٥٧. ضيف، شوقي، شاعر العربي المعاصر ، ط١، القاهرة ، دار المعارف ١٩٥٣.
٥٨. ضيف ، شوقي ، دراسات في الشعر العربي المعاصر، ط٢، القاهرة ، دار المعارف ، ١٩٥٩.
٥٩. طبانة ، بدوي ، خمسة من شعراء الوطنية ، القاهرة ، الهيئة العامة للكتّاب، ١٩٧٣.
٦٠. طبانة ، بدوي ، التيارات المعاصرة في النقد الأدبي، ط٢، القاهرة ، ١٣٩٠/ ١٩٧٠.
٦١. طوقان ، قدري حافظ ، جمال الدين الأفغاني ، القدس ، مطبعة بيت المقدس، ١٣١٦/ ١٩٤٧.
٦٢. عبد المطلب ، محمد عبد المطلب، ديوان عبد المطلب، القاهرة ، مطبعة الاعتماد (لا.ت).
٦٣. عبد النور، جبور ، المعجم الأدبي ، ط٨ بيروت ، دار العلم للملايين ، ١٩٧٩.
٦٤. عبيد ، أحمد ذكرى الشاعرين : شاعر النيل وأمير الشعراء، ط١، دمشق المكتبة العربية ، ١٣٥١/ ١٩٣٢.
٦٥. عبيد ، أحمد ، مشاهير شعراء العصر، ط١، دمشق المكتبة العربية ١٣٥١/ ١٩٣٢.
٦٦. عتيق ،عبد العزيز ، علم المعاني ، بيروت ، دار النهضة العربية ، ١٤٠٥/ ١٩٨٥.
٦٧. عتيق، عبد العزيز ، علم البيان ، بيروت ، دار النهضة العربية ، ١٤٠٥/ ١٩٨٥.
٦٨. عتيق، عبد العزيز ، علم البديع، بيروت ، دار النهضة، ١٤٠٥/ ١٩٨٥.
٦٩. العقاد، عباس محمود ، شعراء مصر وبيئاتهم في الجيل الماضي، العدد٢٥٢، القاهرة سلسلة الهلال ، ١٩٧٢.

٧٠. العقاد، عباس محمود ، ساعات بين الكتب، ط٣ ، القاهرة ، مكتبة ا لنهضة المصرية ، ١٣٧٩/ ١٩٥٠.

٧١. عوض، لويس ، تاريخ الفكر المصري الحديث ، الخلفية التاريخية ، العدد٢١٥، القاهرة ١٣٧٩/ ١٩٥٠.

٧٢. عوض، لويس ، تاريخ الفكر المصري الحديث: الفكر السياسي والاجتماعي ، العدد ٢١٧ القاهرة سلسلة دار الهلال ، ١٩٦٩.

٧٣. عوض ، لويس ، دراسات في ادبنا المعاصر ، القاهرة ، مطبعة الطناحي ، عابدين ، ١٣٨٠/ ١٩٦١.

٧٤. عيد ، رجاء ، البحث الأسلوبي، معاصرة وتراث ، القاهرة منشأة الاسكندرية ، ١٩٩٣.

٧٥. عيد ، رجاء لغة الشعر ،قراء في الشعر العربي الحديث، منشأة الاسكندرية ، ١٩٨٥.

٧٦. فريد ، محمد ، تاريخ الدولة العليا، ط٣، القاهرة ، مطبعة التقدم ، ١٣٣١/ ١٩٢١.

٧٧. فهمي ، ماهر حسن ، تطور الشعر العربي الحديث ،القاهرة ، ١٣٩٠/ ١٩٧١.

٧٨. القزويني، الخطيب ، الإيضاح في علوم البلاغة ، شرح محمد عبد المنعم خفاجي ، طب ٤ بيروت ، دار الكتاب اللبناني، ١٣٩٤/ ١٩٧٥.

٧٩. الكاشف ، أحمد ديوان الكاشف، القاهرة ، ١٣٣١٧/ ١٩٦٣.

٨٠. كامل مصطفى ، المسألة الشرقية ، القاهرة ، مطبعة الأدب ، ١٣١٧/ ١٨٩٨.

٨١. كحالة، رضا عمر ، معجم المؤلفين ، ج١و ٢، بيروت ، مكتبة المثنى ، (لا . ت).

٨٢. مجاهد زكي ، الأعلام الشرقية من سنة ١٣٠١-١٣٦٥-١٨٣٣-١٩٤٦، القاهرة ١٣٨٢/ ١٩٦٣.

٨٣. محرم ، أحمد الديوان ، ج١، ط١، القاهرة ، مطبعة الجريدة ، ١٩٠٨.

٨٤. محرم ، أحمد ، ا لديوان ج٢، ط١، دمنهور ، مطبعة الفتوح ، ١٣٢٨، ١٩٢٠.

٨٥. محرم ، احمد ، ديوان مجد الإسلام ط١، القاهرة ، مكتبة دار العروبة ، ١٣٨٣/ ١٦٣.

٨٦. محرم ، أحمد ، الديوان ، السياسيات/ ج١ ، الكويت ، مكتبة الفلاح ،١٤٠٤/ ١٩٨٤.

٨٧. محرم ، أحمد ، الديوان السياسيات/ ج١ ، الكويت ، مكتبة الفلاح ، ١٤٠٤/ ١٩٨٤.

٨٨. محرم، أحمد ، الديوان ، ج٢، الكويت ، مكتبة الفلاح ، ١٤٠٨/ ١٩٨٨.

٨٩. محرم، أحمد ، الديوان ، ج٣، الكويت ، مكتبة الفلاح ، ١٤٠٨/ ١٩٨٨.

٩٠. محرم، أحمد ، الديوان ، ج٤، الكويت ، مكتبة الفلاح ، ١٤٠٨/ ١٩٨٨

٩١. محرم، أحمد ، الديوان ، ج٥، الكويت ، مكتبة الفلاح ، ١٤٠٨/ ١٩٨٨.
٩٢. مندور ، محمد ، الأدب وفنونه ، ا لقاهرة ، دار النهضة ، ،١٩٨٠.
٩٣. النويهي، محمد ، قضية الشعر الجديد، القاهرة، دار الفكر، ١٩٧١.
٩٤. هدارة ، محمد مصطفى ، دراسات في الشعر العرب المحدثين ج١، الاسكندرية منشأة الاسكندرية ١٤١٤/ ١٩٩٤م.

الدوريات:

١. أبولو ، أعداد سنة ١٩٣٣، ١٩٣٤.
٢. الأخبار، سنة ١٩٢٥.
٣. أنيس الجليس ، ١٨٩٩ – ١٩٠٠.
٤. البلاغ: ١٩٣٣- ١٩٣٧.
٥. الثقافة : ١٩٤٠ ، ١٩٤٥ ، ١٩٧٧، ١٩٧٨.
٦. الخفجي : ١٩٨٩.
٧. الرسالة: ١٩٧٨، ١٩٤٠، ١٩٤٥.
٨. رسالة المعلم: ١٩٦٧.

المراجع بالأجنبية:

١.Antonious.George . The Arab Awakening .Lebanon Bokk Shop, Beirut ١٩٦٩.
٢. Richards .APrincples of Literary Criticism.
٣.Lewis .C.D.The poetic Image .p.٣٥.
٤. Nichelson : R.Literary History ot the Arabs.

رفع
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس
www.moswarat.com

الفهرس

الموضوع	الصفحة من	
المقدمة	١١	١٨
الفصل الأول: المؤثرات العامة والخاصة في حياته وشعره	٢٣	٥٢
عصر الشاعر	٢٣	
مصر في العهد التركي	٢٣	
نشوء اليقظة الوطنية	٢٦	
الاحتلال البريطاني لمصر عام (١٨٨٣)	٢٧	
الجامعة الإسلامية	٢٩	
حركة مصطفى كامل	٣٤	
دعوة قاسم أمين لتحرير المرأة	٣٥	
مقتل بطرس غالي	٣٧	
الفتنة الطائفية بين المسلمين والأقباط	٣٨	
الحرب العالمية الأولى سنة ١٩١٤	٤٢	
ثورة عام (١٩١٩)	٤٣	
القضية الفلسطينية	٤٨	
الحرب العالمية الثانية	٥٠	
قيام الجامعة العربية	٥٠	
الفصل الثاني: حياة أحمد محرم ونشأته	٥٣	٨٠
حياته ومولده ونشأته	٥٥	
دراسته وثقافته	٥٧	
بواكير شعر محرم وتجربته	٥٨	
أعماله واتصالاته	٦٦	
مع الصحف والمجلات	٦٩	
محرم وعاطفة الحب	٧٤	
وفاته	٧٩	
الفصل الثالث: آثار محرم الأدبية ومصادر شعره	٨١	١٠٢
الشعر المصري في عهد البارودي	٨٣	
الشعراء المصريون الذين نهضوا بالشعر بعد البارودي	٨٥	
مفهوم الشعر وأدواته عند محرم	٨٦	
مصادر شعره	٨٩	
شعر المديح والوطنيات	٩١	
الصحف والمجلات والمخطوطات	٩٣	
ابحاثه النقدية	٩٤	
قصة ديوان مجد الإسلام	٩٤	
أقسام الديوان ومقدمته	٩٧	
ديوان الأقصى الحزين	١٠٠	

الباب الثاني : شعره بين الفن والالتزام	١٠٣	٢٣٦
الفصل الأول : شعره الوطني	١٠٥	١٤٦
حق الأمة والوطن على الأدب	١٠٦	
مكانة أحمد محرم بين شعراء جيله	١٠٦	
موقفه من الأحداث التي عاصرها	١٠٦	
رأي محرم في شعراء جيله	١١٠	
التزامه الوطني	١١١	
الجامعة الإسلامية ، وموقف محرم منها	١١٢	
حرب البوير وعبرة الذود عن الأوطان	١١٥	
نصيحته لسلطان البلاد	١١٨	
محرم والخديوي عباسد	١١٩	
حملته على الحكام المستبدين	١٢٠	
محرم وحادثة دنشواي	١٢٣	
موقف الشعراء من حادثة دنشواي	١٢٥	
الوحدة الوطنية	١٢٩	
الفتنة الطائفية	١٢٩	
موقف محرم من الإنجليز	١٣٢	
فظائع الإنجليز	١٣٤	
موقفه من الأحزاب المصرية	١٣٦	
محرم وسعد زغلول	١٤١	
الخلاصة	١٤٤	
الفصل الثاني :شعره الإسلامي	١٤٧	١٨٢
الصلة بين الشعر والدين	١٤٩	
الجامعة الإسلامية	١٥١	
نكبة فلسطين	١٦٠	
الجامعة الإسلامية	١٦٦	
مصر والجامعة العربية	١٦٦	
البطولات والأمجاد في غزوات الرسول	١٧٣	
حول رأي شوقي ضيف في ديوان مجد الإسلام	١٨٢	
الفصل الثالث : شعره الاجتماعي	١٨٣	٢١٢
الغرض من الشعر الاجتماعي	١٨٥	
محرم والدعوة إلى تحرير المرأة	١٨٨	
موقف محرم من الفساد الاجتماعي	١٩٥	
صلة محرم بكبار الأدباء والشعراء	١٩٩	
نقده للمجتمع	٢٠٣	
الدعوة إلى الوفاق الوطني	٢٠٧	
الإشادة بالمحسنين	٢١٠	
واقع الفلاح المصري	٢١١	

الفصل الرابع :شعره الوجداني	٢١٣	٢٣٦
موضوعات الشعر الوجداني	٢١٥	
المراثي	٢١٥	
في محراب الطبيعة	٢٢٤	
تجربته مع الحب والهوى	٢٢٧	
الباب الثالث : الخصائص الفنية لشعر محرم	٢٣٧	٣٩٨
الفصل الأول : أسلوب الشاعر	٢٣٩	٢٧٤
الأسلوب وخصائصه	٢٤١	
لغة محرم وأسلوبه	٢٤٣	
الإيجاز	٢٥١	
الإطناب	٢٥٣	
التكرار	٢٥٤	
المقابلة	٢٦١	
التقدم	٢٦٣	
المعاني	٢٦٩	
الفصل الثاني : بناء القصيدة عند محرم	٢٧٥	٣٢٤
بناء القصيدة	٢٧٧	
أثر الإيقاع في بناء القصيدة	٢٨٣	
الموسيقى والتشكل في شعر محرم	٢٨٤	
الإيقاع المرتبط بالتنويع الصوتي	٢٨٨	
التعريف والتنكير في الجمل المثبتة عند محرم	٢٩٣	
ظاهرة الجملة المنفية	٢٩٨	
استخدام الأمر في الإنشاء الطلبي	٣٠١	
استخدام اسم فعل الأمر	٣٠٣	
استخدام المصدر النائب عن فعل الأمر	٣٠٥	
استخدام النهي	٣٠٧	
استخدام الاستفهام	٣١٠	
استخدام اسلوب التمني	٣١٣	
استخدام النداء	٣١٤	
الأوزان والقوافي المستخدمة في شعره	٣١٧	
الفصل الثالث : المعجم الشعري	٣٢٥	٣٦٠
خصائص نص المعجم الشعري	٣٢٧	
الجدول الأول: ديوان السياسيات ج١	٣٢٩	
الجدول الثاني: ديوان محرم ج٢(ديوان عام)	٣٣٠	
الجدول الثالث: ديوان محرم ج٢(ديوان عام)	٣٣١	
الجدول الرابع: ديون محرم ج٣(ديوان عام)	٣٣٢	
الجدول الخامس: ديوان محرم ج٤	٣٣٣	
الجدول السادس: ديوان محرم ج٥	٣٣٤	
الجدول السابع: ديوان مجد الإسلام(الإلياذة الإسلامية)	٣٣٥	

الجدول الثامن: ديوان الأقصى الحزين	٣٣٦	
ملاحظات حول الجدول الأول	٣٣٧	
ملاحظات حول الجدول الثاني	٣٣٨	
ملاحظات حول الجدول الثالث	٣٤٠	
ملاحظات حول الجدول الرابع	٣٤١	
ملاحظات حول الجدول الخامس	٣٤٣	
ملاحظات حول الجدول السادس	٣٤٥	
ملاحظات حول الجدول السابع	٣٤٧	
ملاحظات حول الجدول الثامن	٣٥٠	
الخلاصة	٣٦٠	
الفصل الرابع: الصورة الشعرية عند محرم	٣٦١	٤٠٢
أهمية الصورة الفنية عند محرم	٣٦٣	
مراحل تطور الصورة الفنية في شعر محرم	٣٦٦	
روافد صوره الشعرية	٣٧٦	
التأثير و الإيحاء في صوره الشعرية	٣٨٨	
أهمية الصورة في شعر محرم	٣٩٧	
الخاتمة	٣٩٩	
فهرس الأشعار الواردة في البحث	٤٠٣	
فهرس المصادر والمراجع	٤١٣	
فهرس الموضوعات	٤١٩	

رفع
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس
www.moswarat.com

www.moswarat.com

رفع
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس
www.moswarat.com

الشاعر أحمد محرم

دراسة في حياته وشعره

الدكتور مصطفى الفار

Designed By Yousef
SARA